بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
الدراسات العليا التاريخية

تمت التصويبات ...
أعضاء لجنة المناقشة
الدكتور محمد عبد اللطيف البحراوي
الدكتور يوسف علي الثقفي
الدكتور ناصر عبد الله البركاتي
الطالب عايض بن خزام الروقي

حروب محمد علي في الشام

وأثرها في شبه الجزيرة العربية

١٢٤٧ - ١٢٥٥هـ - ١٨٣١ - ١٨٣٩م

جامعة أم القرى

رسالة مقدمة من

عايض بن خزام الروقي

١٠٠٢١٠٩

لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي الحديث

١٠٥٨
جامعة أم القرى / مكتبة المكرمة
عمادة شؤون المكتبات
قسم المخطوطات
UMM AL-QURA UNIVERSITY MAKKAH

إشراف

الأستاذ الدكتور / محمد عبد اللطيف البحراوي

١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة: سَوَابِق الْمَوْضُوع

أ - الحالة فى شبه الجزيرة العربية بعد ١٨١٨م .

ب - علاقة محمد على بالسلطان محمود الثانى .

جـ - سياسة أوربا نحو الدولة العثمانية :

خطة التدخل .. وسياسة التكامل .

الحمد لله الذى هدانا الى طريق الخير والصلاح ، ونسأله دوام التوفيق والنجاح ، والصلاة والسلام على رسوله المصطفى الذى دعا الى طلب العلم ، وبشر بالجنة طالب العلم .

كانت لدى رغبة قوية لدراسة التاريخ ، وتاريخ الجزيرة العربية بشكل خاص ،فالتحقت بقسم التاريخ الاسلامى بجامعة أم القرى ، وتتلمذت على أيدى أساتذة كرام ،ما بخلوا عنى بشىء من هذا العلم .. الا أن سعادة الدكتور محمد عبداللطيف البحراوى - أستاذ التاريخ الحديث - بهذا القسم ، كانت له اليد الطولى فى جذبنا الى هذا الفرع من هذا العلم ، فازداد حبى للتاريخ الحديث ، وبدأ الحلم يتحقق فالتحقت بالدراسات العليا وازداد ميلى للتاريخ الحديث وفروعه .

وعند انتهاء السنة المنهجية والتخطيط لتقديم موضوع لرسالة الماجستير ، كان تفكيرى منصبا على اختيار موضوع فى الجزيرة العربية ، وفى عصرها الحديث بالذات ، وغنى عن القول كما نعرف أن جل تاريخ الجزيرة العربية فى العصر الحديث ، هو تاريخ الدولة السعودية فى مراحلها الثلاث ، تلك الدولة الفتية التى استمرت منذ ظهورها فى النصف الثانى من القرن الثانى عشر الهجرى وحتى اليوم تؤثر وتتأثر ، بشكل مباشر وقوى ،فى أحداث شبه الجزيرة العربية بشكل خاص ، وأحداث العالم الاسلامى والعالم أجمع بشكل عام .

من هذا المنطلق كان لا بد لنا أن نتعرف على بعض المؤثرات الخارجية التى أثرت على مسيرة هذه الدولة ، التى وحدت الجزيرة العربية فى دولة مستقلة لأول مرة فى التاريخ منذ عهد الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم .

وبالبحث والتمحيص ،وتوجيهات أستاذى الكريم بعد توفيق الله تعالى ، تم التوصل الى طرق موضوع هذه الرسالة ، والتى تحمل عنـــوان :
" حروب محمد على فى الشام وأثرها فى الجزيرة العربية " للفترة مـــن ١٨٣١ - ١٨٣٩ م = ١٢٤٧ - ١٢٥٥ هـ ، وعنوان هذا البحث ربما يغـنى القارئ من الشرح والتعليل لمحتوياته .

فكما هو معروف أن محمد على باشا - والى مصر - حينذاك ، قد حاول خلال هذه الفترة أن يبسط هيمنته على كل أنحاء شبه الجزيرة العربية ، ليحقق بذلك شيئا من طموحاته السياسية ، تلك الطموحات التى اصطدمت بعقبات كثيرة أدت الى فشلها فى نهاية المطاف .

وعلى الرغم من أن محمد على باشا ،ابان حروب الشام تلك ، كان قد بلغ من القوة والنفوذ ما استطاع من خلاله أن يهدد القسطنطينية عاصمة الدولة العثمانية ،الا أن وضع الدولة العثمانية فى ذلك الوقت ، والموقف الأوروبـى تجاهها قد حتم على محمد على باشا أن يوقف الحرب .. ، وهذا ما ستعرفه فى ثنايـا البحث ...

لقد كانت هذه الحرب فرصة ثمينة لمحمد على باشا ليمد نفوذه الـى الجزيرة العربية ،ويتطلع الى مياه الخليج العربى ، ثم الصعود الى البصـرة وبغداد ، ليكون بذلك حلقة مغلقة من أملاكه فى دولته التى يعتزم انشاءهـا ، الا أن حكمه فى شبه الجزيرة العربية قد ووجه بثورات مضادة فى نجد ، فقـد عاد النفوذ السعودى الى المنطقة وسيطر عليها - وهى الدولة السعوديـــة الثانية - التى كانت حرب الشام فرصة ثمينة لها لتقوم على دعائم قوية وطموحات كبـيرة .

أما فى الحجاز فقد كان تمرد العربان والأشراف ، ذلك التمرد الذي امتد الى عسير ، فى شكل ثورات عنيفة ضد قوات محمد على باشا ، أضف الى ذلك ثورة قوات محمد على باشا الغير نظامية فى الحجاز ، والتى شاركت بشكل واضح وقوى فى هذه الثورات وتأجيجها .

أما فى الخليج العربى وفى اليمن فقد كان هناك بعد آخر مضاد لأطماع محمد على باشا ، ألا وهو بريطانيا العظمى ، سيدة البحار فى القرن التاسع عشر ، والتى كانت سياستها تنطلق دائما من مصلحتها ، تلك المصلحة التى حتمت عليها فى نهاية هذه الحرب أن ترغم محمد على باشا على الانسحاب من الجزيرة العربية ، مخلفا وراءه أوضاعا مختلفة ، سنعرفها أيضا من خلال هذا البحث .

وقد وجدت أنه من الواجب أن أستقى معلوماتى لهذا البحث من منابعه الأصلية التى تتمثل فى الوثائق الانجليزية والوثائق التركية بشكل مباشر ، وكذلك المراجع العربية والأجنبية ، وخاصة كتب الرحالة والباحثين المعاصرين لتلك الأحداث ، فقمت برحلة علمية الى لندن وتمكنت بفضل الله من الحصول على كثير من الوثائق الأصلية والمراجع العامة من :-

سجلات حكومة بريطانيا فى الهند .India Office Records

وأرشيف السجلات البريطانية العامة Public Record Office

والمكتبة البريطانية The British Library, Reference Division.

وأخذت فى اعتبارى أن الوثائق البريطانية ليست مما لا يرقى اليها الشك ، فهى ربما تمثل وجهة نظر معينة ، الا أنها مع ذلك تحمل فى طياتها معلومات حقيقية ، على جانب كبير من الأهمية ، فترجمتها بدقة وعناية ، وتفحصت ما

تحويه ، وما تهدف اليه ، وأخذت ما يفيدني منها في بحثي ، ثم عرجت في رحلتي العلمية تلك الى القاهرة حيث تمكنت من الحصول على عدد لا بأس به من الوثائق التركية والعربية المحفوظة بدار الوثائق القومية ، بقلعة صلاح الدين الأيوبي ، وقد أخضعتها للبحث والتمحيص كسابقاتها من الوثائق الانجليزية .

بعد ذلك عمدت الى الأخذ وجمع المعلومات المتوفرة في الوثائق التركية التي أخذتها من قسم المخطوطات بدارة الملك عبدالعزيز بالرياض، وكذلك الكتب - من مصادر ومراجع عربية وافرنجية - مما توفر لدي ، أو مما استطعت الاطلاع عليه .

وقد حاولت جهدي أن أتخلص أثناء الكتابة من العوامل النفسية التي ربما تدفع الباحث الى الحب أو الكره ، فينساق خلفها ويصدر أحكاما ربما تكون عاطفية أكثر منها علمية وواقعية ، واعتمدت في ذلك على الله سبحانه وتعالى ثم على ما توفر لدي من وثائق جيدة ، ومصادر ومراجع على درجة كبيرة من الوضوح والاتزان ، وأخضعتها جميعا للمقارنة والتحليل العلمي الخالص ، مستعينابتوفيق الله تعالى ثم بمشورة أستاذي الجليل المشرف على هذه الرسالة الدكتور محمد البحراوي ، جزاه الله عنا كل خير وتوفيق .

أما بالنسبة لمراحل البحث وتوزيعه - أي خطته العلمية التي سار عليها فقد كانت على النحو التالي :-

- مقدمة : سوابق الموضوع :

حيث ألقى البحث - تحت هذا العنوان - الضوء على الحالة في شبه الجزيرة العربية بعد عام ١٢٣٣ وحتى عام ١٢٤٧هـ = ١٨١٨- ١٨٣١م ، وهي

المرحلة التى أعقبت سقوط الدرعية على أيدى قوات محمد على باشا - والى مصر - حين كان تابعا للدولة العثمانية يأتمر بأوامر السلطان ، ومن خلال ذلك تطرق البحث الى علاقات محمد على بالسلطان محمود الثانى ، فى تلك الحقبة الزمنية ، وتطرق كذلك الى سياسة أوروبا نحو الدولة العثمانية ، أو ما عرف بخطة التدخل وسياسة التكامل التى انتهجتها أوروبا ازاء الدولة العثمانية فى ذلك الوقت ، أما فى الفصل الأول ، فقد تناولت موضوع حرب الشام ، وفى هذا الفصل يلقى البحث بعض الضوء على حروب محمد على الأولى فى الشام ، وتقدم قواته الى مدينة عكا ، وبيلان ، وقونية ، ثم ما أعقب ذلك من اتفاقية لوقف هذه الحرب ، وهى ما عرف باتفاقية كوتاهية سنة ١٢٤٨هـ = ١٨٣٢ م ، أو الهدنة المسلحة ، ان جاز لنا تسميتها بذلك ، وسنعرف سبب هذه التسمية فى ثنايا هذا البحث ، الذى تطرق كذلك الى نظرية القشرة الواقية للهند ، أو بتعبير أصح لموقف بريطانيا وسياستها تجاه طريق مواصلاتها ، وبالذات مع محمد على باشا وحروبه التوسعية سواء فى الشام أو فى الجزيرة العربية ، ثم انتقلت بعد ذلك الى الكلام عن حركة محمد أغا " تركجه بيلمز " ، لأنها جاءت فى وقت خطط محمد على باشا فيه للمسير الى الشام ، ورمى بقوته كلها فى تلك الجهة ، واذا به يفاجأ بأن جنوده الغير نظاميين يثورون عليه ، مما جعله يفكر جديا للقضاء على هذه الثورة وبالتالى يتوغل فى وسط الجزيرة العربية وجنوبها ، وقد تطرق الحديث الى انسحاب الجند الثائرين الى الحديدة ، كما مل سير محمد على جنوبا ، ثم هروب قائدهم بيلمز ، الى البصرة بمساعدة من بريطانيا .

ولم أتبع فى الفصل الثانى طريقة السرد التاريخى التقليدية لقيام الدولة السعودية الثانية ، فقد أشبع هذا الموضوع كلاما ، وألف كثير من

المؤرخين بعض الكتب عن قيام الدولة السعودية الثانية ومؤسسيها ، وجهودهم الجبارة فى تدعيم أركانها ، ولكن البحث هنا سيتطرق وفق خطة الرسالة العامة إلى أهم الملامح والأحداث التى أثرت وتأثرت بها الدولة السعودية الثانية فى أواخر عهد الامام تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود مؤسس هذه الدولة ، وكذلك عن اعادة بناء الدولة وتدعيم أركانها فى عهد الامام فيصل بن تركى وهذا بطبيعة الحال تم وتبلور قبيل وأثناء حرب الشام الأولى ، ثم نتحدث عن الموقف فى الشام وأثره فى تطور أحوال الدولة السعودية الثانية وعلاقاتها مع الدولة العثمانية ، وبالذات الولاة العثمانيين فى بغداد .

ويعتبر الفصل الثالث أهم فصول الرسالة بشكل عام ، وفيه تطرق البحث الى أهداف محمد على باشا التجارية وأطماعه التوسعية فى الخليج العربى والمحيط الهندى ، ثم الى تقدم قواته نحو الاحساء والبحرين ، وسياسته التوسعية تجاه وسط الجزيرة العربية وسواحلها الشرقية .

ويناقش البحث بعد ذلك خطط محمد على بالنسبة للبصرة وبغداد ، وأهدافه تجاهها ، ووسائله للسيطرة على تلك الجهات ، وموقفه المعلن والغير معلن ، ودوافع ذلك الموقف وأسبابه ، ثم يختتم هذا الفصل بالحديث عن الحوار البريطانى حول الحرب أم الدبلوماسية تجاه محمد على وسياسته ، ذلك الحوار الذى تمثل فى الوسائل والتقارير التى كانت متداولة بين وزير خارجية بريطانيا وقناصلها ، فى كل من عاصمة الدولة العثمانية ، ومصر ، والخليج العربى ، وبغداد ، ووجهة نظر كل منهم ، وموقفه ضد محمد على وتوقعاتهم لأهدافه وسياسته ، وموقفهم من تلك الأهداف والسياسة ، وكيف سيتم الوقوف أمامه فى ذلك الجزء من العالم الذى يعتبر فى نظرهم قشرة واقية لدرة التاج البريطانى (الهند .

ويعتبر الفصل الرابع فصلا ، أو جزءا هاما من المسألة الشرقية ، وهو آخر فصول الرسالة ، وأطلق عليه هذا العنوان لأنه تكلم عن أكثر من مشكلة فيما يعرف فى التاريخ الحديث ، بالمسألة الشرقية ، ذلك الجزء الذى نطلق عليه أيضا نحن مؤرخى التاريخ الحديث ، المسألة المصرية ، باعتبارها جزء من المسألة الشرقية ، وخلال هذا الفصل تطرق البحث لاحتلال عدن عام ١٢٥٤هـ = ١٨٣٩م ، من قبل الانجليز ، ومدى مساهمة حروب الشام فى هذا الاحتلال ،أو بتعبير أدق ، أطماع محمد على فى المحيط الهندى والبحر الأحمر وتجارتهما ، لتكوّن بذلك عامل استعجال يدفع الانجليز لاحتلال عدن فى أقرب وقت .

ثم تطرق البحث الى حرب الشام الثانية عام ١٢٥٥ هـ = ١٨٣٩م ، أو نهاية المطاف بالنسبة لمحمد على ، وانشقاقه من الدولة العثمانية ، وما نتج من هذه الحرب من تدهور الأوضاع فى الأستانة ، وخروج منشور كلخانة -بدء تنظيمات - ، الى حيز التنفيذ ، وكيف استغل الأوربيون هذه الحرب ، ليصدر السلطان هذه التنظيمات لمصلحتهم ، وهو ما يمكن أن نصفه بأنه أول انحراف للدولة من نظمها الأولى .

ثم يناقش البحث بعد ذلك موقف انجلترا ، أو مؤتمر لندن ومعاهدة لندن عام ١٢٥٦ هـ/ ١٨٤٠م وهو ما عرفناه بالحل الدولى ، وهو المؤتمر الذى وضعت فيه بريطانيا كامل ثقلها السياسى لتحقيق مصالحها الاستراتيجية والسياسية بالنسبة للدولة العثمانية ولأوربا ومحمد على باشا وأطماعه التوسعية خارج مصر.

وأخيرا تطرق البحث لانسحاب محمد على باشا من شبه الجزيرة

العربية ، وما خلفه من أثار سيئة عليها تخبطت فيها طوال القرن الثالث عشر الهجرى ، التاسع عشر الميلادى ، حتى قيض الله لها ذلك الفارس المغوار جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل بن تركى آل سعود ، فى بداية القرن الرابع عشر الهجرى ،وبداية القرن العشرين الميلادى ، وانتشلها من براثن الفوضى والتمزق ، وأعاد بناء دولة آل سعود فى مرحلتها الثالثة ، وأقام دعائمها على نهج أسلافه الأماجد ، فتوحدت الجزيرة العربية والتأم شملها ، وهذا ما نراه الآن فى عصرنا الزاهر.

وفى نهاية البحث تم التوصل الى كثير من النتائج والحقائق من هذه الحروب وما أثرته على الجزيرة العربية من سلبيات وايجابيات وهو ما سيتطرق له البحث فى الخاتمة والنتائج ، وهنا لا بد أن أشير الى تأثرى بمنهج أستاذى المشرف من حيث اعتبار الخاتمة أهم أجزاء الرسالة ،فهى تحتوى على تحليل تاريخى للفترة الزمنية للبحث الى جانب النتائج العامة التى هى فى حقيقتها جوهر الرسالة والاضافات الجديدة .

وختاما لا يسعنى الا أن أقدم شكرى الجزيل لكل من مد يد المساعدة لى ، لاظهار هذا الجهد العلمى المتواضع الى حيز الوجود خاصة الجامعة الفتية التى انتسب اليها ، جامعة أم القرى وكلية الشريعة والدراسات الاسلامية وقسم التاريخ الاسلامى وقسم الدراسات العليا للتاريخ والحضارة ، واستاذى المشرف والأستاذين الفاضلين عضوى لجنة الفحص والمناقشة ،. راجيا من الله أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه تعالى ، وأن يكون مساهمة منى لخدمة هذا الوطن الغالى ،الذى نكن له كل حب ووفاء ، والله الهادى الى سواء السبيل .

أما عن الحالة فى شبه الجزيرة العربية بعد ١٨١٨م ، وهى ماأسميناها سوابق الموضوع ، فقد عاشت الجزيرة العربية منذ أوائل القرن التاسع عشر أوضاعا اقتصادية واجتماعية وسياسية متدهورة ،منذ تدمير الدرعية سنة ١٢٣٣هـ/ ١٨١٨م ، عاصمة الدولة السعودية الأولى(١) ،تلك الدولة التى حاولت اعادة الأمن والاستقرار ، والحياة الاجتماعية الآمنة الى ربوع الجزيرة العربية ، ولكن الدولة العثمانية سعت جاهدة لتحطيم هذه القوة الاسلامية الفتية ، وكان لها ما أرادت على أيدى قوات محمد على باشا - والى مصر -(٢) ،الذى فتحت أمامه هذه الحرب أبعادا أخرى للتوسع والسيطرة ، امتدت فيما بعد لتصل الى الشام ، وتهدد الدولة العثمانية فى عقر دارها ، وعلى الرغم من أن الجزيرة العربية " قد شهدت تطورات جديدة وجذرية تمخض عنها قيام وحدة سياسية لم تشهد الجزيرة العربية لها مثيلا منذ صدر الاسلام الأول متمثلا فى قيام الدولة السعودية الأولى عبر كفاح طويل ومرير استغرق أكثر من ستين عاما"(٣)

---

(١) د . عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ،ص ٢٥ .

(٢) ولد محمد على فى مدينة قولة من بلاد مقدونية ،وتعرف عند اليونان بمدينة نيابوليس ،أى البلد الجديدة ، وذلك سنة ١١٨٢هـ ،الموافق سنة ١٧٦٩م ، توفى والده وهو صغير ،فرباه عم له حتى بلغ أشده ، حيث اشتغل فى بداية حياته بتجارة الدخان ، ثم أتى مع جنود الدولة العثمانية الذين قدموا لمحاربة الفرنسيين ،وعين قائد فرقة ،واستطاع بعد ذلك أن يكسب ثقة الأهالى والسلطان العثمانى ،ليعين واليا على مصر ،ويحقق أهدافه وطموحاته بمختلف أساليب الدهاء والسياسة حتى صار أقوى من السلطان نفسه ،وقد توفى بالقاهرة فى ١٣ رمضان سنة ١٢٦٥هـ ، الثانى من أغسطس سنة ١٨٤٩م ،ليدفن فى الجامع الذى بناه فى قلعة صلاح الدين الأيوبى بالقاهرة .
- محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ،ص ٣٩٠ .

(٣) د . سليمان محمد الغنام : قراءة جديدة لسياسة محمد على باشا التوسعية .. ،ص ١٢٤ .

الا أن السلطان والمحيطين به قد رأوا فى انتصار الدعوة السلفية بقيادة الأئمة من آل سعود خروجا عن طاعة الخليفة ،وانفصالا عن الدولة العثمانية[١] ، وبالتالى فَقْدُ أهم دعائم مركزها فى العالم الاسلامى ،وهو فقدان شرف حماية الحرمين الشريفين فى مكة المكرمة ، والمدينة المنورة .

لقد حكم ابراهيم باشا الدرعية حكما ارهابيا تعسفيا استمر تسعة أشهر ، حاول خلالها أن يعامل أفراد الأسرة السعودية معاملة احترام وتقدير ، غير أن الحال اختلف بالنسبة للعلماء وأفراد الهيئات العلمية ، فقتل بعضهم وعذب الآخرين [٢] ،اضافة الى أن ابراهيم باشا كان يهدف الى اشاعة الرعب فى قلوب الناس آملا بذلك أن يقضى على كل مقاومة لطغيانه ، فكثرت الاضطرابات ونهبت الأموال ، وسل سيف الفتنة[٣] ، كما أن محمد على باشا نفسه لم يف بعهود ابنه ابراهيم باشا فى شروط الصلح التى عقدها مع عبدالله بن سعود [٤] ، فأرسل اليه قبل مغادرته الى مصر يأمره بهدم الأسوار والحصون والقصور ،فأرسل شراذم من قواته الى مختلف أنحاء نجد ، نفذت أوامره بطرق وحشية وأساليب همجية ،أما هو فقد أمر أهل الدرعية بالرحيل ، وهدم القصور وردم الآبار ،وقطع الأشجار ،وأشعل النيران فى النخيل والمزارع[٥] ، حتى أنه لم يبق لتلك المدينة الا أطلالا خاوية تخيف من يراها بعد أن كانت منارة علم ، وحضارة لأبناء الجزيرة العربية ، ويبدو أن حافزا آخر حث ابراهيم باشا على هذا العمل الذى يتصف بالبطش والغرور ،فطالما أنه

---

(١) محمد حسين زيدان : مجلة الدارة ،العدد الثانى ،السنة الأولى ، ص ١٦٣ .

(٢) جاكلين بيرين : اكتشاف جزيرة العرب ، ص ٢٤٢ .
، سنت جون فلبى : تاريخ نجد ، ص ١٦١ .

(٣) عثمان بن بشر ،عنوان المجد فى تاريخ نجد ،ج ١ ،ص ٢١٢-٢١٣ .
،محمد بن عمر الفاخرى : الأخبار النجدية ، ص ١٥٠ .

(٤) عبدالرحمن الرافعى : عصر محمد على ، ص ١٥١ .

(٥) ابراهيم بن عيسى : تاريخ بعض الحوادث الواقعة فى نجد ، ص ١٤٦ .

لم ينوِ احتلال هذه المنطقة بشكل مستمر فمن الضروري أن يحكم عليها بالدمار[1]، الى درجة أنه لا يتوقع لها في المستقبل من ضم الشمل وتكوين الدولة .

ثم سار ابراهيم باشا بعد ذلك الى ضرمى[2] ، وبدأ يشن الغارات على القبائل الرحل ،وفي معركة مع قبيلة العجمان ضرب بخنجر كادت أن تودى بحياته ، ولكنه سلم منها ، كما أقدم حسين أغا على ارتكاب جناية بشعة حين قام بقتل أربعة من آل سعود كانوا يسكنون الخرج ،فاستدرجهم الى وليمة وأعطاهم الأمان ، وقتلهم ،ثم قتل رؤساء آل عيصان ،ونهب خزائنهم وأموالهم . [3]

ثم عاد ابراهيم باشا الى مصر تاركا بعض الحاميات من جيشه في المدن النجدية، فبدأت هذه القوات تثير حفيظة الأهالي باعتداءاتها المتكررة ،وطغيانها المستمر[4] ، مما أدى الى انتشار الفوضى وحدوث المذابح للأتراك على أيدى القبائل ، وعمت الفوضى وأضطرب الأمن ، وضعف مركز الولاة من قبل دولتهم، على الرغم مما عرف عن بعضهم من القسوة والشدة[5] ، وتعذر السفر بين القرية والأخرى ، وقطعت الطرق حتى أن علية القوم لم يكونوا يجرؤون على الانتقال من مكان الى آخر في المدينة دون أن يواكبهم حرس[6] ،وقد أجمعت المصادر التاريخية على أن الفوضى والاضطراب قد عمت شبه الجزيرة العربية بصورة لم يسبق لها أن تعرضت لها في يوم من الأيام.[7]

---

(١) جورج ، فورستر ،سادلير : رحلة عبر الجزيرة العربية خلال عام١٨١٩م ص ٦٢ ، ٨١ ، ١٠٨ .

(٢) واسمها محرف من قرماء ، وكانت لبنى ظالم بطن من بنى نمير، ولها شهرة تاريخية . عبدالله بن خميس ، المجاز بين اليمامة والحجاز، ص ٤٠ .

(٣) عثمان بن بشر ، عنوان المجد في تاريخ نجد ،ج ١ ، ص ٢١٧ .

(٤) د . رأفت الشيخ : في تاريخ العرب الحديث ،ص ٢٠٩ .

(٥) د . محمد عرابى نخلة : تاريخ الاحساء السياسى ، ص ٣٦ .

(٦) حافظ وهبة : جزيرة العرب في القرن العشرين ،ص٢٣١ .

(٧) جورج فورستر سادلير رحلة عبر الجزيرة العربية خلال عام١٨١٩م ،ص٩٨

وأصبحت المنطقة كما يقول المؤرخ المعروف ابن بشر : " ... فلما حل القضاء وانتهى الأمد المكتوب وانقضى ، انحل نظام الجماعة والسمع والطاعة ،وتطايرت شرر الفتن فى تلك الأوطان ، وتعذرت الأسفار بين البلدان ، وعاثت فيها العساكر المصرية فقتلوا صناديد الرجال ، وصادروا أهلها ، فأخذوا ما بأيديهم من الأموال ، وقطعوا الحدائق الظليلات ، وهدموا القصور العاليات .... وتفرقت علماؤهم وخيارهم ما بين طريد وشريد ، وثارت فى غالب البلدان الفتن والقتل والمحن ،وظهر المنكر وهدم الأمر بالمعروف ،وصار الرجل فى جوف بيته وجل مخوف ،وتذكروا ما بين أسلافهم من الضغائن الخبيثة والقديمة ، وتطالبوا بالدماء .... فتقاتلوا على سنن ما أنزل الله بها من سلطان ، وهجر كثير منهم الصلاة ، وأفطر فى رمضان ،وجهر الرباب والغناء فى المجالس ، وسفت الذرارى على المجامع والمدارس(١)" ،وهذا يؤكد دون شك أو ريب أن سقوط الدرعية كان ذا تأثير مباشر على جميع مناطق شبه الجزيرة فى علاقاتها المحلية وأحوالها الداخلية. (٢)

ومما زاد الأمر سوءا أن الأتراك الذين تركهم ابراهيم باشا كقادة للحاميات التى وزعها على قرى نجد قد اقترفوا أعمالا منكرة كان الغرض منها القضاء على الشخصيات البارزة فى المنطقة ، كى لا يتمكنوا فى المستقبل من اعادة الحياة الى بلادهم(٣) ، فبدأوا يديرون الحكم بغاية التسلط والاستبداد وفرض مطالبهم بمختلف الأساليب ، ولم يتورعوا من أخذ النساء والأطفال وبيعهم فى أسواق

---

(١) عثمان بن بشر : عنوان المجد فى تاريخ نجد ،ج٢ ، ص ٤٠.

(٢) د . عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية، ص ٥ .

(٣) سنت جون فلبى : تاريخ نجد .. ، ص ١٦٦ .

مصر[1]، اضافة الى فرض الضرائب الباهظة المستمرة ، بمناسبة وبدون مناسبة حتى اضطر الأهالي الى الهرب بأنفسهم الى الأودية والجبال ، وبدأت الأسر تتخذ من البساتين والنخيل منازل لها[2].

وفي هذه الأثناء ، وبعد خلو الساحة من حكام نجد الأصليين أصحاب الدولة والعقيدة القوية ، انتهز محمد بن مشاري بن معمر الفرصة وانتقل الى الدرعية وبدأ يدعو الناس الى مبايعته ، فبادر تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود ، وأخوه زيد الى مساعدته ، فبدأ أهل المنطقة ينضمون اليه[3] ، الا أن بعض رؤساء أهل البلدان طلبوا الى ابن عريعر رئيس الأحساء السير الى ابن معمر واخراجه من الدرعية ، فلما علم ابن معمر بذلك لجأ الى أسلوب المداهنة وأرسل الهدايا الى ابن عريعر ، وأكد له أنه حاكم باسم الدولة العثمانية ليس الا ، فتراجع ابن عريعر واستفحل أمر ابن معمر في الدرعية والمناطق المجاورة لها الا أن أمره لم يطل فقد وصل مشاري بن سعود الى الدرعية في جمادى الثانية سنة ١٢٣٥هـ[4] ، وانتزع الامارة من ابن معمر بلا مقاومة ، وبايعه ابن معمر ، فاستقام الأمر لمشاري بن سعود ، وبدأ يؤسس إمارته ويعيد الحياة الى مدينة الدرعية ، الا أن ابن معمر الذي ذهب الى سدوس وأقام بها ، قد ندم على مبايعته لمشاري بن سعود ، فدخل الدرعية وغدر بمشاري بن سعود ، وقبض عليه ، ثم عقد حلفا مع - أبوش آغا - القائد التركي الذي يقيم في عنيزة على أن

---

(١) عبدالرحمن الجبرتي : عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج ٤ ، ص ٣٢٦ ، جورج فورستر سادلير : رحلة عبر الجزيرة العربية... ، ص ٥٦ ، ٦٣ ، ١١٩
(٢) جورج فورستر سادلير : المرجع السابق ، ص ٨٢ .
(٣) عثمان بن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد ، ج ١ ، ص ٢٢٠-٢٢١ .
(٤) محمد عبدالله الأحسائي : تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد ، ص ١٤٥ .

يسلّم مشاري بن سعود لهم ،فكتب اليه القائد التركي وأقره في الامارة(١) ، الا أن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود قد وضع خطة محكمة استطاع من خلالها القبض على ابن معمر وابنه ،والقائهما في السجن ، جاعلا اطلاق سراحهما مرهونا باطلاق سراح ابن عمه مشاري بن سعود ، ولكن سبق السيف العذل ، فقد قام أنصار ابن معمر أهل سدوس ، بتسليم مشاري بن سعود للأتراك ، فقام تركي بن عبدالله بقتل ابن معمر وابنه (٢) ،وقد انزعج السلطان العثماني فأرسل أوامره الى محمد على لاتخاذ الاجراءات السريعة للقضاء على أية محاولة لاعادة النفوذ السعودي للمنطقة ، فبدأت الامدادات العسكرية تتلاحق في الوصول الى المنطقة بقيادة حسين بك وأبوش آغا (٣) ،وتمركزت القوات المصرية العثمانية التي بلغت ٧٠٠ فارس في حصن الرياض(٤) ، وكأن الدولة العثمانية ومحمد على يريدون القضاء على أى مدينة أوحصن يتم تشييده في المنطقة ،لكي لا تقوم قائمة لهذه المنطقة وأهلها ، وقد بدأت هذه القوات تتبع أسلوب العنف والشدة مع أهالي البلدان النجدية المختلفة ، والقبائل المجاورة لها ،وليس أدل على ذلك مما قام به حسين بك (أبو ظاهر)سنة١٢٣٦هـ الذى أمر أهالي الدرعية الذين عادوا اليها بعد خروج ابراهيم باشا ،أمرهم بالسير الى ثرمداء (٥) ، وهناك أمر بقتلهم جميعا وكان عددهم مائتين وثلاثون

---

(١) محمد بن عمر الفاخرى : الأخبار النجدية ، ص ١٥٣-١٥٤ .
(، عثمان بن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد ، ج ١ ،ص ٢٢٣ .

(٢) عثمان بن بشر : المصدر السابق ،ج ١ ، ص ٢٢٤ .

(٣) د . عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية .. ،ص ١٣ .

4- S.R.B.G. No. XXIV.p.437.

(٥) مدينة تقع جنوبي الوشم ،وقيل هي أول الوشم ،وقيل أنها خير موضع بالوشم واليه تنتهي أوديته .
محمد بن بليهد : صحيح الأخبار ،ج ٢ ،ص ١٨٤ ،
الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص ٣١٠ .

رجلا ، وترك نساءهم وأموالهم ،بدون ذنب اقترفوه .. الا أن يقولوا ربنـــا الله (١) ،ثم بدأ القائد التركي في فرض الضرائب الباهظة ،وراح ينهب مالدى الشعب من أموال ومتاع ،حتى أن حلى ومصاغ النساء لم تسلم من ذلك البطش (٢) والنهب ، ثم اتجه بعد ذلك الى جبل شمــر وادعى أنه لا يريد سوى الزكـاة المفروضة وبعد أن احتـل الحصون وسيطر على المنطقة ،طلب الزكاة منذ رحيـل ابراهيم باشا الى يومه ، وعلى الرغم أنها دفعت له خوفا من بطشه الا أنها لـم تكفه من السلب والنهب وأخذ الأموال بالقوة ،وختم أعماله تلك بقتل ستين رجلا ظلما وعدوانا (٣) ، وفي سنة ١٢٣٨هـ ضاق أهـل نجد بطغيان حسين بـــك وجنوده ، فثار عليه أهل عنيزة وأخرجوه هو ومن معه من البلد ، ثم أتبعـــوه بجنوده الذين تركهم في قصــر الصفـا (٤) ، والحقيقة التي لا تقبل الجـــدل أن عدم وجود سلطة قوية في منطقة نجد تخلف الدولة السعودية الأولـــى أدى الى نشوب الفتن ، وانتشار الفوضى والمنازعات بين رؤساء البلدان بعضهم بعضا ، وساءت الأحوال الاقتصادية ،كما أن الأعمال التعسفية التي قامت بهـا الحاميات التركية ضد الأهالي قد ملأت النفوس حقدا ، وجعلتها في حالـــة استعداد تام للانتقام ، والعودة الى حالة الفتن والحروب الأهلية (٥) ،مما يؤكد أن الادارة المصرية في نجد كانت أضعف من أن تسير الأمور (٦) ، بل أنها شاركت

---

(١) ابراهيم بن صالح بن عيسى : تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ،ص١٥

(٢) صلاح الدين المختار: تاريخ المملكة العربية السعودية ،ج١ ،ص ١١٢.

(٣) عثمان بن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد ،ج١ ،ص٢٣٣.

(٤) ابراهيم بن صالح بن عيسى : المصدر السابق ،ص ١٥٣.

(٥) د. عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم : محمد علي وشبه الجزيرة العربية ، ص ١٦-١٧.

(٦) د. أحمد مصطفى أبو حاكمة : تاريخ الكويت ، القسم الأول ، ج ٢ ، ص ٤٤.

فى افساد الأخلاق ، واباحة المحرمات ، ومحاربة الدين وتعاليمه ، والفتك بعلمائه وحملته ، ومحاربتهم حرب ابادة وافناء (١) ، وكانت جيوش محمد على تضم تحت لوائها عددا من الأطباء والصيادلة الفرنسيين والايطاليين (٢) ، الذين دخلوا الى الجزيرة العربية المسلمة بكفرهم وفجورهم والحادهم ، وبالتالى خدموا أهداف أوروبا سواء فى افساد العقائد والأخلاق ، أو فى مخططاتها الاستعمارية ،لأنهم ساعدوا فى اكتشاف الجزيرة العربية بالنسبة لأوروبا ، وعلى أية حال فقد فقدت نجد وحدتها الادارية ، التى نالتها فى عهد الاصلاح السعودى الأول ، وليس لدينا ما يحملنا على الاعتقاد بأن السلطات المصرية التى قبضت على زمام الأمور فى نجد ،قد قامت بأى عمل من شأنه تحسين حالة السكان ، وزيادة الانتاج الاقتصادى ، أو حتى محاولة نشر الأمن والاستقرار فى المنطقة ، ومن المؤسف حقا أن نجد بعض رؤساء البلدان فى نجد قد شاركوا فى الفتن ، والسلب والنهب ، وتدمير القرى والمدن لمجرد تحقيق رغباتهم الذاتية (٣) ، فمثلا نرى أن محمدا وماجدا أبنا عريعر قد شاركا فى مساعدة ابراهيم باشا أثناء حصار الدرعية ،فهاجما الأحساء والقطيف ، وساعدا على أخذ ما فى بيت المال ، وقتل القاضى ، وأئمة المساجد فى المنطقة ، الا أنهما خافا أن تمتد اليهما يد البطش التى فتكت بأهل المنطقة فلاذا بالفرار (٤) ، ولم

---

(١) أمين سعيد : تاريخ الدولة السعودية ... ،ص ١٣٢ .

(٢) جاكلين بيرين : اكتشاف جزيرة العرب ، ص ٢٥٣ .

(٣) سنت جون فلبى : تاريخ نجد...،ص ١٦٤ .

(٤) محمد عبدالله الأحسائى ، تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء فى القديم والجديد ، ص ١٤٤-١٤٥ .
، د . محمد عرابى نخلة : تاريخ الأحساء السياسى ... ،ص ٣٥ .

يعودا الى المنطقة الا بعد رحيل قوات ابراهيم باشا من الأحساء ، ومع ذلك استمرت المنازعات فيما بينهم وبين رؤساء الأقاليم المجاورة(١) .

ولنا أن نتساءل الآن من أهداف ابراهيم باشا فى ارسال بعض قواته الى الأحساء ؟ فبخلاف ما تذهب اليه بعض المراجع المعاصرة من أن الباشا كان ذا أطماع توسعية فى تلك الجهات حينذاك ، الا أن القرائن والأحداث تؤكد أن مهمة ابراهيم باشا كانت تقتصر على الدرعية وتدميرها ،ولكن الحاجة الشديدة الى المال والمؤن التى يحتاجها جيشه الكبير جعلته يرسل بريدا الى الأحساء والقطيف للحصول على ذلك(٢) ، الا أن بعض المؤرخين يذهب الى الاعتقاد بأن داود باشا الوالى العثمانى فى العراق قد طلب من السلطان اصدار فرمان الى محمد على باخلاء الأحساء وتسليمها لرجال داود باشا .(٣)

ان عدم تقدم قوات ابراهيم باشا الى سواحل الخليج العربى ، والى واحة البريمى التى كانت مركزا للدولة السعودية الأولى يؤكد ماذهبنا اليه ، ويؤكد ذلك أيضا عدم التعمق فى الأحداث التى استمرت بين مشيخة الشارقة ومشيخة أبو ظبى ، على الرغم من أن السيد سعيد بن سلطان ، حاكم مسقط كان فى غاية السرور والارتياح عند علمه بسقوط الدرعية ، وذلك لتحقيق أطماعه التوسعية فى البحرين(٤) ومع ذلك لم يحرك ابراهيم باشا (٥) ساكنا تجاه هذه المناطق .

---

(١) د . عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ... ، ص ٢٥ .

(٢) جورج فورستر سادلير : رحلة عبر الجزيرة العربية ... ،ص ١٠٨ .

(٣) د . عبدالعزيز نوار : تاريخ العراق الحديث ... ، ص ١٨٨ .

(٤) د . عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ... ، ص ٢٩-٣١ ، ٣٤٩ . ، محمد على الشيخ : صراع المعالقة فى القرن التاسع عشر ،ص ١١٠ .

(٥) ولد ابراهيم باشا فى قولة من بلاد اليونان سنة ١٢٠٤هـ ،وأصدر السلطان =

أما فى الحجاز فما كادت قوات محمد على باشا تنهى عملياتها العسكرية فى الدرعية ، حتى عمل الباشا على اقامة حكومة قوية فى الحجاز للمحافظة على الهدوء والاستقرار فى الحجاز، الا أن أسلوب محمد على فى الحجاز قد أثبت فشله وظل يعانى الكثير من تمردات العربان ،ويظهر ذلك من المراسلات المتبادلة بين محمد على والمحافظين المعينين على المناطق الحجازية(١) ،وقد تحمل والى مصر متاعب كبيرة ،وصرف نفقات هائلة(٢) ، لاخماد هذه الثورات التى كانت تقوم بين الفينة والأخرى ، سواء من العربان القاطنين بين مدن الحجاز ، أو من الأشراف أصحاب المراكز الاجتماعية المهمة فى المنطقة،والذين تصارعوا من أجل السلطة وبالتالى انقسموا على أنفسهم ، وتبعا لذلك انقسم العربان لانقسامهم ، وغنى عن القول أن العامل الاقتصادى المتدهور فى المنطقة من جراء حروب الباشا فى الجزيرة العربية كان هو المحرك الأساسى لتلك الثورات ، ويؤكد ذلك ما رواه أحد المعاصرين لرحيل ابراهيم باشا حيث وصف مشاعر أهالى جدة وبهجتهم التى ظهرت على وجوههم عند مغادرته ، بل أكد أن الأهالى بدأوا يرددون عبارات السرور والفرح فى تجمعاتهم(٣) ، وثار الأهالى واشتبكوا مع الجنود المصريين سنة ١٢٣٩هـ/١٨٢٤م، ثم قامت

=العثمانى أمرا باسناد ولاية مصر اليه سنة ١٢٦٤هـ، عندما ضعفت القوى العقلية عند محمد على باشا ولم يعد يصلح للولاية ، الا أن ابراهيم باشا توفى سنة ١٢٦٥هـ، حيث لم يستمر طويلا فى الحكم ،رغم ما قام به من جهود حربية كبيرة لتحقيق آمال وطموحات والده فى الشام والجزيرة " خليل مردم بك : أعيان القرن الثالث عشر ... ، ص ١٢٠-١٢١"

(١) د . عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ... ، ص ١٢٨-١٢٩ .

(٢) د . فاروق عثمان أباظة : الحكم العثمانى فى اليمن ١٨٧٢-١٩١٨م، ص ٣٥ .

(٣) جورج فورستر سادلير : رحلة عبر الجزيرة العربية ... ، ص ١٣٥ .

ثورة أخرى بين الأشراف والجنود المصريين سنة ١٢٤٢هـ/١٨٢٧م[١]، كما شاركت قبائل حرب في هذه الثورات واعلان العصيان على الحكم الاستبدادي من قبل جنود محمد على (٢) ، حتى أن محمد على قد أرسل الى والي الشام رسالة شرح له فيها سوء الأحوال واختلال الأمن بين مكة المكرمة والمدينة المنورة ،وبالتالي انقطاع المواصلات وعدم وصول الذخيرة الى مكة والمدينة من جدة وينبع البحر (٣) ، وقد جاء توقيت هذه الاضطرابات متوافقا مع الاضطرابات التي تشهدها منطقة نجد ، فاتخذت سلطات مكة والمدينة كامل الاحتياطات وبدأت في استخدام أساليب البطش والتعذيب تجاه القبائل الثائرة ، ولكن تيار الثورة اتسع واستفحل أمرها ، فامتدت الى معظم قبائل الجزيرة العربية ، حيث شملت قبائل حرب وعتيبة ، وهذيل وثقيف ، ووصلت الى وادي الدواسر وقبائل عسير من ناحية ثانية (٤) ، فبدأت قوات أحمد باشا يكن ،والي الحجاز حينذاك في الزحف الى عسير ، ووصل الى بيشة سنة ١٢٣٨هـ/١٨٢٣م ، وارتكبت قواته كثيرا من أعمال القتل والتشريد محاولة بذلك السيطرة على الزعماء العسيريين (٥) ، الا أن تلك الأعمال وما بذل لأجلها من جهود للاستيلاء

---

(١) عبد الرحمن الرافعي : عصر محمد على ، ص ٣٠٩ .
(٢) سيديو : خلاصة تاريخ العرب ... ، ص ٢٨٥ .
(٣) وثيقة رقم ٤١ أصلي ، ٩ حمراء ، محفظة ٢٦٧ عابدين ، محافظ الحجاز رقم ٨ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .
(٤) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ... ، ص ٥٢ ، ١١١ .
(٥) جاكلين بيرين : اكتشاف جزيرة العرب ، ص ٢٦٦ .
،محمد بن أحمد العقيلي : تاريخ المخلاف السليماني ،ج ١ ، ص ٥٣٢ .

على منطقة عسير قد ذهبت أدراج الرياح ، بعد أن صمد سكان هذه المنطقة لتلك الهجمات ونجحوا فى صدها ، مما يؤكد لنا بالدليل القاطع على أن الوضع فى منطقة عسير ابان حكم محمد على لشبه الجزيرة العربية ،لم ينعم مطلقا بالاستقرار ، بل كان مليئا بالاضطرابات والحروب المستمرة.[١]

كذلك الحال لدى بعض القبائل اليمنية التى سادها الاضطراب فى أعقاب سقوط الدرعية ، وتكاتفت مع قبائل عسير فى جبهة واحدة ضد حكم محمد على فى شبه الجزيرة العربية ، الذى آثر هدم نفوذه فى المناطق اليمنية ، خاصة وأنه قد ألزم امام صنعاء بدفع ضريبة سنوية من البن باسم السلطان العثمانى [٢] ، ومع ذلك استمرت الأوضاع المضطربة تسود أنحاء مختلفة من اليمن حتى أن الشريف على بن حيدر أمير أبو عريش ، بدأ يرتكب كثيرا من المظالم ضد أهالى منطقته ، مما جعل أهل صبيا يثورون عليه بمساعدة الزعيم العسيرى على بن مجثل ، مما حدا بمحمد على الى ارسال عدد كبير من العساكر من مصر مباشرة لانقاذ حليفه الشريف ابن حيدر[٣] ، ومع ذلك استطاع الأمير على بن مجثل محاصرة صبيا والسيطرة عليها ، وكذلك أرغم الأمير على بن حيدر على التنازل عنها ، بعد أن حاصره فى عاصمته أبى عريش سنة ١٢٤٣هـ ، واستمر الزعيم العسيرى فى اجتياحه لتلك المنطقة ، حيث غزا تهامة اليمن ، والمخلاف السليمانى ، وأخذ الأموال والسلاح وعاد الى عسير بهذا النصر[٤] ، على مرأى ومسمع من قوات محمد على فى تلك المنطقة

---

(١) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : من وثائق شبه الجزيرة العربية فى عصر محمد على ،ج ١ ،ص ٣٦٧ ، ٤٤٨ .
، كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص ٥٥٦ .

(٢) د . عبد المجيد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث ١٥١٧ -١٨٤٠ م ،ص ٥١

(٣) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : المرجع السابق ،ج ١ ،ص ٣٧٩ .

(٤) محمد بن احمد العقيلى : تاريخ المخلاف السليمانى ،ج ١ ،ص ٥٣٢ .

التي لم تحرك ساكنا تجاه هذه الاضطرابات على الرغم من كثرة الامدادات العسكرية التي يرسلها الباشا ومحافظ الحجاز ، خاصة اذا عرفنا أن محمد على كان يبذل نوعا من الجهد للتفرد بالنفوذ في هذه المناطق [١] .

وربما كان لانشغاله بالحرب اليونانية ، وعملياته المستمرة في السودان تأثير مباشر على الجزيرة العربية ، وسيطرته عليها ، مما جعل قبضته العسكرية تتراخى نوعا ما . [٢]

ولم يذهب بعض المؤرخين الى هذا الرأى ، مؤكدين حرص محمد على على اتخاذ الاجراءات الكفيلة للدفاع عن سواحل البحر الأحمر ، وتأكيده على حاكم الحجاز باتخاذ التدابير اللازمة لذلك [٣] ، ولكن الأحداث التاريخية ، والقرائن المصاحبة لها تثبت أن ابراهيم باشا لم ينتبه الى مشكلة الوجود البريطاني في الخليج العربي حينذاك [٤] ،فعلى الرغم من أن بريطانيا قد قامت بمساعدة مسقط بارسال حملتها الأولى سنة ١٢٢٩هـ/١٨١٤م ، الا أن سقوط الدرعية ، والقضاء على الدولة السعودية الأولى ، وهى القوة العربية التي كانت تخشاها بريطانيا في تلك المنطقة ، قد أتاح لها فرصة ارسال حملتها الحربية سنة ١٢٣٢هـ/١٨١٩م ، تلك الحملة التي أضعفت الساحل العماني ، وأوهنت قواه العسكرية ، حتى أرغمت شيوخ المنطقة على معاهدات جعلت من بريطانيا صاحبة النفوذ في تلك المنطقة ، والاحتفاظ بحق السيطرة

---

(١) د . عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ... ،ص ٥ .

(٢) أمين سعيد : تاريخ الدولة السعودية ... ،ص ١٤٦ .

(٣) د . فاروق عثمان أباظه : عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ، ... ، ص ١٠٩ .

(٤) د . عبدالعزيز نوار : تاريخ العرب المعاصر- مصر والعراق - ،ص ١١٢ .

على مقدراتها (١) ، ومع ذلك أرادت بريطانيا استغلال الظروف لصالحها فبادرت بارسال تهنئتها الى ابراهيم باشا ،طالبة منه التعاون للقيام بعمل مشترك ضد القواسم باعتبارهم حلفاء السعوديين (٢) ، ومع أن المبعوث الانجليزى لم يقابل الباشا الا فى المدينة المنورة ،الا أنه من المؤكد أن انسحاب القوات المصرية كان من مصلحة بريطانيا فى المقام الأول (٣) ، اذ استمرت فى توطيد نفوذها فى بلدان الخليج دون وجل أو منافس ،مما يؤكد لنا " أن قضاء الحملة المصرية على الدولة السعودية الأولى التى كانت تضم اليها امارات الخليج العربى ، قد أوجد فراغا سياسيا وعسكريا فى شبه الجزيرة العربية فجاء الانكليز بقواتهم العسكرية لملء بعض هذا الفراغ ، متذرعين من البحرين "، الى أن دمروا مدينة البدع " الدوحة " عام ١٢٣٧هـ، وبالتالى ادخالها فى معاهدة حماية مع البحرين (٤) .

وهكذا كانت الحملة المصرية التى قادها ابراهيم باشا وقضت على الدولة السعودية الأولى قد مهدت الطريق أمام الانجليز ليسيطروا على امارات الخليج العربى التى كان معظمها يشكل جزءا لا يتجزأ من الدولة السعودية الأولى .(٥)

ويقول هوغارث :" لم يكن يطمع محمد على بضم البلاد العربية الى ملكه ، لذلك لم يحسن معاملة أهلها ، وجل ما ابتغاه أن يظلوا كما كانوا قبل ظهور المذهب الوهابى ، نهب الشقاق والفوضى "(٦)، الا أن الباحث يدرك من خلال

---

(١) د . عبدالعزيزعبدالغنى ، علاقة ساحل عمان ببريطانيا ،ص١٢٤، ١٢٢ .
(٢) جون .ب ـ كيلى : بريطانيا والخليج ... ،ج١ ،ص ٢٣٣ .
(٣) د . فائق حمدى طهبوب: تاريخ البحرين السياسى ... ،ص ٩٢ .
(٤) محمود شاكر : البحرين... ،ص ١٩٤ .
(٥) أحمد عسه : معجزة فوق الرمال ،ص ٣٥ .
(٦) أمين الريحانى : نجد وملحقاته وسيرة عبدالعزيز آل سعود ،ص ٩١ .

ذلك ، أن أبناء الجزيرة العربية لم يكن من السهل عليهم أن يتقبلوا أي حكم وافد من خارج منطقتهم ، لأن القبائل العربية من "أصعب الأمم انقيادا - بسبب - الأنفة وبعد الهمّة والمنافسة في الرئاسة ، فقلما تجتمع أهواؤهم فاذا كان الدين بالنبوّة أو الولاية ، كان الوازع لهم من أنفسهم ، وذهب خُلُقُ الكِبْر والمنافسة منهم ، فسهل انقيادهم واجتماعهم ، وذلك بما يشملهم من الدين المُذْهِب للغلظة والأنفة ، الوازع من التحاسُد والتنافس(١)" ، ويؤكد تاريخ الدرعية أن القبائل العربية لا تعطي ولاءها الا لسلطة دينية ، حتى أننا نجد أنه بالرغم من أن الدولة السعودية الأولى قد انتهت من الوجهة والمفهوم السياسي ، الا أن الدعوة الاصلاحية السلفية ظلت في أذهان الناس ، واستمر المجتمع يكن الولاء والاحترام للأسرة السعودية التي تبنت هذه الدعوة ودافعت عنها . (٢)

يقول أحد المعاصرين للأحداث "صرح بدو نجد وكل أولئك الذين اجتمعت بهم من البدو دون استثناء أنهم على مذهب أهل السنة ، وهم حريصون جدا على عباداتهم ، ولا يهملون أيا من الصلوات المفروضة مهما كان المسير طويلا في أسفارهم ، وتحت أشق أنواع الحرمان والعوز"(٣)

وعلى أية حال فقد توالت الانتفاضات التي تهدف الى اعادة حكم آل سعود ، بالرغم مما كان يقابلها من أعمال استفزازية وارهابية لاخمادها(٤) ،

---

(١) عبدالرحمن بن خلدون : المقدمة ، ط٤ ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ص ١٥١ .

(٢) د . عبدالفتاح أبو عليه : الدولة السعودية الثانية ، ص ٢٤ .

(٣) جورج فورستر سادلير : رحلة عبر الجزيرة العربية خلال عام ١٨١٩م ، ط ١٤٩

(٤) د . عبدالفتاح أبو عليه : المرجع السابق ، ص ٢٥ .

وكان أبرز تلك الانتفاضات ما قام به الامام تركى بن عبدالله بن محمد بن سعود منذ سنة ١٢٣٨هـ،وحتى سنة ١٢٤٠هـ، التي استطاع فيها التضييق على الحامية المصرية العثمانية فى قصر الرياض ،حتى طلبوا الصلح ،على أن يرحلوا من جميع بلاد نجد ،فصالحهم الامام تركى على ذلك ،وأمنهم على دمائهم وسلاحهم ،فخرجوا الى ثرمداء ، ومنها الى المدينة المنورة ، واستولى الامام تركى بن عبدالله على الرياض ، وامتد سلطانه فى نجد (١) .

ومنذ ذلك التاريخ بدأ الأمر يستقر فى وسط الجزيرة العربية ، وبدأ الامام تركى بن عبدالله بن محمد بن سعود ، يؤسس دعائم الدولة السعودية الثانية ،التي سنتحدث عنها فى فصل لاحق من هذا البحث .

وهكذا كانت نجد بوجه خاص ومعظم أقاليم الجزيرة العربية بوجه عام منذ سقوط الدرعية ،وحتى بداية حروب الشام الأولى ،مسرحا داميا للحروب ، وكأنها قطعت على نفسها عهدا بأن تلفظ ما هو غريب عن أرضها، مؤكدة التزامها بالدعوة الاصلاحية،وبرعاتها من آل سعود ،حتى أننا نجد أنه عندما بدأت جهود محمد على باشا تتجه خارج الجزيرة العربية وتخف وطأة جيوشه عنها ، تلتف الجزيرة العربية مرة أخرى حول الامام تركى بن عبدالله آل سعود الذى أسس الدولة السعودية الثانية ، ولكن ما أن توقفت حرب الشام الأولى ،حتى عاد محمد على باشا الى الجزيرة العربية ، ولكن هذه المرة بأسلوب جديد ،ورغبات ودوافع مختلفة عما كان عليه فى حملاته الأولى ،وهذا ما سنعرفه فى الفصول القادمة من البحث .

(١) ابراهيم بن صالح بن عيسى :تاريخ بعض الحوادث الواقعة فى نجد ،ص١٥٤ ،محمد عبدالله الأحسائى ،تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء فى القديم والجديد ، ص ١٤٨ .

عندما نلقى نظـرة جادة على الأحداث التاريخية التى صاحبت حملـة محمد على باشا الى الجزيرة العربية والأحداث التى أعقبت تلك الحملة مرورا بحروب اليونان ، وحربى الشام الأولى والثانية وما تمخض عن ذلك من نتائـج ، يجدر بنا أن نتوقف برهـة عند عنصر من عناصر تلك الأحداث ، والمتمثـل فى علاقة محمـد على باشا والى مصر ، بالسلطان العثمانى محمود الثانى، لنتعرف على تلك العلاقات ، وما أفرزته من نتائج سلبية وايجابية على الطرفين ، وعلـى الأحداث التاريخية فى تلك الحقبة الزمنيـة .

فكما هو معروف فان محمد على باشا الذى أرسله العثمانيون علـى رأس فرقة من الروملى الى مصـر(١) ، لاخراج الفرنسيين منها ، قد استطاع أن يكسب ثقة العلماء فى مصر حتى أن السلطان العثمانى لم يجد بدا من الموافقـة على تعيينه واليا على مصر ابتداء من ٢٠ ربيع الأول سنة ١٢٢٠هـ الموافق ١٨ يونيو سنة ١٨٠٥م(٢) .

وعلى الرغم من أن محمد على قد أبدى حماسا شديدا لكى يصبـح خادما مطيعا للسلطان (٣) ، وأبدى فى سبيل ذلك كثيرا من عبارات التذلـل والخضوع للسلطان ودولته (٤) ، الا أن السلطان كان على وشك أن يـدرك أبعاد هذه العبارات ، مظهرا بذلك تخوفه من هذا الوالى الجديد ، فأمر

---

(١) د . أحمد السعيد سليمان : تاريخ الدول الاسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ، ص ١٦٥ .

(٢) د . سليمان بن محمد الغنام : قراءة جديدة لسياسة محمد على باشـا التوسعية ... ص ١٧ .

(٣) د . جاد طه : سياسة بريطانيا فى جنوب اليمن ، ص ٤٧ .

(٤) وثيقة تركى رقم ٥٠ / ١-٢٤٨ فى ٢١ ربيع الأول ١٢٣٠هـ - دارة الملـك عبد العزيز - الرياض .

، وثيقة تركى رقم ٥ / ١ / ١٣٨ ، دارة الملك عبد العزيز - الرياض .

بنقله من ولاية مصر ،الا أن تدخل العلماء مرة أخرى قد جعل السلطان يصدر فرمانا آخر بتثبيته على ولاية مصر فى ٢٤ شعبان ١٢٢١هـ ٦ نوفمبر ١٨٠٦م.[1]

من هنــا بدأ محمد على فى تدعيم مركزه الشخصى وتثبيت الولاية فــى شخصه ،وبالتالى فى سلالته[2] ، فبدأ يصانع رجال الدولة وسلطانهم مـــن جانب ، وانشاء قوة حربية وبحرية من جانب آخر[3] ، ثم أخذ يبذل جل همـه لاستمالة السلطان ومراضاته ، وتنفيذ توجيهاته ، مستخدما فى ذلك الدهــاء السياسى ، واضفاء الشرعية العثمانية على ولايته .[4]

فعلى الرغم من خضوع محمد على باشا للسلطان العثمانى ، واستعداده لتنفيذ أوامره وتوجيهاته ، الا أنه كان مدركا لأهدافه وخططه التوسعيــة[5]، بدليل أنه أثناء تكليفه بحملاته العسكرية الموجهة للدولة السعودية الأولــى كان ينطلق من أهدافه هو لا من أهداف الدولة العثمانية[6].

فنراه يراود السلطان العثمانى على عزل والى الشام ،ويطلب اسنادهــا الى صديق له[7] ،بحجة أن ذلك يساعد على انجاز مهمته فى الحجاز ، ولكن عندما رفض طلبه هذا طالب بضم ايالة الشام بكاملها اليه ،انطلاقا من حرصه على انفاذ مهمة شبه الجزيرة العربيــة ، التى أوكلها اليه السلطان العثمانى[8]،

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ،ص ٣٩١
(٢) جورج كيرك : موجز تاريخ الشرق الأوسط ، ص١٥١ .
(٣) محمد كرد على : خطط الشام ،ج٣ ،ص ٥٠ .
(٤) د . عبدالعزيز نوار: مصر والخليج العربى فى القرن ١٩ ،مجلة الهلال المصرية ، عدد ١١ ، السنة ٧٢ ، ص ١٦١ .
(٥) د . عبدالعزيز نوار : تاريخ العرب المعاصر ، ... ،ص ١٠٩ .
(٦) أحمد عسه : معجزة فوق الرمال ،ص ٢٥ .
(٧) د . لطيفه محمد سالم : الحكم المصرى فى الشام ... ،ص ٢٢ .
(٨) وثيقة تركى رقم ٥٠ / ١- ٢٤٨ ، ووثيقة تركى رقم ١ /٢-٢٢٠ ،دارة الملك عبدالعزيز بالرياض .

كما يدعى ذلك ، وكأن علاقة محمد على باشا فى تلك الفترة بالسلطان العثمانى ليست علاقة الوالى بسلطانه ، حيث نرى فيما بعد أن السلطان نفسه لم يعد يثق بطلبات محمد على ، التى يتغنى بها لتنفيذ مهمته فى الجزيرة العربية، فنراه يخاطب والى الشام فى ذلك ويطلب منه التحرى عن أهداف محمد على فى الشام (١) ، ثم يحول نفس الموضوع الى مجلس الشورى " الذى أخذ يناقش الطلب ويقلبه على جميع الوجوه ،... وقد عبر الحاضرون من تخوفهم من زيادة طغيانه ، وتوجه هذه القوة نحو الدولة العثمانية "(٢)، كما أن والى الشام اتفق فى وجهة نظره مع مجلس الشورى ، ومن خلال هذا الاطار كانت علاقة التابع بمتبوعه علاقة يشوبها الحذر، وكما ذهب أحد المؤرخين عندما قال : " ولعله - يعنى السلطان العثمانى - كان حريصا على هزيمة محمد على أكثر من حرصه على هزيمة السعوديين ، لأن محمد على أقرب الى النيل من الدولة العثمانية منه الى السعوديين (٣) " ، وعلى أية حال فقد استجاب محمد على لطلب السلطان ، ووجه حملاته الى الجزيرة العربية، وكان خلال هذه الحملات يأتمر بأمر السلطان العثمانى ،فنراه يسحب جيوشه من الأحساء عندما صدر فرمان اليه بذلك ، حتى أن ابراهيم باشا قد أكد بنفسه جهله بأهداف حملته العسكرية الموجهة للدرعية ، وأنها تمت

---

(١) وثيقة تركى رقم ١/٢-٢٢٠ ،أصلى رقم ١٩٥٩٤-أ ،دارة الملك عبدالعزيز بالرياض .
(٢) وثيقة تركى رقم ١/٢-٩٤ ،أصلى رقم ١٩٥٧٨ ، دارة الملك عبدالعزيز بالرياض .
(٣) محمد حسين زيدان ،الوثائق تتكلم ، مجلة الدارة ، العدد الثانى ، السنة الأولى ، ص ١٦٤، ١٧٥ .

بأوامر من الباب العالي (١) ، وكأنه بذلك يؤكد أن هذه الحملات تمت بناء على فرمانات خاصة من الباب العالي لاستعادة الحرمين الشريفين ، وقوات الباشا ما هي الا قوات السلطان العثماني ، ورغم أن ابراهيم باشا حاول أن يعبر للمندوب البريطاني جورج فورسترسادلير G. F. Sadleir من أسفه لعدم سير الأمور بشكل ينسجم مع خططه ،الا أنه وقف موقفا يتسم وعلاقته الوطيدة مع السلطان العثماني ،حين أكد لوالده أن بريطانيا تريد تخريب بعض الموانئ والمرافئ على الخليج العربي (٢) ، ومما يؤكد صدق تبعية محمد علي للسلطان العثماني في تلك الفترة ،تيقظه للسياسة البريطانية تجاه السواحل اليمنية مثبتا بذلك ولاءه للباب العالي ، طالبا منه السعي في وقف تلك التحركات الانجليزية بالطرق الدبلوماسية(٣) .

كما أن الباب العالي نفسه كان لديه شئ من التأكيد من الولاء الذي يحمله محمد علي باشا لسلطانه ، فنجد أن الصدر الأعظم يكتب لمحمد علي

---

(١) جورج فورستر سادلير: رحلة عبر الجزيرة العربية ... ،ص ١٠٨ .
الباب العالي - ترجمة لفظية لعبارة تركية هي -باب همايون ، وهو عبارة من ثلاثة أبواب في قصر السلطان ،الباب الاول هو المدخل ، ثم توجد ثكنة للجيوش الانكشارية ، والباب الثاني حيث وجدت السرايا ومقر السلاطين ومكاتب الوزراء ، والباب الثالث وكان يسمى بالتركية "المابين الهمايوني " وهو باب الحريم ، أما الاصطلاح الشائع للفظة الباب العالي فيقصد به مقر سلطة الدولة العثمانية . د . زاهية قدوره : تاريخ العرب الحديث ، هامش ص ٢٤٣ .

(٢) جورج فورستر سادلير : المرجع السابق ، ص١٨٠ ، ٢١٥ ، ٢١٦ .

(٣) د . فاروق عثمان أباظه : عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ... ، ص ١٠٨ .

رسالة بتاريخ ١٦ جمادى الثانية سنة ١٢٣٥هـ، الموافق ٣١ مارس سنة ١٨٢٠م، يحذره فيها من أعمال الانجليز التى ينوون القيام بها فى الخليج العربـــى (١)، كما أن الباب العالى قد طلب من واليه القوى سنة ١٢٣٦هـ/ ١٨٢١م، التوجه الى العراق للوقوف ضد الفرس ، الذين بدأوا يحاصرون مدينة بغداد ، وعلى الرغم من أن محمد على كان حريصا على اثبات ولاء للسلطان ، الا أنه اعتذر عن هذه المهمة بلباقة سياسية استطاع من خلالها اقناع السلطان العثمانـــى(٢) ، من القيام بهذه المهمة ، والمحافظة على علاقته الجيدة مع الباب العالـــى ، وكان محمد على خلال هذه الفترة " يحاول بما أوتى من قوة أن يدخل النظـــم والطرق الأوروبية الى مصر "(٣) ، مدخلا بذلك حركة اصلاح شاملة على حكومته ودولته بشكل عام ، تلك الحركة التى أصبحت ذات " أهمية خاصة من حيث أنها أثارت لدى السلطان محمود الثانى قدرا كبيرا من الخوف والغيرة ، وجذبـــت انتباهه ، حتى بدا لدى الكثيرين مقلدا لواليه فى بعض عناصر حركته الاصلاحية كما بدا محمد على عند آخرين مقلدا للسلطان فى بعض الأحيان ، أى أنـــه كان هناك تأثير متبادل بين الحركتين وبين القائدين "(٤)

وبما أن السلطان محمود الثانى يعتبر واضع أساس الحكومة المركزيــــة الحديثة فى الدولة العثمانية (٥) ، فانا نراه يبذل محاولات اصلاحية ، منطلقا

---

(١) جورج فورستر سادلير : رحلة عبر الجزيرة العربية ... ، ص ٢٧٤-٢٧٧ .
(٢) د . عبدالحميد البطريق : محمد على ومشروع غزو العراق ، مجلة كلية الآداب الجامعة الأردنية ، العدد الأول ، يناير سنة ١٩٦٩م ، ص ٥٠-٥١ .
(٣) د . نجلاء عزالدين : العالم العربى ، ص ١٠٩ .
(٤) د . محمد عبداللطيف البحراوى : حركة الاصلاح العثمانى فى عصر السلطان محمود الثانى ... ، ص ١٦١ .
(٥) د . عبدالعزيز محمد عوض: التنظيمات العثمانية فى الولايات العربية ، مجلة الدارة ، العدد الثالث ، السنة الثالثة ، ص ٨٥ .

من خلالها لتقليد أوربا عسكريا ، على اعتبار أن انتصار الغرب على بقية العالم كان عسكريا أصلا (١) ،فأطلق على قواته الجديدة اسم " العساكر المنصورة المحمدية " ،وطلب من محمد على ارسال بعض المعلمين لتدريب الجند ،ولكن محمد على رفض ذلك ،ففكر السلطان فى الاتجاه الى فرنسا باعتبارها قد ساعدت محمد على فى تكوين جيشه الجديد " نظام جديد " (٢) .

وعلى الرغم من أن اهتمام والى مصر بشؤون بلاده ، وادخال النظم الجديدة بها لم يكن بأى حال من الأحوال أقل من اهتمام السلطان محمود الثانى فى اصلاح دولته ، التى تعتبر مصر احدى ولاياتها (٣) ،الا أن هناك شبه تماثل بين الاصلاح لدى القائدين ،ففى الوقت الذى أرسل محمد على بعثة كبيرة الى باريس فى سنة ١٢٤١هـ/١٢٤٢هـ = ١٨٢٦م ، نرى أن السلطان محمود الثانى يكثر من ارسال البعثات الى أوربا فى السنة التالية ،وما قيل من تلك البعثات يمكن أن يقال من أول مدرسة للطب فى بيرا ، والتى فتحت سنة ١٨٢٧م ، بعد أشهر قلائل من فتح محمد على لمدرسة مشابهة فى أبى زعبل (٤) ، ونصل من خلال ذلك الى أن " اصلاحات محمد على ونهضته بمختلف المرافق فى مصر - قد أثارت - مخاوف استامبول ، وأصبح السلطان محمود الثانى يخشى أن يتخطى محمد على حدوده ،ويصبح خطرا

(١) أرنولد توينبى : تاريخ البشرية ،ج٢ ،ص ٢٤٦ .

(٢) د . محمد عبداللطيف البحراوى : حركة الاصلاح العثمانى فى مصر السلطان محمود الثانى ... ، ص ١٦٣ ، ١٨٦ .

(٣) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ،ص ٢٤٨ .

(٤) د . محمد عبداللطيف البحراوى : المرجع السابق ، ص ٢٠٠ ، ٢٢٠ .

على الدولة العثمانية ، ان عاجلا أو آجلا ، ولكن محمد على اتبع فى هـذا المجال سياسة حكيمة ، جعلت السلطان العثمانى ، يرضى من مسلكـه ، بل ويتخذه نصيرا له فى معاركه ، ... ولعل ارسال ابراهيم بالأسطـول المصرى للقضاء على ثورة الموره كان أكبر دليل على استعداد محمد علـى للتعاون مع السلطان العثمانى "(١) .

وتحركت القوات المصرية ، واستولت على كريت سنة ١٨٢٤م ، وبـدأت تخضع المدن اليونانية الواحدة تلو الأخرى (٢) ، ويحق لنا أن نتساءل هنـا عن أهداف وغايات محمد على وابنه فى هذه الحرب ، خاصة اذا عرفنـا أن أن السلطان قد أصدر فرمانا (٣) فى أوائل شهر رجب سنة ١٢٣٩هـ الموافـق ٦ مارس سنة ١٨٢٤م ، يقضى بتعيين ابراهيم باشا واليا على جزيرة كريـت وموره ومنحه الحرية التامة فى العمل على اعادة النظام فيهما ، ويمكننـا أن نأخذ بالرأى القائل : " ان تدخـل ابراهيم فى اليونان ، ابتداء من ١٨٢٤م ، لم يكن فرض طاعة يؤديه ، وانما نتيجة معاهدة فعلية بين تركيا ومصر ، أمضـى السلطان شروطها المجحفة ، متخليا رسميا لقائده عن كريد وموره ... "(٤) .

---

(١) د . محمد كمال الدسوقى : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، ص ١٦٣ .
(٢) ج . ج . لوريمر : دليل الخليج ، القسم التاريخى ، ج٣ ، ص ١٦٣٩ .
(٣) فرمان : كلمة فارسية الأصل ، معناها الأمر ، وكانت تستعمل فى الدولـة العثمانية للأوامر السلطانية ، أو ما يسمى اليوم بالمراسيم الملكية ،
محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٩ .
(٤) محمد صبرى : تاريخ مصر الحديث من محمد على الى اليوم ، ص ٦٢ .

وقد اختلف المؤرخون عند تعليل أهداف محمد على باشا فى اشتراكه فى أخماد الثورة اليونانية ، فمنهم من قال ان هاجس تقسيم الدولة العثمانية ومحاولة محمد على الوقوف الى جانبها لتظل صامدة ضد الدول الأوروبية ، هو الدافع له للاشتراك فى هذه الحرب (١) ، ومنهم من قال ان هذا الاشتراك لم يكن " حبا فى السلطان ولا كراهة لليونان ... وانما أراد أن يجعلها صفقة يجبر الدول بها على الاعتراف به وبقوته "(٢) ، كما ذهب آخرون الى أبعد من ذلك كله مؤكدين أنه لم يشترك فى هذه الحرب الا بعد أن وعده السلطان محمود الثانى باعطائه جزيرة كريت ، بعد القضاء على ثورة اليونان . (٣)

وعلى أية حال فقد " بدأ التدخل المصرى ضد اليونانيين فى أول الأمر كأنه ينذر بالقضاء التام على أمانيهم ومطامحهم ، فقد اكتسح جيش مصر شبه جزيرة الموره ،وسيطر أسطولها على بحر ايجه ، ثم أذيع على اثر ذلك فى الدول الغربية أن الأسرى اليونانيين يباعون كأرقاء فى القاهرة ، وأن سكان القسم الأكبر من بلاد اليونان مهددون بخطر الفناء "(٤) .

واذا أدركنا مدى ما تتمتع به اليونان من مكانة ذاتية لدى أوروبا بشكل عام ، ناهيك من موقعها الاستراتيجى للدول الأوروبية فى تلك الفترة ، فانه ليس من المستغرب أن تدور المحادثات فى لندن بين بريطانيا وفرنسا وروسيا ،

---

(١) د . عبدالعزيز نوار: تاريخ العرب المعاصر... ،ص ١٢٢-١٢٣ .
(٢) حسين مؤنس : الشرق الاسلامى فى العصر الحديث ،ص ٢١٢ .
(٣) د . محمد كمال الدسوقى : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ،ص ١٤١ .
(٤) هـ.أ . ل . فيشر : تاريخ أوروبا فى العصر الحديث، ص ١٢٨ .

حول المسألة اليونانية ،وبالتالى انعقاد بروتوكول فى أوائل شهر شعبـــان سنة ١٢٤٥هـ الموافق الثالث من شهر فبراير سنة ١٨٣٠م (١) ، بعد أن سُبِقَت المحادثات تلك بتدخل قوات تلك الدول ضد الأسطول المصرى ـ العثمانـــى فى موقعة نافارينو Navarino الشهيرة وحطمته (٢) ، الا أن هذه الهزيمـة لم تنل من طموحات محمد على التى جعلته تابعا للسلطان العثمانى منذ أمـد بعيد ،تبعية اسمية ،فبدأ يلح على السلطان باعطائه بلاد الشام نظير اشتراكه فى حروب اليونان ، مما جعل السلطان محمود الثانى يظهر غيرة وارتيابا ضـد هذا التابع الجرئ (٣) ، ومن هنا بدأت العلاقات بين محمد على والسلطـان محمود الثانى تأخذ طابعا آخر ،ففى الوقت الذى عبرت فيه أوروبا بشكل عـام وبريطانيا بشكل خاص من أسفها ، لما حدث فى نافارينو Navarino للأسطول المصرى ـ العثمانى ، نرى محمد على يتفق مع بريطانيا وفرنسا فـى أواخر شهر محرم سنة ١٢٤٤هـ الصادف للثالث من أغسطس سنة ١٨٢٨م ، على سحب جيوشه ، واخلاء شبه جزيرة المورة ، مما مهد لاستقلال اليونان(٤)، بينما أصر الباب العالى على رفض مطالب الدول الأوروبية المتحالفة ، بل ذهب الى أبعد من ذلك ،اذ طالبها بتعويضات مالية ، عما لحق أسطوله من دمار

---

(١) عبد الرحمن الرافعى : عصر محمد على ،ص ٢١٣ .
،د . السيد رجب حراز : المدخل الى تاريخ مصر الحديث من الفتـح العثمانى الى الاحتلال البريطانى ، ص ٢٦٢ .
(٢) خليل مردم بك : أعيان القرن الثالث عشر ... ،ص ١٠٥ .
، جورج كيرك : موجز تاريخ الشرق الأوسط ،ص ١١٨ .
(٣) أ .ج . جرانت وهارولد تمبرلى : أوروبا فى القرن ١٩ ، ٢٠ ،ج ١ ،ص ٣٢٣-٣٢٤
(٤) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ،ص ٤٢٨ .
،محمد صبرى : تاريخ مصر الحديث ... ،ص ٦٤ .

في معركـة نافارينو Navarino [١] ، وبذلك بدأ النزاع بين محمد علـي والسلطان محمود الثاني ، ففي الوقت الذي يرى محمد علي " ضآلة المكافـأة التي أعطاها اياه السلطان ثمنا لتدخله في بلاد المورة " ، وهي تعيين ابنه ابراهيم باشا على جزيرة كريت فقط [٢] ، يزداد السلطان محمود الثاني حذرا وحقدا على تابعه القوي ، وتأثر السلطان بمشورة أناس من خصوم محمـد علي الشخصيين [٣] ، الذين حالوا بين السلطان وتابعه الطموح ، ليقضـوا بذلـك على أية بارقة أمل للتعاون فيما بينهما [٤] ، ومن هنا بدأت العلاقة بيـن السلطان محمود الثاني ، ومحمد علي باشا تتوتر بسرعة عجيبة ، وكأن الأزمات التي بدأت تعيشها الدولة العثمانية قد أخذت تعجـل بوقوع حرب بيـن الطرفين ، وتباعـد بينهما .

فلما طلب السلطان العثماني من محمد علي ارسال الأسطول المصـري لدخول الحرب ضد روسيا ، امتنع محمد علي من تلبية هذا الطلب [٥] ، وبدأ في اتخاذ سياسة تختلف من سياسة السلطان [٦] ، في نفس الوقت الذي يحـاول فيه عدم اغضاب السلطان ، ومحاولة استرضائه بمبلغ من المال ، ليصفح عنـه ، لعدم تلبية طلبه في المشاركة في الحرب الروسية ، في الوقت الذي شرع فيه في

---

(١) عبد الرحمن الرافعي : عصر محمد علي ، ص ٢١٣ .
(٢) د . محمد كمال الدسوقي : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، ص ١٦٤ .
(٣) أ . ج . جرانت وهارولد تمبرلي : أوروبا في القرنين ١٩ ، ٢٠ ، ج ١ ، ص ٣٣٤ .
(٤) د . محمد عبد اللطيف البحراوي : حركة الاصلاح العثماني في عصـر السلطان محمود الثاني ... ، ص ٢٥٥ .
(٥) عبد الرحمن الرافعي : المرجع السابق ، ص ٢١٦ .
(٦) د . عبد العزيز نوار : تاريخ العراق الحديث ... ، ص ١٩١ .

تقوية جيشمصر وأسطولها وكأنه بدأ مرحلة التحدى العسكرى ضد السلطان(١) ، وهنا أصبحت الدولة العثمانية تتعرض للتهديد ، ليس من الشمال فحسب، وانما من الجنوب أيضا ،من جانب محمد على التابع القوى فى مصر(٢) ، وقد اغتنمت فرنسا الفرصة بعد معاهدة أدرنة ، وحاولت أن تكسب محمد على الى جانبها ، ليتعاون معها فى غزو الجزائر ، على أن تستصدر له أمرا من الباب العالى بانجاز هذه المهمة(٣) ، معللة ذلك بعدم وجود معارضة من السلطان العثمانى ، والدول الأوروبية(٤) ، ولكن محمد على كان يدرك تماما أن بريطانيا تقاوم كل سياسة أو خطة من شأنها تدعيم النفوذ الفرنسى فى الشرق (٥) ، خاصة بعد أن مهدت الى قنصلها فى مصر باشعاره على اعتراضها فى تنفيذ هذه الخطة ،سواء بترخيص من الباب العالى أو بدونه (٦) ، كما أنه قد " وازن بين القيمة الاستراتيجية لهذا القطاع ، وتلك التى للشام والعراق ، فاختار ثانيهما من أجل التجارة مع الهند "(٧) ، خاصة وأنه " كان يجمع بين الطموح وبعد النظر بدرجة لا مثيل لها ... (٨)" ،ولذا فقد كان شديد الحرص للعمل فى تحقيق أطماعه وطموحاته التوسعية ولو على حساب الدولة العثمانية.

---

(١) د. محمد كمال الدسوقى : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ،ص ١٦٣ ، ١٦٥ .
(٢) جون ب. كيلى : بريطانيا والخليج .... ،ج ١ ،ص ٤٦٥ .
(٣) د. محمد البحراوى : حركة الاصلاح العثمانى .... ،ص ١٥٢ .
(٤) د. محمد كمال الدسوقى : المرجع السابق ،ص ١٥٧ .
(٥) د. السيد رجب حراز : المدخل الى تاريخ مصر الحديث ... ،ص ٢٦٤ .
(٦) د. أحمد عزت عبدالكريم : دراسات فى تاريخ العرب الحديث ،ص ٣٧٤ .
(٧) د. محمد البحراوى : المرجع السابق ، ص ١٥٣ .
(٨) جورج كيرك : موجز تاريخ الشرق الأوسط ، ص ١١٥ .

وكانت ظروف الدولة العثمانية حينذاك ، وما تعانيه من ضعف نتيجة لتوالى الأحداث الكثيرة ، كاختفاء الانكشارية ، وحروب اليونان ، وأخيرا الحرب مع روسيا قد شجعت محمد على ، على تنفيذ مقاصده بالقوة(١)، خاصة بعد معاهدة أدرنة Adrianople سنة ١٢٤٥هـ ، ١٨٢٩م ، التى تعتبر أسوأ نقطة فى عصر محمود الثانى ، والتى بدأت حوادث محمد على تأخذ طابع الظهور فى أعقابها (٢) ، فراح يرنو ببصره الى الشام التى لم تغب عن مخيلته يوما من الأيام ، سواء فى أثناء حروب الجزيرة العربية ، أم حروب اليونان ، فطلب من السلطان اسنادها اليه بعد حروب اليونان ، ثم حاول شراءها من الباب العالى ، ولكن السلطان رفض هذين المطلبين ، فكأن سوء النية قد جمع بين السلطان وتابعه (٣) ، فالأول يخشى من اتساع نفوذ الثانى فى أملاك الدولة العثمانية ، مما يساعد على زيادة ضعفها ، بينما الثانى يخيل اليه أن مركزه فى خطر داهم بين الفينة والأخرى ، وأن أنجح علاج لذلك هو شن حرب وقائية ضد السلطان للاستيلاء على الشام (٤) ، فاستحل محمد على باشا سوق جنوده على سلطانه بحجة التجاء بعض أهالى مصر الى والى عكا (٥) ، دون أن يعلن عداءه للسلطان (٦) ، حتى أنه عندما سيطر

---

(١) جرجى زيدان : تاريخ مصر الحديث ... ، ج ٢ ، ص ١٦٨ .
(٢) د . محمد البحراوى : حركة الاصلاح العثمانى ... ، ص ٢٤٣ .
(٣) د . لطيفه محمد سالم : الحكم المصرى فى الشام ... ، ص ١٩ .
(٤) أ . ج . جرانت وهارولد تمبرلى : أوروبا فى القرنين ١٩ ، ٢٠ ، ص ٣٣٤ .
(٥) الميرالاى اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار من دول البحار ، ج ١ ، ص ٦٨٧ .
(٦) د . محمد بديع شريف وآخرون : دراسات تاريخية فى النهضة العربية الحديثة ، ص ٢٧ .

على عكا ، أرسل مندوبا من قبله للمفاوضة مع الباب العالى ، طالبا منه فرمانا بولاية سوريا . (١)

وعلى الرغم من أن مصر قد " أرخت علاقاتها مع الدولة العثمانية في القرن التاسع عشر ، ووثقت صلاتها بأوروبا(٢) ، الا أن السلطان محمود الثانى كان قد " تميز بالاصرار فى معالجته للحركات الانفصالية فى الدولة ، واهتم بتأييد موقفه بفتاوى المفتين العثمانيين التى جعلت الولاة الانفصاليين خوارج على الخلافة والمسلمين (٣) " ، فنراه عند اندلاع حرب الشام الأولى سنة ١٢٤٧هـ = ١٨٣١م ، يأمر بعقد مجلس شرعى فى الأستانة بحضور المشائخ والعلماء ، ويصدر المجلس الشرعى حكمه بتجريد محمد على ، وابنه ابراهيم من جميع المراتب والمناصب الديوانية ، وألقاب الشرف الممنوحة له ، وبالتالى جواز محاربته (٤) .

وعند ذلك استصدر محمد على من علماء الأزهر بيانا ينادى فيه بعدم صلاحية السلطان محمود الثانى للخلافة ، ووجه النداء الى المسلمين لانقاذ الاسلام (٥) ، وأثيرت بذلك الحرب النفسية بين السلطان وتابعه ، ومع أن السلطان محمود الثانى كان يرى أطماع محمد على فى الدولة العثمانية منذ حروب الجزيرة العربية ، الا أن اعترافه بالولاء للسلطان ، ودفعه للجزية

---

(١) محمود كامل : الدولة العربية الكبرى ، ص ٢٠٤ .
(٢) د . نجلاء عز الدين ، العالم العربى ، ص ١١١ .
(٣) د . محمد عبد اللطيف البحراوى : حركة الاصلاح العثمانى ... ، ص ٢١٤
(٤) صبحى وحيده : فى أصول المسألة المصرية ، ص ١٤٣ .
(٥) د . لطيفة محمد سالم : الحكم المصرى فى الشام ... ، ص ٥٧ .

السنوية ، وعدم جرأته على اعلان استقلاله من السلطان (١) ، قد جعلته يمنع رجال دولته من التدخل في حل مشاكله مع تابعه ، محاولا أن يظهر لسفراء الدول أنه جانح للسلم ، كاره للحرب ، على أمل أن يتوصل مع الفرنسيين الى حل يرضى تابعه القوى ، ولا يؤثر على كيان دولته (٢) . في نفس الوقت الذى أرسل خليل باشا ليعرض على محمد على ولاية فلسطين وطرابلس وعكا بدلا من الشام وأطنه (٣) ، ويطالبه بالتوقف من الحرب ، ولكن محمد على بدأ يماطل المندوب العثمانى ، متظاهرا بالاخلاص للدولة العثمانية مطالبا بتحقيق آماله كلها (٤) ، وفى الوقت الذى أرسل السلطان العثمانى فرمانا الى قائد الجند الثائرين على محمد على فى الحجاز - تركجه بيلمز - يقره واليا على الحجاز نكاية بالباشا لحروبه التى يشنها فى الشام(٥) ، الا أن انتصارات محمد على فى الشام جعلته لا يعترف بهذا الفرمان ، وبالتالى بدأ فى القضاء على هؤلاء الثوار بالتهديد حينا وبالترغيب حينا آخر(٦) ، مديا لهم آثار انتصاراته على الدولة العثمانية ، وأنه قادر على القضاء عليهم ، خاصة وأن الدولة العثمانية قد رضخت لمطالبه ، وأرسلت الرسل لعقد الصلح معه (٧)، مما يجعلنا نؤكد هنا أنه بالرغم من اهتمام محمد على بتوسيع نفوذه ، ومحاولته

---

(١) د . محمد فؤاد شكرى وآخرون : بناء دولة مصر محمد على "السياسة الداخلية" ، ص ٢٦٥-٢٦٦ .

(٢) ميخائيل شاروبيم بك : الكافى فى تاريخ مصر القديم والحديث" ، ص٠ ٦٠-٦١ ، ٦٧ .

(٣) محمد صبرى : تاريخ مصر الحديث ... ، ص ٦٨ .

4- Document : F. O. 78/227. No. 9. 60952.

(٥) د . فاروق عثمان أباظه : عدن والسياسة البريطانية فى البحر الأحمر ، ص١١٢ .

(٦) وثيقة تركى رقم ١٥٦ ، د فتر معيه تركى ٤٤ ، ص٣٤ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة

(٧) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : من وثائق شبه الجزيرة العربية فى عصر محمد على ، ج١ ، ص ٤٥٢-٤٥٣ .

الاستيلاء على الشام ،فهو حريص على عدم الانفصال من جسم الدولة العثمانية ، اذ أن ذلك الانفصال كفيل " باثارة الأهليين وهم اذ ذاك متعلقون بالعرش العثماني ،وبالخلافة الاسلامية "(١).

وهذا عكس ما ذهب اليه بعض المؤرخين من أن محمد على كان يفكر في انشاء امبراطورية عربية تحت حكمه في ذلك الوقت ، الا أنه لم يعلن استقلاله من الدولة العثمانية(٢) ،في تلك الفترة ، حتى أن القناصل الغربيين في مصر اختلفوا عند هذه النقطة ، فبينما نرى كامبل Campbell في رسالته المؤرخة في ١١ نوفمبر سنة ١٨٣٤م ،والمرسلة الى وزير خارجيته اللورد بالمرستون Lord,Palmerston ،يؤكد حرص محمد على ،على الاستقلال ويطلب معرفة الجواب من الحكومة البريطانية(٣) ، كان القنصل الروسي دوهاميل Duhamel قد قدم براءة الباب العالي الى الباشا عندما قابله بصفة رسمية كقنصل لدولته في أواخر شهر رمضان سنة ١٢٤٩هـ الموافق ٣٠من يناير سنة ١٨٣٤م(٤)، ومهما يكن من اختلافات في الرأى ، الا أن النزاع بين محمد على والسلطان محمود الثاني ،بدأ يحتدم وكأنهما قد عزما على حل خلافهما بالقوة الحربية ،فاستمر ابراهيم باشا في متابعة الزحف العسكري

---

(١) أ. محمد شفيق غربال : منهاج مفصل لدروس في العوامل التاريخية في بناء الأمة العربية ... ، ص٩٣.

(٢) سهيل زكار: بلاد الشام في القرن ١٩ ،دراسة وتحقيق : مشهد العيان بحوادث سوريا ولبنان للدكتور ميخائيل مشاقه ، ص ٢٠٤ .
،د. أحمد حسن جوده : المصالح البريطانية في الكويت ... ،ص ٣٤ .
،جورج أنطونيوس : يقظة العرب ،ص ٨٥-٨٦ .

3- Document : F.O.78/247.P.P.109-120.

(٤) د. محمد فؤاد شكرى وآخرون : بناء دولة مصر محمد على " السياسة الداخلية " ،ص ٢٩٢-٢٩٣ .

فى الأناضول حتى وصل الى كوتاهية ، وكان يشيع بين الناس أن مقصده من هذا الزحف هو توطيد دعائم السلطنة[١] .

واذا كان الأمر كذلك فى نظر ابراهيم باشا ،فلا ريب أن محمد على كان أحرص من ابنه على تماسك الدولة العثمانية ،ولا غرو فى ذلك ، اذ نرى أنه كلما زاد دنو قواته من الأستانة ،كلما قل حديثه عن الخلافة العربية ، وزاد تأكيده بعدم تفكيره فى الاستقلال عن السلطنة [٢] ،ويبدو أن الدهاء السياسى ومحاولة محمد على عدم تمكين الأجانب من معرفة أهدافه ومنهجه السياسى قد جعله يحرص على اظهار التضارب فى سياسته[٣] ، حتى أن الكولونيل كامبل Colonel, Campbell ،القنصل البريطانى فى القاهرة ، أشار فى رسالة الى وزير خارجيته اللورد بالمرستون Lord,Palmerston ،أن التسهيلات التى يقدمها الباشا لقوافل الحجاج الآتية من اسطبول ، تنطلق من أهداف سياسية أكثر منها دينية[٤] ، وذهب الى ذلك الرأى أحد المعاصرين للأحداث ،حين قال : " استطاع محمد على باشا ، أن يلجأ الى الخداع ليجعل من نفسه شخصا محترما وذا شأن عظيم فى العالم الاسلامى ..."[٥] ، وعلى أية حال فقد ، " كبر محمد على وابنه ابراهيم بطريقة هائلة ، جعلت

---

(١) محمد كرد على : خطط الشام ،ج٣ ، ص ٥٥-٦٦ .

(٢) د . السيد رجب حراز : المدخل الى تاريخ مصر الحديث ... ،ص٢٦٥ .

(٣) د . أحمد مصطفى أبو حاكمة : تاريخ الكويت ،ق ١ ،ج٢ ،ص ١١٢ .

4-Document : F.O.78/247.p.p109-120.

(٥) جورج فورستر سادلير : رحلة عبر الجزيرة العربية ... ،ص ١٥٥ .

السلطان محمود الثانى شفونا للتقليل من شأنهما ، والاجهاز عليهما (١)، فبلغت الحرب الدبلوماسية ذروتها بين الباب العالى ومحمد على ، وأنشأ كل من الطرفين صحيفة لمهاجمة الطرف الثانى ،وتفنيد الاتهامات التى تكيلها صحيفة الطرف الآخر.(٢)

مما يظهر لنا أن علاقة السلطان محمود الثانى مع تابعه القوى محمد على ،لم تكن على نمط واحد ،اذ خضعت للمتغيرات التى مرت بها الدولة العثمانية ، وتطورت تبعا لتطور الأحداث ،الا أن قصب السبق كان من نصيب محمد على ، الذى واكب تلك المتغيرات ، وكسبها الى جانبه ، حتى خاض حرب الشام الأولى ، التى وضعت النقاط على الحروف فى كنه هذه العلاقة ، وحددت الأبعاد السياسية التى يسير عليها الطرفان .

1- H.Temperley and L.M. Penson;Foundations of British Foreign Policy.p.p.122-123.

(٢) د . محمد عبداللطيف البحراوى : حركة الاصلاح العثمانى ... ،ص٢٠٢ .

أصبحت الدولة العثمانية في أوائل القرن الثالث عشر الهجرى ، أواخر القرن الثامن عشر ، وأوائل القرن التاسع عشر الميلادى فى موقف يستدعى نظرة شاملة فى كل شئونها (١) ، فقد أصبحت الدول الكبرى حينذاك تنظر للدولة العثمانية من زاوية مصالحها الخاصة ، " فكانت بعض الدول ترى مصلحتها فى التعجيل بتحطيم الدولة للحصول على الأجزاء التى ترغب فيها ، بينما يرغب البعض الآخر فى المحافظة عليها ، على أن يكون لها النفوذ الراجح ، ونشأ ما سمى باسم : سياسة التدخل ، وتقابلها ما أسميت باسم سياسة التكامل ... وفى السنوات الأولى من القرن التاسع عشر اضطرتهم حروب نابليون الى مساعدة أو معارضة تركيا طبقا للظروف الطارئة ، من غير مراعاة للقواعد العامة ، فروسيا تريد الخروج من سجنها بالقارة ، وانجلترا تريد ابعاد روسيا عن طرق الهند ، والنمسا ترى فى القسطنطينية وسالونيك مركزا هاما لها ، فكان هناك وفاقا بين سياسة الروسيا والنمسا ، وعكس ذلك بين سياسة انجلترا والروسيا " (٢) .
وعندما اختار نابليون مصر كنقطة لانطلاقه خارج أوروبا ، أقلق ذلك بريطانيا بصورة جعلتها تقيم علاقات سياسية مستديمة مع الدولة العثمانية ، لتقف بذلك فى وجه هذه الانطلاقة ، لكى لا تقترب من حدود الهند والمداخل

---

(١) الاستاذ محمد شفيق غربال : منهاج مفصل لدروس فى العوامل التاريخية فى بناء الأمة العربية ... ، ص ٨٥ .
(٢) د . محمد عبداللطيف البحراوى : حركة الاصلاح العثمانى فى عصر السلطان محمود الثانى ... ، ص ٦٣-٦٤ .

البحرية للخليج العربى والبحر الأحمر(١)، وهما الشريان الحائى المؤدى الى درة التاج البريطانى ، الا أن احتلال نابليون لمصر قد أدخل العلاقات الفرنسية مع الدولة العثمانية فى مرحلة جديدة ، فلم يعد الدور الفرنسى ينحصر على حماية الكاثوليك كما كان سائدا قبل ذلك ، بل بدأت المصالح التجارية والمصالح السياسية تأخذ طابعا مميزا لتشترك بذلك مع الدول العظمى كبريطانيا وروسيا والنمسا (٢) ، فروسيا التى وضع بطرس الأكبر أساس سياستها تجاه الدولة العثمانية ، والتى سارت عليها من بعده كاترين الثانية ، واسكندر الأول ،والتى كانت تؤكد على احتلال القسطنطينية واخراج الترك من أوروبا ،فكأن " علاقة روسيا بتركيا ... علاقة دولة محبوسة بدولة بيدها المفتاح " ، مما يؤكد لنا أن هذه العلاقة وما ترتب عليها من مشكلات قد نشأت من موقع الدولة فى تلك الفترة، التى " كان المستقبل فيها للبحر ، والتوازن الدولى فى اتجاهه اليه ، ونظرية التجارة الحرة وحرية البحار فى عصر القنوات تقوى وتنتشر(٣)". وقد حاولت كاترين الثانية اغراء النمسا للموافقة على اقتسام الدولة العثمانية ، فى نفس الوقت الذى أخذت فيه تثير القلاقل فى بلاد القرم ، حتى تنازل لها السلطان من شبه جزيرة القرم ، وأعطى لروسيا حق اقامة

---

(١) جون - ب - كيلى : بريطانيا والخليج ١٧٩٥-١٨٧٠ ، ج ١ ، ص ٩٦ .

(٢) أ . محمد شفيق غربال : منهاج مفصل لدروس فى العوامل التاريخية فى بناء الامة العربية . . . ، ص ٨٤ .
، زين نور الدين زين : الصراع الدولى فى الشرق الاوسط وولادة دولتى سوريا ولبنان ، ص ٣٤ .

(٣) د . محمد عبد اللطيف البحراوى : حركة الاصلاح العثمانى فى عصر السلطان محمود الثانى ، ص ٦١-٦٤ .

كنيســـة أرثوذكسية فى القسطنطينية ذاتها . (١)

وفى الوقت الذى كان فيه نابليون حريصا على اقتسام تركيا لاعتقاده بأن فى ذلك فرصة لتوجيه ضربة قوية ضد بريطانيا فى الهند ،حاولت روسيـــا سنة ١٢٢٢هـ/١٨٠٧م ، اقناعه باقتسام الدولة العثمانية على أن تعطـى النمســا طمعا من تلك الغنيمة[٢] ، الا أن الغموض الذى كان يكتنـــف سياسة روسيا ، والخوف الذى سيطر على نابليون حال دون ذلك التقسيم[٣] ، ورغم ذلك ومع وجود بعض الفتور فى علاقات الدولة العثمانيـة وبريطانيـا خلال السنوات ١٢٢٢-١٢٢٤هـ = ١٨٠٧-١٨٠٩م ، الا أن بريطانيـــا لم تغفل من الخليج العربى ، وطرق الهند ، فأرسلت بعثاتها الى فارس وعقدت معاهدة معها ،للوقوف ضد النفوذ الفرنسى ، ومن ثم ضد النفـوذ الروسى سنة ١٢٢٩هـ/١٨١٤م[٤] ، وكأن انجلترا بذلك تترجم للواقـــــع سياستها تجـاه الدولة العثمانية ، معتبرة اياها مع فارس منطقة عازلـــــة للهند البريطانية ،ووقوع أى جزء من تلك الدولتين ،وبالذات الدولـــــة العثمانية فى أيدى الدول الأوروبيـــة حرى بـــه تعريـــض الهنــــــد للخطر[٥] ، فالمحافظة على كيان الدولة العثمانية وتماسك ممتلكاتها هـــو

---

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٣٦٠ .
(٢) د .محمد كمال الدسوقى : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ،ص ١٠
(٣) د .عبد الحميد البطريق : التيارات السياسية المعاصرة ١٨١٥-١٩٦٠م ، ص ١١٨ .
(٤) ج .ج .لوريمر: دليل الخليج ،القسم التاريخى ،ج ١ ،ص ٢٧٩ .
(٥) جون .ب .كيلى : بريطانيا والخليج ... ،ج ١ ،ص ٤٤٣ .

ديدن السياسة البريطانية منذ مؤتمر فينا سنة ١٢٣٠هـ/١٨١٥م(١) ، فلا غرو اذ ذاك أن نرى عدة اتفاقات مع الدولة العثمانية تضمن لبريطانيا التحرك بيسر وسهولة فى الأجزاء الشمالية من الخليج العربى ، ناهيك من المساعدة الحربية للوقوف الى جانب الدولة ضد الاعتداءات الخارجية وبالتحديد ضد فرنسا وروسيا (٢) ، ولا أدل على ذلك من التهانى التى زفت لابراهيم باشا عند انتصار قوات الدولة العثمانية فى الجزيرة العربية سنة ١٢٣٤هـ/١٨١٩م(٣) ، أما النمسا التى كانت تميل دائما الى جانب الدولة العثمانية ،وجعل مبدأ الحقوق الشرعية أساسا لأية تسوية للمشكلات الطارئة ، فقد تزعم مستشارها مترنيخ (٤) ، الدعوة الى " تحطيم أية ثورة تقوم ضد الحاكم الشرعى فى أى مكان فى أوربا ولو أدى الأمر الى التدخل العسكرى "(٥) ، حتى أن رجال الدولة العثمانية قد فطنوا الى

---

(١) د . سليمان بن محمد الغنام : قراءة جديدة لسياسة محمد على باشا التوسعية ... ، ص ٤٧ .

، د . محمد كمال الدسوقى : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ،ص ١٤٤

(٢) د . عبدالعزيز عبدالغنى ابراهيم : علاقة ساحل عمان ببريطانيا ... ص ٧٦ .

(٣) جورج فورستر سادلير: رحلة عبر الجزيرة العربية ... ،ص ١٦٠ .

(٤) مترنيخ :سياسى نمساوى شهير ،ولد سنة ١٧٧٣م ، وتقدم سريعا ، فنراه وزيرا فى سكسونيا سنة ١٨٠١م ، ثم سفيرا فى برلين سنة ١٨٠٣م ، وفى باريس سنة ١٨٠٦م ، وأخيرا تسلم وزارة الخارجية النمساوية سنة ١٨٠٩م ، الى أن اعتزل الاعمال بعد حركة سنة ١٨٤٨م ،وبقى معتزلا حتى توفى سنة ١٨٥٩م، د . عبدالعزيز نوار والدكتور عبدالمجيد النعنعى : التاريخ المعاصر ،أوربا ... ،ص ١٥٤-١٥٥ .

(٥) د .عبدالحميد البطريق :التيارات السياسية المعاصرة ١٨١٥-١٩٦٠م ،ص ٢٤

أطماع دول أوروبا ، مبدين تخوفهم من اعطاء الشام لمحمد على خشية تدخل دول أوروبا لصالحه ، وتزويده بالرجال والسلاح خفية مما يحدث ارباكا للدولة ، وفتح ثغرة في جسمها هي في غنى عنها . [1] .

وعلى أية حال فقد كانت الثورة اليونانية بمثابة الشرارة التى أشعلت نار التنافس الأوروبي مجددا حول الدولة العثمانية ، فكان القيصر الروسي الاسكندر الأول Alexander I يبذل المساعدة لليونانيين ، على الرغم من تردده في بداية الثورة ، ولكنه مات قبل أن يرى ثمرات مساعداته ، فخلفه نيقولا الأول Nicholas I ، والمعروف بنزعاته الحربية[2] ، واعتزمت روسيا التدخل الى جانب اليونان بمفردها لتحقق أطماعها في الدولة العثمانية ، وتؤكد للثوار اليونانيين حمايتها للأرثوذكس[3]، ولكن الدول الأوروبية الأخرى لم تترك لها الحبل على الغارب ، بل هبت للوقوف في وجه هذا التدخل الروسى .

فالنمسا التي بدأت تدرك خطورة هذا التدخل ، واحتضان روسيا

---

(١) وثيقة تركى رقم ١/٢ - ٩٤ ، الأصلى ١٩٥٧٨ ، ص ٢ ، دارة الملك عبد العزيز بالرياض .

(٢) د . سليمان بن محمد الغنام : قراءة جديدة لسياسة محمد على باشا التوسعية ... ، ص ٦٨-٧٠ .

(٣) عبد الرحمن الرافعى : عصر محمد على ، ص ٢٠٤ .
، د . محمد عبد اللطيف البحراوى : حركة الاصلاح العثمانى في عصر السلطان محمود الثانى ... ، ص ١٣٨ .

للثورات في الأقاليم التي يشملها نفوذها ،أسدت النصح للسلطان العثماني بأن يستعين بواليه القوى على مصر ، للقضاء على هذه الثورات في مهدها ، ناشدة بذلك الوقوف في وجه هذا الزحف الروسي ،حتى أنه في أثناء تواجد قوات محمد على في اليونان لم تبخل النمسا باسداء النصح لهذه القوات، وحاول مترنيخ اقناع محمد على من طريق مندوبيه بسرعة الاجهاز على الثورة اليونانية(١) ، أما فرنسا فقد ظلت سياستها غير واضحة المعالم ،وبدأ يظهر عليها الاضطراب في أهدافها ،فعلى الرغم من أنها قد أعارت محمد على بعثة حربية وعشرة ضباط بحريين لمرافقة القوات المرسلة لاخماد ثورة اليونان ،الا أن هؤلاء الضباط سرعان ما انسحبوا من أسطول الباشا عندما عزمت الدول الأوروبية على تدمير الأسطول المصرى العثماني في نفارينو Navarino (٢) ، كما أن هذا الاضطراب وعدم الوضوح قد ظهر في الصحافة الفرنسية ذاتها (٣) ، ولكن وزير خارجية بريطانيا جورج كاننج George Canning ،" كان يعتبر النزاع العثماني - اليوناني ،مسألة خاصة بالعثمانيين واليونانيين وحدهم ،وأن واجب الدول الكبرى أن تحول دون اقدام دولة من الدول على التدخل ،واستخدام القوة لفض أو تسوية

---

(١) د .محمد كمال الدسوقي :الدولة العثمانية والمسألةالشرقية ،ص١٤١ .

(٢) نفارينو: ميناء مجرية في بلاد اليونان ،وتقع شمال مودن ،والى الجنوب الغربي من بيرة جك ، وتكتب ناورين باللغة التركية.

محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ،ص٢٥٤ ،وهامشه ١٨

(٣) بيير رنوفان :تاريخ العلاقات الدولية في القرن١٩ ،القسم الأول ،ص١٢٢ ، جورج كيرك : موجز تاريخ الشرق الأوسط ، ص١١٨ .

النضال القائم(١)".

غير أن تدخل القوات المصرية في حرب اليونان ، وبالتالي سيطرة القوات العثمانية على الموقف ، مما دل على أن هذه الثورة ستكبح بقوة من قبل الدولة العثمانية وواليها القوي ، مما يجعل اشتراك روسيا أمرا شبه مؤكد ، وهذا بطبيعة الحال سَيُكوّن أضرارا مباشرة على المصالح البريطانية في البوسفور والدردنيل ، كل هذا جعل كاننج Canning ، يبعث الدوق ولنجتون Duke Wellington ، الى بطرسبرج للتفاوض حول المسألة اليونانية ، والوصول بها الى بر الأمان ، قبل استفحال أمرها ، واحداث كثيرا من المشاكل التي تخل بالتوازن الدولي (٢) ، وليس هناك من شك في تعاطف الأوروبيين بشكل عام مع اليونان ، ولكن السياسة البريطانية التقليدية التي تدعو للمحافظة على كيان الدولة العثمانية ، كانت تحتم على الساسة الانجليز السير في هذا الاتجاه (٣) .

وعلى أية حال فقد بعثت بريطانيا وروسيا وفرنسا بأساطيلها للقضاء على الأسطول العثماني - المصري في نفارينو Navarino ، وتم لهم

---

(١) د . السيد رجب حراز : المدخل الى تاريخ مصر الحديث ... ، ص٢٥٧

(٢) د . محمد كمال الدسوقي : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ... ، ص ١٤٥-١٤٩ .

(٣) بيير رنوفان : تاريخ العلاقات الدولية في القرن ١٩ ، القسم الأول ، ص ١٢٢ .

، د . السيد رجب حراز : المرجع السابق ، ص ٢٥٨ .

ذلك أواخر شهر ربيع الأول سنة ١٢٤٣هـ المصادف للعشرين من أكتوبر سنة ١٨٢٧ (١)، تلك المعركة التي كانت نتاجا طبيعيا لمعاهدة لندن، التي أبرمها كانتج Canning في أوائل شهر ذي الحجة سنة ١٢٤٢هـ الموافق السادس من يوليو سنة ١٨٢٧م، مع روسيا وفرنسا، والتي تهدف في النهاية الى انشاء دولة يونانية تتمتع بالحكم الذاتي تحت سيادة السلطان (٢)، وقد كانت الحرب اليونانية ذات آثار وخيمة على الدولة العثمانية، وأصبحت سياسة أوربا حيالها حينذاك تنفذ وفق رغبات الدول ذاتها، في الوقت الذي أصبح الباب العالي لا يملك من اتخاذ القرارات الا ما توافق عليه الدول الأوروبية، ففي ٢٠ المحرم سنة ١٢٤٤هـ الثالث من أغسطس سنة ١٨٢٨م، اتفقت فرنسا وبريطانيا مع محمد على على سحب جيوشه من اليونان (٣)، أما الجيش الروسي فقد شن حربا، على القوات العثمانية، ودخل أدرنة، ولم يمنعه من دخول القسطنطينية الا عدم رغبة أوربا في ذلك، مما حدا بالسلطان العثماني الى توقيع معاهدة أدرنة Adrianople في أوائل ربيع الأول سنة ١٢٤٥هـ المصادف للرابع عشر من سبتمبر سنة ١٨٢٩م (٤)، ولا غرو في ذلك اذا عرفنا أن

---

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص ٤٢٧.
(٢) هـ.أ.ل. فيشر: تاريخ أوربا في العصر الحديث، ص ١٢٨-١٢٩.
(٣) محمد صبري: تاريخ مصر الحديث ...، ص ٦٣.
(٤) د. محمد عبد اللطيف البحراوي: حركة الاصلاح العثماني في عصر السلطان محمود الثاني ...، ص ١٥٠، ٢٤٤.

أدرنة: تسمى أدرنة بالرومية، أدريانا بوليس نسبة للأمبراطور أدريان الروس، الذي أجرى فيها عدة تحسينات، أوجبت اطلاق اسمه عليها، محمد فريد بك : المرجع السابق، ص ١٢٩.

سقوط أدرنة Adrianople ،التى تعتبر الخط الدفاعى الأخير من العاصمة استانبول ، جاء بعد أن اجتازت القوات الروسية نهر الطونة ، واخترقت جبال البلقان ، ونهر الطونة ، هو حد الأمان للدولة العثمانية طوال تاريخها (١) ، وقد " أحس الكونت بوليناك Polignac وزير خارجية فرنسا بتدهور أوضاع الدولة ،فتقدم بمشروع تحالف مع روسيا لتقسيم أملاك الدولة ، تقسيما كاملا ولاعادة تخطيط حدود الدول الأوروبية فى ضوء هذا التقسيم" (٢) ، ولكن التوقيع على معاهدة أدرنةقطع عليه حبل الأمل ، وأخيرا أرغم الباب العالى على المصادقة على استقلال اليونان ، وفق ما جاء فى معاهدة لندن ، وذلك فى أوائل شهر شعبان سنة ١٢٤٥هـ ، الموافق الثالث من فبراير سنة ١٨٣٠م (٣) ، حتى الولايات المتحدة الأمريكية استفادت هى الاخرى من هذه الحرب ونتائجها ، وحاولت الحصول على مكاسب اقتصادية وتجارية نظير موقفها من الثورة اليونانية ، وتوجت ذلك بمعاهدة ١٢٤٥/١٢٤٦هـ الموافق ١٨٣٠م ، حققت بموجبها كثيرا من الامتيازات باعتبارها الدولة المفضلة (٤) .

---

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٤٣٣ .
(٢) د . محمد كمال الدسوقى : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ،ص٥١
(٣) عبدالرحمن الرافعى : عصر محمد على ، ص ٢١٣ .
، السيد رجب حراز : المدخل الى تاريخ مصر الحديث... ،ص٢٦٢ .
(٤) د . نورى عبدالبخيت السامرائى : من تاريخ الوجود الامريكى فى البحر المتوسط فى أواخر القرن ١٨ ، أوائل القرن ١٩ ، مجلة المؤرخ العربى عدد ٢٣ ، ص ٢٣٣ .

ومع أن بريطانيا قد أبدت قلقها من معاهدة أدرنة Adrianople واعتبرتها ذات أثر سلبي فيما يتعلق بعبور المضائق ، ويتناقض تماما مع الاتفاقية التي عقدتها بريطانيا مع الدولة العثمانية سنة ١٢٢٤هـ/١٨٠٩م[1]، الا أن روسيا قد انتهجت سياسة مغايرة لسياستها التقليدية تجاه الدولة العثمانية ، وذلك بناء على ما توصلت اليه اللجنة المشكلة بأمر من القيصر نيقولا Nicholas ، والتي رأت أنه من الأصلح لروسيا ابقاء كيان الدولة العثمانية على حالته الراهنة ، وعدم اللجوء الى تقسيم أملاكها ، بأي حال من الأحوال خاصة أجزاءها الأوروبية ، ولها أن تتجه اذا شاءت الى أرمينيا وبغداد [2] وأسر نيقولا Nicholas بآراء تلك الى النسا ، فنال بذلك تأييد مستشارها مترنيخ طوال العشر سنوات التي أعقبت معاهدة أدرنة ، ولم يشرح تلك الآراء لبريطانيا ، مما جعلهما على طرفي نقيض مع روسيا من الوجهة البريطانية على الأقل ، وحري بالوزير البريطاني اللورد بالمرستون Lord Palmerston[3] ، أن

---

(١) د . سليمان محمد الغنام : قراءة جديدة لسياسة محمد علي باشا التوسعية.... ، ص ٨٨ .

(٢) أ . ج . جرانت وهارولد تمبرلي : أوربا في القرنين ١٩ ، ٢٠ ، ج ١ ، ط ٣٢٢-٣٢٣ ، بيير رنوفان : تاريخ العلاقات الدولية في القرن ١٩ ، القسم الأول ، ص ١٣٢

(٣) بالمرستون : سياسي انكليزي شهير ، ولد سنة ١٧٨٤م ، وبعد أن أتم دراسته في مدرسة كمبردج العليا ، انتخب في مجلس العموم سنة ١٨٠٦م وانضم الى حزب المحافظين ، وفي سنة ١٨٢٧م تحول عنهم وانخرط في سلك الاحرار ، وصار وزيرا للخارجية من سنة ١٨٣٠م الى سنة ١٨٤١م ، ومن سنة ١٨٤٦م الى سنة ١٨٥١م ، ومن سنة ١٨٥٥م الى سنة ١٨٥٨م وأخيرا من سنة ١٨٥٩ الى تاريخ وفاته سنة ١٨٦٣م .
محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، هامش ص ٤٥٩ .

يدرك ذلك من مظاهر الود التي كانت بين النمسا وروسيا خلال تلك الفترة ولكنه لم يفصل (١) .

أما فرنسا فقد حاولت جاهدة الاستفادة من الوضع الذى تعيشه الدولة العثمانية ،لتضم بلاد الجزائر اليها ، واضعة نصب عينيها عدم المساس بالأمن الأوروبى ، وحاولت اغراء محمد على بذلك ، ولكن بريطانيا وقفت دون ذلك الأمل (٢) ، كما أن محمد على نفسه لم يقتنع به لعدم جدواه لأهدافه التوسعية التى يرمى اليها . (٣)

ويذهب بعض المؤرخين الى أن أطماع فرنسا فى الشمال الافريقى ما هى الا نتيجة تعاون روسى فرنسى " فحواه مساعدة فرنسا لروسيا فى بسط حمايتها على روملى مقابل مساعدة روسيا لفرنسا فى ضم البلجيك وغزو الجزائر ، ومكافأة لها على حملة الموره ،وفى ١٨٣٠م كان واضع أساس هذا التحالف وهو دى بوليناك DePolignac ، وهو أيضا صاحب مشروع تغيير خريطة أوروبا على أساس طرد العثمانيين منها ، وحل مشاكل أوروبا دفعة واحدة (٤) " ، ولكن بريطانيا كانت تقاوم كل سياسة أو خطة

---

(١) أ . ج . جرانت وهارولد تمبرلى : أوروبا فى القرنين ١٩ ، ٢٠ ، ج ١ ، ص ٣٣٣ .

(٢) د . أحمد عزت عبد الكريم : دراسات فى تاريخ العرب الحديث ،ص ٢٧٤ ، جورج كيرك : موجز تاريخ الشرق الاوسط ، ص ١١٨ .

(٣) د . محمد كمال الدسوقى : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ،ص ١٥٧

(٤) د . محمد عبد اللطيف البحراوى : حركة الاصلاح العثمانى فى عصر السلطان محمود الثانى ... ،ص ١٥١ .

تساعد في زيادة النفوذ الفرنسي في الشرق ،وترفض كذلك أي محاولة للقضاء على كيان الدولة العثمانية (١) ، خاصة اذا كانت على يدى محمد على باشا وبايعاز من فرنسا التي ستصبح بعد ذلك صاحبة الكلمة الفصل في الشرق العربي ، والذى يتحكم في طرق التجارة الى الهند .

ومع أننا نجد بعض رجال السياسة البريطانيون ، ومنهم اللورد بونسنبي Lord, Ponsonby سفير بريطانيا في الأستانة ، والقنصل كامبل Campbell في مصر ،يذهبون للقول : بأن قوات محمد على يمكن الاعتماد عليها في صد محاولات التوسع الروسي (٢) ،الا أن بالمرستون Palmerston يرفض ذلك من مبدأ المحافظة على تكامل الدولة العثمانية ، وعدم تعريضها لحروب قد تشترك فيها دول أوربا قاطبة وربما كانت نتيجتها وبالا على الجميع، وأكد ذلك للقنصل البريطاني في العراق الذى أبدى خوفه من انهيار الدولة العثمانية ، فحذره بالمرستون Palmerston بعدم تدخله فيما لا يعنيه (٣) ، كما كرر بالمرستون Palmerston نفس الأسلوب مع الحكومة الايرانية التي حاولت أن تساعد ثورة عزيز أغا ضد على باشا رضا ، نكاية بالدولة العثمانية (٤) .

" لأن بريطانيا لا زالت تعتبر أن الدولة العثمانية - مع ضعفها - وليست مصر ، هي الحاجز الطبيعي ضد التوسع الروسي (٥) " .

(١) د . السيد رجب حراز : المدخل الى تاريخ مصر الحديث ،ص ٢٦٤ .

2- Document : F.O.78/246, 61070. No. 42.

(٣) جون .ب .كيلي :بريطانيا والخليج ١٧٩٥-١٨٧٠م ،ج ١ ،ص ٤٦٣ .

(٤) د .عبدالعزيز نوار: تاريخ العراق الحديث... ،ص ٦٢ .

(٥) د .سليمان بن محمد الغنام: قراءة جديدة لسياسة محمد على باشا التوسعية ... ،ص ٨٩ .

وليست بريطانيا فحسب هي التي تحافظ على الدولة العثمانية،وانما جميع الدول الأوروبية باتت تشترك في هذه المحافظة كل من زاويته (١) ،وقد أشار الى ذلك أحد المؤرخين حين قال : " ... وكلما تقدم ابراهيم ، نحو عاصمة الدولة - العثمانية - كلما اهتز والده في مصر ،وتجمعت حوله الأخطار واعتبرت أوروبا محمد على كنابليون ..."(٢) ، وكأن حروب الشام الأولى التي قادها ابراهيم باشا بأوامر والده ، قد بدأت تسير بالدولة العثمانية الى مرحلة أشد تعقيدا من حروب اليونان ، خاصة في علاقاتها مع أوروبا ،وهو ما نريد الوصول اليه في هذا البحث .

فعلى الرغم من التلميحات التي أطلقها محمد على لقناصل الدول الأوروبية ، وتأكيده لهم بأنه تابع للسلطان ، وحروبه تلك ما هي الا لاصلاح الدولة العثمانية ، والوقوف في وجه السيطرة الروسية كما قال ، مما يجعل ذلك في مصلحة فرنسا وبريطانيا ، وأن أي تدخل قد يحدث من تلك الدول سيؤدى الى حرب دينية بين المسلمين والمسيحيين (٣) ، الا أن روسيا قد نظرت الى الموقف بصورة مختلفة عن بقية دول أوروبا ، فسارعت بارسال الجنرال

---

(١) جون .ب.كيلي : بريطانيا والخليج ١٧٩٥-١٨٧٠م،ج ١ ،ص ٤٦٤ .
(٢) د .محمد عبداللطيف البحراوى : حركة الاصلاح العثماني في عصر السلطان محمود الثاني ... ،ص ١٥٣ .
(٣) جون .ب.كيلي : المرجع السابق ، ج ١ ،ص ٤٦٦ .
، صبحي وحيده : في أصول المسألة المصرية ، ص ١٤٥ .

مورافيف Muraviev ، فى مهمة خاصة الى استانبول والاسكندرية(١)"، وتلاه ظهور الأسطول الروسى فى مياه البوسفور، مما جعل فرنسا وبريطانيا تتدخلان بين السلطان وتابعه ،خشية من تفاقم الوضع ،وسوء عاقبة تدخل روسيا عسكريا (٢) ، على الرغم أن هاتين الدولتين عندما استحثهما السلطان محمود الثانى فى بداية الأزمة ،لم تبديا أى تأييد ،مع أن السفيرالبريطانى قد حاول اغراء حكومته لمساعدة السلطان ضد تابعه ، ولكن اللـــــورد بالمرستون Palmerston ، رفض طلبات السفير مشيرا الى تردده ، وعدم استطاعته الدخول منفردا فى هذه الأزمة الحساسة(٣) ، مكتفيا باسداء النصح للسلطان العثمانى بضرورة الصلح مع محمد على بدون وســاطــات الدول الأوروبية(٤) ، ولكن عندما اتجه السلطان في ساعة يأسه " الى عدوه التقليدى طالبا العون .. معبرا بذلك لأحد مستشاريه بقوله : ان الغريــق يتعلق بالحية ،فتعلق السلطان بروسيا (٥)" ، عندئذ فزعت بريطانيـــــا وفرنسا ، وخشيتا من بسط روسيا لنفوذها على الدولة العثمانية ،كما انضمــت اليهما النمسا وأرغمت محمد علىباشا على الصلح مع السلطان العثمانى (٦) .

---

(١) عبدالرحمن الرافعى : عصر محمد على ،ص ٢٥٢ .
، ميخائيل شاروبيم بك : الكافى فى تاريخ مصرالقديم والحديث ،ص ٥٤
(٢) د .على حسون : تاريخ الدولة العثمانية ،ص ١٣٩ .
، رزق الله منقريوش الصدفى : تاريخ دول الاسلام ،ج ٢ ،ص ٢١٩ .
(٣) جون .ب .كيلى :بريطانيا والخليج ١٧٩٥-١٨٧٠م ،ج ١ ،ص ٤٦٥ ، ٤٧٢
(٤) د .السيد رجب حراز :المدخل الى تاريخ مصرالحديث... ،ص ٢٦٧ .
(٥) أ .ج .جرانت وهارولد تمبرلى :أوروبا فى القرنين ١٩ ، ٢٠ ،ج ١ ،ص ٢٣٤ .
(٦) جورج كيرك : موجز تاريخ الشرق الأوسط ،ص ١١٩ .
،محمد على الشيخ : صراع المماليك فى القرن ١٩ ،ص ١١٧ .

وبذلك نصل الى : أن تدخل الدول الأوروبية سنة ١٢٤٧/١٢٤٨هـ/١٨٣٣م ،بين محمد على والسلطان العثمانى ،انما كان تدخلا لتحقيق مصالحها الذاتية من مبدأ سياسة خطة التدخل وسياسة التكامل ،التى تفرضها على الدولة العثمانية متى شاءت ،فعندما خشيت روسيا من مجاورة دولة قوية ربما تسد الطريق فى وجهها من تحقيق أطماعها ، تدخلت سياسيا أولا ، ثم عسكريا ثانيا ، أما بريطانيا التى كانت تحسب ألف حساب لطريق الهند من السويس والفرات ،وخشيتها من امتداد نفوذ محمد على أو حليفته فرنسا ،أو روسيا التى بدأت تقف عسكريا الى جانب السلطان ، فقد غيرت حساباتها وتدخلت فى حل المشكلة بين الوالى وتابعه (١) ،خاصة وأن روسيا قد تمكنت بواسطة مبعوثها الخاص الكونت الكسيسى أورلوف Alexisorloff من عقد تحالف ،تضمن عقد اتفاقية دفاعية هجومية بين الطرفين العثمانى والروسى ، هى اتفاقية انكيار سكليسى Unkiar-Skelessi ،فى النصف الأخير من شهر صفر سنة ١٢٤٩هـ ، الموافق للثامن من يوليو سنة ١٨٣٣م ،ولمدة ثمانى سنوات(٢) ، وكأن سياسة

---

(١) الميرالاى اسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ،ج ١ ، ص ٦٨٧ .
، محمد صبرى : تاريخ مصر الحديث ... ، ص ٦٧ .
(٢) بيير رنوفان :تاريخ العلاقات الدولية فى القرن ١٩ ،القسم الأول ،ص ١٢٣ ،زين نورالدين زين : الصراع الدولى فى الشرق الأوسط ... ،ص ٢٥ .

روسيا منذ ذلك التاريخ قد بدأت تأخذ طابع الحماية للدولة العثمانيـــة، لا طابع المحافظة عليها ، ولا غرو عندئذ فيما قاله أحد المؤرخين عندمـــا علق على هذه المعاهدة حين قال : " ولو نفذت المعاهدة فعلا ،لغدت تركيا دولة تابعة لروسيا بكل معانى الكلمة "(١).

من هنا " فقد نظرت كل من بريطانيا وفرنسا الى تلك المعاهدة على أنها أداة تجعل من الدولة العثمانية دولة تسير فى ركاب روسيـا (٢)" ، وهذا مالا ترضيانه ،ولا تقرانه مهما كانت النتيجة ،خاصة اذا عرفنـــا أن المادة السرية الملحقة بهذه المعاهدة قد أعفت السلطان العثمانى ، من أعباء المساعدات المادية واكتفت بالتزامه " باقفال مضيق الدردنيـــل أى بأن لا يسمح لأى سفينة حربية أجنبية أن تدخله لأى سبب من الأسباب(٣)" ، وقد أكد ذلك البارون دى بوالكمت Baronde Boisle Comte المندوب الفرنسى لهذه المهمة فى حديثه لابراهيم باشا ، حيث قال : " ان سموكم يؤكد بحديثه المخاوف التى ألمحت اليها فى كلامى ، فان ماكنتم

---

(١) أ.ج. جرانت وهارولد تمبرلى : أوروبا فى القرنين ١٩ ، ٢٠ ، ج ١ ،ص ٣٢
(٢) د. عبد العزيز الشناوى : الدولة العثمانية - دولة اسلامية مفترى عليها ، ج ١ ، ص ٢٢٠.
(٣) د. سليمان بن محمد الغنام : قراءة جديدة لسياسة محمد علـى باشا التوسعية ... ، ص ١٥٢.

تنوون احداثه هو ما كنا نعمل على منعه ،ـ الى أن قال ان ذلك ـ يفضى الى مشاكل قد تشعل نار الحرب فى أوروبا بأسرها"(١).

ومع أن الحكومة البريطانية أبلغت فرنسا بتحرك أسطولها الى مياه الاسكندرية ليكون تحت تصرف القنصل البريطانى ،الذى ربما استعمله فى منع الامدادات لابراهيم باشا ان هو لم يتوصل الى حل مرضى مع الباشا فى مصر ، الا أن هذا الاجراء العسكرى كان قد سبق باجراء دبلوماسى فى مناصب القناصل الانجليز فى مصر، اذ صدر قرارا من الوزارة الانجليزية فى شهر رمضان سنة ١٢٤٨هـ الموافق للسابع من يناير سنة ١٨٣٣م ،يقضى بتعيين الكولونيل باتريك كامبل Colonel,Patrick,Campbell قنصلا فى مصر ، لأن باركر Barker ،القنصل السابق " لا يستطيع اقناع الباشا بضرورة عقد السلام مع تركيا بسبب موقفه العدائي ازاء محمد على"، كما يقول وزير خارجية فرنسا (٢) .

وكأن بريطانيا بعد معاهدة انكيار سكليسى Unkiar-Skelessi ودخول المشكلة الى مجلس العموم البريطانى ،الذى أكد أحد نوابه أن

---

(١) د .محمد كمال الدسوقى : تاريخ أوروبا الحديث ١٨٠٠-١٩١٨م، ص ٩٢.

،عبدالرحمن الرافعى ، عصر محمد على ، ص ٥٧١.

(٢) د . محمد فؤاد شكرى وآخرون : بناء دولة مصر محمد على "السياسة الداخلية"، ص ٢١٥ ، ٧٤٩.

،جورج أنطونيوس : يقظة العرب ،ص ٩٣.

الطريق أصبحت مفتوحة أمام الروس للهيمنة على الدولة العثمانية[١] ،بينما هى تعلق أهمية كبيرة على الاحتفاظ بكيان الدولة العثمانية لاعتباره من العوامل المؤثرة جدا فى التوازن الدولى ،وضمانا لطرق التجارة الموصلة الى الهند ،فكأن بريطانيا حينذاك قد باتت تميل الى تدويل المشكلة لتشترك الدول الأوروبية فى ايجاد حل لها ،حتى لا تنفرد روسيا بالعمل وحدها[٢] ،وقد وضح بالمرستون Palmerston موقف حكومته بعد تلك المعاهدة، واهتمامها بالمحافظة على كيان الدولة العثمانية فى رسالته الى كامبل Campbell القنصل البريطانى فى مصر ،والتى بعثها فى النصف الأول من شهر رمضان سنة ١٢٤٨هـ الموافق الرابع من فبراير سنة ١٨٣٣م[٣].

وما يهمنا هنا أن تلك المعاهدة قد أضعفت الدولة العثمانية فى الجزيرة العربية، والخليج العربى ،مما يجعل الطريق الى الهند فى خطر داهم سواء من قبل روسيا ، أو حتى محمد على وأطماعه التوسعية المرتقبة[٤]، كما زاد من قلق بالمرستون Palmerston، التقرير الذى بعث به بونسنباى Ponsonby السفير البريطانى فى الأستانة ،والذى أكد فيه على استمرار

---

(١) د. عبدالعزيز سليمان نوار: الشعوب الاسلامية (الأتراك - الفرس - الهند ... ،ص ١٨٣.

(٢) د. محمد فؤاد شكرى وآخرون : بناء دولة محمد على ... ،ص ٧٤٩

(٣) د. محمد فؤاد شكرى : مصر والسودان - تاريخ وحدة وادى النيل ، ص ١٤.

(٤) جورج كيرك : موجز تاريخ الشرق الأوسط ، ص ١١٦.

الحشود العسكرية الروسية في البحر الأسود ، والتهديدات المستمرة من ابراهيم باشا (١) ، وكأن ذلك نذير بوصول الخطر الى منطقة الخليج العربي ، وتهديد الوجود البريطاني فيها ، وبالتالي تمزيق شمل الدولة العثمانية والقضاء على سياسة التكامل التي ينتهجها بالمرستون Palmerston وحكومته (٢) ، ومع أن فرنسا والنمسا قد استطاعتا التوصل الى عقد اتفاق صلح بين السلطان ومحمد على في أواخر شهر ذى الحجة سنة ١٢٤٨ هـ ، الموافق لأوائل شهر مايو سنة ١٨٣٣م ، يتم بموجبه ايقاف الحرب وانسحاب القوات الروسية من الأراضي التركية ، ويتنازل السلطان من ولايتي سوريا وأطنة لمحمد على ، وبالرغم من انسحاب القوات الروسية في شهر محرم سنة ١٢٤٩هـ الموافق لشهر يونيو سنة ١٨٣٣م ، وما تبع هذا الانسحاب من عقد معاهدة انكيار اسكليسي Unkiar-Skelessi (٣) ، الا أن روسيا كانت مدركة للموقف البريطاني من سياستها تجاه الدولة العثمانية وتأثيرها على مصالحها الحيوية ، فاتجهت الى النمسا لتكسبها الى جانبها تدعيما لموقفها ، ولما تمتاز به النمسا من وضع استراتيجي بالنسبة للمواصلات البرية بين تركيا وروسيا ، وتوصلت في أوائل عام ١٢٤٩ هـ ، أواخر عام ١٨٣٣م ، الى توقيع معاهدة ميونيخ - جريتز Munchen, Gratz ، " التي

1- Document : F.O.78/224, 61070. No. 57.

2- Document ; F.O. 78/227, 60952. 24/5/1833.
, Document:(I.O.R.)L/p,s/9/115.No.26.

(٣) جون .ب.كيلي :بريطانيا والخليج ... ،ج ١ ،ص ٤٧٢ .

تعهدت فيها روسيا بالمحافظة على كيان الدولة العثمانية ،وأن أى تقسيم لأملاك الدولة عند الضرورة لن يتم الا بالاتفاق بين روسيا والنمسا (١)" ، وقد بذل المستشار النمساوى مترنيخ محاولات عديدة لاقناع فرنسا وبريطانيا للدخول فى هذه المعاهدة ،ولكن انعدام الثقة فى روسيا ،جعل محاولاته لا تلقى التأييد من الحكومتين ،ومع ذلك اقترح على الدول الأوروبية عقد تحالف رباعى بين روسيا والنمسا وانجلترا وفرنسا (٢) ،ولا غرابة فى ذلك اذ أن مترنيخ فى ذلك الوقت هو رجل الأحداث الأول ،ناهيك من معرفته بأهداف الدول المتنازعة ،وموقفه المتميز من تلك الأحداث ،ورغم ذلك فان السياسة البريطانية لم تعدم الوسائل التى تواجه بها معاهد انكيارسكليسى Unkiar, Skelessi ،لتحافظ على كيان الدولة العثمانية ،والحيلولة دون أى تدخل خارجى من أوروبا ، قد يؤدى الى اختلال التوازن الأوروبى لتخرج فى نهاية الأمر بنصيب الأسد من هذه المسألة التى شغلت أوروبا بأسرها ردحا من الزمن ،وقد علق المؤرخ الفرنسى درايولت Driult على ذلك بقوله : "لقد كانت كل المزايا من نصيب بريطانيا ، فصدت محمد على وفرنسا من الجنوب ، كما صدت روسيا من الشمال ،وبذلك أفسحت المجال لاعادة الطريق البرى الى الهند مستقبلا من طريق العراق ، كما

---

(١) د . محمد كمال الدسوقى :الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ،ص ١٧٣ ، محمد على الشيخ : صراع العمالقة فى القرن ١٩ ،ص ١١٧ .

(٢) د . محمد كمال الدسوقى : المرجع السابق ،ص ١٧٣-١٧٤ .

أنها ضمنت توسيع نطاق نفوذها على طول هذا الطريق ، وصارت بالاختصار صاحبة اليد الطولى فى الشرق الأدنى (١)" ، ومهما يكن الأمر فان أوروبا التى اختلفت أهواؤها ، وتضاربت مصالحها ، قد أجمعت على أمر واحد هو المحافظة على كيان الدولة العثمانية (٢) ، وأن بريطانيا كانت فى مقدمة تلك الدول خدمة لمصالحها الاقتصادية والاستراتيجية على حد سواء (٣) .

وهكذا اتضح لنا من هذا العرض أن هذه الفترة التى تسبق المدى الزمنى لموضوعنا قد اتسمت سياسة الدول الاوروبية فيها تجاه الدولة العثمانية ، بالتعقد والتشابك والتداخل ، كما اتضح لنا تفوق الدبلوماسية البريطانية فيها ، وتبنيها للحلول الدولية فى أخطر المواقف ، وحرصها على سياسة التكامل نحو الدولة العثمانية فى أوربا ، وعلى العكس من ذلك فى البحار العربية ، وعلى أطراف شبه الجزيرة العربية .

---

(١) جورج كيرك : موجز تاريخ الشرق الأوسط ، ص ١٢٣

(٢) د . السيد رجب حراز : المدخل الى تاريخ مصر الحديث ... ، ص ٢٣٤ ، - ٢٣٥ .

(٣) أمين الريحانى : ملوك العرب ، المجلد الأول ، ج ١ ، ص ٤١٣ .

الفصل الأول

حرب الشام الأولى

أ - عكا ، بيلان ... والتقدم إلى قونيه.

ب - اتفاقية كوتاهية ١٨٣٣م، الهدنة المسلحة.

جـ - انجلترا وسياسة : منتصف الطريق ..،

نظرية القشرة الواقية للهند .

د - حركة محمد أغا «تركجه بيلمز» turki Bilmaz .

١- عصيان قوات محمد على فى الحجاز أثناء حرب الشام.

٢- انسحاب العصاة بقيادة بيلمز إلى الحديدة.

٣- بيلمز فى البصرة .

منذ أن تبوأ محمد على باشا مركز السلطة فى مصر ، أصبح جل اهتمامه منصبا على تأييد مركزه الشخصى ، وتدعيم قوته فى البلاد للاحتفاظ بها لذاته ولذريته من بعده ومنذئذ فقد جعل منها قوة حربية ذات بأس شديد ، وبدأ فى بناء جيشه على النمط الأوروبى الحديث، واستأثر فى سبيل ذلك بمعظم الدخل الوطنى للشعب المصرى ،ولو أنه حاول تنمية الموارد الاقتصادية فى البلاد بشكل جسيد وجديد ، الا أن ملكية معظم الأراضى أصبحت فى يده (١) ، كما أنه أدخل كثيرا من الصناعات التى لم تعرفها البلاد قبل ذلك التاريخ ، وبذلك زاد الانتاج الزراعى فى مصر فى الوقت الذى بدأت المشروعات الحربية والتسليح الجيد الجديد يظهر الى حيز الوجود ،فى نفس الوقت الذى يؤكد أن لمحمد على أطماعا توسعية وطموحات كبيرة فى توسيع ممتلكاته فى مصر أولا ، وخارجها ثانيا وليس أدل على ذلك من ادراكه بضرورة ضم ولايات الشام الى ممتلكاته ، لأهمية الشام لمصر سواء من الناحية الاستراتيجية - الأمر الذى يترتب عليه أمن البلاد وبالذات من طريق السويس - خاصة اذا سلمنا بهذا المبدأ

---

(١) د . محمد فؤاد شكرى وآخرون : بناء دولة مصر محمد على "السياسة الداخلية" ، ص ٢٣٧ .

، د . السيد رجب حراز : المدخل الى تاريخ مصر الحديث . . . ، ص ٢٣٢ .

الذى راود أكثر حكام مصر قبل محمد على باشا (١) ، ثم أهميته الاقتصادية التى تشكل الأخشاب المستعملة لبناء السفن الحربية والتجارية عمودها الفقرى ، يتبعها الموارد الأخرى التى يتميز الشام بوجودها فى أراضيه ، اضافة الى ما يمكن اضافته من الجنود لجيش الباشا من سكان الشام(٢) ، ومن هنا فلا غرو أن يمد الباشا نظره الى الشام منذ تسلمه مقاليد الأمور ، وسيطرته التامة على مجريات الحكم فى مصر ، وبروز شخصيته من خلال ذلك ، حتى أن القنصل الفرنسى فى مصر قد تنبأ بذلك فى رسالة بعثها الى حكومته سنة ١٢٢٦هـ/١٨١١م قال فيها : " ان محمد على يطمع فى ولاية سورية ، وقد قال لى يوما أنه لا يستبعد أن ينالها مقابل مبلغ من المال سبعة أو ثمانية ملايين قرش يدفعها لخزانة السلطان ...(٣) " .

ولكن مع هذا كله فقد كان الدهاء السياسى هو ديدن محمد على باشا فى تطلعاته وطموحاته تجاه الشام ، ففى الوقت الذى يؤكد فى رسالة بعث بها الى السلطان العثمانى على أن انهاء مهمته فى الحجاز يتوقف على اسناد ولاية الشام له لمدة عام ، وأن الانتهاء من تلك المهمة يتوقف على وجود ولاية الشام فى عهدته ، لتوفير الجمال التى يمكنه من خلالها حمل القوات الى

---

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٣٧٥ .
، عبدالرحمن الرافعى : عصر محمد على ، ص ٢١٨ .
، د . محمد بديع شريف وآخرون : دراسات تاريخية فى النهضة العربية الحديثة ، ص ٢٧ .

(٢) د . لطيفة محمد سالم : الحكم المصرى فى الشام ... ، ص ٢٠-٢١ .
، حسين مؤنس : الشرق الاسلامى فى العصر الحديث ، ص ٢٢١ .

(٣) عبدالرحمن الرافعى : المرجع السابق ، نفس الصفحة.

الجهة المرسلة لها ، ونراه يتذلل ويبدى علامات الخضوع والعرفان للسلطان ويبدى عدم رغبته فى تلك الولاية ، معللا ذلك بخضوع القبائل والعشائر لسطوة السلطان وقوته ، وعدم الخروج من طاعته .(١)

فكأنه وهو يتجه بقواته الى شبه الجزيرة العربية لمحاربة الدولة السعودية الأولى يساوم الباب العالى على ولاية الشام ، مقابل استعادة الحرمين الشريفين ،دون أن يثير أية شبهات حول أهدافه (٢) ، الا أن الباب العالى قد تنبه الى أطماع محمد على وتحركاته المخيفة ، فبدأ يجس نبضه من طريق والى الشام ، حين بعث له رئيس الكتاب رسالة يسأله فيها من أهداف محمد على من أيالة الشام ،وما هى الغاية التى يتقصدها المشار اليه من طلب أيالة الشام(٣) ، وقد أكد والى الشام للباب العالى "أن وراء ذلك أطماعا أخرى ،فلن يكتفى محمد بأن يضع يده على الشام وحدها بل سيتطلع الى صيدا ، وحلب وأدنه ..." (٤)

---

(١) وثيقة تركى رقم ٥٠/ ١-٢٤٨ ،رقمها الأصلى ١٩٥٩٣ -أ فى ٢١ ربيع الأول سنة ١٢٣٠هـ دارة الملك عبد العزيز بالرياض .

(٢) د . زاهية قدوره : تاريخ العرب الحديث ، ص ٣٤٣ .
، د . عبد العزيز نوار : مصر والخليج العربى فى القرن ١٩ ، مجلة الهلال المصرية ،عدد ١١ ، السنة ٧٢ ، ص ١٦١ .

(٣) وثيقة تركى رقم ١/٢- ٢٢٠ ، والرقم الأصلى ١٩٥٩٤أ ،دارة الملك عبد العزيز بالرياض .

(٤) وثيقةتركى رقم ١٩٥٩٣ فى ٩ ربيع الأول سنة ١٢٣٠هـ ،مجلة دارة الملك عبد العزيز ، العدد الثانى ، السنة الأولى ،ص١٧٤-١٧٥ .

أحال الباب العالى القضية الى مجلس الشورى الذى بدأ فى مناقشتها وتقليبها على جميع الوجوه ،ثم عبر الحاضرون عن تخوفهم من زيادة طغيانه ،وأن هذه القوة قد توجه نحو الدولة العثمانية ،وطلب المجلس "تدارك مطلوبه من الجمال وارسالها اليه بوجه آخر،ذلك لأنه يبدو أن فى اعطاء ايالة الشام اليه بعض المحاذير الكلية "(١).

وبالفعل ظهرت تلك المحاذير التى خافها مجلس الشورى العثمانى ، ولكن محمد على جعلها كنار تحت رماد ،فلم يجاهر بعدائه للدولة العثمانية فى بداية الأمر ، بل نفذ أوامرها وقام بحملاته على شبه الجزيرة العربية ،ووطد دفاعه فى الجناح الغربى منها ، ثم بدأ باستمالة رجالات الشام البارزين (٢) ، وتقريبهم اليه ، بل أكثر من ذلك تدخل فى توليتهم المناصب وبذل جهودا لدى السلطان بشأنها ، كما منح بعض أهالى الشام أراضى زراعية لتربية دودة القز وصناعة الحرير فى مصر. (٣) .

وعندما نشبت حرب المورة لم يكن محمد على متحمسا للاشتراك فيها ،

---

(١) وثيقة تركى رقم ١/٢-٩٤ والرقم الأصلى ١٩٥٧٨ ،دارة الملك عبدالعزيز بالرياض.

(٢) د . عبدالعزيز نوار : تاريخ العرب المعاصر - مصر والعراق ... ، ص ١٣٢ .

(٣) د . لطيفه محمد سالم : الحكم المصرى فى الشام ... ،ص ٢٣-٢٥ .

بجانب السلطان ، ولكن التلويح له باعطائه جزيرة كريت وولاية الشام بعد الحرب جعله يدفع بقواته لاخماد ثورة اليونان ، ومساعدة الجيش العثماني [1] ، ولا غرو في ذلك فالشام حلم يراود محمد علي منذ فترة طويلة ، وكريت من المناطق الغنية بالأخشاب التي يحتاجها اسطول محمد علي باشا الذي دمر في نفارينو Navarino ، مما زاد تحمس الباشا لتحقيق أطماعه في الشام لبناء أسطوله البحري ، خاصة وأن انجلترا قد أبدت أسفها من تلك الحادثة ، وعقدت مع الباشا اتفاقا في أواخر شهر محرم سنة ١٢٤٤هـ ، أوائل شهر أغسطس سنة ١٨٢٨م ، انسحب على أثره من اليونان [2] ، والحقيقة أن قبول محمد علي للاعتذار البريطاني ، وبالتالي انسحابه من ساحة الحرب دون اذن من السلطان العثماني الذي لا يزال الباشا يدين له بالولاء ، يجرنا الى أكثر من علامة استفهام ، من أبرزها التصورات التي كانت في ذهن الباشا من الوضع في الدولة العثمانية بعد القضاء على الانكشارية ، وكأنه بذلك بدأ فعلا بالتفكير الجدي لتوسيع

---

(١) د . محمد كمال الدسوقي : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، ص١٤١ ، جون . ب . كيلي : بريطانيا والخليج .. ، ج ١ ، ص ٢٦٥ .

(٢) محمد صبري : تاريخ مصر الحديث ... ، ص ٦٦ . ، د . محمد كمال الدسوقي : المرجع السابق ، ص ١٤٩ .

أطماعه ، والسعى للاستقلال من سلطة الباب العالى ، أضف الى ذلك ادراك الباشا للثقل البريطانى فى الصراع الدولى حينذاك ، وخاصة فيما يمس طريق مواصلاتها الى الهند ، مما جعله يحاول عدم الاصطدام بها مباشرة ، وعلى أية حال فان حرب اليونان وانسحاب قوات محمد على منها ، كانت الشرارة التى أشعلت نار الفتنة والقطيعة بين الباشا والباب العالى ، فقد أعقب ذلك دخول الدولة العثمانية فى حرب ضروس مع روسيا ولكن محمد على تخلى عن الدولة العثمانية محتجا بعدم تلبية طلباته فى اعطائه الشام نظير اشتراكه فى حرب اليونان .

وقد أضافت الحرب الروسية ارباكا آخر للدولة العثمانية ، وبدأت الأحداث الكبيرة فى التتابع على الدولة العثمانية ، بدءا من الغاء الانكشارية سنة ١٢٤٢هـ/١٨٢٦م ، ومرورا بحرب اليونان ، والحرب مع روسيا ، التى انتهت بمعاهدة أدرنة سنة ١٢٤٥هـ/١٨٢٩م [(١)] ، وكأنها بذلك تسعى لتسهيل مهمة محمد على باشا ، لتحقيق أطماعه وأهدافه التوسعية ، والتى كان الشام يمثل نقطة الارتكاز فيها ، حتى أنه بدأ

---

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٤١٦ .
، د . أحمد السعيد سليمان : تاريخ الدول الاسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ، ص ١٦٦ .
، د . فيليب حتى : تاريخ العرب - مطول - ، ص ٨٥٣ .

فى عرض المال للباب العالى مقابل استيلائه على الشام أو تعيين ابنه عليها [١] ، ولا شك أن محمد على لم يكن يقصد الشام لوحدها لتحقيق أطماعه وتطلعاته ، وليس أدل على ذلك من ارساله لجيوشه الى الجزيرة العربية ، ومحاولاته بسط نفوذه عليها فى الوقت الذى تسير استعداداته على قدم وساق للسيطرة على الشام بالقوة الحربية . [٢]

كان محمد على مدركا تماما أن الدولة العثمانية بعد القضاء على الانكشارية ، وحروب اليونان ، وحروب البلقان ، تمر بأزمة عسكرية فى الجيش الجديد الذى لم يتم بعد التدريب والتسليح ، فى الوقت الذى أصبح جيشه هو يتفوق على جيش الدولة عددا وعدة [٣] ، وعندئذ عول على تحقيق أهدافه عن طريق الحرب ، بعد أن اتسعت هوة الخلاف بينه وبين السلطان العثمانى . [٤]

وكأن محمد على بذلك قد استغل الآثار والنكسات المتوالية التى أحاطت بالدولة العثمانية ، بعد أن نجح هو فى تدعيم مركزه فى الجزيرة العربية والسودان ، وسيطر على البلاد المقدسة بدرجة جعلت شريف

---

(١) د . لطيفة محمد سالم : الحكم المصرى فى الشام ... ، ص ١٩ .
. محمد على الشيخ : صراع العمالقة فى القرن التاسع عشر ، ص ١١٦ .

(٢) وثيقة رقم ٨٢٣ ، دفتر ٤٠ معية تركى ، ص ١٣٠ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .

(٣) د . محمد كمال الدسوقى : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، ص ١٦٤ .

(٤) د . عبد العزيز نوار : تاريخ العرب المعاصر ... ، ص ١٣٢ .

مكـة يخضع له أكثر من السلطان العثماني (١) ، وبذلك فان التهديد الذى كانت تتعرض له الدولة العثمانية ،لم يكن يأتيها من الشمال فحسب، بل بدأ يأتى من الجنوب ، ومن تابعها القوى محمد على باشا (٢) .

وقبل أن يخوض محمد على غمار الحرب ضد الدولة العثمانية كان يحسب ألف حساب للدول الأوروبية ، التى ما فتئت بين الفينة والأخرى تزج بنفسها فى أى مشكلة تكون الدولة العثمانية طرفا فيها ، فها هى فرنسا التى تحاول اغراءه بالتوجه الى المغرب بدلا من الشام، لأن ذلك لن يغضب السلطان العثمانى ، ولا الدول الأوروبية كما تقول ، وهى التى فتحت ذراعيها لتستقبل بعثات محمد على العلمية ، وأرسلت من رجالها من ينظم جيشه على الطرق الحديثة ،وينشئ البحرية المصرية(٣) ، وها هى بريطانيا التى تقف بقوة وترفض باصرار أى سياسة أو خطة تؤدى الى دعم نفوذ فرنسا فى أملاك الدولة العثمانية ، وبالذات كل ما له علاقة بطريق الهند (٤) ، لذا فان محمد على قد أدرك أن سياسته قد تصطدم بعقبات كثيرة وصعبة فى آن واحد .

---

(١) د . محمد عبد اللطيف البحراوى : حركة الاصلاح العثمانى ... ،ص ١٥٣ ،د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، ص ١٥٨ .

(٢) جون .ب.كيلى : بريطانيا والخليج ... ،ج ١ ،ص ٤٦٥ . ،بيير رنوفان : تاريخ العلاقات الدولية فى القرن ١٩ ،القسم الأول،ص ١٢٨ .

(٣) جورج كيرك : موجز تاريخ الشرق الأوسط ،ص ١١٨ -١١٩ . ، د . فيليب حتى :تاريخ العرب،مطول ، ص ٨٥٢-٨٥٣ .

(٤) د . السيد رجب حراز :المدخل الى تاريخ مصر الحديث ... ،ص ٢٦٤ .

وقد حاول السلطان العثماني حينذاك ارجاء انفجار الحرب ،وعرض على محمد على اعطاءه جزيرة كريت ، في أوائل عام ١٢٤٦هـ/ أواخر عام ١٨٣٠م حين علم بعزم الباشا على ارغام والى عكا على اجابة طلباته بالقوة (١) ، ولكن محمد على الذي كان يبحث عن وسيلة ينفذ من خلالها الى خوض غمار الحرب ، وتحقيق آماله وطموحاته ، لم يلق بالا لهذا العرض ،فهو لم يصدق خبرا بهروب مجموعة من الفلاحين المصريين الذين ضاقت بهم أحكام محمد على ، وتسخيرهم للجندية، وتحميل كواهلهم بالضرائب وأعباء السخرة ، والتجائهم الى والى عكا عبدالله باشا الجزار فأمر باعداد الجيوش وتجهيزها بالأسلحة والعتاد (٢) ، متخذا من هذه القضية مبررا كافيا لغزو الشام بحجة أن عبدالله باشا الجزار، لم يعد هؤلاء الفارين الى مصر ، وخشيته من أن يلحق بهم عددا آخر (٣)، ومهما كانت المبررات التي استند اليها الباشا لغزو الشام ، بحيث كانت الشرارة التي أشعل منها تلك الحرب ، الا أن الشئ المؤكد أنه قد اغتنم فرصة تكالب الأحداث المتتالية على الدولة العثمانية ،بدءا من الغاء جيش الانكشارية على أيدى السلطان محمود الثاني ، وخروج الدولة من حروب اليونان و روسيا (٤) ، لينطلق حينذاك ،ويحقق أهدافه وأطماعه

---

(١) سهيل زكار: بلاد الشام في القرن ١٩ ،دراسة وتحقيق - مشهد العيان بحوادث سوريا ولبنان : د .ميخائيل مشاقه ، ص ١٤٩ .
، د . السيد رجب حراز : المدخل الى تاريخ مصر الحديث... ،ص٢٦٤
(٢) الميرلاى اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ،ج ١ ،ص٦٨٧
، رزق الله منقريوس الصدفى : تاريخ دول الاسلام ... ،ج ٣ ،ص ٣١٨ .
(٣) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ،ص ٤٤٩ .
(٤) عبدالرحمن الرافعى : عصر محمد على ،ص ٢٢٠ .

التوسعية ، فتقدمت قواته سنة ١٢٤٧هـ/ ١٨٣١م ، متجهة الى الشام من طريق البر والبحر فى وقت واحد ، وكأنه بذلك يريد حصار عكا من الجهتين قبل أن يأتيها المدد ، مستفيدا بذلك ما حصل لنابليون ، واستمرت القوات البرية فى فتح المدن ، الواحدة تلو الأخرى ، حتى التقت مع القوات البحرية وضربت الحصار حول مدينة عكا من البر والبحر فى ٢٠ من جمادى الآخرة سنة ١٢٤٧هـ ، ٢٦ نوفمبر سنة ١٨٣١م[1] ، فى نفس الوقت الذى بعث فيه ابراهيم باشا برسالة الى الأمير بشير الشهابى يستحثه فيها على التقدم اليه مع أعوانه ليتداول معه الرأى حول كيفية حصار المدينة ، ولكن الشهابى كان مترددا فى بداية الأمر ، مما جعل ابراهيم باشا يخبر والده بذلك ، فغضب محمد على وكتب إلى الأمير الشهابى يتهدده ويتوعده ان هو تأخر من الحضور لمساعدة ابراهيم باشا ، فسارع بالانخراط هو ورجاله فى قوات ابراهيم باشا ، مما أكسبها قوة ، اذ سرعان ما توحدت الجهود فى حصار المدينة ، وأسندت الأمور فى الجبل الى الأمير بشير الشهابى[2] ،

---

(١) السيد أحمد بن السيد زينى دحلان : الفتوحات الاسلامية بعد مضى الفتوحات النبوية ، ج٢ ، ص ١٩٧ .
، الميرالاى اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ص ٦٨٧ .
، محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٤٤٩ .

(٢) طنوس بن يوسف الشدياق : أخبار الأعيان فى جبل لبنان ، ص ٥٦٧ .
، د . لطيفه محمد سالم : الحكم المصرى فى الشام ... ، ص ٥٠-٥١ .
ــ بشير الشهابى : تولى الحكم فى لبنان من أحمد باشا الجزار ، وكان فى أول أمره مسلما ، ثم اعتنق النصرانية ، وصار مارونيا ، حالف محمد على باشا ضد الدولة العثمانية ، وقد نفاه الانجليز الى مالطة ، وتوفى فى الاستانة سنة ١٨٥٠م .
خليل مردم بك : أعيان القرن الثالث عشر ... ، هامش ص ١١٩ .

بينما حوصرت المدينة من البحر والبر، وقطعت عنها الامدادات من أى جهة واستمرت القوات المصرية فى اتصالها بالثغور المصرية عند الحاجة ، حتى سقطت مدينة عكا فى أيدى قوات ابراهيم باشا فى ٢٧ ذى الحجة سنة ١٢٤٧هـ(١) ، الموافق ٢٧ مايو سنة ١٨٣٢م ، وكان سقوطها بمثابة المفتاح الذى سهل طريق قوات محمد على للاستيلاء على الشام(٢) ، وكان الباب العالى قد اضطرب عند سماعه زحف الجيوش المصرية على الشام ، وطلب من محمد على التوقف من هذه الحرب ، وتقديم طلباته للسلطان ليحكم فيها بينه وبين والى عكا بالطرق السلمية(٣) ، ولكنه لم يستجب لذلك الا بعد أن احتل القسم الجنوبى وطالب بسرعة اقطاعه ولايتى عكا ودمشق (٤) ، عندها غضب السلطان ، وأصدر فرمانا بعصيان محمد على وابنه بناء على فتوى من مشاهير العلماء والمدرسين الذين عقدوا مجلسا بناء على طلب

---

(١) عبد الرحمن الرافعى : عصر محمد على ، ص ٢٢٨ .
، سهيل زكار : بلاد الشام فى القرن ١٩ ، ... ، ص ١٥٤
ويقول فى الهامش ان سقوط مدينة عكا كان فى ٢١ آيار سنة ١٨٣٢م .
(٢) أ . ج . جرانت وهارولد تمبرلى : أوربا فى القرنين ١٩ ، ٢٠ ، ج ١ ، ص ٣٣٤
(٣) الميرالاى اسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٦٨٧ .
، السيد أحمد بن السيد زينى دحلان : الفتوحات الاسلامية بعد مضى الفتوحات النبوية ، ج ٢ ، ص ١٩٧ .
(٤) محمد صبرى : تاريخ مصر الحديث ... ، ص ٦٦ .

السلطان ، وجرد محمد على وابنه من جميع الرتب والمناصب الديوانية(١) ، ثم أصدر السلطان أمرا الى والى حلب عثمان باشا بتجهيز الجيوش ، وايقاف ابراهيم باشا عند حده قبل سقوط عكا ، ولكنه لم يستطع تحقيق ذلك اذ تفوق عليه ابراهيم باشا حين باغته قبل أن يصل الى عكا المحاصرة ، ورده على أعقابه (٢) ، ظهرا بذلك تفوق جيشه على الجيش العثماني الذى وضع فى موقف حرج ، فهو لم يعتد قتال المسلمين ، ولا يقاتل الا الكفار تحت قيادة سلطانه ، ولكن هذه الحرب غيرت مفاهيم الجيش العثمانى .

ثم أرسل الباب العالى جيوشا أخرى تحت قيادة حسين باشا ، وكأنه بذلك يؤكد عزمه على الاستمرار فى الحرب الى أن يخضع هذا التابع الثائر ، فى حين أن محمد على لم يقتنع بعكا حين سقوطها فى أيدى قواته فقد سلمت له دمشق فى ١٤ محرم سنة ١٢٤٨هـ ، ١٥ يونيو سنة ١٨٣٢م ، فى حين أن اسطوله البحرى قد استمر فى فتح مدن السواحل الشامية كاللاذقية وبيروت وصيدا (٣) ، ثم سار ابراهيم باشا بجيوشه والتقى بمقدمة

---

(١) د . عبد العزيز الشناوى : الدولة العثمانية دولة اسلامية .. ، ج ١ ، ص ٤١؛ ، صبحى وحيده : فى أصول المسألة المصرية ، ص ١٤٣ .

(٢) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٤٤٩ .

(٣) د . محمد كمال الدسوقى : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، ص ١٦٥ .

جيوش حسين باشا عند مدينة حمص ، وانتصر عليها ، ثم دخل مدينة حلب في شهر صفر سنة ١٢٤٨هـ ، الموافق يوليو سنة ١٨٣٢م ، وقد كان لسقوط عكا وحلب تأثيرا على أفكار محمد على باشا ، وعلى تطور أهدافه وأطماعه التوسعية ، اذ نراه حين يرسل للجند الثائرين في مكة يتساءل باستغراب واستعلاء عن أهدافهم من هذه الثورة ، وجيوشه قد فتحت عكا وحلب ، وكأنه يؤكد لهم بذلك أنه صاحب الأمر في الشام وفي الحجاز[١] في نفس الوقت الذى يرسل المدد والدعم المادى والعسكرى لابنه ابراهيم باشا ، للسير في طريق الحرب للسيطرة على الشام[٢].

ولما علم حسين باشا بانهزام مقدمة جيوشه في حمص ، وسقوط مدينة حلب ، تقهقر الى الخلف ، وتحصن في مضيق بيلان بجبال طوروس[٣] ، علله بذلك يستطيع تنظيم صفوف جيشه والتغلب على جيوش ابراهيم باشا ، ولكنه

---

(١) وثيقة رقم ٨٢٤ ، دفتر ٤٠ معية تركى ، ص ١٣٠ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة.

2-Document:(I.O.R.)L/P,S/9/95, No.31, 52, 53.

(٣) تقع مدينة بيلان جنوبي الاسكندرونة ، وشمالي المضيق والجبل المعروفين باسمها ، ويصل اليها طريقان ، طريق من كليس ، وطريق من أنطاكية ، ويقترب الطريقان في سفح الجبل ، بحيث يفصل بينهما نحو ثلاثة آلاف متر ، ثم يلتقيان في المضيق جنوبي بيلان ، فيصبحان طريقا واحدة تصل الى المدينة .
عبد الرحمن الرافعي : عصر محمد على ، ص ٢٣٧ .

لم ينل طائلا من تلك المعركة ، بل كان النصر حليفا لابراهيم باشا الذى استطاع حسم الموقف لصالحه فى ٢٧ صفر سنة ١٢٤٨هـ ، الموافق ٢٩ يوليو سنة ١٨٣٢م ، عندها عاد حسين باشا الى الوراء متخليا بذلك عن أهم المواقع الاستراتيجية للسيطرة على سوريا الشمالية.(١)

انفتح بذلك الباب أمام جيوش ابراهيم باشا للسيطرة على آسيا الصغرى ، عند ذلك دعت الدولة العثمانية أعظم قادتها وأشهرهم ، الصدر الأعظم رشيد محمد باشا ، وأسندت اليه قيادة الجيش العثمانى لصد ابراهيم باشا ، ولكنه وقع أسيرا بيد الخيالة المصريين ، نتيجة لسوء الأحوال الجوية التى ساعدت على دخوله اليهم ظانا أنهم من عساكره ، وعند انتشار الخبر بين جنده ، اختل نظامهم وانهزموا فى تلك المعركة فى الثامن والعشرين من شهر رجب سنة ١٢٤٨هـ ، الموافق ٢١ ديسمبر سنة ١٨٣٢م ، وهى معركة قونية الشهيرة(٢) ، والتى تعتبر تحولا حاسما فى

---

(١) السيد أحمد بن السيد زينى دحلان : الفتوحات الاسلامية بعد مضى الفتوحات النبوية ، ج٢ ، ص١٩٧ .
، د . على حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص١٣٥ .

(٢) الميرالاى اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج١ ، ص٢٨٧ .
، محمد صبرى : تاريخ مصر الحديث ... ، ص٦٦-٦٧ .
، د . لطيفة محمد سالم : الحكم المصرى فى الشام... ، ص٥٥ .
، جرجى زيدان : تاريخ مصر الحديث من الفتح الاسلامى الى هذا العصر ، ج٢ ، ص١٦٩ .

فى حروب الشام الأولى التى خاضها محمد على ضد الدولة العثمانية ،لما ترتب عليها من نتائج وتبعات جعلت أبواب القسطنطينية مفتوحة أمام هذا التابع القوى ، وبالتالى فتحت المجال أمام الدول الأوروبية لتحقيق أطماعها المبيتة ضد الدولة العثمانية ، مما يعنى أن انفتاح الطريق أمام جيوش ابراهيم باشا الى عاصمة الدولة ، ومضيقى البوسفور والدردنيل هو انفتاح لطريق الخطر الذى يهدد الدولة العثمانية. (١)

وعلى الرغم من أن السلطان محمود الثانى يعتبر من أعلام الاصلاح العثمانى ، وهو منشئ العساكر المنصورة المحمدية التى شكلها بعد قضائه على الانكشارية ، الا أن حروب الشام الأولى قد جاءت فى وقت مبكر ،لم تجد الدولة الفرصة الكاملة لبناء عساكرها الجديدة ، مما أتاح لمحمد على الانتصار فى تلك الحروب. (٢) .

وكأن محمود الثانى قد خالفه التوفيق فى توقيت القضاء على الانكشارية اذ أن الفراغ الناشئ عن اختفائها مع عدم وجود البديل القوى قد فتح

---

(١) ج.ج. لوريمر : دليل الخليج ، القسم التاريخى ، ج٣ ،ص ١٦٢٠ . ، بيير رنوفان : تاريخ العلاقات الدولية فى القرن ١٩ ، القسم الأول ، ص ١٣٢-١٣٣ .

(٢) د. عبدالعزيز محمد عوض : التنظيمات العثمانية فى الولايات العربية ، مجلة الدارة ، عدد ٣ ،السنة ٣ ، ص ٨٤ .

على الدولة أبوابا لم تستطع اقفالها ، فثورات اليونان ، وحروب روسيا التى أعقبتها ، ثم نزول فرنسا الى الجزائر سنة ١٢٤٦هـ/ ١٨٣٠م ، وأخيرا حروب محمد على فى الشام ، كلها أحداث جسام ،أحاطت بالدولة العثمانية ،منتهزة هذا الفراغ لتصل الى أهدافها من خلال هذا الارتباك الذى تعيشه الدولة ، وعلى أية حال فقد تقدم ابراهيم باشا ليحتل كوتاهيه فى أواخر عام ١٢٤٨هـ، أوائل عام ١٨٣٣م، والتى تبعد ١٥٠ ميلا من استانبول (١) ، عندئذ لم يجد السلطان العثمانى بدا من الارتماء فى أحضان عدوه التقليدى قيصر روسيا ، الذى كان قد أرسل القائد مورافيف Mouravieff ، الى السلطان مبديا استعداده للوقوف فى وجه محمد على ، وحماية الدولة من أطماعه ، ولكن السلطان حينذاك كان يطمع خيرا فى بريطانيا وفرنسا ، وعندما لم يجد ذلك استجاب لمساعدة روسيا ضد تابعه القوى. (٢)

---

(١) عبد الرحمن الرافعى : عصر محمد على ،ص ٢٥٥.
، د. سليمان محمد الغنام : قراءة جديدة لسياسة محمد على باشا التوسعية ... ، ص ٩٢.

(٢) د. السيد رجب حراز : المدخل الى تاريخ مصر الحديث.. ،ص ٢٦٦-٢٦٧.
، بيير رنوفان : تاريخ العلاقات الدولية فى القرن ١٩ ،القسم الأول ، ص ١٣٢-١٣٣.

توقفت عندئذ قوات الباشا وقررت التراجع الى الوراء بعد أن شاهدت تحركات الأسطول الروسي باتجاه الشاطئ الآسيوي للبوسفور (١) ، مدركة بذلك خطورة الموقف وماسيعقبه من تدخل الدول الأوروبية ، لا سيما وأن السلطان محمود الثاني كان في موقف لا يحسد عليه ، وأصبحت دولته تخضع للحماية الروسية المطلقة ، مما جعل مركزه يتضعضع أمام الدول الأوروبية ، وكذلك في نظر العالم الاسلامي ، مما هيأ الفرصة لمحمد على لاستغلال ذلك في شن الحروب النفسية ضد السلطان والباب العالي ثم بدأ في سن الأنظمة في الشام على النمط الحديث ، فأقام المجالس الدنية والعسكرية لمدن الشام ، ووضع نظاما للخراج على غرار النظام القائم في مصر ، وعين محافظين للمدن الشامية ، مدعما بذلك أركان حكومته في مختلف مدن الشام التي أخضعها لولايته (٢) ، حتى أنه بدأ يسند المناصب الى أقربائه ورجاله المخلصين ليضمن ولاءهم له ولحكومته (٣)

---

(١) صبحي وحيده : في أصول المسألة المصرية ، ص ١٤٥ .
، جون .ب. كيلي : بريطانيا والخليج ... ، ج ١ ، ص ٤٧٢ .

(٢) سهيل زكار : بلاد الشام في القرن ١٩ دراسة وتحقيق مشهد العيان بحوادث سوريا ولبنان ، د . ميخائيل مشاقه ، ص ١٥٢ .
، طنوس بن يوسف الشدياق : أخبار الأعيان في جبل لبنان ، ص ٥٧٥ .

(٣) سهيل زكار : المرجع السابق ، ص ١٦٢-١٦٣ .

كانت الأمور في الشام أن تستقر لمحمد على ، ولكنه أجهض على هذا الاستقرار باصداره الأوامر الى ابنه ابراهيم باشا بتطبيق نظام التجنيد في الشام قياسا على ما هو معمول به في مصر ، وفرض الضرائب الشخصية حتى على المسلمين الذين لم يكونوا يدفعونها للدولة العثمانية ، ثم تطبيقه لنظام الاحتكار على المنتجات الشامية ، وزاد الأمر سوءا وتدهورا قراره بتجريد أهل الشام من السلاح (١) ، لا سيما وأنه في قراره هذا قد استأثر طائفة النصارى على الدروز حين أخذ أسلحة الدروز وقلدها للنصارى (٢) ، وكأن الوجود المصرى في الشام في تلك الفترة قد أوجد معه بذور العداء بين الدروز والنصارى ، لكي يتمكن من السيطرة على مقاليد الأمور في الاقليم (٣) ، الا أنه بذلك فتح صفحة جديدة من الصراع جعل موقف حكومة ابراهيم باشا حينذاك ، في وضع لا يسمح لها بالتوسع شرقا أو شمالا ، مما حال دون تحقيق أهداف محمد على وأطماعه التوسعية اذ أن جل جهد هذه القوات قد صرف في كبح جماح الثورات التي ما فتئت

---

(١) محمد كرد على : خطط الشام ، ج ٣ ، ص ٥٨-٦٣ .
، جرجي زيدان : تاريخ مصر الحديث ... ، ج ٢ ، ص ١٧٠ .

(٢) مخطوطة ، نوادر الزمان في وقائع جبل لبنان ، تأليف اسكندر ابكاريوس اسكندر ، ورقة ٥ .

(٣) فيليب وفريد الخازن : مجموعة المحررات السياسية والمفاوضات الدولية مجلد ١ ، ص ٤ .

أن قامت بين الفينة والأخرى في مختلف نواحي الشام (١) ، ولنا هنا أن نستكشف الأهداف والغايات التي كان يرمى الى تحقيقها محمد على باشا من غزوه للشام ، خاصة وهو يسيطر على مصر والسودان ، وله جيوش قوية في شبه الجزيرة العربية ، وبدأ في تدعيمها عند ثورة الجند الغير نظاميين حتى سيطر على الحديدة ومخا في اليمن. (٢)

معظم المؤرخين ذهبوا الى القول بأن تلك الحرب هي بداية للحركة القومية العربية ، وأن الباشا كان يخطط لاقامة امبراطورية عربية ، بحكم أنه يسيطر على الجزء العربي من الدولة العثمانية ، حتى أنهم قد استغربوا على الباشا عدم الاقدام على اعلان استقلاله ، واعلان دولته العربية (٣) ، وكأنهم بذلك يستندون الى التصريحات التي أطلقها ابراهيم باشا ابان حصاره لمدينة عكا ، والتي ألمح من خلالها أنه سيسير بهذه الحرب الى مدى مايتكلم الناس ، ويتفاهم هو معهم باللسان العربي على حد قوله (٤) ،

(١) ميخائيل شاروبيم بك : الكافي في تاريخ مصر القديم والحديث ص٦٢ .

2- Document:F.O.78/227.No.24;60952.

، وثيقة رقم ٥٦ ، دفتر ٤٤ معية تركى ، ص ٣٤ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة.

(٣) جرجي زيدان : تاريخ مصر الحديث ، ج ٢ ، ص ١٦٧ .

، سهيل زكار : بلاد الشام في القرن ١٩ ... ، ص ٢٠٤-٢٠٥ .

، محمد كرد على : خطط الشام ، ج ٣ ، ص ٦٧ .

(٤) عبد الرحمن الرافعي : عصر محمد على ، ص ٢١٩ .

ولكن الشيء الذى نستطيع أن نقرره هنا ، أن محمد على الذى شب تحت سماء الدولة العثمانية ، وأخلص لها ، وقام بمشروعه هذا وهو يحتفظ بعثمانيته ويعتز بها [1] ، لم يكن يشعر تجاه الدولة العثمانية بنفس شعور ابنه ابراهيم ، الذى كان لا يهمه اسقاط الدولة العثمانية ، أو اصلاحها ، بقدر ما يهمه تحقيق آماله وطموحاته ، وكأن تلك الحرب التى يخوضها فى الشام هى الضمان الوحيد لمستقبل أسرته وبقائها فى السلطة[2] ، فى حين أن محمد على باشا كان يرمى الى تحقيق " هدفه الأول وهو الحصول على حق وراثة سلطته ... ، وكان يرغب بطبيعة الحال فى ترك الدولة التى أنشأها لابنه ، وكان يرغب كذلك فى أن يحصل على اعتراف قانونى ... ، بالاستقلال الذى حصل عليه بالفعل ... ، وكل ذلك مع علمه بضرورة التحرك بحذر فى هذا الميدان ، اذ أنه قد يغضب كبار موظفيه وضباطه الأتراك" [3] ، فهو اذا مسلم عثمانى تابع للسلطان من الناحية القانونية على الأقل ، وهو يحبذ ذلك ، حتى أننا نجده يرفض الخطبة باسمه فى الصلاة ، ويرفض

---

(١) د . محمد فؤاد شكرى وآخرون : بناء دولة مصر محمد على " السياسة الداخلية ، ص ٢٤١ .
، جورج أنطونيوس : يقظة العرب ، ص ٨٩ .

(٢) صبحى وحيده : فى أصول المسألة المصرية ، ص ١٤٥ .

(٣) بيير رنوفان : تاريخ العلاقات الدولية فى القرن ١٩ ، القسم الأول ، ص ١٣٠ .

سلك العطية باسمه بعد استيلائه على حلب وحمص وميلان (١) ، على الرغم مما عرف عنه من شدة الطموح ، ورغبته الجامحة فى تدعيم مركزه ، وتحقيق آماله العريضة فى استئثاره بالحكم وتوريثه فى أسرته (٢) ، وكأنه بذلك قد سخر دهاءه السياسى ليدخل حلبة المناورة مع الساسة البريطانيين الذين كانوا فى صراع سياسى كبير مع الفرنسيين والروس(٣) ، خاصة أنه يدرك أن المناطق التى يسيطر عليها سواء فى الشام أو فى الجزيرة العربية هى الطرق المفضلة لتجارة بريطانيا مع الهند ، ومصالحها الاستراتيجية فى الخليج العربى .

---

(١) د .أحمد مصطفى أبوحاكمه : تاريخ الكويت ، القسم الأول ، ج ٢ ، ص ١١٣
، د . لطيفه محمد سالم : الحكم المصرى فى الشام ... ، ص ١٦ .

(٢) د . محمد فؤاد شكرى وآخرون : بناء دولة مصر محمد على "السياسة الداخلية" ، ص ١٤٨ .
، د . محمد فؤاد شكرى : مصر والسودان ... الوضع التاريخى للمسألة ، ص ١٧ .

(٣) حسين مؤنس : الشرق الاسلامى فى العصر الحديث ، ص ١٦٩ .

كانت كوتاهيه هى محط الرحال لقوات الباشا التى يقودها ابنه ابراهيم باشا والذى استطاع أن يحقق نصرا حاسما على الجيش العثمانى فى قونية فى الثامن والعشرين من شهر رجب سنة ١٢٤٨هـ ، الحادى والعشرين من ديسمبر سنة ١٨٣٢م ، وبات منذئذ يهدد العاصمة العثمانية التى لا تبعد عن مقر قواته أكثر من مائتى كيلو متر(١) .

وكان السلطان العثمانى حينذاك فى موقف لا يحسد عليه ، فقواته الجديدة التى حلت محل الانكشارية التى قضى عليها سنة ١٢٤٢هـ/١٨٢٦م لم تكن قد وصلت بعد للمستوى العسكرى الذى تستطيع من خلاله حماية أملاك الدولة أمام أطماع محمد على وأهدافه التوسعية ، والذى بدأ يلح على ولده ابراهيم باشا بالمضى قدما ، وعدم الخضوع لرغبات السلطان فى اجراء مفاوضات سلمية لايقاف نار الحرب. (٢)

ناهيك من عدوه التقليدى الذى يقبع على الحدود الشمالية للدولة ، منتظرا الفرصة التى تمكنه من الدخول الى المضايق العثمانية فى البسفور

---

(١) د .أحمد السعيد سليمان : تاريخ الدول الاسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ، ص ١٦٦ .
، أمين سعيد : تاريخ الدولة السعودية ... ، ص ١٥٢ .

(٢) ميخائيل شاروبيم بك ، الكافى فى تاريخ مصر القديم والحديث ،ص ٥٣ ، جورج أنطونيوس : يقظة العرب ، ص ٨٥ .

والد ردنيل ، فصار السلطان العثماني بين عدوين ،تابعه القوى الثائر عليه ، والذى يهدده من الجنوب ، وعدوه التقليدى الروسى ، الذى يهدده من الشمال ،فلم يجد عندئذ بدا من اللجوء الى بريطانيا ، علها توقف محمد على عن هذه الحرب ، ويبدو أن بريطانيا فى تلك الفترة كانت مهتمة بما هو أهم فى نظرها من مشكلة الباشا والدولة العثمانية(١) ، أو فلنقل أن سياستها لم تكن قد تبلورت ازاء هذه المشكلة ، وكأن الاختلاف الذى حصل بين السفير البريطانى فى القسطنطينية ستراتفورد كاننج Startford Canning ووزير خارجيتها اللورد بالمرستون Lord Palmerston فى وجهات نظرهما هو تأكيد لما ذهبنا اليه ، فالأول طلب الوقوف الى جانب الدولة العثمانية وايقاف محمد على عند حده ، ولكن الثانى لم يبد أى اهتمام جدى بهذا الموضوع(٢) ، مكتفيا باسداء النصح الى السلطان العثماني بمصالحة تابعه الثائر دون تدخل من الخارج (٣) ، ناهيك من العلاقات الودية التى كان محمد على يصبغ بها سياسته مع بريطانيا ليحاول من خلالها

---

(١) جورج كيرك ، موجز تاريخ الشرق الأوسط ، ص ١١٩ .
، بيير رنوفان : تاريخ العلاقات الدولية فى القرن ١٩ ، القسم الأول ، ص ١٣٢ .

(٢) أ . ج . جرانت وهارولد تمبرلى : أوربا فى القرنين ١٩ ، ٢٠ ، ج ١ ، ص ٣٣٤

(٣) د . السيد رجب حراز : المدخل الى تاريخ مصر الحديث ... ، ص ٢٦٧

تحقيق أهدافه دون الاصطدام بها ، ويؤكد لها بين الفينة والأخرى أنه مخلص للدولة العثمانية ، وأنه لم يرد الا الوقوف أمام روسيا التى تحاول السيطـــرة على الدولة العثمانية مستغلة أوضاعها حينذاك (١) ، وعند ذلك أسقـــط فى يد السلطان ، خاصة وهو يعرف أن فرنسا لن تضحى بمحمد على لصالحه هو ،فلم يجد بدا من الالتجاء الى روسيا عدوته التقليدية ، وقبل عند ذلك العرض الروسى الذى كان قد تقدم به القائد الروسى مورافيف Mouravieff والذى قدم الى عاصمة الدولة ،عارضا استعداد بلاده بوضع اسطولها تحت تصرف السلطان . (٢)

بالرغم من ادراك الروسيا لما قد يسببه تدخلها هذا من قلق فـــى الأوساط الأوروبية قد يجر أوروبا بكاملها الى حرب عامة ، الا أن خشيتهـــا من مخططات محمد على باشا ، الذى اقترب بقواته من عاصمة الدولة ،وما قد ينتج عنها من وضع دولى معقد ،جعلها تستجيب لطلبات السلطان ، بـــل تعرض خدماتها عليه (٣) ، وعند ذلك ظهر الأسطول الروسى ولأول مرة أمام

1- Document : F.O. 78/227, No.28.60952.

(٢) بيير رنوفان : تاريخ العلاقات الدولية فى القرن ١٩ ،القسم الأول ،ص١٣٢
،د .السيد رجب حراز: المدخل الى تاريخ مصر الحديث ... ،ص ٢٦٧

(٣) جون .ب.كيلى : بريطانيا والخليج ... ،ج ١ ،ص ٤٧٣ .
، محمد صبرى : تاريخ مصر الحديث ... ، ص ٦٩.

شاطئ القسطنطينية ،وتم انزال ستة آلاف جندى روسى فى الشاطـــئ الآسيوى المواجه للعاصمة العثمانية(١) ، عندها فزعت بريطانيا وفرنسا من هذا التدخل ، وما قد ينجم عنه من سيطرة روسية على الدولة العثمانية مما اضطرهما الى الاتفاق فيما بينهما ليتدخلا فى الأمر (٢) ، ولكنهما فضلتا فى البداية أن يكون فض الخلاف بين السلطان وتابعه بالطرق الدبلوماسية فأرسلت فرنسا البارون دى بوالكنت Baron, de Boisle Comte الى محمد على لاقناعه بضرورة تعجيل الصلح مع السلطان (٣) ، فى الوقت الذى أرسلت فيه الأميرال روسان Roussin سفيرا لها فى الأستانـــة لفض هذا الخلاف (٤).

أما بريطانيا فقد شعرت بانعدام التفاهم بين الباشا وقنصلها فى مصر باركر Barker، مما يعنى صعوبة التوصل الى حل سلمى عن طريق هذا القنصل ، فعمدت الى تعيين قنصل جديد يحل محله ، هو الكولونيل

---

(١) أ .ج .جرانت وهارولد تمبرلى : أوروبا فى القرنين ١٩ ، ٢٠ ،ج ١ ،ص ٣٢
(٢) جورج كيرك : موجز تاريخ الشرق الأوسط ، ص ١١٩ .
(٣) د . محمد كمال الدسوقى : تاريخ أوروبا الحديث ، ١٨٠٠ - ١٩١٨م ، ص ٩٢ .
(٤) عبد الرحمن الرافعى : عصر محمد على ، ص ٢٥٣ .

باتريك كامبل Colonel, Patrick., Campbell (١) ، ثم تدخلت النمسا الى جانب بريطانيا وفرنسا ، وأرسلت بروكش أوستن Prokesh, Osten الى مصر ، ليبذل مساعيه لدى الباشا لايقاف الحرب ، والخضوع للسلطان ،(٢) ولكن بريطانيا التى أزعجها التواجد الروسى على شواطئ البوسفور ، والتى لم تر بدا من ابعاده من هذا المضيق الهام ، وبالتالي من الدولة العثمانية بشكل عام (٣) ، لم تنتظر نتائج الجهود الدبلوماسية التى تبذل على هذا الصعيد ، بل أرسلت اسطولها الى ميناء الاسكندرية ، لتلوح للباشا بضرورة الصلح مع السلطان (٤) ، وكأنها بذلك تعيده لأحداث ثورة اليونان ، وكيف كانت مواقف أوروبا تجاهه وقد استغلت فرنسا هذا الاجراء البريطاني وأسرت به للباشا ، طالبة منه سرعة الاستجابة للجهود الدبلوماسية حفاظا على مكانته وسمعته التى بلغها (٥).

وبذلك أرغمت الدول الأوروبية ، وبالذات فرنسا وبريطانيا محمد على باشا للاذعان لايقاف الحرب ، وتقرير قاعدة للصلح بينه وبين السلطان العثماني (٦) ، وهذا بطبيعة الحال " ليس حبا فى الدولة ولا فى مصر

---

(١) د . محمد فؤاد شكرى وآخرون : بناء دولة مصر محمد على " السياسة الداخلية) ، ص ٧٤٨-٧٤٩ .

(٢) جون . ب . كيلى : بريطانيا والخليج ، ج ١ ، ص ٤٧٣ .

3- Document : F.O.78/227. 60952. 24/5/1833.

(٤) محمد صبرى : تاريخ مصر الحديث ... ، ص ٧٠ .

(٥) د . محمد فؤاد شكرى وآخرون : المرجع السابق ، ص ٢١٥ .

(٦) ميخائيل شاروبيم بك : الكافى فى تاريخ مصر القديم والحديث ، ص ٥٣-٥٤

بل لأطماعهم السياسية ومقاصدهم الخصوصية "(١).

على الرغم من أن محمد على قد أبدى استياءه من هذا الموقف فى رده على الأميرال روسان Roussin السفير الفرنسى فى القسطنطينية فى النصف الأخير من شهر رمضان سنة ١٢٤٨هـ ، الموافق ٨ مارس سنة ١٨٣٣م(٢) ، والذى كان قد أوضح للباشا أهم خطوط هذا الصلح حين قال : " ... وسيقدم عليك خليل باشا مبعوثا من قبل السلطان ، ومعه شروط الصلح التى تقررت قاعدتها ، فلا تأباها عليه ، ولا تشط فى الطلب فتدفع بدولة الروس الى ابتلاع مملكة سلطانك ،ـ الى أن قال ـ واقبل من سلطانك ما تنازل لك منه ، فقد عفا عنك وولاك حكم عكا وجميع أراضى بيت المقدس والشام ونابلس واياك والطمع ، فانه يجلب عليك وعلى بلادك وبالا ونكالا ، واعلم أن دولة الفرنسيس ـ يقصد فرنسا ـ التى هذبت رجالك ، وعلمت فنون الحرب لأبطالك هى التى أشارت بعقد رباط هذا الصلح ... "(٣)

من هنا نستطيع أن نقول ان ايقاف الحروب وما نتج عنه بعد ذلك من اتفاق بين السلطان ومحمد على هو موقف أرغم عليه الجانبان (٤) من طرف

---

(١) الميرالاى اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج١ ، ص ٦٨٧ .
(٢) عبد الرحمن الرافعى : عصر محمد على ، ص ٢٥٣ .
(٣) ميخائيل شاروبيم بك : الكافى فى تاريخ مصر القديم والحديث ، ص ٨٥
(٤) خليل مردم بك : أعيان القرن الثالث عشر فى الفكر والسياسة والاجتماع ، ص ١٠٩ ، رزق الله منقريوس الصدفى : تاريخ دول الاسلام ... ، ج٣ ، ص ٣١٩ .

ثالث ينشد تحقيق مصلحته هو - وهى أوروبا بشكل عام ، وبريطانيا وفرنسا بشكل خاص - ، ومهما يكن من أمر فقد أبرمت اتفاقية كوتاهيه فى السابع عشر من ذو القعدة سنة ١٢٤٨هـ ، الثامن من أبريل سنة ١٨٣٣م ، والتى صدر فرمان سلطانى بالمصادقة عليها فى نهاية شهر ذى الحجة سنة ١٢٤٨هـ ، أوائل شهر مايو سنة ١٨٣٣م [1] ، والتى تنازل السلطان بموجبها عن مصر والشام وكريت لمحمد على ، وثبت ابنه ابراهيم باشا فى باشوية جدة ، وولاية الحبش ، وكذلك ادارة موانئ أطنه . [2]

عند ذلك انسحبت جيوش ابراهيم باشا الى الشام ، وقررت التراجع من الأناضول ، وسحبت القوات الروسية من الأراضى العثمانية ، والتى جاءت للوقوف أمام تقدم جيوش الباشا [3] ، الا أن هذا الانسحاب الروسى قد أعقب بمعاهدة تحالف دفاعى بين الدولة العثمانية وروسيا ، وهى معاهدة انكيار سكليسى Unkiar-Skeless ، المعقودة فى أواخر شهر صفر سنة ١٢٤٩هـ الثامن من يوليو سنة ١٨٣٣م [4] ، والتى تقع فى ست مواد ، ومادة سرية مستقلة

---

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٤٥١ .

2- Document : F.O. 78/227.No.9.60952.

، أ.ج.جرانت وهارولد تمبرلى : أوروبا فى القرنين ١٩ ، ٢٠ ، ج ١ ص ٣٣٥

(٣) جون.ب.كيلى : بريطانيا والخليج ... ، ج ١ ، ص ٤٧٣ .

(٤) د . محمد كمال الدسوقى : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، ص ١٧١ .

تعتبر أهم مواد تلك المعاهدة ، اذ أنها تنص على اقفال مضيق الدردنيل أمام أى سفينة حربية أجنبية (١) ، وكأنها بذلك قد دقت ناقوس الخطر أمام السياسة البريطانية ، ولمدة ثمانية أعوام قادمة هى مدة هذه المعاهدة(٢)، لا سيما وأن اقدام الدولة العثمانية على عقد هذه المعاهدة يؤكد بما لا يدع مجالا للشك على أنها لم تعقد اتفاقية كوتاهية مع الباشا الا مرغمة على ذلك ، لتستكمل بذلك استعداداتها العسكرية والمعنوية ، وتقف فى وجه هذا التابع القوى الذى بدأ يهدد ممتلكات الدولة(٣) ، والذى لم تقف الدول الأوروبية فى وجهه الا بعد أن اقتطع جزءا ثمينا من ممتلكات الدولة ، ساعدت تلك الدول على منحه اياه لكى يوقف الحرب التى بدأها ، والتى لا يمكن معرفة النتائج التى ستترتب عليها ،لذا فان الدولة العثمانية تعتبر معاهدة كوتاهيه بمثابة الهدنة المسلحة ، المرغوب فيها بلا شك من جانبها بشكل كبير(٤) ، ومعاهدة انكيار سكليسى Unkiar-Skelessi

(١) محمد صبرى : تاريخ مصر الحديث ... ،ص ٧٠ .
، د . سليمان بن محمد الغنام : قراءة جديدة لسياسة محمد على باشا التوسعية ... ، ص ١٥٢ .

(٢) جون . ب . كيلى : بريطانيا والخليج ... ،ج ١ ،ص ٤٧٤ .

(٣) د . على حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٣٦ .

(٤) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ،ص ٤٥١ .

تساعد الدولة العثمانية فى الوصول الى أهدافها العسكرية والسياسية التى بنتها على معاهدة كوتاهية .

من هنا بدأت السياسة البريطانية تشعر بخطورة الموقف ، ومدى ما تجنيه روسيا من نتائج ايجابية تجعلها صاحبة حق مطلق فى التدخل فى شئون الدولة العثمانية ، مما جعل ملامح تلك السياسة تبدو على وزير خارجيتها اللورد بالمرستون Lord,Palmerston الذى بدأت عليه علامات البغضاء والكراهية ضد محمد على باشا منذ ذلك التاريخ ، لقناعته بأن السبب المباشر فى اعطاء الروس هذه الفرصة الثمينة هو حروب محمد على وسياسته التوسعية فى الشام (١) ، فبدأ يتقرب الى الدولة العثمانية التى لم تكن خالصة النية فى عقد معاهدة كوتاهية (٢) ، مريدا بذلك نسف معاهدة انكيار سكليسى Unkiar-Skelessi، وكل ما له علاقة باستمرارها ، وكان ذلك دون شك يتوافق مع رغبات السلطان العثمانى ، خاصة معاهدة كوتاهية التى اقتطعت أجزاء غالية وثمينة من دولته (٣) ، بالاضافة الى أطماع محمد على

---

(١) جون . ب . كيلى : بريطانيا والخليج ، ج ١، ص ٤٧٢ .

(٢) عبدالرحمن الرافعى عصر محمد على ، ص ٢٥٧ .

(٣) د . محمد كمال الدسوقى : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، ص ١٧٠ . ، د . عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم : تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، ص ١٦٠ .

التى سيحققها دون شك أثناء سريان هذه المعاهدة ، والتى أصبحت الدولة العثمانية بعدها غير مهيأة لدخول الحرب ، سواء من الناحية النفسية أو المادية (١) ، فى حين أن القوة العسكرية والمعنوية لدى جيوش محمد على قد بلغت أوجها بعد تلك المعاهدة ، مما يعنى أنه باستطاعة محمد على تنفيذ أهدافه التوسعية التى رسمها فى مخيلته ، دون أن يبوح بها لأحد من أصدقائه الأوروبيين ، خاصة فيما يتعلق منها بالجزيرة العربية ، سواء فى الجنوب الغربى منها وبالذات ميناء عدن الهام (٢) ، وما يتبعه من مناطق حيوية واقتصادية يدرك الباشا مردوداتها على قوته العسكرية والاقتصادية أو الوصول الى مياه الخليج العربى فى شرقى شبه الجزيرة العربية ، والسيطرة على هذا الممر الاستراتيجى المهم ، ليحقق بالتالى السيطرة الكاملة على وسط الجزيرة العربية (٣) ، ثم الصعود الى بغداد والبصرة (٤) ، وهو فعلا ما حاول الباشا تنفيذه خلال السنوات التى أعقبت معاهدة كوتاهية

1- Document: F.O. 78/247. P.P.109-120.

2- Document: F.O. 78/227. No. 28; 60952.

، سيديو : خلاصة تاريخ العرب ، ص ٢٨٥ .

(٣) د . محمد عرابى نخلة : تاريخ الاحساء السياسى ... ، ص ٨٤

4- Document: F.O. 78/228. No.72; 60952.

والذى سنتطرق له فى فصول لاحقة من هذا البحث بشئ من التفصيـــل ، ولكن الشئ الذى نستطيع أن نقرره هنـا هو أن هذه المعاهدة لم تكن لترضى الطرفين ،فالسلطان لم يقبل بها أساساالا ليتمكن من الاستعداد للحرب والانقضاض على جيوش محمد على واستعادة سوريا فى أول فرصة مواتيـــة ، وهو ما توافق مع سياسة بريطانيا بشكل مباشر[1] ،فى نفس الوقت الذى لـم يقبل بها محمد على الا ليكسب شيئا من الوقت علـه يستطيع تغيير موقف دول أوربا تجاهه ، خاصة وأنها قد ضغطت عليه فى بداية الأمر حتى قبل التوقيع على تلك المعاهدة[2] ، كما أنه يأمل أن يدعم أركان دولته الجديدة ويؤمن حدودها ،ويدعم قواته البرية والبحرية ، لادراكه بما يبيته له السلطان العثمانى بعد هذه المعاهدة[3].

---

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ... ، ص ٤٥١ .
، د . عبدالعزيز نوار : مصر والخليج العربى فى القرن ١٩ ، مجلـــة الهلال المصرية ، عدد ١١ ، السنة ٧٢ ، ص ١٦٢ .

(٢) د . السيد رجب حراز : المدخل الى تاريخ مصر الحديث... ،ص ٢٦٨

(٣) الميرالاى اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحـــار ، ج ١ ،ص ٦٨٧-٦٨٨ .

، د . محمد عبداللطيف البحراوى : حركة الاصلاح العثمانى فى عصـــر السلطان محمود الثانى ... ، ص ١٥٤ .

ويعنى هذا أن كلا من السلطان العثمانى ومحمد على باشا قد بنى آمالا عريضة على تلك المعاهدة ، وفعلا تم لهما بعض الشئ الذى خططا من أجله ، ولكن بصورة جزئية ، اذ أن تدخل الدول الأوروبية وبالذات بريطانيا قد فوت على محمد على آماله وطموحاته التى عقدها على هذه المعاهدة ، بالاضافة الى سوء الادارة التى اتبعتها حكومته فى الشام، خاصة فيما يتعلق بنظام الاحتكار والتجنيد ، والتى حاول الباشا تطبيقها فى الشام ، مما جعل الثورات تشتعل هنا وهناك ، محملة حكومة محمد على أعباء جديدة لتنصرف عن أهدافها الأساسية فى كبح جماح هذه الثورات[١] ، وكأنها بذلك تقف عائقا دون تحقيق الباشا لأطماعه التوسعية فى الجزيرة العربية ، التى بدأها بحملاته ضد الجنود الألبان الذين ثاروا عليه فى مكة ، وطاردهم حتى قضى عليهم ، واستولى على أجزاء مهمة من اليمن ، مؤكدا لدولاته فى الحجاز أنه قد توصل مع السلطان الى ابرام معاهدة حرب بصفة دائمة ، ليستحثهم على مواصلة تدعيم نفوذه فى الجزيرة العربية[٢] ، مستغلا هذا الهدوء النسبى الذى نتج من معاهدة كوتاهية.[٣]

---

(١) عبد الرحمن الرافعى : عصر محمد على ، ص ٢٦٨-٢٦٩ .
، محمد كرد على : خطط الشام ، ج ٣ ، ص ٥٦ .

2- Document: F.O. 78/227. No.10; 60952
, Document :F.O.78/227.No.24: 60952.

(٣) د . عبد الله بن عباس الخصوصى : محمد على والخليج العربى ، مجلة كلية الآداب والتربية ، جامعة الكويت ، عدد ٥ ، سنة ١٩٧٤م ، ص ١٠٢

وقد قرر محمد على منذ ذلك ارسال حملات عسكرية الى وسط وشرقى الجزيرة العربية(١) ، التى كادت أن تنعم بنوع من الاستقرار والهدوء الأمنى ابان حرب الشام الأولى ، والتى تسلم فيها الامام فيصل بن تركى مقاليد الأمور ، محاولا تدعيم سلطته ، واعادة حكم أسرته الى المنطقة ، لا سيما وأن أهل البلاد كانوا فى أمس الحاجة الى عودة البيت السعودى للحكم ، نظرا لما عانوه من ويلات التمزق الاجتماعى ، والتدهور الاقتصادى وفقدان الأمن والاستقرار فى ربوع بلادهم منذ سقوط الدرعية على أيدى قوات الباشا .

ولكن يبدو أن محمد على الذى يحارب هذه المرة لنفسه هو ، ويرسل الحملات العسكرية لأهدافه الشخصية ، قد أدرك فى سبيل ذلك صعوبة السيطرة على أبناء الجزيرة العربية بجيوش أجنبية عنهم ، لا سيما وأنه يريد أن يصل الى الخليج العربى وبغداد (٢) ، ليكمل دائرته التوسعية ، ويشكل دائرى يلتقى من خلالها جنوده فى الشام بجنوده فى العراق من طريق الجزيرة العربية من الجنوب ، وعندها استخدم دهاءه السياسى المعروف ، جاعلا تلك الحملة باسم خالد بن سعود ، لِيُقْنِعَ أهل نجد أن قواته هذه

---

(١) د . فائق حمدى طهبوب : تاريخ البحرين السياسى ... ، ص ١٧١ .

2- Document : F.O. 78/228. No.72: 60952.

المرة لم تأت الا لتثبيت خالد بن سعود في الحكم (١) ، متناسيا أن فيصل ابن تركي هو الحاكم الشرعي والمحبوب من أهل البلاد ، ولكن خطة الباشا تلك أدت مفعولها بشكل ايجابي ،لأهدافه هو ، وانعكست بآثار سلبية على المنطقة ، خاصة وأن بريطانيا قد بدأت تدرك طلائع سياسة محمد على في الجزيرة العربية والخليج العربي (٢) .

فهو يحرص على تدعيم نفوذه العسكري والسياسي في تلك المناطق والسيطرة عليها سياسيا واقتصاديا دون تدخل من جانب الدولة العثمانية،(٣) مع حرصه الشديد أن يظهر دائما بمظهر المعتدى عليه ، لا المعتدى ، لكي يكسب بذلك تعاطف الدول الأوروبية الى جانبه ، وتهدئة بريطانيا التي كان يدرك تماما مدى حرصها على سلامة الطريق المؤدي الى الهند ، والذي أصبح تحت سيطرة محمد على ، سواء في الشام ،أو في شبه الجزيرة العربية وسواحلها الشرقية في الخليج العربي .(٤)

---

(١) د . عبد العزيز نوار : تاريخ العراق الحديث... ، ص ٢٠٩ .

(٢) د . محمد عرابي نخله : تاريخ الاحساء السياسي ... ،ص ٨٣ .

3- Document : F.O. 78/247. P.P. 109-114.

, Document : F.O. 78/227. No. 9 : 60952.

4- Document : F.O. 78/246. No.42; 61070.

وطالما تعرفنا على الآمال التى عقدها الباشا على اتفاقية كوتاهية ، ومدى استفادته من هذه الهدنة المسلحة ، وما نتج من تلك الآمال من نتائج ايجابية وسلبية على سياسة الباشا ، يجدر بنا أن نلقى نظرة موجزة على الآمال التى يعقدها الطرف الآخر على هذه المعاهدة ، وهو السلطان العثمانى ، الذى عقد بدوره آمالا عريضة على هذه الهدنة المسلحة التى أرغم عليها ارغاما زعزع مكانته (١) ، مما جعله يضمر العداء ، ويتحين الفرص المواتية ، ويبذل قصارى جهده ، واستعداداته من جميع النواحى سواء السياسية أو العسكرية أو المعنوية (٢) ؛ علمه بذلك يستطيع استعادة الشام من هذا التابع القوى الذى سيطر على الشام والجزيرة العربية ، وبدأ فى تدعيم نفوذه فيهما ، بل وتطلع الى غيرهما .

وربما أدرك السلطان العثمانى أن معاهدة انكيارسكليسى Unkiar Skelessi ، التى أبرمها مع روسيا لم تكن ذات أبعاد ايجابية ، خاصة وأن الساسة البريطانيون قد أدركوا التغاضى الروسى عن اتساع ممتلكات الباشا فى الدولة العثمانية (٣) ، وربما أوحى الساسة الانجليز بذلك الى

---

(١) د . السيد رجب حراز : المدخل الى تاريخ مصر الحديث... ، ص ٢٦٩

2- Document : (I.O.R.)L/P,S/9/97.No.67.p.p.357-360

, Document : F.O. 78/247. P.P.115-117.

3- Document : F.O. 78/246. No.42; 61070.

، د . محمد فؤاد شكرى وآخرون : بناء دولة مصر محمد على ... ، ص ٢٦٨ .

السلطان العثماني ، الذي بدأ يثق بهم ، لأن أفكاره وأهدافه أصبحت تتفق مع أفكار وأهداف هؤلاء الانجليز ، فهو يريد نسف معاهدة كوتاهية ـ الهدنة المسلحة ـ ،ونسف محمد علي باشا وطرده من الشام في أسرع وقت ممكن ، والبريطانيون يريدون الوقوف في وجه أطماع محمد علي التوسعية التي تستهدف طريق درة التاج البريطاني ـ الهند ، عندئذ فانه لا مناص من اشتعال نار الحرب مرة ثانية بين السلطان العثماني ومحمد علي (١) ، لأن معاهدة كوتاهية ما كانت الا هدنة مسلحة ، أرغم الطرفان على توقيعها .

وهكذا تبلورت سياسة بريطانيا ازاء تلك المعاهدة ، وازاء معاهدة انكيار سكليسي Unkiar-Skelessi، وبدأت في تنفيذ سياستها المنطلقة من نظرية القشرة الواقية للهند ، أو سياسة منتصف الطريق .

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٤٥٢ .

لقد كان للموقع الجغرافى الفريد الذى تمتاز به الجزيرة العربية منذ أمد بعيد ، أهمية اقتصادية واستراتيجية ، جعلتها تلعب دورا هاما فى العلاقات بين الشرق والغرب فى كل عصور التاريخ ، فهى بحكم موقعها الممتاز تعتبر مفتاحا للخليج العربى والبحر الأحمر اذ تتحكم فى أهم وأقصر طريق بحرى مالى (١) ، يربط الغرب بالشرق منذ العصور القديمة .

وبعد أن تكونت شركة الهند الشرقية فى لندن فى أواخر شهر صفر سنة ١٠٠٨هـ ، الثانى والعشرين من سبتمبر سنة ١٥٩٩م ، تحت اسم :

" The Governer and The Company of Merchants of London Trading into East Indies "

واعطائها الموافقة على الاتجار مع الشرق بامتياز خاص دون غيرها (٢) ، لعبت تلك الشركة " دورا أساسيا فيما يختص بتنفيذ استراتيجية بريطانيا حول الخليج العربى (٣) " ، بشكل خاص وشبه الجزيرة العربية بشكل عام ، خاصة وأن الانجليز يعتبرون من أكبر المتاجرين مع موانئ شبه الجزيرة العربية المختلفة ، ابتداء من بغداد والبصرة فى شمال الخليج العربى ، وانتهاء بمينائى عدن وجدة فى البحر الأحمر ، ليس ذلك فحسب بل للمحافظة على سلامة وأمن

---

(١) نبيل عبد الحى رضوان : الدولة العثمانية وغربى الجزيرة العربية .. ، ص ٩

(٢) د . عبد العزيز عبد الغنى ابراهيم : علاقة ساحل عمان ببريطانيا .. ، ص ١٥

(٣) موضى بنت منصور بن عبد العزيز : الملك عبد العزيز ومؤتمر الكويت ... ، ص ٩٢ .

درة التاج البريطاني - الهند -، التي قال عنها الساسة البريطانيون ، أنها بمثابة اللب في الثمرة ، بالنسبة للمستعمرات البريطانية الأخرى ، لذا فمن الواجب - كما يقولون - احاطة هذا اللب بقشرة واقية للمحافظة عليه ، معتبرين " ايران وشبه الجزيرة العربية ، والصحراء المنبسطة بين بغداد ودمشق " هي القشرة الواقية للهند (١) .

وعند ما بدأت حروب الشام الأولى التي خاضها محمد علي باشا ضد الدولة العثمانية تبلورت فكرة سياسة منتصف الطريق ومعناها علاج المشكلة بموقف وسط ، أي ما بين الحرب والسلم ، اضافة الى تطبيق نظرية القشرة الواقية للهند ، سالفة الذكر ، خاصة في شبه الجزيرة العربية ، والخليج العربي بصورة واضحة .

ولو عدنا قليلا الى الوراء ، لوجدنا أن البحار الهندية ، ومنطقة الخليج العربي (٢) ، قد شهدت صراعا حربيا بين فرنسا وبريطانيا ، خاصة

---

(١) موضي بنت منصور بن عبد العزيز : الملك عبد العزيز ومؤتمر الكويت.. ، ص ٩٢

(٢) يمتد الخليج العربي ذراعا بحريا في اتجاه شمالي غربي ، الى جنوبي شرقي بين خطي عرض ٢٠ ، ٣٠° درجة شمالا ، و ٤٨ ، ٥٦° درجة شرقا بين مدينة الفاو على الطرف الجنوبي للعراق حتى رأس سندم على مضيق هرمز ، حيث يتصل خليج عمان بالبحر العربي ، وتبلغ مساحة الخليج ٩٧٢٥٠ ميلا مربعا ، وتنتشر في هذه المساحة جزر كثيرة ، خاصة في أطراف الخليج وفي وسطه ، وأكبر جزره هما جزيرتا البحرين وقشم ، كما تكون قطرا أكبر شبه جزيرة في الخليج .
د . عبد العزيز عبد الغني ابراهيم : علاقة ساحل عمان ببريطانيا... ، ص ٨٠ .

ابان حرب السنوات السبع (١) ، " مما جعل رجال شركة الهند الشرقية يسلكون الطريق البرى بين البصرة وحلب ، باعتباره طريقا آمنا وقصيرا (٢)" .

تلا ذلك عقد اتفاقية مع حاكم المحمرة ، بالسماح للشركة بانشاء مركز تجارى لها فى ميناء المحمرة سنة ١١٧٦هـ/١٧٦٣م (٣)، أتبعتها بتأسيس أول قنصلية بريطانية فى البصرة، وتدعيمها بفرمان عثمانى، بالموافقة على انشائها سنة ١١٧٧هـ/١٧٦٤م (٤)، مؤكدة بذلك أهمية المحافظة على استمرار هذا الطريق البرى بين البصرة وحلب ،فى الوقت الذى تسيطر فيه بريطانيا على التجارة العالمية فى البحار والمحيطات وبالذات فى المناطق المتاخمة للمحيط الهندى (٥) ، كما أنه وبعد أن أنشئ مجلس ادارة الهند The India Board of Control سنة ١١٩٩هـ/١٧٨٤م ،ازدادت أهمية مصر لاستخدامها كطريق برى بين بريطانيا والهند (٦) .

---

(١) د .عبدالعزيزعبد الغنى ابراهيم : علاقة ساحل عمان ببريطانيا ... ،ص ٦٨

(٢) ج .ج .لوريمر: دليل الخليج ، القسم التاريخى ،ج ١ ،ص ٢٥٩ .

(٣) جون .ب .كيلى : بريطانيا والخليج ... ،ج ١ ،ص ٨٠ .

(٤) د .صلاح العقاد : التيارات السياسية فى الخليج العربى ،ص ٣٧ .

(٥) د .عبدالحميد البطريق :التيارات السياسية المعاصرة... ،ص ٧٤ .
، د .فؤاد سعيد العابد : سياسة بريطانيا فى الخليج العربى... ،ص ٢٤

(٦) جون مارلو: تاريخ النهب الاستعمارى لمصر ،ص ٣٤ .

فكأن بريطانيا قد أدركت أهمية تلك المنطقة التي تقع على طريق مستعمرتها - الدُرّة - والتي تعتبر بمثابة القلب من الجسد ، فلا غرو عندئذ أن نراها تتخذ عدة خطوات حاسمة في تلك المنطقة ،لتقف في وجه أي تدخل خارجي قد يهدد أمن وسلامة الطريق المؤدي الى الهند ، أو يؤثر على القشرة الواقية للهند ، مبتدئة تلك الخطوات بافتتاح مقيمية لها في بغداد في سنة ١٢١٣هـ ، صيف سنة ١٧٩٨م[١] ، تلته بعقد معاهدة مع سلطان مسقط في أواخر شهر ربيع الثاني سنة ١٢١٣هـ ، الثاني عشر من شهر أكتوبر سنة ١٧٩٨م[٢] .

وقد ذهبت بريطانيا الى أبعد من ذلك حين تعاونت مع الدولة العثمانية على طرد الفرنسيين من مصر ، سنة ١٢١٤هـ/١٧٩٩م[٣] ، مستغلة بذلك تساهل الدولة العثمانية فيما يختص بالملاحة الأوروبية ، والتي كانت ممنوعة من الدخول في مياه البحر الأحمر فيما بين السويس والمخا ، حفاظا على الأماكن المقدسة في مكة المكرمة والمدينة المنورة ، ولم يحدث ذلك الا

---

(١) ج .ج .لوريمر: دليل الخليج ،القسم التاريخي ،ج ١ ،ص ٢٧٦ .
، د .زكي صالح : مجمل تاريخ العراق الدولي في العهد العثماني ،ص ٢٦
(٢) ج .ج .لوريمر: المرجع السابق ،ص ٢٧٧ .
،د .مديحة أحمد درويش : سلطنة عمان في القرنين ١٨ ، ١٩ ،ص ٥٧ .
(٣) د . محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربي ... ، ص ١٩٤ .

بعد الحملة الفرنسية على مصر(١) ، عندها دخلت السفن الحربية البريطانية مياه البحر الأحمر، واحتلت جزيرة ميون -بريم Perim عند مضيق باب المندب(٢) .

كما وضعت مركبين حربيين في مياه مكا ، للوقوف ضد هجمات نابليون بونابرت لكي لا تمتد الى الشام(٣) ، فيما لو استطاع الاستيلاء على مكا خاصة وأنه كان قد أرسل عدة بعثات الى بلاد العرب والعراق ومسقط في محاولة منه لكسب القبائل العربية الى جانبه لكي تسهل مهمة تقدم جيوشه الى الهند . (٤)

وكأن ذلك قد أكد للساسة الانجليز بشكل قاطع من أن أهداف نابليون بونابرت في الشرق الأدنى ما هي الا جزء من مخططاته العسكرية، للقضاء على المصالح البريطانية في المنطقة ، خاصة فيما يتعلق بالسيطرة على

---

(١) د .صلاح العقاد : التيارات السياسية في الخليج العربي ، ص ٣٨ .
(٢) الأستاذ محمد شفيق غربال : منهاج مفصل ... ، ص ١٤٣ .
ميون : جزيرة تبعد عن الشاطئ اليمني ميلين ، ولا تزيد مساحتها من خمسة أميال مربعة ،وقد بنى فيها البريطانيون حصنا لكنهم أخلوها بعد ذلك .
محمود كامل : اليمن شماله وجنوبه ... ،ص ٢٢٣-٢٢٤ .
(٣) سهيل زكار : بلاد الشام في القرن ١٩ ، ... ،ص ٩٧ .
(٤) أحمد حسين جوده : المصالح البريطانية في الكويت حتى عام١٩٣٩م، ص ٩ .

الطرق المؤدية الى الهند (١) ،حتى أن الضابط الانجليزى جون مالكولم John Malcolm ، الذى استطاع ابرام معاهدة تحالف مع شاه فارس سنة ١٢١٥هـ/١٨٠١م، ضد أية قوة تحاول غزو الهند (٢) ، قد تنبه الى ذلك ،حين قال : " يمكن اعتبار كل من تركيا وفارس منطقتين عازلتين بالنسبة للهند البريطانية ، وبالتالى فان وقوع أى من هذين البلدين فى أيدى دولة أوروبية سوف يعرض الهند للخطر من حيث أنه سيجعلها منطقة مكشوفة أمام أى غزو تقوم به تلك الدولة للهند ، وانطلاقا من هذا فان سياسة الحكومة البريطانية تقوم على دعم وتأييد هاتين الدولتين ، وعلى خلق وتقوية دول أخرى ،يتحقق من جرائه نفس الغرض .." (٣)

من هنا ندرك أن ما عرف فى السياسة البريطانية بنظرية القشرة الواقية للهند قد بدأت تخيم على أذهان الساسة البريطانيين منذ أن غزا نابليون مصر ، وكأن تلك الحرب قد أدخلت منطقة الشرق العربى بشكل عام ، وشبه الجزيرة العربية والخليج العربى بشكل خاص فى صراع أوروبى استعمارى جديد فى شكله ومعناه (٤) ، وهو ما دأبت بريطانيا على

---

(١) ج.ج.لوريمر: دليل الخليج ،القسم التاريخى ،ج١ ،ص ٢٥١ ، ٢٧٥
(٢) د. بدرالدين عباس الخصوصى : دراسات فى تاريخ الخليج العربى الحديث والمعاصر ، ج١ ، ص ٤٦-٤٧.
(٣) جون.ب.كيلى : بريطانيا والخليج ... ،ج١ ،ص ٤٤٣.
(٤) جورج كيرك :موجز تاريخ الشرق الأوسط ، ص ١١٢.
، ج.ج.لوريمر: المرجع السابق ،ج ١ ،ص ٢٧٣

تنفيذه في المنطقة بمختلف الأساليب ، لتصل بذلك الى حماية مصالحهـا التجارية والاستراتيجية في المنطقة ، وبالذات محافظتها على سلامة الطريق المؤدي الى الهند (١) ، فالطريق البري من حلب مرورا بنهري دجلة والفرات ، ومنهما الى الخليج العربي ، أصبح يستحوذ على جل اهتمام الساسة الانجليز ، وكأنهم بذلك يخشون المنافسة الفرنسية من هذا الطريق البري ، خاصة وهم سادة البحار ، وأصحاب تفوق مميز فيها (٢) ، اضافة الى ذلك تمكنهم من عقد معاهدة مع سلطان لحج سنة ١٢١٧هـ/١٨٠٢م ، استطاعوا من خلالها وضع حامية بريطانية في ثغر عدن (٣) ، لذلك اعتبروا الخليج العربي خطا أماميا للدفاع عن الهند ، وطريقا هاما من طرق مواصلاتها فلا بد منذ ئذ من القضاء على المنافسة الفرنسية في تلك المنطقة(٤) ، لذا فقد جعلوا من الخليج العربي " قاعدة للأسطول البريطاني ، ومركز استطلاع ومراقبة " لما يحدث في المنطقة(٥) ، لتكون لهم السيطرة الكاملة

---

(١) زين نورالدين زين : الصراع الدولي في الشرق الأوسط ... ، ص ١٥ .
، د . عبدالعزيز عبدالغني ابراهيم : علاقة ساحل عمان ببريطانيا ، ص ٧٢
(٢) جون . ب . كيلي : بريطانيا والخليج ... ، ج ١ ، ص ٩٧ .
(٣) د . عبدالحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث ١٥١٧-١٨٤٠م ، ص ٥٤
، د . محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربي ... ، ص ١٩٢-١٩٥ .
(٤) د . صلاح العقاد : التيارات السياسية في الخليج العربي ، ص ٦٢ ، ١٦٧
، د . سيد نوفل : الخليج العربي أو الحدود الشرقية للوطن العربي .. ، ص ٦٣
(٥) د . فؤاد سعيد العابد : سياسة بريطانيا في الخليج العربي ... ، ص ١٧ .

عليها ، وأكدوا ذلك بوقوفهم الصارم تجاه المحاولة الفرنسية حول اعادة كافيناك Cavaignac ، أشهر الماسة الفرنسيين ، وتعيينه ممثلا لفرنسا في مسقط سنة ١٢١٧هـ/١٨٠٢م ، ولكن سلطان مسقط خشي من التهديد البريطاني فرفض الطلب الفرنسي [١] .

أفزع قيام الدولة السعودية الأولى ، ومناصرتها للمجاهدين القواسم في الخليج العربي الانجليز بصورة جعلتهم يقفون بكل قوة الى جانب سلطان مسقط ، لا لحبهم له ، ولكن خوفا من سقوط عاصمة بلاده في أيدي الدولة السلفية القوية ، مما يجعل مصالحهم الاقتصادية والاستراتيجية تحت رحمة هذه الدولة ، ورجالها المجاهدين من القواسم [٢] ، الذين يحاربون التواجد الأوروبي المسيحي في الخليج العربي ، لذا فقد لجأت بريطانيا الى ارسال الحملات العسكرية المسلحة ، بحجة القضاء على القرصنة ، وبالتالي تكبيل أمراء ومشائخ المنطقة بمعاهدات الحماية المزعومة [٣] ، لايجاد مبرر للتدخل المباشر ، سواء كان ذلك سياسيا أم عسكريا ، دون أن تثير أيا من الدول الأوروبية المنافسة للتدخل ، كفرنسا وروسيا ،

---

(١) د . مديحة أحمد درويش : سلطنة عمان في القرنين ١٨ ، ١٩ ، ص ٦٢ ، ٦٣ .

(٢) د . عبدالعزيز عبدالغني ابراهيم : علاقة ساحل عمان ببريطانيا... ، ص ١٤١ ، ١٤٩ ، ١٥٣ ، ١٧٢ ، ٤ .

(٣) د . فؤاد سعيد العابد : سياسة بريطانيا في الخليج العربي ... ، ص ١٩٠

وهو ما حدث بالفعل عند صدور الأوامر باستملاك جزيرة خرج Kharag سنة ١٢٢٤هـ/١٨٠٩م ، باعتبارها أكثر تحكما في مدخل الخليج الشمالي.(١)

وكذلك استطاعت بريطانيا عقد معاهدة سلم وتجارة مع الباب العالي سنة ١٢٢٤هـ/١٨٠٩م،(٢) أتبعتها بمعاهدة دفاعية مع فارس سنة ١٢٢٩هـ/١٨١٤م، وكأنها بذلك تريد ايقاف روسيا عن تهديد طريق الهند ، وأي قوة أوروبية أخرى (٣) ، ثم أعقب ذلك وصول ممثل شركة الهند الشرقية للبحرين سنة ١٢٣١هـ/١٨١٦م، للتفاوض مع المسئولين فيهما ، لزيادة التعاون فيما بين بريطانيا والبحرين ، ولتسهيل مرور التجارة البريطانية لتستطيع من خلال ذلك ترسيخ وجودها في البحرين ، دون أن تثير عداء الدول المجاورة والمناوئة لها (٤) ، وكم كانت سعادة بريطانيا كبيرة عندما علمت بسقوط الدرعية ، عاصمة الدولة السعودية الأولى ، في أيدي قوات ابراهيم باشا (٥) ، فقد كانت هي الدولة السلفية التي تدعم

---

(١) ج.ج.لوريمر: دليل الخليج ،القسم التاريخي ،ج١ ،ص ٢٨٢ ،٢١٧٠.

(٢) د.زكي صالح : مجمل تاريخ العراق الدولي في العهد العثماني ،ص ٢٩

(٣) جون.ب.كيلي : بريطانيا والخليج ... ،ج١ ، ص ٤٤ .
، د.فائق حمدي طهبوب: تاريخ البحرين السياسي ... ،ص ١١٨.

(٤) أمل ابراهيم الزياني :البحرين بين الاستقلال السياسي والانطلاق الدولي ،ص ٤٤.
، د. فائق حمدي طهبوب: المرجع السابق ، ص١١٨.

(٥) د.بدرالدين عباس الخصوصي :دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر ، ج١ ، ص ١٩٨.

القواسم فى جهادهم ضد بريطانيا فى الخليج العربى ،مما يعنى تهديد المصالح البريطانية فى الهند كما أسلفنا . (١)

وهنا يجدر بنا أن نتساءل ،خاصة فى تلك الأحداث التى عاشها العالم الاسلامى فى تاريخه الحديث ، لنقول : لو أن جيوش محمد على باشا التى هى جيوش الدولة العثمانية ،تعاونت مع الدولة السعودية الأولى ، بدلا من أن تحاربها ، لتقفا معا فى وجه الأطماع الأوروبية بشكل عام وبريطانيا بشكل خاص ، انه لو تم ذلك لتغير وجه التاريخ ، خاصة وأن الدولة السعودية دولة مسلمة أقامت دعائمها على المبدأ السلفى الصحيح، والعالم الاسلامى فى تلك الفترة فى أمس الحاجة اليها ، وعلى أية حال فلقد أدركت بريطانيا مدى الاستفادة من هذه الظروف ، فأسرعت بزف التهانى الى ابراهيم باشا ،من مبدأ الاحتواء فى ضوء المصالح الذاتية لها ، وبعثت بالكابتن جورج فورستر سادلير Captain.G.F.Sadleir(٢) لتقديم

---

(١) د .محمد عرابى نخله : تاريخ الاحساء السياسى ... ، ص ٤٢-٤٣ .

(٢) ولد جورج فورسترسادليرفى كورك ،بتاريخ ١٩ يناير ١٧٨٩م ،من أسرة مرموقة ، التحق بالجيش فى ١٤ ابريل ١٨٠٥م ورقى ملازما فى نفس السنة ثم رئيسا فى ١٨١٣م وعقيدا فى ١٨٣٠م ، وتقاعد من الجيش فى ١٧ فبراير ١٨٣٧م . وعمل بالسياسة تحت اشراف .سير.ج .مالكولم فى ١٨١٧-١٨١٨م ،وقام فى سنة ١٨١٩-١٨٢٠م برحلته تلك الى بلاد العرب ،وفى سنة ١٨٢٠-١٨٢١م ارسل سفيرا الى السند ، ووقع هناك اتفاقية حيدرآباد الخاصة بالهنود،وقد هاجر سادلير الى نيوزيلاند حوالى ١٨٥٥م ،وقضى نحبه فى أوكلاند قبل ١٨٦٨م .

ج .ج .لوريمر:دليل الخليج ،القسم التاريخى ،ج ٢ ،ص ١٠٠٩-١٠١٠

التهنئة لابراهيم باشا لاستيلائه على الدرعية ،ولمحاولة ايجاد قاعـــدة يمكن من خلالها التنسيق بين قوات الباشا البرية ، والقوات البريطانيـــة البحرية للقيام بعمل حربى مشترك ضد القواسم ، أتباع الدولة السعوديـــة الأولى .

وفى نفس الوقت القيام بدراسة أهداف الحملة المصرية ـ العثمانيـــة ، بصورة سرية واعطاء تقارير وافية عنها ، وعن خططها المستقبلية تجاه المنطقة ، دون اعطاء أى ضمانات باسم الحكومة البريطانية فيما لو اتضح أن الباشـــا سيقوم بمواصلة حروبه الى الخليج والشواطئ العربية الشرقية ، ودون اظهار أى اهتمام مخصوص بالموضوع. (١)

لكن هذا اللقاء الذى تم بين سادلير Sadleir وابراهيم باشا فى الثانى والعشرين من شهر ذو القعدة سنة ١٢٣٤هـ ، الموافق الثامن مـــن سبتمبر سنة ١٨١٩م ، لم يؤد الى النتائج المرجوة من ورائه ،اذ أن الباشا قد تعمد اهانة حاكم الهند ، بهداياه الغير مناسبة ، وفى نفس الوقت لـم يمكن المندوب البريطانى من تكوين رأى واضح عن أهدافه السياسية التى يرمى اليها ،ومن ورائه والده محمد على باشا فى مصر ، بالرغم من الآمال التى كان المندوب البريطانى يعلقها على هذه المهمة ، خاصة عندما أضاء لـــه

---

(١) جورج فورستر سادلير ، رحلة عبر الجزيرة العربية خلال عـــام ١٨١٩م ص ٦٤ ، ١٥٧-١٥٨ ، ١٦١ .

ابراهيم باشا الضوء الأخضر فى بداية المقابلة ،من أنه كان تواقا لتدعيم علاقاته بالسلطات البريطانية فى الهند (١) ، الا أن السلطات البريطانية كانت على ما يبدو مدركة لهذه النتيجة سلفا ، فالتظاهرات التى قام بها الجيش البريطانى فى الخليج أثناء الوجود المصرى العثمانى فى الاحساء (٢) والدراسة التجسسية التى أجراها سادلير Sadleir على جيوش ابراهيم باشا (٣) ، تؤكد ذلك دون ريب .

أعقبت بريطانيا ذلك بحملاتها العسكرية على الخليج ،ومن ثم تكبيل شيوخ المنطقة بمعاهدات الحماية التى فرضتها عليهم بالقوة(٤) ، فى الوقت الذى بدأت تتجه فيه الى تدعيم نفوذها فى البحر الأحمر، والموانئ اليمنية خشية على طرق مواصلاتها الى الهند من هذه القوة الجديدة التى فرضت سيطرتها على شبه الجزيرة العربية.

ولكن ومع هذا كله لم تبذل الدولة العثمانية ومحمد على أكثر من تقديم احتجاجات دبلوماسية الى السفير البريطانى فى الآستانة(٥) ، رغم

---

(١) جورج فورستر سادلير: رحلة عبر الجزيرة العربية... ،ص ٦٧ ، ١٠٦ ، ١١٢-١١٤ ، ١٢٩ ، ١٨٠-١٨٦ .

(٢) سنت جون فلبى : تاريخ نجد ... ،ص ١٦٥ .

(٣) د .عبدالعزيزعبدالغنى ابراهيم: علاقة ساحل عمان ببريطانيا .. ،ص ١٧٨

(٤) د .محمد عرابى نخله :تاريخ الاحساء السياسى ... ،ص ٤١ ، ٨٤ .
، د .فائق حمدى طهبوب: تاريخ البحرين السياسى ... ،ص ٩٣ ، ١١٣ .

(٥) د . فاروق عثمان أباظه : عدن والسياسة البريطانية فى البحر الأحمر... ص ١٠٨ .

قناعتها بسوء النية المبيتة لدى الانجليز تجاه سواحل شبه الجزيرة العربية.[1]

وقد أرغمت بريطانيا بعد ذلك إمام اليمن على توقيع شروط فرض سيطرتها على ميناء المخا لموقعها الهام ، وأهميتها الاستراتيجية وذلك في سنة ١٢٣٦هـ - ١٨٢١م ،أعقبته بعقد اتفاقية صداقة وتجارة مع سلطان لحج ، على استخدام عدن كمحطة للفحم وذلك سنة ٤٤/٤٥ ١٢هـ-١٨٢٩م.[2]

وكأن بريطانيا بذلك كانت ترد على محمد على باشا الذى بدأ يراقب الوضع في اليمن عن طريق حاكم الحجاز ،لاستكشاف تحركات الأسطول البريطاني في اليمن ،بعد أن كانت قد حذرته من طرف خفي عن طريق قنصلها في القاهرة هنرى سولت Henry Salt بادراكها لأهداف الباشا في البحر الأحمر والخليج العربي ، ما جعل محمد على يتفادى الاصطدام مع الانجليز، ويؤكد لهم حرصه على استمرار العلاقات الطيبة مع بريطانيا ،وأن صلاته باليمن لم تتعد استيفاء جزية سنوية من البن باسم السلطان العثماني[3]، ومع ذلك كررت معه نفس التحذير على لسان قنصلها باركر Barker، عندما

---

(١) وثيقة رقم ٢٠٩ ، محفظة ٧ عابدين ،دار الوثائق القومية بالقاهرة ، نقلا عن : جورج فورستر سادلير : رحلة عبر الجزيرة العربية ... ، ص ٢٧٤-٢٧٧ .

(٢) د . عبد الحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث ... ،ص ٥٧ ، ٨٥ . ، د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ... ، ص ٢٢٨ .

(٣) د . عبد الحميد البطريق : المرجع السابق ،ص ٥١ ، ٥٤ ، ٥٧ ، ٦٠ .

حاولت فرنسا اغراءه بغزو الجزائر ،مؤكدة له مجددا رفضها لأى وجود فرنسى فى المنطقة (١) ، ولكن محمد على لم يكن ليجهل ذلك ،ورأى بثاقب نظره أن فرصته الوحيدة تكمن فى اختلاف مصالح الدول العظمى فى المنطقة ،محاولا بذلك كسب ثقة بريطانيا ، لكى يتجنب الاصطدام معها (٢) ، وألمح من خلال مقابلة له مع القنصل باركر Barker ،سنة ١٢٤٥هـ/ ١٨٣٠م،استعداده " .. لاقامة سدّ منيع ضد روسيا سواء فى تركيا أو فارس ،لأن فارس هى الميدان الذى يتعين على بريطانيا أن تواجه فيه روسيا "(٣) ، على حد تعبيره ، وكأنه بذلك يعزف على الوتر الحساس فى أهداف السياسة البريطانية تجاه المنطقة ، خاصة فيما يتعلق بسلامة طرق مواصلاتها الى الهند ،ومع ذلك كانت السياسة البريطانية تجاه حروب الباشا التى خاضها ضد السلطان العثمانى فى الشام تتسم بشئ من الحذر والترقب(٤) ، حيث أقدمت على افتتاح قنصلية لها فى الشام تتبع القنصل العام فى مصر(٥) .

---

(١) د .السيد رجب حراز : المدخل الى تاريخ مصر الحديث ... ،ص ٢٦٣-٢٦٤ ، د .أحمد عزت عبدالكريم: دراسات فى تاريخ العرب الحديث ،ص ٣٧٤

(٢) بيير رنوفان : تاريخ العلاقات الدولية فى القرن ١٩ ،القسم الأول ، ص ١٣٢ .

(٣) جون .ب.كيلى : بريطانيا والخليج ... ،ج ١ ،ص ٤٦٦ .

4- Document: (I.O.R.) L/P,S/9/93. No.29.P.p.354-356.

5- Document:(I.O.R.)L/P,S/9/93.25/9/1932.p.p.340-345

فى الوقت الذى كان سفيرها فى الأستانة ستراتفورد كاننج Strat Ford Canning ،يؤكد على أن تلك الحروب وما نتج عنها من توسع فى أملاك الباشا،سيعرض المصالح البريطانية فى الشام وشبه الجزيرة العربية لأخطار جسام(١) ،وقد أدرك وزير خارجية بريطانيا اللورد بالمرستون Lord, Palmerston تلك الأخطار، خاصة بعد وصول قوات الباشا الى مسافات قريبة من مضيق البوسفور والدردنيل ،وانعقاد صلح كوتاهية سنة ١٢٤٨هـ/ ١٨٣٣م ،ثم معاهدة انكيار سكليسى Unkiar-Skelessi ، بين روسيا والدولة العثمانية. (٢)

عندئذ طلب من القنصل البريطانى فى مصر الكولونيل باتريك كامبل Colonel, Patrick, Capbell ، توجيه اللوم للباشا ،باعتبار أنه قد بدأ العدوان ضد الدولة العثمانية لاسقاطها (٣) ، والتأكيد له باهتمام الحكومة البريطانية بضرورة المحافظة على كيان الدولة العثمانية(٤) ،مؤكدا القول بأن "تركيا تستطيع المحافظة على الطريق الى الهند كأى حاكم عربى كبيرالهمة(٥)

(١) د . عبدالعزيز سليمان نوار: المصالح البريطانية فى أنهار العراق ... ، ص ٣٩-٤٠ .

، د . جون .ب.كيلى : بريطانيا والخليج ... ،ج ١ ، ص ٤٦٧-٤٦٨ .

(٢) بييررنوفان : تاريخ العلاقات الدولية... ،القسم الأول ، ص ١٣٤ .

(٣) د . محمد فؤاد شكرى وآخرون : بناء دولة مصر محمد على ... ،ص ٧٤٩ .

(٤) د . محمد فؤاد شكرى وآخرون : مصر والسودان "تاريخ وحدة وادى النيل السياسية ، القرن ١٩ ، ص ١٤ .

(٥) جورج كيرك : موجز تاريخ الشرق الأوسط ، ص ١١٦ .

كما " أنه ليس من مصلحة الدولة الأوروبية الحاكمة فى الهند أن تقوم على أرض الفرات دولة اسلامية قوية ، .. كما أن أية دولة تنشأ فى هذه المنطقة سوف يمتد نفوذها بلا أدنى شك الى جميع أقطار شبه الجزيرة العربية ،وقد تصبح فى مدى قصير دولة بحرية هامة ، وأن عدم وجود دولة كهذه فى الوقت الحاضر لهو خير ضامن ضد غزو الهند ..." (١) ،ومع ذلك كان بعض القناصل الانجليز فى الأستانة ومصر ، يحبذون التعاون مع محمد على باشا ، سواء فى الشام أو العراق ضد الأطماع الروسية ، أو فى اليمن والبحر الأحمر لتسهيل مواصلاتهم مع الهند (٢) ، الا أن اللورد بالمرستون Lord - Palmerston رفض هذه الأفكار خشية من تدخل الدول الأوروبية فى المشكلة ، خاصة وأن الدولة العثمانية تعانى من أوضاع سياسية وعسكرية قد تجعل المجال مفتوحا لهذا التدخل ،اضافة الى أطماع محمد على باشا الذاتية. (٣)

---

(١) جون ب.كيلى :بريطانيا والخليج،ج ١،ص ٤٧٠.

2- Documents : F.O.78/227; 60952.24/5/1833.
, F.O.78/228; 60952.31/8/1833.
, F.O.78/228; 60952.No,62.27/10/1833.
, F.O.78/246; 61070.No.42.21/8/1834.

(٣) د.فاروق عثمان أباظه : عدن والسياسة البريطانية فى البحر الأحمر ... ، ص ١٢٦-١٢٧.

منذئذ بدأت سياسة بريطانيا تجاه حروب محمد على باشا فى الشام والعراق وشبه الجزيرة العربية ، تتبلور بشكل واضح لتطبيق سياسة منتصف الطريق بالنسبة لعلاقاتها مع الباشا فى تلك المناطق ، ولابراز نظرية القشرة الواقية للهند الى حيز الوجود ،وتنفيذها بدقة وعناية ، وكانت تقارير القناصل الانجليز فى الشرق قد أخذت تؤكد على تغلغل جيوش محمد على باشا فى شبه الجزيرة العربية بشكل عام ، ومداخل البحر الأحمر بشكل خاص[1] ، وكذلك فرض سيطرتها على الأجزاء الشرقية الشمالية من اقليم الشام[2] .

رغم أن محمد على قد حاول تبرير ارسال حملته الى اليمن للقنصل البريطانى فى مصر ، بأنها لن تؤثر على المصالح البريطانية فى البحر الأحمر ،بل على العكس ستحافظ على أمن وسلامة السفن البريطانية هناك[3] ،

1- Documents : F.O.78/247. 11/11/1834. P.119
, F.O.78/227. 60952. No.10.16/4/1833
, F.O.78/227. 60952. No.24.13/6/1833.
, F.O.78/257. ^{x}C/A/61064. No.6/1/1835.

2- Document : F.O.78/247. P.P.109-119.11/11/1834

(٣) د .عبد الحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث ... ،ص ٧١-٧٤ .
،د .فاروق عثمان أباظه : عدن والسياسة البريطانية فى البحر الأحمر... ، ص ١٢٧ ، ١٧٥-١٧٦ .

واستبعاده كذلك لوجود أى فكرة لديه بتوسيع أطماعه لتصل الى الخليج العربى ، وانما هو يهدف لحماية الحرمين الشريفين فقط (١) ، الا أن هذا الأسلوب السياسى الذى انتهجه محمد على مع بريطانيا لم يؤثر على أفكار وزير خارجيتها اللورد بالمرستون Lord,Palmerston الذى أصبحت أفكاره السياسية تجاه خطط محمد على باشا التوسعية فى شبه الجزيرة العربية والشام ذات طابع خاص ،لا سيما بعد تلقيه لمقترحات رجال السياسة البريطانية تجاه هذا التوسع وأخطاره (٢) ،وبعد أن رأى صديق بريطانيا التقليدى سلطان عمان يوقع معاهدة تجارية مع الولايات المتحدة الأمريكية فى سنة ١٢٤٩هـ/ ١٨٣٣م (٣) ، ليضيف بذلك خطرا جديدا يهدد الأهداف الاستراتيجية البريطانية (٤) .

لم يتردد اللورد بالمرستون Palmerston ،فى القول بأنه لابد من " ارغام محمد على باشا ـ على حصر ـ نفوذه فى مصر فقط ، لأن احتلال

---

(١) د ٠فائق حمدى طهبوب : تاريخ البحرين السياسى ... ،ص ١٨١

(٢) جون ٠بى٠كيلى : بريطانيا والخليج ... ،ج ١ ، ص ٤٧١٠

(٣) ج ٠ج ٠لوريمر : دليل الخليج ،القسم التاريخى ،ج ٢ ،ص ٧٢٧-٧٢٨

(٤) د ٠عبدالحميد البطريق : محمد على ومشروع غزو العراق ،مجلة كلية الآداب ، الجامعة الأردنية ،عدد ١، يناير سنة ١٩٦٩م ،ص ٥٧

سوريا سوف يؤدى الى احتلال بغداد ،وان اقامة دولة واحدة من مصر وسوريا والعراق بزعامة محمد على باشا لن تفيد بريطانيا فى شئ ، أما السلطان التركى فسوف يزداد ضعفه فى مقاومة روسيا ، وأنه من المحتمل أن تتآلب تلك الدولة مع الوالى للتحرش بفارس ،وذلك على حساب الوجود البريطانى فى الهند "(١)،

مبديا بذلك فزع حكومته من امتداد نفوذ محمد على فى شبه الجزيرة العربية وسوريا ، وبالتالى تحكمها فى مياه البحر الأحمر والخليج العربى(٢)، مما يمهد لفتح المجال أمام أوربا لتهديد المصالح الاستراتيجية والاقتصادية البريطانية فى المنطقة ،وبالذات أمام روسيا وفرنسا ، اضافة الى أطماع محمد على باشا الجيدة(٣) ،وتبعا لذلك رفضت الحكومة البريطانية اعطاء أى ضمان للاقتراح الداعى الى مد خط حديدى لربط الاسكندرية بالقاهرة والسويس، أو حفر قناة تصل بين البحرين الأبيض والأحمر(٤) ،حتى أن بالمرستون Palmerston قد علق على مناصرة فرنسا للمشروع الأخير منهما بقوله :

---

(١) جون .ب.كيلى :بريطانيا والخليج ... ،ج ١ ،ص ٤٧١ .

(٢) بيير رنوفان : تاريخ العلاقات الدولية فى القرن ١٩ ،القسم الأول ، ص ١٣١ .

3- Document : "I.O.R."L/P,S/9/96.P.P.391-392. and No.4.P.P. 401-402.
, Document :F.O.78/247.P.P.112-113.11/11/1834

(٤) د .محمد كمال الدسوقى : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ،ص ١٧٥ .

"انه مهما كان فى المشروع من مزايا تجارية عظيمة ،فان هذا - البسفور الثانى - قد يكون مصدرا لمتاعب سياسية خطيرة لبريطانيا (١)".

وقد سعت الحكومة البريطانية لايجاد مخرج يحقق لها ابقاء طريق العراق والخليج العربى ، بعيدا عن متناول الروس ومحمد على باشا (٢)، واستحصلت بذلك على فرمان عثمانى فى أواخر شهر شعبان سنة ١٢٥٠هـ/ التاسع والعشرين من ديسمبر سنة ١٨٣٤م ، باعطائها حق الملاحة فى نهر الفرات ،رغم ما بذلته السفارة الروسية فى الأستانة حيال تجميد ذلك الفرمان،(٣) وما سبقه من محاولات قام بها ابراهيم باشا فى الشام لتعطيل ذلك المشروع،(٤) ولكن اصرار الحكومة البريطانية ، المعتمد على الفرمان العثمانى ،وماصاحبه من تهديد صريح للباشا فى مصر على لسان قنصلها هناك ، جعل ذلك المشروع يسير وفق برنامجه المحدد ، وبمساعدة مباشرة من قبل ابراهيم باشا فى الشام(٥) ، ونجح رئيس البعثة الميجور فرانسيس رودسن شيزني Major, Francis Rawdson Chesney،من تحقيق أهداف ذلك المشروع

---

(١) جورج كيرك : موجز تاريخ الشرق الأوسط ،ص١٢٤ .

(٢) د .زكى صالح : مجمل تاريخ العراق الدولى فى العهد العثمانى،ص٤٧

(٣) د . عبدالعزيز الشناوى : الدولة العثمانية دولة اسلامية ... ،ج ٢ ، ص ٧٧٢-٧٧٦ .

(٤) جون .ب. كيلى : بريطانيا والخليج ... ،ج ١ ،ص ٤٨٥-٤٨٦ .

(٥) د . أحمد مصطفى أبو حاكمه : تاريخ الكويت ، القسم الأول ،ج ٢ ، ص ١١٨ .

المتمثلة في ايجاد طريق آمن وقصير الى الهند عبر الخليج العربى ،وللحيلولة دون تغلغل النفوذ الروسى فى المنطقة ، أو اتساع أطماع وطموحات محمد على باشا فيها (١) .

ورغم أن القنصل البريطانى فى القاهرة الكولونيل كامبل Campbell حاول استبعاد فكرة أى عداء قد يقوم به محمد على ضد المصالح البريطانية فى البحر الأحمر ،أو داخل شبه الجزيرة العربية بعدئذ (٢) ، الا أن التقارير التى تلقتها وزارة الخارجية البريطانية بعد ذلك ،والتى تؤكد على خطورة تحركات جيوش محمد على باشا فى الجزيرة العربية من البحر الأحمر غربا وحتى الخليج العربى شرقا ، مما يجعل الطريق الى الهند تحت رحمة الباشا وقواته هناك (٣) .

أدى كل ذلك باللورد بالمرستون Lord,Palmerston ، وزير الخارجية البريطانى ، بالخروج من هدوئه المألوف ،ليطلب من القنصل البريطانى فى مصر الكولونيل باتريك كامبل Colonel,Patrick,Campbell

---

(١) د . أحمد حسن جوده : المصالح البريطانية فى الكويت... ،ص ١٠ .

2-Document : F.O.78/3185; 61070.p. 52.23/2/1837.

(٣) نقلا من مجلة الدارة ،عدد ٢ ،السنة الأولى ، ص ١٨٤-١٨٥ .

Document : F.O.78/3185.P.P.22-32.

مصارحة الباشا بعدم موافقة الحكومة البريطانية على تأسيس حكومة له هنـاك في الجزيرة العربية ، وأن بريطانيا لا يمكنها السكوت على هذا العمل ، بل ستقف بكل حزم وقوة أمام أي جهد يبذل لذلك (١) ، ثم حاول اللـورد بالمرستون Palmerston بعد ذلك زعزعة حكومة محمد علي باشا في الشام ، حين قدم السم في الدسم على لسان القنصل كامـل Campbell الى الباشا ، بنصيحته على الاستمرار في تجنيد أهل الشام ، قاصدا من وراء ذلك اثارتهم عليه ، وبالتالي ايجاد قلاقل مستمرة في حكومة الباشـا تحول بينه وبين تحقيق أهدافه وطموحاته (٢) ، في الوقت الذي سعى فيـه اللورد بالمرستون Lord,Palmerston ، وحكومته الى انزال ضربة قاتلـة لنظام محمد علي الاقتصادي ، وذلك بعقد معاهدة تجارية مع الدولـة العثمانية ، هي معاهدة بلطة ليمان Balta Liman ، في أواخر شهر جمادى الأولى سنة ١٢٥٤هـ ، السادس عشر من أغسطس سنة ١٨٣٨م (٣) ، والتي لم يجد الباشا بدا من الاستعداد لتنفيذها ، رغم أنه كان يفضـل اجراء اتفاقية منفردة مع بريطانيا ، لتؤدي آثارا اقتصادية أفضل بالنسبـة

1- Document : F.O.78/318 .No.24 and 25; xC/A/61064 ; H.Temperly and L.M.Penson: Foundations of British Foreign Policy.p.p.124-126

2- Document : F.O.78/318 . No. 24; xC/A/61064.

(٣) د . محمد عبد اللطيف البحراوي : حركة الاصلاح العثماني .... ، ص ١٥٣ .
، د . محمد فؤاد شكري وآخرون : بناء دولة مصر محمد علي .... ، ص ٥٩-٦٠ .
، جون مارلو : تاريخ النهب الاستعماري لمصر ، ص ١١٣ .

للجانبين (١) ، الا أن أهداف تلك المعاهدة فى نظر بريطانيا لم تكن اقتصادية فحسب ، بل كانت سياسية كذلك ، علها تستطيع من خلالها القضاء على أطماع محمد على فى الشام وشبه الجزيرة العربية ،لتضمن بذلك سلامة طرقها الموصلة الى الهند ، وبالتالى ايقاف الآمال الفرنسية والروسية فى المنطقة ، ولكن ازدياد الأخطار على طريق الهند ، وسيطرة الباشا على البحر الأحمر فى الوقت الذى يسيطر فيه على الشام ،وجيوشه تتقدم فى وسط الجزيرة العربية باتجاه الخليج العربى ، جعل بريطانيا تبدأ فى تنفيذ نظرية القشرة الواقية للهند ، وذلك باحكام قبضتها على المعابر المائية المؤدية الى الهند ، وتوطيد نفوذها فى شبه الجزيرة العربية (٢) ، مبتدئة ذلك باحتلال ميناء عدن الهام فى الرابع من ذى القعدة سنة ١٢٥٤هـ الموافق للتاسع عشر من يناير سنة ١٨٣٩م (٣) ، ذلك الميناء الحيوى الذى سيضمن سلامة الوصول الى الهند فيما لو تعرض الخليج العربى لخطر داهم ،لا يمكن ايقافه ، كما يمكن اتخاذه كمركز استراتيجى متقدم لايقاف توسع محمد على فى الجزيرة العربية بشكل عام ، واليمن والبحر الأحمر بشكل خاص. (٤)

1- Document: F.O. 78/373. No.14. P.P.70-72.

2- Document:(I.O.R.)L/P,S/9/112.No,4.P.P.37-38.

3- H.Temperly and L.M.Penson:Foundations of British Foreign Policy.P.124.
، د.فاروق عثمان أباظة : عدن والسياسة البريطانية فى البحر الأحمر، ... ، ص ١٥٢ .

4- Document; F.O.78/373. No.21.P.P.98-103; C/A/ 61064.

بدأت التقارير تتوارد على الحكومة البريطانية من قناصلها فى المنطقة من تحركات جيوش محمد على باشا فى وسط الجزيرة العربية(١) ، وسواحلها الجنوبية الشرقية(٢) ، والشرقية والشمالية فى آن واحد (٣) ، اضافة الى بعض الأفكار التى اعتنقها بعض هؤلاء القناصل من وجود تعاون شبه رسمى بين محمد على وشاه ايران (٤) ، وما أعقب تلك التقارير من ورود أنباء شبه مؤكدة من ابرام معاهدة بين أمير البحرين عبدالله بن أحمد آل خليفة ، ومندوب قائد القوات المصرية فى وسط الجزيرة العربية(٥) ، وأظهرت هذه التقارير ردة فعل قوية وسريعة لدى الحكومة البريطانية وممثليها فى المنطقة(٦) ، والتى كانت قد حذرت خورشيد باشا ، قائد قوات محمد على فى وسط وشرقى الجزيرة العربية ، من أية محاولة للتآمر ضد البحرين للاستيلاء عليها ، لما تمثله تلك الجزيرة من أهمية استراتيجية واقتصادية تمس بطريق مباشر المصالح البريطانية فى الخليج العربى والهند (٧) ، فتقدمت باحتجاجات

1- Document: F.O.78/373.No.20.P.P.87-91; C/A/61064.

2- Document"I.O.R." L/P,S/9/113. No,44. P.P.237-238.

3- Document:"I.O.R."L/P,S/9/103, No,7.P.P.184-187.

4- Document:"I.O.R.L/P,S/9/111.P.P.695-696.

(٥) د. أحمد مصطفى أبو حاكمه ; تاريخ الكويت ، القسم الأول ، ج٢ ، ص ٢٠٠

6- Document:S.R.B.G.No.XXIV.P.P.443-448.

(٧) صورة الموفق العربى للوثيقة ١٣٧ حمراء ، محفظة ٢٦٧ عابدين ، محافظ الحجاز رقم ٧ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة.

, Document: F.O.78//374.No.1 ; xC/A/61064. 28/2/1839

شديدة الى محمد على فى مصر ،الذى حاول مناورة بريطانيا ، والظهور أمامها بمظهر الصديق الذى لا يفكر فى تعكير صفو العلاقات الودية بين الجانبين (١) ، ولكن الحكومة البريطانية التى كانت قد احتلت جزيرة خرج Kharag ،فى أواخر شهر ربيع الأول سنة ١٢٥٤هـ ، التاسع عشر من يونيو سنة ١٨٣٨م (٢) ، لتدعيم نفوذها فى الخليج العربى ، والتحكم فى المدخل الشمالى له ،لم تقتنع بذلك الأسلوب السياسى الذى ينتهجه محمد على ، لتشعر الباشا وقادته فى الخليج العربى بأنها لن تقف مكتوفة الأيدى أمام تهديد مواصلاتها الى الهند ، ولو أدى ذلك الى استعمال القوة (٣) ، وصدرت بذلك تعليمات صريحة للمقيم البريطانى فى المحمرة لكى يستخدم كامل نفوذه لايقاف تقدم القوات المصرية فى الخليج العربى . (٤)

فى الوقت الذى بدأت تتجه فيه الحكومة البريطانية الى نوع آخر من أساليبها الدبلوماسية لمعالجة الموقف دون أن تُظهر للدول الأوروبية تدخلها فى المنطقة ، وذلك بتكبيل شيوخ المنطقة فى الخليج العربى بنوع

1- Documents ; F.O.78/374.No.42;^{x}C/A/61064.
, F.O.78/374.No,50;^{x}C/A/61064.

(٢) د .محمد عرابى نخله : تاريخ الاحساء السياسى ... ،ص ٨٤-٨٥ .

(٣) د .بدرالدين عباس الخصوصى : محمد على والخليج العربى ... ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الكويت، عدد ٥ ،يونيو سنة ١٩٧٤م، ص ١٠٧-١٠٩ .

(٤) ج .ج .لوريمر : دليل الخليج ، القسم التاريخى ، ج٣ ،ص ١٦٤٠ .

من المعاهدات والحمايات (١) ، التى تربطهم بعجلة السياسة البريطانية ، لتعارض بذلك أطماع محمد على فى المنطقة ، ولتجعل من نفسها صاحبة الأمر فيها ، ولتجعله بذلك حجر عثرة أمام أى اتصال بين الباشا وأيا من مشائخ المنطقة ، أبدت استعدادها لدعم وحماية أمير البحرين ضد أطماع محمد على باشا التوسعية فيها (٢) ، رغم أنها لم تدعه للاشتراك فى الهدنة البحرية الأولى سنة ١٢٥١هـ/١٨٣٥م ، التى أبرمتها مع شيوخ الساحل العمانى (٣) ، وقامت بارسال ثلاث بواخر مسلحة من طريق رأس الرجاء الصالح تم تركيبها فى ميناء البصرة ، وذلك لتقوية النفوذ البريطانى فى الخليج العربى (٤) ، أمام أى تهديد قد تقوم به قوات محمد على باشا المتواجدة فى الجزيرة العربية .

فى الوقت الذى عارضت فيه بريطانيا ارسال سفن مصرية من البحر

---

(١) الأستاذ محمد شفيق غربال : منهاج مفصل ... ، ص١٨ .

(٢) د . صلاح العقاد : التيارات السياسية فى الخليج العربى ، ص ١٤٥ .

(٣) ج . ج . لوريمر : دليل الخليج ، القسم التاريخى ، ج ٣ ، ص ١٣٠١ .

، الساحل العمانى : يمتد لمسافة تبلغ حوالى ثلاثمائة ميل من خور العديد فى الحدود الجنوبية لشبه جزيرة قطر ، الى الحد الجنوبى لرؤوس الجبال التابعة لسلطنة مسقط ، ويطلق عليه هذا الاسم الى ما قبل المعاهدة العامة عام ١٨٢٠م بين بريطانيا وشيوخ هذا الساحل ، ثم قسم بعد ذلك الى سبع وحدات سياسية هى : أبوظبى ، دبى ، الشارقة ، عجمان ، أم القيوين ، رأس الخيمة ، الفجيرة .

د . فؤاد سعيد العابد : سياسة بريطانيا فى الخليج ... ، ص ١٦٠

، د . سيد نوفل : الخليج العربى ... ، ص ٢٢٤ .

(٤) د . عبد العزيز سليمان نوار : المصالح البريطانية فى أنهار العراق ... ، ص ٤٩ ، ٥٠ .

الأحمر الى الخليج العربى ، كان خورشيد باشا قد طلبها من حكومته (١) ، مؤكدة بذلك حرصها الدائم والمستمر على سلامة سياسة منتصف الطريق ، وتحقيق نظرية القشرة الواقية للهند ، التى انتهجتها مع محمد على باشا ابان حروبه فى الشام وشبه الجزيرة العربية .

ان هذا يؤكد لنا الفارق الكبير بين سياسة الدولة العثمانية فى حزام الأمن الذى أقامته فى البحر الأحمر ، والخليج العربى ، للمحافظة على أمن وسلامة الحرمين الشريفين فى مكة المكرمة والمدينة المنورة ، وبين السياسة الاستعمارية التعسفية التى انتهجتها بريطانيا لتحقيق مصالحها الاقتصادية والاستراتيجية فى البحر الأحمر والخليج العربى ، بل وشبه الجزيرة العربية قاطبة بما أسمته القشرة الواقية ، أو الحزام الواقى للهند ، ومدى ما بذلته انجلترا من جهد سياسى وعسكرى للحيلولة دون تعريض طرق مواصلاتها مع الهند لأى خطر قد يهددها من قبل قوات محمد على باشا فى الجزيرة العربية بوجه عام .

---

(١) ارادة رقم ٧ ، ووثيقة رقم ٢ أصلية و ٤ أصلية ، ووثيقة ٣٧ ، ٣٨ حمراء ، محفظة ٢٦٧ عابدين ، محافظ الحجاز رقم ٧ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .

عندما نشبت حرب الشام الأولى التي خاضها محمد على باشا ضد الدولة العثمانية ، بدأت عنايته بالجزيرة العربية ،وما بها من جنود وحاميات عسكرية تقل عن ذي قبل (١) ، اذ أصبح جل اهتمامه منصبا على امداد الجيوش المدربة وفق النظم الحديثة ، وتزويدها بالعتاد والمال لكسب المعركة التي يخوضها ضد الدولة العثمانية في الشام حينذاك ، تاركا الأمور في الجزيرة العربية ، وبالذات في اقليم الحجاز ، لتصرفات الوالي من قبله فيها ، مؤملا فيه أنه يستطيع السيطرة على مجريات الأمور هناك ، والتحكم في زمام السلطة وفرض سيطرة الحكومة على الأهالي الذين ما فتئوا أن يقوموا ببعض الأعمال ضد قوات الباشا . (٢)

من هنا كان قيام جيوش محمد على بحرب الدولة العثمانية في الشام وقلة الاهتمام الذي يلقاه الجند الغير نظاميين في الحجاز ، مدعاة لفتح باب جديد على الباشا في الحجاز ، تمثل في ثورة الجند الغير نظاميين ضد حكومة الحجاز المصرية ، طالبين بصرف الرواتب والعلوفات التي تأخر صرفها اليهم (٣) ، اضافة الى وجود تنافس ونزاع شبه مستمر بين خورشيد بك

---

(١) د . عبد الحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث ١٥١٧-١٨٤٠م ، ص ٦٤ .

(٢) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية.... ، ص ١٠٤-١٠٥ .

(٣) د . فاروق عثمان أباظه : عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر.... ، ص ١١١ .

والى الحجاز من قبل محمد على باشا (١) ، وزنار أغا ، قائد احدى مجموعتى جيش الباشا فى الحجاز (٢) ، وقد حاول زنار أغا استمالة ضباط الجند الغير نظاميين الى صفه ، ضد خورشيد بك ، وشايعته فى هذا الخلاف وهم : محمد أغا "تركجه بيلمز" ، وابراهيم لغابن على أغا البيكمزجى زاده (٣) ، وقد أضاف بعض المؤرخين ، زينل أغا ، وخورشيد أغا ، وحسين أغا (٤) ، بينما يظهر من بعض الوثائق أن زينل أغا هو نفسه زينار أغا ، أما خورشيد أغا فهو والى الحجاز وليس من الضباط الثائرين (٥) .

وعلى أية حال فقد كان محمد أغا تركجه بيلمز Turki Bilmaz (٦)،

---

(١) وثيقة رقم ٨٢٤ ، دفتر ٤٠ معيه تركى ، ص ١٣٠ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة.

(٢) د. فاروق عثمان أباظه : عدن والسياسة البريطانية فى البحر الأحمر ... ، ص ١١١ .

(٣) وثيقة رقم ٥٥٩ ، دفتر معيه تركى ٤١ ، ورقة ١٠٤ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة ، نقلا من :
د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : من وثائق شبه الجزيرة العربية فى مصر محمد على مجلد ١ ، ص ٤٤٩ .

(٤) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ... ، ص ١٧٥ .

(٥) وثيقة رقم ٨٢٨ ، دفتر ٤٠ معية تركى ، ص ١٣٠ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة.

(٦) تركى جه بلماز : أحد مماليك مصطفى بك ، صهر محمد على باشا ، وكان أحد خيالة الجيش العثمانى فى الحجاز ، وكلمة تركى بلماز : تعنى الذى لا يتكلم العربية .
د . جاد طه : سياسة بريطانيا فى جنوب اليمن ، ص ٥٧ .
، أحمد فضل بن على محسن العبدلى : هدية الزمن فى أخبار ملوك لحج وعدن ، ص ١٤٢ .

من أشد المتحمسين لمناصرة زنار أغا ،ضد خورشيد بك(١) ،ولعل الأحداث التى مرت بهذا الضابط التركى - تركجه بيلمز ، وما بذله من تضحيات عسكرية فى اليمن وعسير تحت قيادة أحمد باشا يكن ، أثناء حروب محمد على باشا فى شبه الجزيرة العربية ، وعدم تحقيق آماله وطموحاته الشخصية ، أو عدم مكافأته ماديا أو معنويا بما يستحق فى نظره هو على الأقل ، قد أثرت على سلوكه ونزعاته الشخصية(٢) ، وربما كان ولاءه للدولة العثمانية وللسلطـــان العثمانى ،دافعا له للثورة ضد حكومة محمد على باشا فى الحجاز ،بالاضافة الى اعتقاده بقرب نهاية محمد على باشا ، الذى بدأ فى محاربة الدولـــة العثمانية فى الشام ، مما جعل " محمد أغا - تركجه بيلمز" ،يطمع فى القضاء على حكم محمد على فى الجزيرة العربية ،ليستأثر بالتالى بثقة رجال الدولة العثمانية فى الأستانة ،لكى ينصبونه واليا على الحجاز. (٣)

استغل هؤلاء الجند انشغال محمد على بحروبه ضد الدولـــة العثمانية فى بلاد الشام وآسيا الصغرى (٤) ، وقاموا بثورتهم تلك على والى الحجاز، مطالبين فى الظاهر بصرف رواتبهم المتأخرة ،لاشعال نار الثـورة

(١) د. فاروق عثمان أباظة : عدن والسياسة البريطانية فى البحرالأحمر ...، ص ١١١.

(٢) وثيقة رقم ١٢٤ ،محفظة ٩ بحر برا ، فى ١٦ ذى الحجة سنة١٢٤٠هـ دار الوثائق القومية بالقاهرة.

3- Document : F.O.78/227. No.10; 60952.

(٤) د. عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم: محمد على وشبه الجزيـــرة العربية ...، ص ١٧١.

والتمرد على حكومة الحجاز والمؤيدة لمحمد على باشا ، وسرعان ما تزعم محمد أغا تركجه بيلمز - قيادة الثوار الذين نصبوه واليا على الحجاز بعد أن أسروا خورشيد بك ، واليها من قبل محمد على ،رافضين بذلك الوعود التى أعلنها لهم ، من قرب وصول مرتباتهم ، وزاد من تعقد الأمور انضمام أهالى الحجاز الى المتمردين ، نكاية بجنود الباشا ، وأعمالهم التعسفية التى يمارسونها ضد الأهالى . (١) .

وقد علل بعض المؤرخين أن من الأسباب التى أدت الى قيام هؤلاء الثوار بالتمرد على حكومة الحجاز هو وصول بعض الكتائب من الجيش المصرى المنظم الجديد ، وما لاحظوه من عناية الحكومة به ، وتفضيله على عناصر الجيش التركى القديم (٢) .

قام الجند الثائرون بارتكاب كثير من الأعمال التعسفية ، ونهب الأموال والمتاجر فى مدينة جدة ، وأصبح قائدهم - محمد أغا - تركجه بيلمز ، الآمر الناهى فيها (٣) ، وبذلك ضعف مركز حكومة الحجاز الموالية لمحمد على باشا التى أصبحت مهددة بالسقوط فى أية لحظة.

---

(١) د . فاروق عثمان أباظه :الحكم العثمانى فى اليمن ... ،ص ٣٥ .
، د . عبد الفتاح أبو عليه : الدولة السعودية الثانية ... ،ص ٣٨ .

(٢) د . عبد الحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث... ،ص ٦٥ .
،د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية... ص ١٧٣-١٧٤ .

(٣) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : المرجع السابق ، ص ١٧٩ .

عندئذ لاحت الفرصة الثمينة أمام السلطان محمود الثاني ، الذي يخوض حربا مع محمد على في الشام ، والذى يهمه بقاء الثورة في الحجاز مشتعلة ليتمكن من خلال ذلك في ارباك سياسة محمد على ، وتوزيع جهوده العسكرية ، فأصدر حينذاك فرمانا بتعيين - محمد أغا ، تركجه بيلمز ، واليا على الحجاز ، بدلا من الوالي السابق ، خورشيد بك الذى يؤيد محمد على باشا في حروبه ضد الدولة العثمانية(١) .

وطلب السلطان العثماني محمود الثاني من والى بغداد ، ابلاغ محمد أغا - تركجه بيلمز ، مضمون الفرمان السلطاني ، منتهزا بذلك فرصة الصلة الوثيقة التي تربط والى بغداد مع محمد أغا - تركجه بيلمز ، لتشجيعه واغرائه بولاية الحجاز ، علّه بذلك يضمن ولاء محمد أغا للسلطان العثماني ، مؤكدا له أن قوات محمد على باشا في الشام ، ستنهزم بلا محاله وستتحطم آماله قريبا (٢) ، وكأن الدولة العثمانية قد أدركت أهداف وأطماع محمد على باشا في الجزيرة العربية والشام ، فأرادت أن تقطع عليه طريق الرجعة باستغلال ثورة الجند في الحجاز ، ولكن محمد على أدرك دوافع هذه

---

(١) أحمد فضل بن على محسن العبدلي : هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن ، ص ١٤٢ .
، د . فاروق عثمان أباظه : عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ... ، ص ١١٢ .

(٢) د . عبد الحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث ... ، ص ٦٨ .
، د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ... ، ص ١٧٤-١٧٥ .

الثورة ، ومدى تأثيرها على آماله وطموحاته ، خاصة وهي تنبعث من الحجاز ، ومن جوار الحرمين الشريفين ، اللذين يحتلان أهمية دينية وسياسية في استراتيجية الباشا التوسعية في الجزيرة العربية ، وزاد من قلقه صدور فرمان سلطاني بتدعيم سلطة الثوار في الحجاز(١) ، خاصة وأن الظروف التي تمر بها حكومته دقيقة جدا .

من هنا كان على محمد على أن يوازن بين استخدام السياسة والمهادنة مع الثوار ، لكي لا تتسع آفاق الثورة ضد حكومته ، وبالتالي يصعب علاجها ، لا سيما وأن الباشا قد أدرك أن والى بغداد يلعب دورا خطيرا في تدعيم زعيم الثوار محمد أغا - تركجه بيلمز ، للتمادى في ثورته ، وعزل الحجاز من حكومة محمد على باشا في مصر ، وبين الأسلوب الحربي ، واللجوء الى القوة المسلحة ، التي ستؤثر بدون أدنى شك على استراتيجيته العسكرية ، وخططه الحربية في ذلك الوقت ، فلجأ في بداية الأمر الى انتهاج أسلوب السياسة والدهاء والمكر ، مع قادة الثوار ، وطلب منهم الخضوع لحكومته ، والكف من هذه الثورة ، مبديا استعداده لاصلاح ذات البين فيما بينهم ، حين وصولهم الى مصر ، مستدعيا اياهم للمثول بين يديه لايجاد الحلول المرضية لمطالبهم ، وأعطاهم الوعود بعدم الاضرار بهم ،

---

(١) عبدالرحمن الرافعي : عصر محمد على ، ص ٣١٠ .
، د . فاروق عثمان أباظه : الحكم العثماني في اليمن ... ، ص ٣٥ .

ان هم قدموا اليه فى مصر ، ليصلح بينهم(١) ، كما طلب من وكيل الحرمين حسن أغا الأرزنجانى : السفر الى مكة المكرمة ، لاصلاح حال الثوار ، وتسوية المشكلة بينهم ، وتوزيع الجنود بين عدة جهات مختلفة ، لكى لا يتمكنوا من الاختلاط بقادة الثورة من الضباط الأتراك الذين يحرضونهم بصفة مستمرة ، أما قادة الثورة فقد طلب ارسالهم اليه بمصر ، ولم يخف فى رسالته تلك ، مشاعر الغضب التى يعيشها ، حين وصف قائدى الثورة تركجه بيلمز ، وزينل أغا - بأشر الأوصاف ، طالبا من وكيل الحرمين ارسالهما اليه بأى وسيلة(٢) ، معبرا عن امتنانه وشكره للأرزنجانى ان هو تمكن من ذلك .

أرسل محمد على بعد ذلك رسالة فى التاسع من شهر صفر سنة ١٢٤٨هـ ، الثامن من يونيو سنة ١٨٣٢م الى أمير مكة المكرمة الشريف محمد ابن عون ، طالبا منه محاولة تسوية هذه المشكلة الطارئة بين الثوار ، وبين خورشيد بك ، وبذل امكانياته وجهوده للسعى نحو حل هذه المنازعة

---

(١) د . عبد الحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث ١٥١٧ - ١٨٤٠م ، ص ٦٦-٦٧ .

د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية .... ، ص ١٧٧ .

(٢) وثيقة رقم ٥٥٩ ، دفتر ٤١ معيه تركى ، ورقة ١٠٤ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة ، نقلا عن :

د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : من وثائق شبه الجزيرة العربية فى عصر محمد على ، مجلد ١ ، ص ٤٤٩-٤٥٠ .

بين العساكر ـ الجهادية والتركية ـ ،كما يقول في رسالته تلك (١) ، وقد استغل محمد على الانباء التي وردت من الشام ،حول استيلاء قواته على عكا ، أحسن استغلال فكتب بذلك الى قادة الثوار في الحجاز ، ينبئهم بانتصارات جيشه ، وقرب سيطرته الكاملة على مدن الشام(٢) ، عله بذلك يفت من عزيمتهم ،ويؤثر على نفسياتهم ، وبالتالي يتفرق الجنود والأهالي عنهم ، في الوقت الذى أصدر فيه أمرا بتعيين الشريف محمد بن عون محافظا لمكة المكرمة ، لكي يقلل من اتساع الثورة في أنحاء متفرقة من اقليم الحجاز(٣) خاصة وهو يدرك مدى الكره الذى يخيم على الأهالي من جراء تصرفات بعض الحاميات الموجودة في المنطقة ، ومع هذا فقد بدأ قائد الثوار محمد أغا تركجه بيلمز، يستجمع قواه ، ويستعد للزحف على مكة المكرمة ،لاخراج القوات الموالية لمحمد على باشا ، من قلعة مكة ،والتي يرأسها الميرالاى اسماعيل بك ، ولكنه لم يتمكن من ذلك اذ أن اسماعيل بك استطاع التغلب عليهوارغامه على الرجوع الى جدة قبل أن يصل حدود

---

(١) وثيقة رقم ٨٢٨ ،دفتر ٤٠ معية تركى ،صفحة ١٣٠ ،دار الوثائق القومية بالقاهرة.

(٢) وثيقة رقم ٨٢٣ ،دفتر ٤٠ معية تركى ،صفحة ١٣٠ ،دار الوثائق القومية بالقاهرة.

، وثيقة رقم ٨٢٤ ، دفتر ٤٠ معية تركى ، صفحة ١٣٠ ،دار الوثائق القومية بالقاهرة .

(٣) د . عبد الحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث١٥١٧-١٨٤٠ ،ص ٦٧ ،وثيقة رقم ٨٢٤ ،دفتر ٤٠ معيه تركى ،صفحة ١٣٠ ،دار الوثائق القومية بالقاهرة.

مكـة المكرمة (١) ،وقد استبشر محمد على باشا خيرا بهذا النصر الذى أحرزه قائد حاميته فى مكة المكرمة اسماعيل بك ،وأرسل كتابا الى وكيل الحرمين حسن أغا الارزنجانى ، ومثله الى الشريف محمد بن عون محافظ مكة المكرمة، طالبا من الاول العمل على تحسين الوحدة والاتفاق بين المحافظ محمد بن عون ،وقائد القوات اسماعيل بك ،ليستطيعا الوقوف أمام هذه المشكلة، ريثما تصل القوات التى سيبعثها الباشا من مصر(٢) ، وطلب من الثانى عدم تمكين محمد أغا - تركجه بيلمز - ،من الوصول بقواته الى مكة المكرمة ، واستخدام جميع السبل للحيلولة دون ذلك ، وكذلك التعاون مع اسماعيل بك ،لايقاف هذا الخطر. (٣)

أكـد محمد على لوكيل الحرمين مجددا انتصار قواته فى الشـام، واستيلائها على أهم المدن فيها ، وأن الدولة العثمانية قد أدركت قوتـه ، وعدم استطاعتها الوقوف أمام جيوشه ،فلجأت الى ارسال مندوبا عنهمـا ،

---

(١) د . عبد الحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث... ،ص ٧١ .

(٢) وثيقة رقم ١٣٧ ،دفتر ٤٤ معية تركى ،صفحة ٢٨ ،دار الوثائق القومية بالقاهرة ،نقلا من :
د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: من وثائق شبه الجزيرة العربية فى عصر محمد على ، المجلد ١ ،ص ٤٥٢-٤٥٣ .

(٣) وثيقة رقم ١٥٥ ،دفتر ٤٤ معية تركى ،صفحة ٣٢ ،دار الوثائق القومية بالقاهرة ، نقلا من :
د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: المرجع السابق ،ص ٤٥٤ .

لاصلاح ذات البين ، بين مصر والدولة العثمانيـــة . (١)

تمادى محمد على باشا فى اعجابه بانتصار قواته فى الشام ، حـــين بعث الى قادة الثوار فى الحجاز ، بخطابه المؤرخ فى الرابع والعشرين مـــن شهر صفر سنة ١٢٤٨ هـ ، الموافق للثالث والعشرين من يوليو سنة ١٨٣٢ م ، واصفا اياهم بالحمير .. ! ، اذ أنهم لم يعتبروا لهذا النصر ، الذى خالــف قواته فى الشام ، والتى ستصل الى الغاية التى يريدها هو ... ، طالبـــا منهم الرجوع عن غيهم ، شفقة بهم ، ورحمة لهم ، اذ لا مفر لهم سوى الرجوع اليه ، محذرا اياهم من المخالفة لأمـــره . (٢)

فى نفس الوقت الذى كتب فيه الى اسماعيل بك ، قائد قوات مكـة ، يهنئه على انتصاره الموفق ، على قوات محمد أغا - تركجه بيلمز - ، ويطلـب منه الصمود والتصدى لأى نوايا عدوانية قد يقوم بهـا مجددا ضد مكة المكرمة ، ومؤكدا له مدى أهمية تعاونه مع الشريف محمد بن عون الذى أسندت اليـــه وظيفة محافظ مكـة (٣) ، كما أخبره بأنه قـد فوض أمر اخماد هذه الفتنة الى

---

(١) وثيقة رقم ١٢٧ ، دفتر ٤٤ معية تركى ، صفحة ٢٨ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة ، نقلا عـن :
د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : من وثائق شبه الجزيرة العربية ، فى عصر محمد على ، المجلد ١ ، ص ٤٥٢-٤٥٣ .

(٢) وثيقة رقم ١٥٦ ، د دفتر ٤٤ معية تركى ، صفحة ٣٤ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .

(٣) وثيقة رقم ١٥٧ ، دفتر ٤٤ معيه تركى ، صفحة ٣٤ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة نقلا عـن :-
د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : المرجع السابق ، ص ٤٥٩ .

أحمد باشا يكن ، مانحا إياه آلا بين من المشاة ، وآلاى خيالة ، اضافة الى ألف فارس من العرب . (١)

وكأن محمد على بذلك قد شرع فى اتباع أسلوب الشدة مع هذه الثورة وقادتها ، التى أصبحت بمثابة عامل مؤثر فى جلب انتباه محمد على لكى يتجه نحو الجزيرة العربية بشكل مباشر (٢) وقد أدت تلك الأنباء التى ترددت فى أنحاء مختلفة من اقليم الحجاز ، من تحرك القوات التى يقودها أحمد باشا يكن باتجاه الجزيرة العربية ، للقضاء على ثورة محمد أغا ـ تركجه بيلمز ـ الى ردة فعل قوية لدى الثوار بشكل خاص ، وأهل المنطقة بشكل عام ، أدت فى النهاية بالثوار وقادتهم الى التحرك جنوبا باتجاه اليمن وموانئه ، مدعين خضوعهم للسلطان العثمانى ، الذى انشق عليه محمد على ، وحاربه فى الشام ، علهم بذلك يستجلبون عطف أهل البلاد ، ضد قوات الباشا التى وصلت لمحاربتهم ، ومع ذلك كان هناك من هو أكثر عطفا من أهل البلاد على هذه الثورة وتتبع أخبارها ، وربما الحرص على نجاحها ، أو استمرارها على الأقل ، وهى بريطانيا صاحبة المصلحة الاستراتيجية هناك (٣) .

---

(١) وثيقة رقم ١٥٧ ، دفتر ٤٤ معيه تركى ، صفحة ٣٤ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة ، نقلا من :
د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : من وثائق شبه الجزيرة العربية فى عصر محمد على ، المجلد الاول ، ص ٤٥٩ .

(٢) د . عبد الحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث ١٥١٧-١٨٤٠م ، ص ٧٥

3- Document: F.O.78/228. No,62. 60952.
، د . فاروق عثمان أباظه : عدن والسياسة البريطانية فى البحر الأحمر... ص ١١٢ .
، د . عبد الحميد البطريق : المرجع السابق ، ص ٦٨ .

أبدى القنصل البريطاني في مصر الكولونيل كامبل Colonel, Campbell استياءه من تحطم تلك الثورة بصورة سريعة ، وبالتالي تخوفه من اتساع نفوذ الباشا في اليمن ،فلربما جعلها تابعة للحجاز التي يسيطر عليها منذ مدة ،حين أورد ذلك في رسالته الجوابية التي بعثها لوزير خارجية بريطانيا اللورد بالمرستون Lord, Palmerston، الذي كان حريصا في رسائله المتعددة لقنصله في مصر ، على معرفة مصير ثورة محمد أغا - تركجه بيلمز ،ورفاقه . (١)

وما أن وصل أحمد باشا يكن بقواته الى ينبع ،حتى لاذ محمد أغا - تركجه بيلمز ،وجنده الثائرون بالفرار الى اليمن ، دون ابداء أية مقاومة تذكر ، ليحدثوا بعد ذلك بعض القلاقل في جنوب الجزيرة العربية ، محاولين اقناع شيخ عسير علي بن مجثل ،بالانضمام اليهم ، والمحاربة في صفوفهم ضد محمد علي وجيوشه . (٢)

عند ذلك أخذت الثورة بعدا آخر في المكان والزمان ، وبدأت أنباؤها تستحوذ على ذهن محمد علي باشا ،بشكل فعال وقوي ، اذ أنها جاءت في وقت خطير جدا ، وفي موقع لا يقل خطورة في أهميته

1- Document : F.O.78/227. No,10. 60952.16/4/1833.

(٢) وثيقة رقم ٥٦ ،محفظة ١٧ بحر برا ،دار الوثائق القومية بالقاهرة.

الاستراتيجية ، بالنسبة لأهداف الباشا وتطلعاته ، والتبعات السياسية والعسكرية التى ستنتج من هذه الثورة ، وخاصة بعد توجه الثوار الى اليمن ، وجنوب الجزيرة العربية .

ولنا هنا أن نتساءل من منطق التاريخ ، هل كان عصيان قوات محمد على - الغير نظامية - فى الحجاز ابان حرب الشام الأولى ، بسبب طموحات فردية من قادة الجند ، عند ادراكهم لضعف سيطرة حكومة الباشا على الحجاز ابان تلك الحرب ؟ ، أم أنها كانت تنطلق من مبدأ الولاء الذى كان يكنه الضباط الاتراك فى جيش الباشا فى الحجاز ، للباب العالى ، خاصة عندما عرفوا بخروج محمد على على السلطان العثمانى فى الشام؟ ، وأيا كانت الاجابة .. فان قيام هذه الثورة ، قد أخل الى حد كبير بقوة الباشا العسكرية ، وكاد أن يخل بأهدافه واستراتيجياته التى يطمح اليها فى الجزيرة العربية ، الا أن هذه الثورة قد عجلت باتجاه الباشا الى الجزيرة العربية ، ليرمى بقواته فيها ، وهو لا يزال يخوض غمار الحرب ضد الدولة العثمانية، متخذا منها ستارا يتحرك من خلفه ، فيما لو قوبل تدخله هذا بأى معارضة خارجية من الدول التى يهمها الوضع فى تلك المنطقة، خاصة بريطانيا العظمى ، صاحبة السيطرة البحرية ، والمصالح الاستعمارية فى العالم ،فى ذلك الوقت.

لم يعترف محمد على باشا بفرمان السلطان العثمانى الذى أسند ولاية الحجاز الى محمد أغا - تركجه بيلمز - ، مؤكدا بذلك حرصه على توطيد نفوذ حكومته فى الحجاز (١) ،بشكل خاص وشبه الجزيرة العربية بشكل عام ،لذا فقد أرسل حملة عسكرية بقيادة أحمد باشا يكن ،قوامها سبعة آلاف وخمسمائة مقاتل (٢) ، وصلت الى ميناء ينبع أثناء عودة محمد أغا - تركجه بيلمز ،الى جدة ،بعد أن تغلب عليه قائد حامية مكة ، السيرالاى اسماعيل بك ، عند محاولته الهجوم على مكة المكرمة. (٣)

عند ئذ لم يجد محمد أغا بدا من الاستيلاء على تسع عشرة سفينة كانت راسية فى ميناء جدة ، ليحمل عليها جنوده ورجال حركته ، وبالتالى نقل ميدان المعركة والثورة الى جهة أخرى (٤) ، غير الحجاز الذى توجد به حامية لم يستطع التغلب عليها ، وحملة عسكرية قادمة اليها ، ربما تقضى على ثورته قبل أن يستقيم أمرها .

---

(١) د .فاروق عثمان أباظه : الحكم العثمانى فى اليمن ١٨٧٢-١٩١٨م، ص ٣٥ .

(٢) د .فاروق عثمان أباظة: عدن والسياسة البريطانية فى البحرالأحمر ... ، ص ١١٢ .

(٣) د .عبدالحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث ... ،ص ٧٠ .

(٤) د .جاد طه :سياسة بريطانيا فى جنوب اليمن ، ص ٥٨ .

، د .عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ... ،ص ١٨٢ .

كانت اليمن هى الجهة الوحيدة التى يمكنه الاتجاه اليها ، نظــرا لأن القوة التى أتت من مصر تحت قيادة أحمد باشا يكن ، قد نزلت فــى ينبع شمالى جدة ، وكأنها تحول بينه وبين التوجه الى المدينة المنورة ، فيما لو راوده التفكير فى ذلك ، كما أن أخبار الهجمات التى يشنها علـى ابن مجثل ، شيخ عسير ، على أبى عريش ، التى يتولى أمرها الشريـــف على بن حيدر ، الخاضع لمحمد على باشا ، قد أعطته شيئا من الأمــل ، وفعلا تم التنسيق بين الجانبين ، تركجه بيلمز ، وعلى بن مجثل ، وتمكنا مـن الاستيلاء على أبى عريش ، وفرض شروطهما على الشريف ابن حيدر (١) ، كان هذا فى الوقت الذى وصلت فيه حملة أحمد باشا يكن الى جدة ، واحتلتهـا بدون أى مقاومة ، بعد ان انسحب منها الجند الثائرون بقيادة زنار أغــا وتركجه بيلمز (٢) ، ووصلوا الى ميناء القنفذة (٣) ، محاولين دخول المدينــة والسيطرة عليها ، الا أن أهل القنفذة والحامية الموجودة بها ، استطاعوا منعهم من دخولها (٤) ، لكن الاتفاق الذى تم بين قوات على بن مجثــل

(١) محمد بن أحمد العقيلى : تاريخ المخلاف السليمانى ، ج ١ ، ص ٥٠٨ . ، جاكلين بيرين : اكتشاف جزيرة العرب ، ص ٢٥٢ .

(٢) وثيقة رقم ٥٦ ، محفظة ١٧ بحر برا ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .

(٣) القنفذة من موانئ تهامة على ساحل عسير ، وهى بلدة صغيرة مسورة وهى مرفأ أبها ، وعلى بعد مائة ميل جنوبى جدة ، ويجلب لهـا الماء العذب من الحفير على بعد ميلين ونصف من البلدة . د . عبد الحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث ... ، هامش ص ٧٠ .

(٤) د . فاروق عثمان أباظة : عدن والسياسة البريطانية فى البحر الأحمر ، ص ١١٢ ، د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ص ١٨٢ .

العسيرى ، ومحمد أغا تركجه بيلمز ، كانت له آثار سريعة على القوات المصرية التى يقودها أحمد باشا يكن فى الحجاز ،والذى سرعان ما كتب الى محمد على باشا فى مصر ،برسالة توضيحية عن الوضع الذى تعيشه المنطقة من جراء هذا الاتفاق ،وأنه لا بد من مواجهته عن طريق ارسال قوة عسكرية الـى القنفذة ، بقيادة الميرالاى اسماعيل بك ،فى الوقت الذى سيحاول فيـه أحمد باشا يكن مع الشريف محمد بن عون السيطرة على زمام الأمور فـى الحجاز ، لتطويق الثائرين مع أنصارهم من عسير فى أضيق دائرة مكانيـة، يمكن من خلالها التغلب عليهم بسهولة ، ومحاصرتهم فيها (١) ، أما محمـد أغا ـ تركجه بيلمز ـ الذى لم يستطع دخول القنفذة ،فقد عول على المسير جنوبا ،علـه يجد له من مقـر هناك (٢) .

عسكر تركجه بيلمز بجنوده على بعد ستة أميال من مدينة الحديدة، طالبا تسليم المدينة اليه ، وعندما لم يستجب لطلبه حاصرها بقواته ، حتى استسلمت اليه فى ٣٠ ربيع الثانى سنة ١٢٤٨هـ، الموافق ٢٥ سبتمبر سنة ١٨٣٢م، (٣) وفرض محمد أغا تركجه بيلمز ـ ،سيطرته على المدينة ووضع بهـا

---

(١) وثيقة رقم ٥٦ ،محفظة ١٧ بحر برا ،دار الوثائق القومية بالقاهرة.

(٢) د . فاروق عثمان أباظه : عدن والسياسة البريطانية فى البحـر الأحمر ... ،ص ١١٢ .

(٣) د .عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم : محمد على وشبه الجزيـرة العربية ... ،ص ١٨٢ .

حامية من أربعمائة جندى ، واتجه منها الى مدينة زبيد (١) ، التى خضعت له بعد مقاومة دامت ثلاثة عشر يوما ،بقيادة حاكم المخا الذى كان متواجدا حينذاك فى زبيد (٢) ، وكان تركجه بيلمز، خلال توسعات تلك ،يؤكد انما هو يخضع المنطقة للسلطان العثمانى ،ويحارب باسمه ومن أجله .

وقد بدأ محمد أغا - تركجه بيلمز - فى محاولة فرض حصار اقتصادى على الحجاز ،وذلك بمنع السفن التجارية القادمة من الهند ،من مغادرة ميناء المخا الى ميناء جدة. (٣)

استقر المقام بمحمد أغا - تركجه بيلمز - فى المخا ،التى خضعت له فى شهر رجب سنة ١٢٤٨هـ، ديسمبر سنة ١٨٣٢م(٤) ، بعد أن بسط نفوذه على المدن اليمنية ، ثم بعث برسالة الى السلطان محسن فضل العبدلى سلطان لحج وعدن ،طالبا اياه بتسليم ميناء عدن اليه ، فتظاهر

---

(١) تبعد زبيد عن الساحل بنحو خمسة وعشرين كيلومتر ،وتقع على الطريق بين عدن ومكة ،وهى مدينة مسورة ، ولسورها أربعة أبواب ، وبها عدد من الأبنية الأثرية وقد ذكرها : الجغرافى العربى المقدسى... ،
د .عبد الحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث ... ،هامش ص ٧١ .

(٢) د .جاد طه : سياسة بريطانيا فى جنوب اليمن ،ص ٥٨ .
، د .عبد الحميد البطريق : المرجع السابق ، ص ٧١ .

(٣) د .عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ،ص ١٨٣

(٤) سيديو : خلاصة تاريخ العرب ،ص ٢٨٥ .
، د .فاروق عثمان أباظه : الحكم العثمانى فى اليمن ... ،ص ٣٥ .

السلطان بالموافقة على تسليم الميناء اليه ، وعندئذ أرسل تركجه بيلمز قوة صغيرة لاستلام الميناء تتكون من أربعين رجلا ،وقد وصلت هذه القوة الى ميناء عدن في السادس والعشرين من شهر رمضان سنة ١٢٤٨هـ ، السابع عشر من فبراير سنة ١٨٣٣م ،واستقبلهم السلطان استقبالا طيبا في بداية الأمر ،ولكنه أمر جنوده بمهاجمتهم في تلك الليلة التي وصلوا فيها ، وقتل منهم سبعة وعشرين رجلا ،وفر الباقون الى المخا .(١)

اضطر محمد أغا - تركجه بيلمز - أن يغير من حساباته العسكرية ، ويعدل من استراتيجيته التوسعية ،اذ فكر في شهر شوال سنة ١٢٤٨هـ ، مارس سنة ١٨٣٣م ، في وضع خطة هجومية على ميناء جدة من طريق البحر ، محاولا الاستعانة بقوات على بن مجثل العسيري ،لمهاجمتها عن طريق البر(٢) ، ولكن على بن مجثل لم يكن يحبذ الوجود التركي والمصري على حد سواء ،في الوقت الذي علم فيه بوصول حملة أحمد باشا يكن ، لتعقب محمد أغا - تركجه بيلمز ، وثورته في اليمن (٣) ، مما جعله يقلب ظهر المجن(٤)

---

(١) أحمد فضل بن على محسن العبدلي : هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن ، ص ١٤٢-١٤٣ .

(٢) د .جاد طه : سياسة بريطانيا في جنوب اليمن ،ص ٥٩ .

(٣) د .عبد الحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث ... ،ص ٧١ .

(٤) المَجِنُّ : الترسُ منه ، والمَجَنّ والمِجانُّ في الحديث ،وهو التُّرسُ والتِّرسة والميم زائدة لأنه من الجُنّة السُتْرة .
ابن منظور : لسان العرب ، ج١٣ ،ص ٤٠٠ .

لتركجه بيلمز ، ويخطب ود أحمد باشا يكن (١) ، ليحقق هو الآخر مكاسب مادية ، ومعنوية على حساب تقدم جيوش أحمد باشا يكن في اليمن (٢) ، فأصبح موقف محمد أغا تركجه بيلمز - وثورته حينئذ جد خطير ، اذ فقد حليفه القوي ، الذي أصبح عدوا لدودا ، يهدده من البر ، في الوقت الذي تهدده قوات أحمد باشا يكن من البحر ، فلم يكن أمامه الا تسليم الحديدة له صلحا ، علّه يكتفي شره مستقبلا . (٣)

سرعان ما استولت قوات علي بن مجثل العسيري على مدينة زبيد ، وهي في طريقها الى المخا ، مقر تركجه بيلمز وقواته ، التي ضربت الحصار عليها من البر ، بينما القوات المصرية تحاصرها من البحر (٤) ، ولا شك أن محمد علي ، بعد هذه التطورات كان يرى أن يسيطر على اليمن وموانئه المهمة ، والا لما أمد هذه الحملة الحربية التي بلغت خمسة عشر ألف مقاتل ، مع علمه بتعاون علي بن مجثل مع قواته تلك (٥) ، وعلى

---

(١) أحمد فضل بن علي محسن العبدلي : هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن ، ص ١٤٣ .

(٢) د . فاروق عثمان أباظة : عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر .... ، ص ١١٤ .

(٣) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد علي وشبه الجزيرة العربية .... ، ص ١٨٤ .

(٤) أحمد فضل بن علي محسن العبدلي : المرجع السابق ، ص ١٤٣ .

(٥) عبد الرحمن الرافعي : عصر محمد علي ، ص ٣١١ .

أية حال فقد ساء وضع الثوار وقائدهم محمد أغا تركجه بيلمز - بعد أن طبق عليهم الحصار من البر والبحر، وبعد أن رفضت جميع طلباته ومحاولاته، مع قادة الجيوش المُحاصِرة، الذين طلبوا من تركجه بيلمز أن يسلم لهم دون قيد أو شرط (١).

عندئذ لم يبق أمام محمد أغا تركجه بيلمز - وجنوده، الا النجاة بأنفسهم من المصير المجهول الذى ينتظرهم، على أيدى القوات المصرية الطاردة لهم، وحليفها العسيرى، فانطلقوا لا يلوون على شئ، علهم يصلون الى السفن البريطانية، التابعة لشركة الهند الشرقية، الراسية فى الخليج المواجه للمخا، وبدأوا فى الهروب على القوارب الصغيرة، والتى غرق معظمها بمن فيه من الجنود فى عرض البحر، قبل أن تصل الى السفن البريطانية، وذلك لسوء الموقف الذى عاشه الجنود، من جراء مطاردتهم من الخلف وحرصهم على النجاة، الا أن محمد أغا - تركجه بيلمز - ومعه مائة وخمسون من أصحابه، استطاعوا النجاة والوصول الى السفينة البريطانية تيجريز Tegris، التى أبحرت بهم الى مدينة بومباى فى الهند (٢). أما مدينة المخا فقد دفعت الثمن غاليا، حيث تعرضت للسلب والنهب، فى الوقت الذى لم يتعرض الوكيل البريطانى فيها، وكذلك من هم فى

---

(١) د. فاروق عثمان أباظه: عدن والسياسة البريطانية فى البحر الأحمر ...، ص ١١٤.

(٢) د. عبدالحميد البطريق: من تاريخ اليمن الحديث ١٥١٧-١٨٤٠م، ص ٧٢.

فى حمايته لما يكدر صفوهم (١) .

ولعلنا نتساءل هنا عن مغزى ذلك التقدير والاحترام لهذا الوكيل الذى تجاوز حق حمايته وأملاكه ،الى حماية من لجأوا الى منزله ،فأصبحوا تحت حمايته فى أمن وسلام ؟ فهل هذا ينبئ عن وجود الهيمنة التجارية البريطانية التى أكسبت وكيلها تلك المكانة ؟ أم خشية من بطش حكومة ذلك الوكيل فيما لو تعرض لأى أذى ، ومن أى جانب ؟!

وأيا كانت الاجابة لكلا الحالتين ،فان التعاطف الذى أبدته بريطانيا حول استقبالها تركجه بيلمز وجنوده الثائرين ، ونقلهم من مكان المعركة، وعلى سفن شركة الهند الشرقية الى بومباى ومن ثم الى البصرة، والمحافظة على سلامتهم (٢) ، لهو دليل كافٍ على حرص بريطانيا المستمر، على تدعيم سيطرتها فى الجزء الجنوبى ، من البحر الأحمر ، وبالتالى حماية مصالحها الاقتصادية هناك ضد التوسع المحتمل لنفوذ محمد على باشا ، الذى وصل الى هناك بحجة القضاء على ثورة محمد أغا- تركجه بيلمز- رغم انشغاله بحرب الشام الأولى ، ضد الدولة العثمانية ، والتى لم تضعف

---

(١) د .جاد طه : سياسة بريطانيا فى جنوب اليمن ، ص ٦٠ .

(٢) د .عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ... ،ص ١٨٥ .

، أحمد فضل بن على محسن العبدلى : هدية الزمن فى أخبار ملوك لحج وعدن ، ص ١٤٣ .

عزيمته في تتبع هذه الثورة والقضاء عليها . (١)

يضاف الى ذلك ادراكها لمحاولات محمد علي في فرض نفوذه الكامل على اقليم الحجاز ، وعسير ، اذ أنه بعد هروب الثوار من جدة الى اليمن ، فان قواته التي يقودها أحمد باشا يكن ، لم تكتف بمطاردة الثوار فحسب ، بل قامت بعدة هجمات على قرى بالأسمر وبالأحمر وشهران ورفيدة ، وأحدثت لهم كثير من الدمار والخراب في الأنفس والأموال . (٢)

وكان محمد على باشا قد بدأ ينفذ أطماعه التوسعية في الجزيرة العربية ، مستترا خلف ثورة الجند الغير نظاميين ، لتلافي أية تدخلات خارجية قد تقف ضده ، خاصة بريطانيا التي حاول اقناع قنصلها في مصر بخطورة ثورة تركجه بيلمز على المصالح البريطانية . (٣)

وظهر ذلك بشكل واضح في مخططات محمد على ، بعد انعقاد اتفاقية كوتاهية - الهدنة المسلحة سنة ١٢٤٨هـ/١٨٣٢م ، بينه وبين السلطان العثماني في الشام ، حين بدأ في تدعيم قواته في الجزيرة العربية ،

---

(١) د . عبدالحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث ... ، ص ٦٤ .

(٢) جاكلين بيرين : اكتشاف جزيرة العرب ، ص ٢٦٥-٢٦٦ .

، د . عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ... ، ص ١٥٦-١٥٧ .

3-Document: F.O.78/228.No.62;60952.

مبتدئا ذلك بارسال حملة عسكرية بقيادة ابراهيم باشا يكن ، لتؤكد تدعيم نفوذه فى جنوب الجزيرة العربية (١) .

من هنا أصبحت الموانئ اليمنية كالحديدة والمخا ، تحت السيطرة الكاملة لمحمد على (٢) ، وأصبح مدخل البحر الأحمر ، خاضعا لنفوذه ، وتحت رحمة حكومته ، مما زاد فى قلق الحكومة البريطانية ووزير خارجيتها اللورد بالمرستون Lord, Palmerston الذى بدأت ملامح سوء النية تختلج فى نفسه ضد محمد على ، وأهدافه فى الجزيرة العربية ، والتى بدأت تتبلور وتظهر الى حيز الوجود ، رغم القضاء على ثورة تركجه - بيلمز (٣) .

ولم يكتف محمد على باشا بالقضاء على هذه الثورة ، وهروب قائدها الى الهند ، بل اتخذ عدة اجراءات ، يمكن أن نقول أنها جزاءات انتقامية ، يهدف من خلالها الى استتباب الأمن ، وفرض الطاعة بين وحدات الجيش لكى لا تعود الى الثورة مجددا على غرار ما قام به محمد أغا - تركجه بيلمز - وجنوده .

1- Document : F.O.78/227. No.10; 60952.

2- Document : F.O.78/257. No.2.^{x}C/A/ 61064.

(٣) د. فاروق عثمان أباظه : عدن والسياسة البريطانية فى البحر الأحمر ... ، ص ١١٤ .

ففى الوقت الذى أمر فيه بمصادرة جميع أملاك قايد تلك الثورة تركجه بيلمز وزميله ، التى لهما فى مصر(١) ، وتجريدهما من جميع الرتب العسكرية وقطع كافة المرتبات منهما (٢) ، أصدر أمرا باعدام محمد أغا الحبشى " قائد الأورطة الثانية ، التابعة لتركجه بيلمز ، رميا بالرصاص " ، وكذلك جميع ضباط تلك الأورطة الى رتبة ملازم ثانى ، لتكون عبرة للآخرين كما يقول فى ذلك الأمر(٣) ، أما من اشتبه فى أمرهم ، وحامت حولهم بعض التهم فى مساندة تلك الثورة ، أو التواطؤ مع قائدها ، مثل وكيل الحرمين حسن أغا الأرزنجانى ، فقد قدموا للمحاكمة ،الا أن الباشا قد خفف من عقوبة الاعدام التى قررها مجلس الجهادية ضد الأرزنجانى ، لكبر سنه وشيخوخته(٤).

ويعنى ذلك أن محمد على باشا قد وقف موقفا صارما ضد تلك الثورة التى استهدفت تحطيم نفوذه فى الحجاز بشكل خاص ، وشبه الجزيرة العربية بشكل عام ، والتى أدرك هو أبعادها قبل أن تستفحل ، ويشتد عودها ،

---

(١) وثيقة رقم ٤٠١ ، دفتر ٥٠ معية تركى ، ورقة ٣٥ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة ،نقلا عن :
د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : من وثائق شبه الجزيرة العربية فى مصر محمد على ، مجلد ١ ،ص ٤٧١.

(٢) د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية .... ،ص ١٨٩.

(٣) وثيقة رقم ٤١ ،دفتر ٤٨ معيه تركى ،ورقة ٨ ،دار الوثائق القومية بالقاهرة ، نقلا عن :
د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم :من وثائق شبه الجزيرة العربية فى مصر محمد على ، مجلد ١ ،ص ٤٧٠.

(٤) د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم :المرجع السابق ،ص ١٨٩-١٩٠

رغم أنها جاءت في وقت جد خطير ودقيق ، فقد كان الباشا خلاله يخوض غمار حربه في الشام ضد الدولة العثمانية ، ويمكننا القول أن تلك الثورة أيا كان هدفها ، وهدف من أشعلها ، فانها قد وضعت النقاط على الحروف فيما يتعلق بأهداف محمد على باشا التوسعية في شبه الجزيرة العربيـــة ، بل عجلت باقدام الباشا حيال تحقيق هذه الأهداف ، في الوقت الـــذى أظهرت فيه مدى الحرص البريطاني ، الذي بدأ يظهر على رجال السياســة البريطانيين حول مصير هذه الثورة ، مبدين من خلال ذلك الحرص ، مدى اهتمامهم بشئون الجزيرة العربية ، وبالذات البحر الأحمر ، والموانىء اليمنية الهامة .

ولكن ومع ذلك كله ، فقد استطاع محمد على باشا ، القضاء على هــذه الثورة دون أن يخل باستراتيجيته العسكرية في الشام ، وقبل أن تستفيـــد منها الدولة العثمانية في مقاومته ، كما أنها أظهرت تمكنه من التعامــل مع بـــريطانيا بأسلوب سياسي رفيع ، ليتلافى الاصطدام بها في تلك الفـــترة الحرجة التي يمر بها عسكريا ، ابان حرب الشام الأولى ، والتي بدأ مـــن بعدها في تدعيم نفوذه في تلك المنطقة ، بأسلوبين مختلفين مـــن ذى قبل ، سواء في الناحية العسكرية ، أم في الناحية السياسية .

بعد أن تم القضاء على ثورة الجند الغير نظاميين في الحجاز وفي اليمن ، والتي كان يقودها الضابط التركي محمد أغا ـ تركجه بيلمز ـ ، من قبل جيوش محمد علي باشا .

وبعد أن أسدت بريطانيا ، ممثلة في شركة الهند الشرقية ، خدمة كبيرة جدا الى قائد الثوار وبعض رجاله ، بنقلهم من معترك الأحداث الى مدينة بومباى في الهند ، أصبح محمد علي ذا نفوذ مطلق في جنوب الجزيرة العربية والموانئ اليمنية لا يعكره الا ما قد يختلج في أذهان الساسة الانجليز من أفكار بعيدة ، لما قد تتعرض له مصالحهم الاستراتيجية في شبه الجزيرة العربية ، وبالذات طرق مواصلاتها الى الهند ، من جراء هذا التوسع الذي يرنو اليه الباشا في تلك المنطقة ، من هنا أصبح لزاما على رجال السياسة البريطانيين ، تفادى ما قد ينتج من هذه الأفكار التي قد يطبقها الباشا بين عشية وضحاها ، فلم يجدوا أفضل من قائد ثورة الحجاز ، الذي أصبح من أعداء محمد علي وطموحاته ، فأوصلوه الى البصرة معززا مكرما ، ليحتل بعد ذلك منصبا قياديا في ولاية بغداد العثمانية. (١)

أسند الى تركجه بيلمز منصب سر عسكر ، أو قبودان باشا (٢)، حاكما

---

(١) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: محمد على وشبه الجزيرة العربية ... ، ص ١٧٥ ، ١٨٥.

(٢) قبودان ، ويقولون أحيانا قبطان ، وهي تحريف كلمة كابتن Capitaine الافرنسية ، التي تعني قائد السفينة في البحر.
محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، هامش ص ٢٢٧ .

على البر والبحر على السفن الموجودة بالبصرة(١) ، وربما تعيين محمد أغا - تركجه بيلمز - في هذا المنصب بالذات ، لما له من صلة مباشرة بالبحر ، يغنينا كثيرا من التعليل لما وراءه من أهداف استراتيجية ، تخدم طرفا معينا في البحر ، ألا وهو بريطانيا ، التي تعتبر البحار في ذلك الوقت بالنسبة لها كالشريان في جسم الانسان ، من هنا نستطيع أن نقول أن تركجه بيلمز ، الذي لم يستطع أن يثبت أقدامه في اليمن (٢) ، لم يتقلد هذا المنصب القيادي الهام بجدارته هو ، كما أن والي بغداد لم يكن من السذاجة بمكان ليمنح هذا المركز الى ضابط تركي عصى سيده (٣)، مما يؤكد أن ذلك تم نتيجة لايعاز بريطاني ان لم يكن الضغط المباشر.

على الرغم من أن المصلحة مشتركة بين والي بغداد وبريطانيا في ايقاف أي زحف محتمل قد تقوم به جيوش الباشا الى الخليج العربي ، الا أن الثقة في شخصية محمد أغا - تركجه بيلمز - لدى السلطات البريطانية كانت سببا في ذلك ، وتلك السلطات لا يعنيها من يتولى الزعامة في البصرة وبغداد ، بقدر ما يعنيها مدى ما يستطيع عمله هذا الوالي لايقاف أي خطر يهدد طرق مواصلاتها الى الهند ، والمتمثل الآن في محمد علي في الجزيرة

---

(١) د . عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم : محمد علي وشبه الجزيرة العربية ... ، ص ٣٧٨ .

، د . فائق حمدي طهبوب : تاريخ البحرين السياسي ... ، ص ١٧٧ .

(٢) عبدالحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث ... ، ص ٧٢ .

(٣) د . عبدالعزيز نوار : تاريخ العراق الحديث ... ، ص ٧٨ .

العربية ،وطالما أن العداء لا زال مستحكما بينه وبين تركجه بيلمز ، اذاً فتركجه بيلمز هو رجل هذه المهمة ، ولأن بريطانيا ما فتئت فيما مضى من تتبع أخبار محمد على فى اليمن ، وتحركاته فيها ، ساعية بذلك الى ايقافه من تحقيق بعض أطماعه وأهدافه التى تدركها هى . (١)

وعلى أية حال فقد كان محمد أغا - تركجه بيلمز - الى حد ما مخلصا مع حكومته الجديدة ، حين طلب من والى بغداد تزويده بالعتاد والسلاح للتصدى لخورشيد باشا ،قائد قوات محمد على فى وسط شبه الجزيرة العربية ، فيما لو استمر فى زحفه تجاه البصرة(٢) ، فى الوقت الذى لم يقدم للامام فيصل بن تركى ، الذى بدأت قوات خورشيد باشا تهدده ، غير الوعود وكلمات التشجيع التى لم يستفد منها (٣) .

وبعد ما علم تركجه بيلمز بسقوط آخر معقل للامام فيصل بن تركى فى نجد ،وسيطرت قوات خورشيد باشا على المنطقة ، لجأ الى أساليب أخرى يهدف من خلالها زعزعة موقف قوات الباشا ، للحيلولة دون تقدمها الى البصرة ،

1- Document : F.O.78/227. No.10 ;60952.

(٢) د .عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ... ،ص ١٨٧ .

(٣) د . عبدالعزيز نوار : تاريخ العراق الحديث ... ،ص ٢١٤ .
، د . فائق حمدى طهبوب: تاريخ البحرين السياسى ... ،ص ١٧٧ .

اذ بدأ في مراسلة الجنود والأعراب ،ودعوتهم للتضامن مع والي بغداد ضد خورشيد باشا وقواته . (١)

ولكن الخلاف لم يلبث أن شب بين والي بغداد وتركجه بيلمز، ليقوم الوالي باجراء بعض التعديلات الادارية ،ومن أهمها عزل - تركجه بيلمز - من منصبه ، واعادته الى بغداد (٢) ، حتى أن محافظ المدينة المنورة قد أكد في رسالة له الى محمد علي ،أن غضب والي بغداد هذا قد أدى الى قتل تركجه بيلمز ،بناء على ما ورد اليه من أخبار شبه مؤكدة. (٣)

من هنا بدأ نجم هذا الضابط التركي - محمد أغا - تركجه بيلمز - في الأفول ،اذ ابتعد عن مسرح الأحداث الهامة ، ولم يعد له من الأهمية ما كان له من قبل ، الا أن الوثائق قد أكدت لنا فيما بعد استعداد - تركجه بيلمز ، للعودة الى خدمة سيدة محمد علي ، والخضوع له ان هو عفا عنه ، معترفا له بجرمه وخطأه ،مبديا خضوعه وتذلله لولي نعمته ، ليصبح خادما مملوكا الى الأبد ، نظير ما اقترفه من ذنب سابق (٤) ،لتنفي لنا بذلك

(١) د .عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد علي وشبه الجزيرة العربية ... ، ص١٨٧ .

(٢) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : المرجع السابق ،ص٣٨٦ .

(٣) وثيقة رقم ٦٩ أصلي ، ٢٦٤ حمراء ،محفظة ٢٦٣ عابدين ،محافظ الحجاز رقم ٥ ،دار الوثائق القومية بالقاهرة ، رسالة من محرم أغا الى محمد علي في ٢٥ جمادى الآخر سنة ١٢٥٤هـ.

(٤) صورة المرفق للوثيقة رقم ٤ حمراء ،محفظة ٢٦٧ عابدين محافظ الحجاز رقم ٧ ،دار الوثائق القومية بالقاهرة.

قتله على يد والى بغداد كما ذكر آنفا (١) ، كما أن خورشيد باشا قد ذكر فى رسالة بعثها من ثرمده فى الثالث من شهر شعبان سنة ١٢٥٥هـ ، الى باشمعاون جناب الخديوى تمكُّنه من القبض على مجموعة أوراق تخص تركجه بيلمز ، فى الحادى والعشرين من شهر محرم سنة ١٢٥٥هـ (٢) ، فى حين أكدت بعض المراجع التاريخية أنه كان قائدا لبعض القوات العثمانية التى اشتبكت مع عشائر المنتفق سنة ١٢٦٩هـ/١٨٥٣م ، وأنه قد قتل فى تلك المعركة على يد مشارى السعدون. (٣)

ومهما كانت نهاية محمد أغا تركجه بيلمز - وكيفيتها ، فان الذى يعنينا فى هذا البحث ، هو الأثر السلبى والايجابى لثورته ، عندما بدأت فى الحجاز ، ووصلت الى اليمن ، ومدى ما خلفته على الجزيرة العربية من انعكاسات أثرت بشكل مباشر على مجريات الامور فى المنطقة ، لتؤدى بالتالى الى تدهور الأوضاع السياسية والاقتصادية على حد سواء فى الجزء الجنوبى الغربى من شبه الجزيرة العربية ، كما أنها فيما بدا لنا ، من أهم تأثيرات حروب محمد على فى الشام بالنسبة لشبه الجزيرة العربية.

---

(١) وثيقة رقم ٦٩ اصلى ، و ٢٦٤ حمراء ، محفظة ٢٦٣ عابدين ، محافظ الحجاز رقم ٥ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة.

(٢) وثيقة رقم ٤١ أصلى ، ٩ حمراء ، محفظة ٢٦٧ عابدين ، محافظ الحجاز رقم ٨ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .

(٣) د . عبدالعزيز نوار : تاريخ العراق الحديث ... ، ص ١٧٨ .

الفصل الثاني

الدولة السعودية الثانية

أ - الحالة في أواخر عهد الإمام تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود .

ب - إعادة بناء الدولة في عهد الإمام فيصل بن تركي .

جـ - الموقف في الشام وأثره في تطور أحوال الدولة السعودية الثانية.

د - علاقة الدولة السعودية الثانية بالدولة العثمانية.

كانت الفترة التى أعقبت سقوط الدرعية ،عاصمة الدولة السعودية الأولى ،وحتى بداية حكم الامام تركى بن عبدالله بن محمد بن سعود من الفترات التاريخية المظلمة التى مرت باقليم نجد بشكل خاص ، والجزيرة العربية بشكل عام ، اذ تميزت بالفتن والحروب الأهلية ، وسادهـا الارتباك السياسى والاقتصادى ، الذى أخل بتوازن المنطقة من خلال فقدانها لوجود الحاكم القوى ، الذى يمسك بزمام السلطة ،ويدبر شئون البلاد ، وفق تكويناتها السياسية والاجتماعية المعروفة. (١)

ظهر الامام تركى بن عبدالله بن محمد بن سعود ، كواحد من أمراء الدولة السعودية التى افتقدها المجتمع النجدى ، وقد تميز الامام تركى بصفات سياسية وقيادية خاصة ، أهلته لأن يعيد الاستقرار الى المنطقة، بعد أن تمكن من الانتقام لابن عمه مشارى بن سعود من محمد بن مشارى ابن معمر(٢) ، الذى حاول استغلال الظروف التى تعيشها نجد ، ليحتل مركز القيادة فيها ، بعد أن أبدى خضوعه لقائد الحاميات العثمانية ، ليظفر بحكم نجد تحت نفوذ الأتراك .

---

(١) د . عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ،ص ٢٥ ، د . فائق حمدى طهبوب : تاريخ البحرين السياسى ... ،ص ١٢٨-١٢٩ .

(٢) محمد بن عمر الفاخرى : الأخبار النجدية ،ص ١٥٥ ، د . محمد عبدالله ماضى : النهضات الحديثة فى جزيرة العرب،ص ٨١

الا أن الامام تركى بن عبد الله والذى بذل جهودا جبارة ، قد تغلب على جميع الأوضاع والصعاب التى تعيشها المنطقة ،ويعيشها هو بعد القضاء على الدرعية ، وكان أفراد الأسرة السعودية المطاردون من الحاميات العثمانية فى أى مكان ،للقبض عليهم وقتلهم أو تشريدهم ، غير أن الامام تركى قد تصدى لهذه الحاميات بعزيمة خارقة،صاحبها دهاء سياسى فريد (١) ، استطاع من خلاله فى نهاية الأمر أن يحسم الأمور لصالحه ،ويخرج عساكر الحامية العثمانية من الرياض ، بعد أن أمنهم على دمائهم وأموالهم ، وبذلك تمكن من استرداد الرياض التى جعلها عاصمة لدولته الجديدة ، ومنطلقا لطموحاته (٢) ، ثم قام بمحاولاته الكبيرة والطموحة لتدعيم نفوذه وتوطيد أركان حكمه فى حائل والقصيم وعسير ،بالأسلوب السياسى ، دون اللجوء الى المعارك الحربية فى بداية الأمر. (٣)

---

(١) محمد عبدالله الأحسائى : تحفة المستفيد بتاريخ الاحساء فى القديم والجديد ،ص ١٤٨ .

(٢) ابراهيم بن صالح بن عيسى : تاريخ بعض الحوادث الواقعة فى نجد صـ ١٤٥ .

، الأمير ضارى بن فهيد الرشيد : نبذة تاريخية من نجد ... ،ص ٣٣

، حافظ وهبة : جزيرة العرب فى القرن العشرين ، ص ٢٣٢ .

(٣) صلاح الدين المختار :تاريخ المملكة العربية السعودية ... ، مجلد ١ ، ص ٨٥- ٨٦ .

،أحمد عبدالغفور عطار: صقر الجزيرة ج ١ ،ص ٢٢٧ .

ولعلنا نستطيع أن نقول هنا أنه بالرغم من القضاء على الدولة السعودية الأولى بالمفهوم السياسي ، الا أن أفكار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب والولاء الخالص الذى يكنه أبناء الجزيرة العربية للدولة السعودية ، التي تبنت الدفاع عن هذه الدعوة ، لم يزالا ملء أفئدة الناس في المنطقة (١) ، بالاضافة الى ما وصلت اليه البلاد من أوضاع سيئة في مختلف نواحي الحياة.

سارع أهل نجد والمناطق المحيطة بها في الالتفاف حول الامام تركي علّه يحفظ لهم ما بقي من الأنفس والأموال ، لأن الحاميات العثمانية كانت متقوقعة في قلاعها ، ولا تتدخل في مجريات الأحداث والاضطرابات التي تعيشها البلاد ، مكتفية من ذلك بجباية الضرائب وارسالها الى محمد علي في القاهرة ، الذى بدأت قبضته العسكرية تتراخى عن اقليم نجد ، ولم يعد يهمه منها الا تحصيل الضرائب التي يدعم بها قوته الحربية التي بدأ في بنائها ، وذلك بسبب انشغال محمد علي بحروب اليونان ، وارساله للحملات العسكرية المتتالية. (٢)

وأيا كان السبب في ذلك ، فان الامام تركي بن عبد الله قد انتهز الفرصة للاستفادة من هذه العوامل مجتمعة ، ليعيد بناء الدولة السعودية

---

(١) د . عبد الفتاح أبو عليه : الدولة السعودية الثانية ... ، ص ٢٤ .

(٢) أمين سعيد : تاريخ الدولة السعودية ... ، ص ١٤٦ .

الثانية على أسس قوية راسخة ، وعلى نهج آبائه (١) ، وليعيد بالتالى الأمن والاستقرار الى ربوع الجزيرة العربية التى استطاع اخضاعها لحكمه.

طالب الامام تركى بن عبدالله قبائل عتيبة القاطنة بضواحى مكة بدفع الزكاة الشرعية له ، باعتبار أنه حاكم البلاد الشرعى ، مما أزعج حاكم الحجاز من قبل محمد على ، الذى لم يجد وسيلة غير الكتابة الى سيده فى مصر علمه بذلك يوقف هذا الأمير السعودى ، لكى لا يدخل الحجاز فى نفوذه (٢)، ولأن على بن مجثل شيخ قبائل عسير كان قد تحالف مع الامام تركى بن عبدالله ضد الوجود العثمانى المصرى فى المنطقة(٣) ، مما يعنى أن الحاميات الموجودة فى الحجاز ستصبح مهددة بالقتل والطرد فى أية لحظة ، سواء من الشرق ، ومن قبل الامام تركى بن عبدالله ، أو من قبل حليفه على بن مجثل من الجنوب ، ولكن محمد على كان مشغولا فيما هو أهم وأخطر بالنسبة له هو ، ألا وهى حرب الشام الأولى ، التى يعتزم خوضها ضد الدولة العثمانية .

---

(١) ج.ج. لوريمر : دليل الخليج ، القسم التاريخى ، ج٣ ، ص ١٦٣١.

(٢) وثيقة رقم ٦٤ ، محفظة ١٣ بحر برا ، دار الوثائق القومية بالقاهرة.

(٣) وثيقة رقم ١١٩ ، محفظة ١٦ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة . نقلا عن : د. عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم : من وثائق شبه الجزيرة العربية فى عصر محمد على ، مجلد ١ ، ص ٥٣٦.

أخاف ظهور الامام تركي بن عبدالله في نجد والتفاف قلب الجزيرة العربية حوله ،آل عريعر حكام الأحساء المعروفين بعدائهم المستمر للدولة السعودية ،والذين بدأوا في ابراز التحدي السافر للامام تركي ودولته الناشئة ،(١) فخرج حاكم الأحساء محمد بن عريعر وأخوه ماجد في جمع كبير من بني خالد سنة ١٢٤٥هـ/ ١٨٣٠م ، وانضم اليهما بعض القبائل قاصدين محاربة الامام تركي في الرياض ، الا أن الامام تدارك ذلك ،وأعلن السير لملاقاتهم قبل أن يصلوا ، وانضمت الى جيوش الامام كثير من القبائل الخاضعة له ،ثم التقى الفريقان في معركة حاسمة ، انتهت بهزيمة بني خالد في الموقعة المعروفة بالسبية. (٢)

ومع أن محمد بن عريعر توجه الى الأحساء واستعد للحصار فيها ،الا أن الامام تركي سار في أثره ، ونزل بجنوده في جبل أبي غنيمة قرب عين

---

(١) د . محمد عرابي نخلة : تاريخ الأحساء السياسي ... ،ص ٥٠ .

(٢) مختارات من سجلات حكومة بومباي :

S.R.B,G.No XXIV P.P. 438-439.

،ابراهيم بن صالح بن عيسى : تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ... ، ص ١٥٧-١٥٨ .

السَّبِيَّة : تَبَارة كبيرة شهيرة من أعلام صحراء الدَّهْنَاء .

عبدالله بن خميس : معجم اليمامة ،ج ٢ ، ص ٩ .

نجم المشهورة. (١)

عندئذ خرج اليه علماء الاحساء ورؤساءها فبايعوه على السمع والطاعة ، فلم يكن أمام ابن عريعر الا التسليم للامام بدون قيد أو شرط ولكن الامام تركى أكرم وفادته ، وأعطاه ما يريد من المال ، تاركا له الحرية فى الاقامة أو الرحيل ، فخرج الى العراق ، ولم تقم لآل عريعر بعد ذلك قائمة(٢) ، أما الامام تركى بن عبد الله فقد بسط كامل نفوذه على الأحساء والقطيف(٣) ، وأقام فيهما فترة من الزمن يصلح أمورها ، ويرتب شئونها ، ويكرم زعماءها ، ويعين فيها المرشدين والأئمة للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر(٤) ، ويضرب على أيدى المفسدين والعصاة ليعودوا الى طاعة أولى الأمر ، لكى يعم الأمن والسلام فى ربوع البلاد (٥) ، وقد وصل الى الامام

---

(١) جبل أبى غنيمة : جبل يقع غرب الهفوف والمبرّز بمسافة ستة أميال ، وعين نجم : تقع على مسافة ميل ونصف من المبرّز بالقرب من الجبل المذكور فى هوّةٍ منخفضةٍ من الأرض ، ماؤها يجرى تحت سطح الأرض ، وهو شديد الحرارة .

حمد الجاسر : المعجم الجغرافى للمملكة العربية السعودية ، المنطقة الشرقية ، القسم الأول ص ١٠٨-١٠٩ ، القسم الثالث ، ص ١٢٣٥-١٢٣٧

(٢) محمد بن عبد الله الأحسائى : تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء فى القديم والجديد ، ص ١٤٩ .

(٣) ج . ج . لوريمر : دليل الخليج ، القسم التاريخى ، ج ٣ ، ص ١٤٣٢ .

(٤) مختارات من سجلات حكومة بومباى : S.R.B.G.No.XXIV P.P.440 ، محمد عبد الله الأحسائى : نفس المصدر السابق ، ونفس الصفحة

(٥) صلاح الدين المختار : تاريخ المملكة العربية السعودية... ، مجلد ١ ، ص ٢٣٨ .

أثناء ذلك وفد من أهل رأس الخيمة ، وأهل عمان ، ومن عجمان ، وأم القيوين ، يقدمون الولاء والطاعة للامام ودولته (١) .

طلب الامام تركي من شيخ البحرين دفع الزكاة له على غرار ما كان معمولا به مع الدولة السعودية الأولى ، على أن تبسط الدولة السعودية حمايتها على البحرين ، ورغم تردد شيخ البحرين في بداية الأمر الا أنه بعث مندوبا خاصا عنه للامام تركي ، للتفاوض حيال ذلك ، وقد انتهت هذه المفاوضات باعتراف شيخ البحرين بالولاء للامام تركي ودولته واستعداده لدفع الزكاة السنوية له ، كما ضمن الامام لشيخ البحرين حق السيادة الاقليمية لحكومة البحرين . (٢)

ومع أن البلاد قد مرت في عام ١٢٤٦هـ/ ١٨٣١م ،بأزمة اقتصادية طاحنة أثرت على المنطقة بأسرها ، وأحدثت للدولة الناشئة كثيرا من المصاعب ، الا أن الامام تركي استطاع اخراج دولته من هذه الأزمة بسلام(٣).

---

(١) د . عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم: محمد علي وشبه الجزيرة العربية ... ،ص ٢٥٩ .

، محمد سعيد المسلم : ساحل الذهب الأسود ، ص ١٨٢ .

(٢) جون .ب.كيلي : بريطانيا والخليج ... ،ج ١/ص ٣٨٥-٣٨٦ .

،أمل ابراهيم الزياني : البحرين بين الاستقلال السياسي والانطلاق الدولي ، ص ٦٣ .

،جي-بي . كيلي : الحدود الشرقية لشبه الجزيرة العربية ،ص ٩٧ .

(٣) د . عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم : المرجع السابق ،ص ٢٦٢ .

ثم خرج من الرياض بقوة كبيرة من جيشه متجها نحو الشمال ، ليقضى على تمردات عربان سبيع القاطنين حول حفر الباطن (١) ، ويخضع كثيرا من رؤساء العشائر هناك ، وعندما نزل فى الصبيحية ،الماء المعروف قرب الكويت ، سارع أمير الكويت الشيخ جابر بن عبدالله بن صباح بتقديم الهدايا الثمينة للامام تركى ، وسار على منواله كثير من رؤساء العشائر الذين بايعوا الامام على السمع والطاعة ، ورغم أن الامام تركى لم يحاول فى بداية تكوين دولته التوسع غربا ،وكأنه يريد الابتعاد قدر الامكان من الاصطدام بحكومة الحجاز المدعومة من محمد على (٢) ، ليستطيع تدعيم أركان دولته فى وسط نجد ، وفى الخليج العربى ،الذى كان خاضعا لأسلافه من ذى قبل ،

---

(١) حفر الباطن : يعرف فى الجاهلية بحفر العنبر ، ويعرف قديما فى الاسلام بحفر أبى موسى ، نسبة الى أبى موسى الأشعرى ، ثم عرف بعد ذلك بحفر الباطن ، لوقوعه فى وادى الباطن المعروف قديما باسم فلج ، باسكان اللام .

عثمان بن بشر : عنوان المجد فى تاريخ نجد ،ج٢ ، هامش ص ٧٧ ، ٢٢٨ . تحقيق عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ .

(٢) د . عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ... ،ص ٢٥٨ ، ٢٦٢ .

، صلاح الدين المختار : تاريخ المملكة العربية السعودية فى ماضيها وحاضرها ،مجلد ١ ، ص ٢٤٣ .

، سنت جون فلبى : تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية ، ص ١٨٤ .

اضافة الى ادراكه لصعوبة المناطق فى عالية نجد ،من الناحية الجغرافية ، والمتمثلة فى المساحات الشاسعة التى قد تنهك قواته ،وهو لم يزل فى طور التأسيس ، الا أنه اضطر فى سنة ١٢٤٧هـ/ ١٨٣١م ، الى تسيير قـــوات كبيرة من أهل العارض وسدير وغيرهم ، بقيادة ابنه الأمير فيصل ،للقضـــاء على تمردات بعض العربان من قبائل عتيبة ، الذين اتخذوا من عاليـة نجد مكانا للاغارة عليه ، وشق عصا الطاعـة ، على حكومته ، فهاجمـت قوات الامام تلك الجموع عند الماء المعروف طلال (١) ، وكان يرأسهم سلطان ابن ربيعان شيخ قبيلـة الروقة ، وقد انضمت اليهم نجدات من قبيلة مطـير بقيادة ابن بصيّص وعربانه ، وتمكنت هذه القبائل من التغلب على جيوش

---

(١) طَلَالُ : ماء قديم يقع غربا من جبال الأشماط ،وشرقا من ثرب ، غرب الجرير ،قال ياقوت : طلال موضع فى شعر أبى صخر الهذلى حيث قال : يفيدون القيان مقينـات   كأطلاء النعاج بذى طلال
وصلب الأرحبية والمهارى   مُحسَّنةٌ تزيَّن بالرحـــال
وعلى هذا الماء جرت وقعتان تاريخيتان الاولى عام ١٢٤٧هـ بين الامام فيصل بن تركى وقبائل الروقة من عتيبة ،ورئيسهم سلطان بن ربيعان ، والوقعة الثانية عام ١٢٩٠هـ بين سعود بن فيصل وقبائل الروقة مـن عتيبة ورئيسهم مصلط بن ربيعان.
سعد بن جنيدل : المعجم الجغرافى للبلاد العربية السعودية ، عالية نجد ،القسم الثانى ،ص ٨٨٢-٨٨٤ .
ياقوت الحموى : معجم البلدان ،ج ٤ ،ص ٣٧ .
عبدالله بن خميس : الشعر الشعبى ومعالم الجزيرة ، مجلة العرب ، السنة الاولى ج ٦ ،ذو الحجة سنة ١٣٨٦هـ،ص ٥٠١ .

الامام تركي ، مما حدا بقائدها الأمير فيصل الى العودة الى بلد القويعية، ليجنب جنوده مخاطر هذه الحرب ،التي أبلى فيها بلاء حسنا ، وقد تحقق له ما أراد (١) .

استمر الامام تركي بن عبدالله في تدعيم أركان دولته ، متتبعا أبناء البادية الذين ما فتئوا يثيرون الاضطرابات بين الفينة والأخرى ،فحينا يرفضون دفع الزكاة لعمال الامام ، وحينا آخر يقومون بالسلب والنهب للقرى والبلدان ،ولبعضهم البعض ، وهذا مالا يقره الامام تركي ، الذى يحاول أن يبني دولة قوية تعتمد على الشريعة الاسلامية ، دستورا ومنهاج حياة ،فسار الامام سنة ١٢٤٧هـ/ ١٨٣١م ،الى الشمال حتى نزل ماء الرمحية(٢) ، وأقام فيها ما يقرب من أربعين يوما ، لاستقبال مشائخ القبائل الذين يقدمون له الطاعة والولاء ، ويبعث عماله لتحصيل الزكاة من العربان ، الا أن بادية العجمان قد رفضوا تسليمها الى عماله ، فرحل اليهم لتأديبهم ،وأخذ الزكاة منهم ،فلما علموا بذلك دفعوها طائعين قبل وصوله اليهم ،فعاد الامام بجنوده الى الرياض ،ثم عاد وقاد حملة

---

(١) عثمان بن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد ،ج ٢ ، ص ٣٩ .

(٢) الرُّمْحِيَّة : منهل بقرب رُماح غربيه في نفس واديه ،عند ملتقى روافده ، وآبارها حوالي ست آبار ،وماؤها عذب ،وتبعد من رماح نحوا من خمسة وعشرين كيلو متر .

عبدالله بن خميس : معجم اليمامة ، ج ١ ،ص ٤٨٣ .

أخرى في سنة ١٢٤٨هـ/١٨٣٢م، لتأديب قبائل العجمان، وبعض القبائل الأخرى، الا أن خبر تحركات جيوش الامام قد بلغتهم قبل وصولها اليهم، فتفرقوا منهزمين، ونزل الامام تركي بجنوده على أم ربيعة، الماء المعروف في ديرة بني خالد. (١)

وسرعان ما قدم رؤساء العشائر من بني مرة والعجمان الولاء والطاعة للامام، ودفعوا الزكاة المفروضة، ثم توجه الامام بعد ذلك الى القطيف والاحساء، حيث قدمت له الهدايا، وجددت له فروض الطاعة والولاء واطمأن على أوضاع المنطقة وأهلها. (٢)

عاد الامام الى عاصمته الرياض وفي الطريق اليها وبعد أن اجتاز صحراء الدهناء، نزل عند غدير يقال له وثيلان، ودعا رؤساء العشائر الذين معه الى اجتماع عام، تحدث فيه عن فلسفة الحكومة الصالحة(٣)، قارنا القول بالعمل، مؤكدا لهم ضرورة التمسك بالشريعة السمحاء، وطالبا اياهم بضرورة الحرص على مصالح المواطنين دون تفريق أو اضطهاد لهم. (٤)

(١) عثمان بن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد، ج٢، ص ٤٢-٤٣.

(٢) د. محمد عرابي نخله : تاريخ الاحساء السياسي ...، ص ٥٦.

(٣) سنت جون فلبي : تاريخ نجد ...، ص ١٨٦.

(٤) عثمان بن بشر : المصدر السابق، ج٢، ص ٤٤.

أما جيوش الامام تركي التي يقودها ابنه الأمير فيصل ، فقد قامت بتأديب بعض القبائل من عنزة في الدهناء ، ثم عادت الى المجمعة ، لتقيم بها عدة أيام ، وتعود منها الى الرياض ، وقد جهز الأمير فيصل بن تركي من هناك جيشا بقيادة سعد بن محمد بن معيقيل ، للمشاركة مع القوات التي سيقودها عمر بن محمد بن عفيصان ، أمير الاحساء من قبل الامام تركي ، حيث صدرت اليه تعليمات الامام بالسير الى عمان لاخضاع أهلها ، وتحصيل الزكاة منهم بعد أن كثرت أعمال الفوضى والتمرد في الاقليم ، وعمت الاضطرابات أنحاء متفرقة فيه . (١)

وكان ابن عفيصان دائم التطلع الى عمان ، لاخضاعه لسلطة الدولة السعودية ، ولكنه كان يخشى من تدخلات طحنون بن شخبوط ، الذي ربما قطع عليه خط امداداته من الاحساء ، الا أن الاضطرابات التي عمت مشيخة أبوظبي ، وخضوعها بالتالي للسعوديين ، قد مكنت ابن عفيصان من مداهمة عدد من المدن والقرى في أطراف السلطنة . (٢)

---

(١) عثمان بن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد ، ج٢ ، ص ٤٢ .
، صلاح الدين المختار : تاريخ المملكة العربية السعودية ... ، مجلد ١
... ، ص ٢٥٠ .
، عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم : محمد علي وشبه الجزيرة العربية
... ، ص ٢٦٣-٢٦٤ .

(٢) د . عبد العزيز عبدالغني ابراهيم : علاقة ساحل عمان ببريطانيا ... ،
ص ٢٧٦-٢٧٧ .
، جون . ب . كيلي : بريطانيا والخليج ... ، ج ١ ، ص ٣٨٧ .

وعند ما تمكن من السيطرة على البريمى ،بدأ فى تهديد سلطان مسقط ، وابلاغه بأنه سيضطر الى تخريب عمان ان هو امتنع من دفع الزكاة للدولة السعودية . ومع أن السلطان حاول الاحتماء ببريطانيا ،مذكرا اياها بالوضع الخطير الذى تعيشه سلطنته ، الا أنه اضطر فى نهاية الامر الى دفع الزكاة للوالى السعودى ، الذى ترك حامية فى قلعة البريمى تتكون من سبعين رجلا وعاد الى مقر عمله فى الاحساء ، حاملا معه زكاة ذلك الاقليم ، والغنائم الكثيرة. (١)

من هنا تأكد للامام تركى توطيد نفوذه فى المنطقة وأصبح هو صاحب السلطة الوحيدة فيها ، اذ أن السكان قد بدأوا يدينون له بالولاء على مختلف المستويات ويدفعون الزكاة المفروضة.،(٢) وأصبح ملكه يشتمل على نجد والاحساء ،ومعظم الساحل العمانى ،وولاء شيخ البحرين له (٣) ، الا أن بعض المؤرخين استثنى الكويت من هذا الولاء ، وأنها لم تخضع للنفوذ السعودى حينذاك (٤) ، فى حين أن القنصل البريطانى فى مصر

---

(١) ج.ج.لوريمر : دليل الخليج ،القسم التاريخى ،ج ١ ، ص ٣٢٨ .
، جيرى بى. كيلى : الحدود الشرقية لشبه الجزيرة العربية ،ص ٩٧-٩٨ .

(٢) مختارات من سجلات حكومة بومباى
S.R.B.G. No XXIV, p.p. 441-442.

(٣) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ... ، ص ٢٦٠ .

(٤) د . أحمد مصطفى أبو حاكمة : تاريخ الكويت ، القسم الاول ،ج ٢ ، ص ٤٥ .

الكولونيل كامبل Colonel,Campbell ، قد أكد لوزير خارجيته اللـــورد بالمرستون Lord,Palmerston ، أن أمير الكويت كان على الدوام يدفع الزكاة الى زعماء نجد السعوديين. (١)

ورغم ما تميزت به سياسة الامام تركي بن عبدالله في ارساء زعامتـــه ،وما أبداه من روح طيبة ، ودهاء سياسي رفيع أكسبه احترام زعماء المنطقـــة ، وأنهى تلك الفوضى والحروب الأهلية ،التي عاشت فيها البلاد (٢) ، الا أن منطقة القطيف قد شهدت أنواعا من الفوضى والسلب والنهب الذى قـــام به سكان جزيرة المعاير ، المدفوعين من قبل شيخ البحرين عبدالله بـــن أحمد ، الذى كان خلف هذه الاضطرابات(٣) ، حيث تخلى عن ولاءه للامام تركي بن عبدالله في سنة ١٢٤٩هـ/١٨٣٣م، منتهزا الفرصة التي سنحـــت له برحيل بشير بن رحمة بن جابر ،من جزيرة تاروت الى مسقط، حيث أنه كان يدين بالولاء للامام تركي ، ولم يكن ليسمح لأى أحد بالخروج عـــن طاعته بما فيهم شيخ البحرين. (٤).

---

(1) Document:F.O.78/373.No.20. p.p.89-90, [x]C/A/61064.

(٢) مختارات من سجلات حكومة بومباى

S.R.B.G. No. XXIV. p.p. 437-440.

(٣) أمل ابراهيم الزياني : البحرين بين الاستقلال السياسي والانطلاق الدولي ، ص٦٣.

(٤) ج.ج. لوريمر : دليل الخليج ،القسم التاريخي ،ج٣ ،ص ١٢٩٧ ، ١٤٣٣ ، ١٤٣٤.

جهز شيخ البحرين جيشا بحريا وهاجم دارين وتاروت ،ثم حاصر سيهات[١]، التي حاول عبدالله بن غانم ،وكيل بيت المال من قبل الامام تركي ورئيس القطيف حينذاك ،التنسيق مع أهلها لصد هجوم شيخ البحرين وأتباعه ، ولكنه لم يستطع ذلك فشك فيه أنصاره وقتلوه . (٢)

ويذهب أحد المؤرخين الى أن عبدالله بن غانم ،رئيس القطيف لم يقتل حينذاك ، وأنه قد عاد مع الأمير فيصل الى الرياض ، عندما فك الحصار من سيهات[٣] ، وعلى أية حال فقد جهز الامام تركي بن عبدالله جيشا قويا تحت قيادة ابنه الأمير فيصل ، عندما علم بهذه الأحداث ، وذلك لتأديب هؤلاء الخارجين واعادتهم الى طاعة الدولة ،فسارت الجيوش

---

(١) دارين : من أشهر موانئ الخليج العربي ، ومنها تصل بضائع الشرق الى مختلف أنحاء الجزيرة ، وقد ذكرها ابن خلدون ، وأن الطيب ينسب اليها عندما يكون آتيا من بلاد البحرين ، وكذلك تاروت التي تعتبر من الثغور البحرية لبلاد القطيف ، وكانت في العهود القديمة ميناء ترسو فيه السفن ، أما سيهات فتقع جنوب القطيف وكانت تعتمد على الزراعة ، .
حمد الجاسر : المعجم الجغرافي ... ، المنطقة الشرقية ، القسم الاول ،ص ٢٨٥ ، القسم الثاني ،ص ٦٥١-٦٥٩ ، ٨٩٤-٨٩٥.

(٢) محمد سعيد المسلم : ساحل الذهب الأسود ، ص ١٨٢-١٨٣.

(٣) عثمان بن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد ، ج ٢ ، ص ٤٨.

السعودية ، وشنت هجمات قوية على العصاة ،واستعادت دارين وتاروت من المتمردين (١) ، الذين فروا الى قلعة الدمام التى يوجد بها أولاد عبد الله بن أحمد بن خليفة .

أما الأمير فيصل فقد ضرب حصارا على سيهات ، وبدأ فى تضييق الخناق عليها ، الا أن رئيسها حينذاك ابن عبد الرحيم كان على إتفاق حربى مع شيخ البحرين ،لمحاربة السعوديين ،فبدأ ابن خليفة بتزويد أهل سيهات بما يساعدهم على هذا الحصار المضروب عليهم ، ولكن الأمير فيصل بن تركى أدرك أبعاد هذا الاتفاق ، فغير من استراتيجيته فى المعركة ،وبدأ فى توزيع الحصون فى المدن المجاورة على قادته ، وزودهم بالعتاد والرجال ، الا أن خبر استشهاد والده الامام تركى بن عبدالله قد غير من نتائج تلك الاستراتيجية ،فعاد مسرعا الى الرياض . (٢)

وقبل أن ندخل فى تفاصيل اغتيال الامام تركى بن عبد الله بن محمد ابن سعود ، ومدى تأثيرها على الوضع فى المنطقة ، يجدر بنا أن نلقى

---

(١) د . محمد عرابى نخلة : تاريخ الاحساء السياسى ... ،ص ٥٧ .

(٢) عثمان بن بشر : عنوان المجد فى تاريخ نجد ،ج ٢ ،ص ٤٨ .

، د . فائق حمدى طهبوب : تاريخ البحرين السياسى ... ،ص ١٣٢-١٣٣

، صلاح الدين المختار : تاريخ المملكة العربية السعودية ... ، المجلد الاول ، ص ٢٥٩-٢٦٠ .

شيئا من الضوء على أهم ملامح جهود هذا الزعيم ، وكفاحه ، ونهجـــه السياسي الفريد ..

أسس الامام تركي بن عبد الله دولة جديدة وقوية حين استطاع القبض على زمام الامور ، والقضاء على منافسي أسرته سنة ١٢٣٦هـ/ ١٨٢٠م[١] ، وبذلك انتقل الحكم في آل سعود من سلالة عبد العزيز بن محمد الـــى سلالة أخيه عبد الله وبقى فيهم الى اليوم[٢] ، كما أن الامام تركي بـــن عبد الله بن محمد بن سعود يعتبر هو المؤسس الاول للدولة السعوديـــة الثانية[٣] ، اذ أنه قد نجح في اخراج القوات التركية والمصرية من نجد ، واسترد الاحساء والقطيف ، وبسط نفوذه على حائل والقصيم ، كما دانت له بالولاء مشيخات الخليج العربي والبحرين ، ودفعوا له الزكاة المفروضـــة شرعا على غرار ما كان معمولا به في الدولة السعودية الاولى . [٤]

---

(١) د . محمد عبد الله ماضي : النهضات الحديثة في جزيرة العرب ، ص ٨١-٨٢ ، كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص ٥٥٦ .

(٢) خيرالدين الزركلي : الاعلام ، ج ٢ ، ص ٦٦ .

(٣) د . محمد عبد الله ماضي : المرجع السابق ، ص ٨٢ .
، د . عبد الله صالح العثيمين : حول كتاب الدولة السعودية الثانيـة للدكتور أبو عليه ، مجلة الدارة ، عدد ١ ، سنة ٣ ، ص ٢٤٨-٢٤٩

(٤) وثيقة رقم ٧ أصلية ، ٥٥ حمراء ، محفظة ٢٦٧ عابدين ، محافظ الحجاز رقم ٧ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .
، د . عبد الله صالح العثيمين : المرجع السابق ، ص ٢٤٨-٢٤٩ .

وهو ما يؤكد عكس ما ذهب اليه بعض المؤرخين حين اعتبروا أن الامام فيصل بن تركى ، فى فترة حكمه الثانية هو المؤسس الحقيقى للدولة السعودية الثانية ، وليس والده الامام تركى (١) ، فالجهود التى بذلها الامام تركى بن عبدالله فى اجلاء القوات التركية ـ المصرية من نجد ، واستعادة ملك آبائه أئمة الدولة السعودية الأولى ، وخضوع معظم أقاليم شبه الجزيرة العربية له ، وحكمها من قبله حكما مطلقا أكثر من عشر سنوات ، يؤكد الرأى الذى ذهبنا اليه مع كثير من المؤرخين (٢) .

وعلى أية حال فقد استطاع الامام تركى بن عبدالله ، بعد فترة وجيزة من الاضطراب السياسى فى نجد بعد سقوط الدرعية ، من استعادة نفوذ أسرته على كامل الاقليم ، كما نجح فى اخضاع شرقى شبه الجزيرة العربية لنفوذه ، وأخضع سلطان مسقط وشيخ البحرين ، وأمير الكويت ، لدفع الزكاة السنوية لحكومته . (٣)

---

(١) د . عبدالفتاح أبو عليه : الدولة السعودية الثانية ... ، ص ٢٦-٢٧ .

(٢) د . محمد عبدالله ماضى : النهضات الحديثة فى جزيرة العرب ، ص ٨٢ ، د . عبدالله صالح العثيمين : حول كتاب الدولة السعودية الثانية ... مجلة الدارة ، عدد ١ ، سنة ٣ ، ص ٢٤٩ .

(٣) أمين سعيد : تاريخ الدولة السعودية ... ، ص ١٤٣ .

ولا شك أن خلف هذه الجهود شخصية قيادية نادرة ، تتصف بالشجاعة فى الحروب ، والدهاء السياسى فى تصريف أمور الدولة ،وقد أدرك أحد الكتاب هذه الملامح فى شخصية الامام تركى حين قال : "كان يجمع فى شخصه سحرا مغناطيسيا غامضا ،وشيئا من السيطرة الذاتية غريبا ، هذا بقطع النظر من الجو البطولى الذى خلقه بشجاعته الشخصية وفروسيته" (١).

ورغم ما كان يمتاز به الامام تركى من حصافة واعتدال فى تصريف أمور الدولة ،وسياسة الرعية ، الا أنه لم يكن ليتهاون فى الزام القبائل بسلوك النهج الاسلامى الصحيح ، وتطبيق فرائض الشريعة الغراء التى كان معظمهم قد استهان بها ، وتنفيذ شعائرها ، وفرض عليهم الطاعة والسلوك القويم ،ولم تكن تأخذه فى الله لومة لائم. (٢)

وصفت الوثائق البريطانية الامام تركى بأنه كان على درجة كبيرة من التحرر والاستنارة(٣) ،حيث أنه قد استطاع القضاء على الاضطرابات القبلية ، وحوادث السلب والنهب فى مختلف أنحاء مملكته ،وضمن سلامة

---

(١) سنت جون فلبى : تاريخ نجد ... ،ص ١٧٧-١٩١ .

(٢) ابراهيم فصيح صبغة الله الحيدرى : عنوان المجد فى بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد ،ص ٢١٢ .

(٣) ج .ج .لوريمر: دليل الخليج ،القسم التاريخى ،ج ٣ ،ص ١٦٢١ .
، د .محمد عرابى نخلة : تاريخ الاحساء السياسى ... ، هامش ص ٥٥ .

الحجاج والمسافرين منهم الى مكة المكرمة ، والمدينة المنورة ،فى أى طريق يسلكون ،ولم يسمح بتدخين التبغ فى الشارع والأماكن العامة. (١)

ولا غرو فى أن يمارس الامام تركى بن عبد الله مهام الحاكم الطموح ويعمل على اعادة الادارة الفعالة فى أقاليم مملكته المختلفة (٢) ، وفق المنهج الاسلامى الصحيح ، القائم على تقوى الله ،وأداء حقوقه ، والسمع والطاعة لأولي الأمر ،والمعاملة الحسنة فى البيع والشراء ،والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، واجتناب ما نهى الله عنه من المحرمات والخبائث (٣) ، وقد رأيناه يوجز عناصر هذه السياسة فى خطبته المشهورة على غدير وثيلان عند عودته من الاحساء ، حين بين فيها حقوق الحاكم والمحكوم ، وواجبات كل منهما تجاه ربه ودينه ، وتجاه بعضهم البعض وموقفه كحاكم عام تجاههم فيما يعملون. (٤)

أدرك الامام تركى بثاقب نظره ، وحنكته السياسية مدى ما يحيط به من أخطار جسام ، كان أهمها حينذاك التواجد البريطانى فى منطقة

---

(١) مختارات من سجلات حكومة بومباى

S.R.B.G. No. XXIV. p.p. 437-440.

(٢) سنت جون فلبى : تاريخ نجد ... ،ص ١٧٨ .

(٣) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ... ،ص ٢٧٣ .

(٤) صلاح الدين المختار : تاريخ المملكة العربية السعودية... ،مجلد ١ ص ٢٥٢-٢٥٣ .

الخليج التي يمارس فيها نفوذا قويا ،وتدين معظم بلدانها بالولاء له ولد ولته ، فراح يحاول حينئذ اجتذاب صداقتهم ،واقامة علاقات ودية معهم ، اذ أرسل سفارة له برئاسة راشد بن حمد ،سنة ١٢٤٧هـ/١٨٣١م[1]، يدعوهم من خلالها الى تجديد المعاهدة بين دولته وبريطانيا ،وقد ردت السلطات البريطانية على ذلك بردا مهذبا من طريق المقيم البريطاني في الخليج العربي [2].

مما يعني أن هذه الاتصالات لم تؤد الى نتائج مثمرة بين الجانبين في تلك الفترة ، لأن بريطانيا كانت قلقة الى حد كبير على مصير مشيخات الخليج ،وازدياد النفوذ السعودي فيها [3] ، وادراكها بالاهتمام الذي يوليه الامام تركي لأمن وسلامة مياه الخليج ، ضد أية أعمال عدوانية قد يقوم بها سكان المنطقة أو غيرهم ، ورفضه الصارم لمثل هذه الأعمال .

وقد ظهرت آثار هذا القلق البريطاني على المقيم الانجليزي في الخليج العربي حينما وصف تعهد سلطان مسقط بدفع الزكاة السنوية للامام تركي ، واتفاقه معه على تبادل المساعدة فيما بينهما لقمع التمردات التي تقع داخل حدودهما على أنه تصرف غير متعقل [4] ، مما جعله ينادي بضرورة التدخل العسكري

(١) د .عبد العزيزعبد الغني ابراهيم :علاقة ساحل عمان ببريطانيا ... ،ص ٢٧٥-٢٧٦ .
(٢) مختارات من سجلات حكومة بومباي

S.R.B.G. No. XXIV. p. 440.

(٣) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد علي وشبه الجزيرة العربية ،ص ٣٥٢

،د . صلاح العقاد :التيارات السياسية في الخليج العربي ،ص ١٢٩ .
(٤) ج .ج .لوريمر : دليل الخليج ،القسم التاريخي ،ج ٢ ،ص ٧١١ .

المباشر ،لكي لا تصبح مسقط وأسطولها التجارى تحت رحمة السعوديين كما يقول ،وقد وافقه فى ذلك حاكم بومباى ،الذى طلب توجيه انذار الى الامام تركى بن عبدالله بعدم التعرض لأراضى السيد سعيد ، لأن ذلك لن يكون تصرفا مقبولا من بريطانيا على حد قوله . (١)

فى الوقت الذى سعى فيه للاتصال بمحمد على باشا والى مصر، علّه يقوم بممارسة أى نفوذ ضد الامام تركى ،أو على الأقل القيام بمساعدة سلطان مسقط ضد هذا التوسع السعودى الجديد ، بحكم روابط الصداقة بين الباشا والسيد سعيد ،" أما اذا لم يكن تركى خاضعا لباشا مصر ، فقد يفكر الباشا فى - اخضاعه - لسلطته مرة أخرى ، وهذا سوف يتيح لبريطانيا فرصة لصنع سياستها الجديدة ،بالنسبة لهذه المشكلة" (٢)

ولعلنا نتساءل هنا عن ماهية العلاقة التى تربط الامام تركى بن عبدالله وحكومته فى نجد ، والمناطق الخاضعة لنفوذه ،ومحمد على باشا وحكومته التى يمثلها والٍ من قبله فى الحجاز ؟ .

---

(١) جون .ب.كيلى : بريطانيا والخليج ... ،ج ١ ،ص ٣٩٦ .

(٢) جون .ب.كيلى : المرجع السابق ... ، ج ١ ، ص ٣٩٦ .

جامعة أم القرى / مكتبة الحكمة
UMM AL-QURA UNIVERSITY MAKKAH
قسم المخطوطات

فرغم ما ذهب اليه بعض المؤرخين من أن الامام تركى استمر فى دفع الجزية لحكومة الباشا (١) ، وبما انطلاقا من سياسة عدم الاصطدام بها وهو فى طور البناء لدولته الجديدة ، الا أننا نستطيع أن نؤكد بأن الامام تركى بن عبد الله كان يحكم اقليم نجد والأحساء وغيرهما من بعض مناطق شبه الجزيرة العربية التى خضعت لنفوذه ، حكما مستقلا تمام الاستقلال من مثل حكومة محمد على فى الحجاز، وهذا ان دل على شئ فانما يدل على مدى ما يتمتع به الامام تركى بن عبد الله من رجاحة فى العقل وحصافة فى السياسة.

وعلى أية حال فقد لعب الشيطان وأهواء المغرضين ، بأفكار مشارى بن عبد الرحمن بن سعود ، ابن عم الامام تركى ، وابن اخته ،وسولت له نفسه الاقدام على اغتيال الامام تركى بن عبد الله بن محمد بن سعود مؤسس الدولة السعودية الثانية ، معتقدا أنه أحق بالامامة منه ، فاتفق مع بعض خدمه على هذه الجريمة الشنعاء ، وقد قام عبد يدعى ابراهيم بن حمزة ، بتنفيذ هذه الجريمة ، بعد صلاة الجمعة ، آخر ذى الحجة سنة ١٢٤٩هـ ، التاسع من مايو سنة ١٨٣٤م، حين رماه برصاصة بعد خروجه من المسجد ، وهو واقف ينظر فى شكوى أحد المواطنين. (٢).

---

(١) د. فائق حمدى طهبوب : تاريخ البحرين السياسى ... ،ص ٣١.
، محمود كامل : الدولة العربية الكبرى ، ص ٤١١.
،د. محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربى ... ،ص ٢٣٤.

(٢) عثمان بن بشر : عنوان المجد فى تاريخ نجد ،ج ٢ ، ص ٤٨-٤٩.
، محمد عبد الله الاحسائى : تحفة المستفيد بتاريخ الاحساء فى القديم والجديد ،ص ١٥٠.
،د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ص ٢٧٢.

وعندما سقط الامام تركى شهيدا خرج مشارى بن عبدالرحمن بن سعود وأعوانه من المسجد ، شاهرين سيوفهم فى وجوه الناس ، وحموا القاتل منهم ولم يلبث مشارى أن سار الى قصر الامام ليخرج نساءه وعائلته ، ونساء ابنه فيصل ،ويستولى على جميع ما فيه من المال والمتاد ،ثم بدأ يدعو الناس لمبايعته ، بعد أن أرغم آل الشيخ على ذلك ، آخذا فى توزيع الدراهم والكساوى على الناس ليستجلب قلوبهم (١) ، ولكنه لم ينعم بالحكم طويلا ، اذ سرعان ما عاد الأمير فيصل من الأحساء ، ليأخذ بثأر أبيه ،ويتسلم مقاليد الأمور ، ليحمل الرسالة ويؤدى الأمانة .

وباستشهاد الامام تركى بن عبدالله ،فقدت البلاد زعيما يتصف بالشجاعة والرأى السديد ، وليس له مماثل فى الرأى والسياسة ، يجمع بين العفو والحلم والأناة والرئاسة ، وفىّ بالعقود (٢) ، فكان لوفاته أصداء واسعة ، وآثارا واضحة على المنطقة بشكل عام ، وعلى دولته بشكل خاص.

وقد أشارت الوثائق البريطانية ، وكذلك بعض المؤرخين الى أن شيخ البحرين كان له ضلع مباشر فى اغتيال الامام تركى بن عبدالله ،واستدلوا

---

(١) محمد عبدالله الأحسائى : تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء فى القديم والجديد ، ص ١٥٠ .

، د . عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ... ، ص ٢٧٢ .

(٢) عثمان بن بشر : عنوان المجد فى تاريخ نجد ،ج ٢ ،ص ٤٨ .

على ذلك بعلامات الفرح والسرور التى بدأت على شيخ البحرين وأعوانه الذين بدأوا فى اطلاق نيران المدافع فى الهواء معبرين عن فرحتهم الغامرة بمقتل الامام(١) ، بينما ذهب آخرون الى أن اسماعيل بك القائد المصرى فى المدينة المنورة هو المحرض على اغتيال الامام(٢) ، ومهما كان المحرض على ذلك فقد استفاد شيخ البحرين من هذه الحادثة ، حين استطاع ضم جزيرة تاروت الى حكومته بعد اغتيال الامام ، كما بدأ فى تحريض أهالى الأحساء على التمرد والعصيان على الوالى السعودى فيها (٣) ، وبذلك شهدت الأحساء وبعض المناطق فى نجد كثير من أعمال الفوضى والاضطراب(٤) ، التى جابهها الامام فيصل بن تركى بعد ذلك بقوة واصرار.

وهكذا نرى أن الامام تركى بن عبد الله ، قد انتهز موقفا تاريخيا لاعادة الدولة السعودية وبنائها ، هذا الموقف الذى نشأ من انشغال محمد على باشا فى مقدمات حرب الشام الأولى ، ثم بدء هذه الحرب .

---

(١) مختارات من سجلات حكومة بومباى.
S.R.B.G. No. XXIV. p.p. 439-442.
د . محمد عرابى نخلة : تاريخ الأحساء السياسى ... ، ص ٦٤-٦٥ .
د . فائق حمدى طهبوب : تاريخ البحرين السياسى... ، ص ١٣٣ .
(٢) جون . ب . كيلى : بريطانيا والخليج ... ، ج ١ ، هامش ص ٤١٥ .
(٣) ج . ج . لوريمر: دليل الخليج ، القسم التاريخى ، ج ٣ ، ص ١٤٣٥ .
(٤) جون . ب . كيلى : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٤١٥ .

قبل أن ندخل في التفاصيل الأساسية لجهود الامام فيصل بن تركي ، التي بذلها في استعادة أمور الحكم في الرياض وما اتبع ذلك من أعمال وجهود لتدعيم بناء الدولة التي أسسها والده الامام تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود ، يجدر بنا أن نلقي شيئا من الايضاح على الدور الكبير الذي لعبه الامام فيصل في تأسيس دعائم الدولة عندما كان أميرا وقائدا مغوارا في صفوف جيش والده ، هذا الدور الذي تخللته أحداث كبيرة أوصلت الامام فيصلا الى سدة الحكم في نهاية الأمر ، بما فيها من العنف والمرارة ، لتجعله أكثر حرصا وضبطا للأمور في تثبيت دعائم دولته (١) ، التي تولاها بعد استشهاد والده .

ولا غرو في ذلك ، اذ أن فراره من مصر سنة ١٢٤٣هـ - ١٨٢٨م ، وعودته الى نجد للانضمام الى والده ، لهو خير دليل على عزمه القوي على تحرير بلاده من الوجود الخارجي أيا كان نوعه (٢) ، وبالفعل فقد أصبح الأمير فيصل بعد فترة وجيزة الساعد الأيمن لوالده في تأسيس وبناء الدولة السعودية الثانية ، وارساء الاستقرار فيها (٣) ، وقد خاض الأمير فيصل غمار الحرب في أكثر من وقعة حربية ، دلّت بشكل قاطع على شجاعته

---

(١) د . محمد عرابي نخلة : تاريخ الأحسائي السياسي ... ، ص ٩٤ .

(٢) عثمان بن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد ، ج٢ ، ص ٣٢ .

(٣) سنت جون فلبي : تاريخ نجد ... ، ص ١٩٤ .

العسكرية وشخصيته القياديه التى تميز بها فى هذه المرحلة .

فقد قاد الأمير فيصل سنة ١٢٤٧هـ/ ١٨٣١م، جيشا قويا الى عالية نجد ، للقضاء على عربان عتيبة الذين شقوا عصا الطاعة على حكومة والده ، وعندما رأى الكفة العسكرية تميل لصالح قبيلة عتيبة ومن شايعهم ، أخضع الأمور للعقل والرأى ،فتراجع بجنوده الى بلد القويعية لكى لا يعرضهم الى الهلاك فى تلك الحرب . (١)

وفى العام التالى -أى فى سنة ١٢٤٨هـ ،سار الأمير فيصل بن تركى الى قبائل عنزة فى الدهناء ، للقضاء على عصيانهم ودسائسهم التى يقومون بها ضد حكومة الرياض ، وأرغمهم على التفرق والهروب من أمامه (٢) ، ثم كان آخر هذه الحروب التى خاضها الأمير فيصل كقائد فى جيش والده ، والتى اكتفينا بالاشارة الى ثلاث حملات منها ، هى تلك الفتنة التى أثارها سكان جزيرة العماير ،بتحريض من شيخ البحرين (٣) ، سنة ١٢٤٩هـ/ ١٨٣٤م ، وقد عمت الفوضى معظم أنحاء اقليم الأحساء واستطاع المتمردون قطع الطريق من القطيف ،وبدأ القتال بينهم وبين

---

(١) عثمان بن بشر : عنوان المجد فى تاريخ نجد ،ج٢ ،ص ٣٩ .
، د .عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم :محمد على وشبه الجزيرة العربية ... ،ص ٢٦٣ .

(٢) عثمان بن بشر : المصدر السابق ،ج٢ ،ص ٤٢ .

(٣) د . فائق حمدى طهبوب : تاريخ البحرين السياسى ... ،ص ١٣٣ .

رئيس القطيف من قبل الامام تركي ، السيد عبد الله بن غانم(١) .

سار الأمير فيصل بقواته الى تلك الجهة لاخماد هذه الحركة والقضاء على رؤوس الفتنة فيها ، وتمكن من هزيمة المتمردين في أول لقاء معهم ،مما اضطرهم الى الهروب والالتجاء الى قلعة الدمام(٢) ، فسارع الأمير فيصل بن تركي وضرب الحصار على بلدة سيهات ، التي كادت أن تستسلم له ،لولا اضطراره هو لفك الحصار عنها ، عندما بلغه استشهاد والده الامام تركي . (٣)

من هنا بدأت شخصية الأمير فيصل تتبلور وتبرز بشكل واضح لأن استشهاد والده رحمه الله ، كان في وقت جد خطير فكأن الأوضاع الخارجية المحيطة بالدولة هي التي ساهمت بشكل مباشر في اغتيال الامام تركي بن عبد الله ،مما يعني أن مهمة الأمير فيصل ستصبح أثقل حملا وأكثر تبعات. (٤)

---

(١) د .محمد عرابي نخلة : تاريخ الأحساء السياسي ... ، ص ٥٦-٥٧ .
(٢) صلاح الدين المختار: تاريخ المملكة العربية السعودية ... ،مجلد ١ ، ص ٢٥٩ .
(٣) د . عبد الفتاح أبو علية : الدولة السعودية الثانية ... ،ص ٢٩ ، محمود شاكر : البحرين ... ،ص ٧٨ .
(٤) مختارات من سجلات حكومة بومباي

S.R.B.G. No. XXIV , P.P. 440-443.

وعلى أية حال فقد تلقى الأمير فيصل بن تركي خبر استشهاد والده رحمه الله من طريق مملوك الامام تركي " زويد العبد " الذى استطاع الهرب من الرياض والوصول الى الأحساء لابلاغ فيصل بذلك. (١)

وسرعان ما فك الأمير فيصل بن تركي الحصار عن سيهات ، وعاد قافلا الى الأحساء دون أن يخبر أحدا بوفاة والده ، وعند وصوله اليها دعا رؤساء جيشه وأعيانهم ، وأطلعهم الخبر ، وأنه لا بد من الأخذ بثأر والده قبل كل شئ ، عندئذ أعطى الجميع عهود الطاعة والولاء للامام فيصل بن تركي ، وقدم له أمير الأحساء عمر بن محمد بن عفيصان ما يحتاجه من السلاح والعتاد ،فعاد فيصل مسرعا الى الرياض ، ونزل قريبا منها فى التاسع عشر من شهر محرم سنة ١٢٥٠هـ/٢٨ مايو سنة ١٨٣٤م. (٢)

بدأ الامام فيصل بن تركي فى رسم خطته العسكرية للقضاء على مشارى بن عبد الرحمن وأعوانه ،ولأنه يدرك أن أهل الرياض غير راضين عن مافعله مشارى ، طلب من أهلها الذين معه الدخول الى البلد ليلاً ،

---

(١) محمد عبدالله الأحسائى : تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء فى القديم والجديد ، ص ١٥٠ .

(٢) عثمان بن بشر : عنوان المجد فى تاريخ نجد ،ج ٢ ، ص٥٠-٥١ . ، د . محمد عرابى نخلة :تاريخ الأحساء السياسى ... ، ص ٦٤ .

والسيطرة على البروج والبيوت المقابلة للقصر ، وفعلا تم ذلك ليلا ، ومضت مقصود من أهل الرياض الذين أرغمهم مشاري للخدمة معه ومبايعته. (١)

سيطر الامام فيصل وجنوده على زمام المبادرة ،وبدأوا في حصار مشاري وأعوانه ، واصلاء نار الحرب عليهم ، حتى اضطر الرجال الذين كانوا مع مشاري ، داخل القصر من سبيع وغيرهم الى طلب الأمان من الامام فيصل من طريق سويد بن على ، رئيس جلاجل (٢) ، الذي كان معهم في القصر ، وكان عددهم حينذاك مائة وأربعون رجلا ، فأعطاهم الامام فيصل الأمان ، الا من شارك في قتل الامام تركي(٣)، عندئذ طلب سويد بن على منحه امارة جلاجل لكي يتعاون مع الامام فيصل ضد مشاري(٤) ، وعندما تم له ذلك ، قام برمي الحبال الى رجال الامام فيصل لكي يصعدوا الى القصر ، وفعلا استطاعوا الوصول الى وسط القصر ، وهجموا على مشاري وأعوانه في مكانهم ،وعددهم

---

(١) عثمان بن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد ،ج٢ ،ص ٥١ .

(٢) جُلاَجِل : بلدة من بلدان سدير ، الناحية المعروفة في نجد ، وأشهر سكنة جلاجل آل سويد من قبيلة الدواسر.
عثمان بن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد ،ج١ ،هامش ٤٦٧ ، تحقيق عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ .

(٣) عثمان بن بشر : المصدر السابق ،ج٢ ،ص ٥١ .

(٤) د . عبدالفتاح أبو عليه : الدولة السعودية الثانية ... ، ص ٣١ .

ستة رجال فقتلوهم ، وأخرجوهم خارج القصر ليراهم الناس(١) ، ودخل الامام فيصل بن تركي القصر ، وتولى أمور الحكم ، وجددت له البيعة من جنوده ومن أهل الرياض وعلمائها في شهر صفر سنة ١٢٥٠هـ/يونيو سنة ١٨٣٤م. (٢)

افتتح الامام فيصل عهده في الامامة بالكتابة الى قضاة دولته ، ورؤساء القبائل والأقاليم في جميع النواحي ، مستدعيا اياهم اليه في العاصمة الرياض ، حيث مكثوا لديه ما يقارب شهرا كاملا ، تدارس معهم خلاله أوضاع بلدانهم ، والواجبات المنوطة بهم تجاهها ، ثم أبدى لهم مرئياته ، وشرح لهم سياسته الجديدة ، التي تنطلق من الشريعة الاسلامية ، وأنه سوف ينهج نهج آبائه وأجداده من قبل ، ثم حثهم في نهاية هذا المؤتمر الهام على السمع والطاعة ، وأداء الزكاة ، وحفظ فروض الشريعة الاسلامية ، والحرص على أرواح وممتلكات الرعية ، بعد أن جددوا له البيعة والولاء. (٣)

---

(١) عثمان بن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد ، ج٢ ،ص ٥٢.
(٢) د. عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم : محمد علي وشبه الجزيرة العربية ،ص ٢٧٨.
(٣) د. عبدالفتاح أبو عليه : الدولة السعودية الثانية ،ص ٣٥.

وهو بهذا يؤكد العزم والاصرار على تثبيت دعائم دولته وأركانها ، بعد أن شارك في دور التأسيس لتلك الدولة في عهد والده الشهيد تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود .

وقد واجه الامام فيصل في بداية حكمه بعض الاضطرابات التي وقعت بين أهل وادي الدواسر(١) ، فتصدى لها الامام فيصل بقوة كبيرة ، تحت قيادة أحمد بن عبدالله بن عياف ، الذي سار بجنده الى هناك ،وأقام قرابة شهر اشتبك خلاله في عدة وقعات حربية ، أدت في نهاية الأمر الى حضور رؤساء أهل الوادي الى الامام فيصل مقدمين له الطاعة والولاء(٢) ، الا أن بعض قبيلة الدواسر، لم يقدم الولاء للامام ، فسار هو بنفسه اليهم وأدبهم ، وأعادهم للانضواء تحت مظلة الدولة ، وأخذت الزكاة منهم ، ومن مَنْهُم على شاكلتهم من العربان الذين رفضوا دفع الزكاة لعمال الامام. (٣)

---

(١) يبعد عن الرياض جنوبا سبعمائة كيلو متر ،ويعتبر ملتقى لطرق عسير ونجران والرياض وعالية نجد وجنوبها .
عبدالله بن خميس : معجم اليمامة ،ج ١ ، ص ٤٥٠ .
(٢) عثمان بن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد ، ج ٢ ،ص ٦٦- ٦٧ .
(٣) صلاح الدين المختار : تاريخ المملكة العربية السعودية ... ، مجلد ١ ، ص ٢٨٠ .

وسار بعد هذه الوقعة الى بلدة الشعرا (١) ، ومكث فيها أربعين يوما ، يبعث عماله الى القبائل لأخذ الزكاة منهم ، في الوقت الذى كان فيه الفقهاء والعلماء يلقون الدروس والمواعظ على الناس كل يوم بعد صلاة العصر وحضور زعماء العشائر والقبائل (٢) ، فكأنه بذلك قرن الدين بالدنيا ، يحارب العاصي والمتمرد ، ويرشد طالب العلم والمعرفة.

وعند ما بلغ الامام وهو فى مقره ذاك أن بعض عربان قحطان قد رفضوا دفع الزكاة ، وهربوا من أمام عماله المكلفين بتحصيلها ، سار هو بنفسه وبقوة من جنوده وقاتلهم ، وغنم منهم كثيرا من الابل والغنم والمتاع ، ثم عاد الى مقره فى الشعرا . (٣)

وقد كان لهذا الاصرار وهذه العزيمة التى أبداها الامام فيصل فى تلك النواحى أثر ايجابى فى استقرار الدولة(٤) ، اذ سرعان ما تقدم رؤساء

---

(١) بلدة تقع فى عالية نجد ، قرب بلدة الدوادمى ، وغالب سكانها من قبيلة بنى زيد .
عثمان بن بشر: عنوان المجد فى تاريخ نجد ، ج ٢ ، هامش ص ١٣٣ ، تحقيق عبد الرحمن آل الشيخ .

(٢) عثمان بن بشر : عنوان المجد فى تاريخ نجد ، ج ٢ ، ص ٦٧ ، سنت جون فلبى : تاريخ نجد ، ص ١٩٦ .

(٣) صلاح الدين المختار: تاريخ المملكة العربية السعودية ... ، المجلد ١ ، ص ٢٨٠-٢٨١ .

(٤) د . عبد الفتاح أبو عليه : الدولة السعودية الثانية ... ، ص ٣٦ .

القبائل ، أمثال محمد بن فيصل الدويش أمير قبيلة مطير ، ومحمد بن قرملة أمير قبيلة قحطان ، وبعضا من رؤساء قبيلة الدواسر ، وغيرهم من رؤساء القبائل ، أتوا اليه ليقدموا فروض الولاء والاخلاص ، وبايعوا على دين الله ورسوله والسمع والطاعة . (١)

وقام الامام فيصل خلال اقامته في بلدة الشعرا ، وفي أول سنة ١٢٥١هـ - ١٨٣٥م ، باجراء تعديلا اداريا في اقليم جبل شمر(٢) ، اذ قام بعزل صالح بن عبدالمحسن بن علي ، وتعيين عبدالله بن علي بن رشيد بدلا منه(٣) ، وقد كان ابن رشيد أحد قادة الامام فيصل الأوفياء ، وشارك معه أثناء معارك الأحساء عندما كان قائدا لجيوش والده الامام تركي ، كما لعب ابن رشيد دورا بارزا في قتل مشاري بن عبدالرحمن ، الذي اغتال الامام تركي ابن عبدالله .

ولا شك أن هذا الاجراء الذي اتخذه الامام فيصل يعتبر ذا مدلول سياسي كبير ، فهو يعرف ابن رشيد عن قرب ، ولديه المام كامل عن مدى

---

(١) د . عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم : محمد علي وشبه الجزيرة العربية ... ، ص ٢٨٠ .

(٢) هو المعروف في معاجم البلدان : بجبل طي ، وهو يقع شمال المملكة ، ويبعد عن الرياض مسافة ثمانمائة كيلومتر ، وعاصمته حائل .
عثمان بن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد ، ج ٢ ، هامش ص ١٢٥ ، تحقيق عبد الرحمن آل الشيخ .

(٣) عثمان بن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد ، ج ٢ ، ص ٦٧ .

اخلاصه له ، وولائه لدولته ،اضافة الى أن هذا التغيير سيعيد الأمن والاستقرار الى ذلك الاقليم(١) ، خاصة وأنه قد أرسل مع ابن رشيد أحد علمائه الأفاضل وهو القاضي عبدالعزيز بن عثمان بن عبدالجبار.

ولما علم الامام فيصل بامتناع بعض العربان في روضة التنهات(٢) ، من دفع الزكاة ، تقدم بجنوده اليهم سنة ١٢٥١هـ/١٨٣٥م ، ونزل في الروضة ، فسارع العربان المتمردون بدفع الزكاة الى عمال الامام ، الذي بقي في روضة التنهات أكثر من شهرين ، استقبل خلالها رؤساء العشائر والذين قدموا له الطاعة والولاء ودفعوا الزكاة ،ثم عاد الى الرياض بعد ذلك ،ليدير من هناك شئون الدولة ، ويبعث الى أنحاء متفرقة من دولته العلماء والقضاة لارشاد الناس في أمور دينهم. (٣)

---

(١) د. عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم : محمد علي وشبه الجزيرة العربية ... ، ص ٢٨٠.

(٢) التنهات : من النهاية ،لأنها تنتهي اليها أودية كثيرة ، وهي من أجمل رياض نجد وأخصبها ،وتبعد من الرياض نحوا من مائة وخمسين كيلو متر جهة الشمال الشرقي .
عبدالله بن خميس: معجم اليمامة ،ج ١ ، ص ٢٠٥-٢٠٨.

(٣) عثمان بن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد ،ج ٢ ، ص ٦٨-٦٩.
، صلاح الدين المختار : تاريخ المملكة العربية السعودية ،مجلد ١ ، ص ٢٨٥.

أما الطرف الشرقي من بلاده ، والمتمثل في اقليم الأحساء والمناطق التابعة له ،فان الامام فيصل لم يكن ليغفل عنه ، ومهمته حيال الاضطرابات التي قام بها العماير من بني خالد ،في عهد والده لم تنته الى حل مرض ، اضافة الى ما قام به الشيخ عبدالله بن أحمد شيخ البحرين وابنه مبارك ، أمير قلعة الدمام ، حين أقدما على ضم جزيرة تاروت في خضم الاضطراب الذي عاشته دولة الامام فيصل ابان استشهاد والده. (١)

أضف الى ذلك وصول التاجر البحريني عبدالله بن مشارى سنة ١٢٥١هـ/١٨٣٥م، قادما من مكة المكرمة ، يحمل رسائل من أحمد باشايكن والى الحجاز من قبل محمد على باشا في مصر ، الى سلطان مسقط ،وشيخ البحرين ،والامام فيصل بن تركي ، تفوضه الالتزام بعائدات الأحساء،وادارة الأمور في الاقليم باسم والى الحجاز. (٢)

ولكن الامام فيصل بن تركي لم يعترف بهذا المندوب ومهمته ، بل أمر عامله هناك عمر بن محمد بن عفيصان ،بضرورة اخضاع المتمردين في

---

(١) ج.ج. لوريمر : دليل الخليج ، القسم التاريخي ،ج ٣ ، ص ١٦٣٧.
، د. محمد عرابي نخلة : تاريخ الأحساء السياسي ... ،ص ٦٤.

(٢) مختارات من سجلات حكومة بومباي
S.R.B.G. No. XXIV, p.p. 442-443.
،ج.ج. لوريمر : المرجع السابق ،ج ٣ ،ص ١٤٣٥.
،جون.ب.كيلي : بريطانيا والخليج ،ج ١ ،ص ٥٠٠.

الاقليم ، وطرد عبدالله بن مشاري هذا ، الذي غادر المنطقة قبل أن يطرد منها بالقوة ، عندما علم بزحف القوات السعودية اليه . (١)

وقد عمل الامام فيصل على توطيد الأمن والاستقرار في الاقليم الشرقي من مملكته ، حين أرسل في ربيع الآخر سنة ١٢٥١هـ/يوليه-أغسطس سنة ١٨٣٥م، زويد العبد ، على رأس قوة كبيرة من جنوده ، للقضاء على الاضطرابات فيها ، فلما وصل زويد الى القطيف وسيهات ، قام ببعض العمليات الحربية الناجحة ، واستطاع بذلك أن يعيد الأمن والاطمئنان للاقليم المذكور ، ثم عاد الى الرياض وصحبته ابن أمير القطيف ابن غانم وأمير سيهات ابن عبدالرحيم ، اللذان بايعا الامام فيصل على السمع والطاعة ، وبذلك أصبحت منطقة نجد والأحساء والقطيف وجبل شمر ، خاضعة بشكل مباشر للامام فيصل بن تركي . (٢)

وقد عين الامام فيصل علي بن عبدالله بن غانم خلفا لأبيه في رئاسة القطيف ، ولكنه قُتِل بمؤامرة من وكيل بيت المال الذي قُتِل هو الآخر

---

(١) د . محمد عرابي نخلة : تاريخ الأحساء السياسي ... ، ص ٦٥ .
، ج . ج . لوريمر : دليل الخليج ، القسم التاريخي ، ج ٣ ، ص ١٤٢٦

(٢) عثمان بن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد ، ج ٢ ، ص ٦٨ .
، الأمير ضاري بن فهيد الرشيد : نبذه تاريخية عن نجد ، ص ٣٢ .

بعد فترة وجيزة(١) ، ورغم ذلك استمرت القطيف تدين بالولاء للامـــام فيصـل بن تركي .

أما فيما يتعلق بالساحل العماني فقد مارس الامام فيصل نفس النفوذ الذي كان لوالده في البريمي وساحل عمان ، وبعث بوالٍ من قبله هو سعد بن مطلق المطيري ، الذي دعم الوجود السعودي في الاقليم ، وأقام حصنـــا جديدا للحامية السعودية في البريمي ، وأصبح ذو نفوذ في المنطقة(٢) .

ومع أن أولاد عبدالله بن خليفة قد وفدوا على الامام فيصل عندمـــا كان مقيما بروضة التنهات ، حيث وجدوا منه كل اكرام واجلال ، وعادوا الى بلادهم معززين مكرمين (٣) ، الا أن شيخ البحرين استمر في عناده ، واستمر في حصار ميناى القطيف والعقير(٤) ، واشتبك مع الوالي السعودي في الأحساء

---

(١) محمد سعيد المسلم : ساحل الذهب الأسود ، ص ١٨٤ .
، محمود شاكر : البحرين ... ، ص ٧٩ .
(٢) د . عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم : محمد علي وشبه الجزيـــرة العربية ... ، ص ٣٥٢-٣٥٣ .
(٣) عثمان بن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد ، ج ٢ ، ص ٦٩ .
(٤) العُقَيْر : يقع ميناء العُقَيْر في اقليم الأحساء ، على بعد حوالي ٦٤ ميلا جنوب شرق مدينة القطيف .
حمد الجاسر المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ، المنطقة الشرقية ، القسم الثالث ، ص ١١٧٤-١١٨٢ .

عمر بن محمد بن عفيصان في عدة معارك. (١)

من هنا أدرك الامام فيصل أنه لا بد من التعاون مع مسقط لاخضاع البحرين ، لا سيما وهو يدرك أطماع سلطان مسقط في البحرين (٢) ، وكلف عامله على الأحساء بوجوب التعاون مع سلطان مسقط لهذه الغاية، التي قد تفيد الطرفين ، ولكن سلطان مسقط كان أضعف من أن يتعاون مع الدولة السعودية ، لأنه لا يستطيع استخدام قواته البحرية الا باذن مسبقة من الحكومة البريطانية. (٣)

عندها عول الامام فيصل على استخدام قوته الخاصة لاخضاع البحرين لنفوذه ، ولكن الأحداث التي بدأت تخيم على المنطقة والمتمثلة في التهديد الايراني ، الذى أرسله حاكم شيراز الى شيخ البحرين سنة ١٢٥٢هـ - ١٨٣٦م، طالبا منه اعلان التبعية لايران ، أجبرت شيخ البحرين على انهاء نزاعه مع الدولة السعودية ، عارضا على الامام فيصل استعداده لرفع الحصار عن سواحل الأحساء ، ودفع جزية سنوية ،والانضواء

---

(١) ج ٠ج ٠ لوريمر : دليل الخليج ، القسم التاريخي ، ج ٣ ،ص ١٤٣٥

(٢) د ٠ محمد عرابي نخلة : تاريخ الأحساء السياسي ... ، ص ٦٦ ٠

(٣) ج ٠ج ٠ لوريمر : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ١٦٣٧ ٠

تحت لواء دولته لحمايته من أى تهديد خارجى (١) ، وقد تقبل الامام فيصل هذا العرض بشعور نبيل ، خاصة وهو يدرك بثاقب نظره السياسى مدى الآثار التى يسببها حصار موانئ اقليم الأحساء على اقتصاد دولته اضافة الى احساسه بالتحركات المريبة لقوات محمد على فى الحجاز ، صوب نجد ، ومنذ ذلك الوقت أصبحت البحرين تخضع بشكل مباشر لنفوذ الامام فيصل ودولته . (٢)

ولم يكن اهتمام الامام فيصل باعادة بناء دولته ، مقتصرا على اقليم معين دون آخر ، كما أن أهدافه وطموحاته كانت كبيرة فى اعادة هذا البناء ، وليس أدل على ذلك مما قام به أهل عسير ، حين أرسلوا الى الامام فيصل كثيرا مما كسبوه من الأسلحة والخيول بعد انتصارهم فى المعارك الحربية التى خاضوها مع أحمد باشا وشريف مكة سنة ١٢٥١هـ-١٨٣٥م (٣) ، ليؤكدوا بذلك خضوعهم وولائهم للامام فيصل ، وأنهم يفضلون الانضواء تحت لواء دولته والتعاون معه ضد جيوش محمد على فى الحجاز التى

---

(١) ج . ج . لوريمر: دليل الخليج ، القسم التاريخى ، ج ٢ ، ص ١٢٩٨-١٢٩٩ ، ١٤٢٦ ، ١٦٣٧ .

، د . فائق حمدى طهبوب : تاريخ البحرين السياسى... ، ص ١٢٣-١٢٤

(٢) وثيقة رقم ٧ أصلية و ٥٠ حمراء ، محفظة ٢٦٧ عابدين ، محافظ الحجاز رقم ٧ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .

(٣) عثمان بن بشر : عنوان المجد فى تاريخ نجد ، ج ٢ ، ص ٦٨ .

يقود هـا أحمد باشا يكن . (١)

أدرك والى العراق من قبل الدولة العثمانية أهمية هذا التعاون بين الامام فيصل وأهل عسير ، فبدأ فى تتبع أخبار اقليم عسير عن طريق الامام فيصل بن تركى (٢) ، ومع هذا فان التطورات السريعة لتلك الأحداث فى اقليم الحجاز وعسير ، قد جعلت الامام فيصلا يرقبها بعناية شديدة ، خاصة بعد ما أحس أن محمد على باشا - والى مصر - قد بدأ يفكر فى معاودة نشاطه فى شبه الجزيرة العربية ، وكأنه يعلن عن عودة الصدام المسلح بين والى مصر والدولة السعودية الثانية.(٣)

لا سيما وأن الامام فيصل كان قد تمكن من طرد عبدالله بن مشارى الذى أرسل من قبل أحمد باشا يكن والى الحجاز ، ليتولى اقليم الأحساء باسم الوالى المذكور(٤) ، الذى يتبع حكومة محمد على فى مصر ،وكذلك رفض

---

(١) د . عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية .... ، ص ١٦٠-١٦١.

(٢) محفظة رقم ٢٦٤ عابدين ، محافظ الحجاز رقم ٥ ، المرفق العربى بالوثيقة التركى رقم ٦٦ حمراء ، دار الوثائق القومية بالقاهرة.

(٣) د . عبدالفتاح أبو عليه : الدولة السعودية الثانية .... ،ص ٣٧ ، بنوا ميشان : عبدالعزيز آل سعود - سيرة بطل ومولد مملكة، ص ٣٧ .

(٤) جون .ب.كيلى : بريطانيا والخليج .... ، ج ١ ،ص ٥٠٠ .

الامام فيصل المشاركة مع جيوش والي الحجاز في حملته على عسير. (١)

الا أن الامام فيصل رأى في هذه الحالة، والوضع على تلك الصورة أن يلجأ الى أسلوب المهادنة واللين ، علّه بذلك يتجنب الصدام الحربي مع جيوش الباشا ، فأرسل أخاه جلوي بن تركي الى والي الحجاز أحمد باشا يكن ، ومعه بعض الهدايا ، مبديا له استعداده في تدعيم علاقة الصداقة معه ومع حكومته ، وشارحا له صعوبة المرحلة التي تعيشها دولته في طور البناء والتشييد ، ولكن الباشا لم يقتنع بذلك ، فأوحى الى جلوي بشئ من تعليمات محمد علي ، القاضية بتعيين خالد بن سعود حاكما على نجد ، لأنه سيخضع لحكومة محمد علي ، ويدين لها بالولاء ، فعاد الأمير جلوي الى أخيه الامام فيصل ليطلعه على تلك التفاصيل الغير مطمئنة. (٢)

عندما وصلت القوات المصرية التي يقودها اسماعيل أغا وخالد بن سعود الى ينبع في سنة ١٢٥٢هـ/١٨٣٦م، في طريقها الى نجد ، قام

(١) د . فائق حمدي طهبوب : تاريخ البحرين السياسي ... ، ص ١٧٤ .
، د . محمد عرابي نخلة : تاريخ الأحساء السياسي ، ص ٦٧ .
(٢) مختارات من سجلات حكومة بومباي

S.R.B.G. No. XXIV. p.p. 443-445.

، ج . ج . لوريمر : دليل الخليج ، القسم التاريخي ، ج ٣ ، ص ١٦٢٦ .

الامام فيصل بارسال محمد بن ناهض الحربى رئيس قصر بسام ، ومعه بعض الهدايا فى محاولة أخيرة للتفاهم مع قادة هذه القوات ، ولمعرفة امكانياتهم وأعداد قواتهم ، وعندما عاد مندوب الامام فيصل بالخبر اليقين ، وأكد أن تلك القوات التى يبلغ عددها نحو ألفى جندى بين فارس وراجل ، قد اتخذت طريقها الى القصيم ، مرورا بالمدينة المنورة والحناكية(١) ، عندئذ قرر الامام فيصل بن تركى ، السير بجنوده للتصدى لهذه الحملة قبل وصولها اليه ، ونزل فى رياض الخبرا (٢) ، بينما اسماعيل أغا وخالد بن سعود قد نزلوا فى الرس ، واستمرت المواجهة بين الفريقين دون حدوث معارك حاسمة ، لمدة عشرين يوما (٣) . الا أن الامام قد أخذ بمشورة

---

(١) تقع الحناكية على جانب الخط الأيمن للمتجه من القصيم الى المدينة المنورة وتبعد من المدينة المنورة مائة وخمسة عشر كيلو متر ، ويوجد بها الآن مزارع ونخيل وبعض القرى ، وقد سكنها جماعة من بنى عمرو من قبيلة حرب وغيرهم . عثمان بن بشر: عنوان المجد فى تاريخ نجد ، ج ١ ؛ هامش ص ٣٨٤ ، تحقيق عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ .

(٢) تقع على الضفة الشمالية لوادى الرُّمَة ، وهى احدى البلدان الكبيرة فى منطقة غرب القصيم ، ومن أقواها زراعة ، ويمر بها خط الاسفلت المتجه من بريدة الى المدينة المنورة على بعد ٧٤ كيلومتر من بريدة .
محمد بن ناصر العبودى : المعجم الجغرافى للبلاد العربية السعودية ، بلاد القصيم ، القسم الثالث ، ص ١٠٨٣-١٠٨٤ .

(٣) عثمان بن بشر : عنوان المجد فى تاريخ نجد ، ج ٢ ، ص ٦٩-٧٠ .

بعض رجاله ، فى ضرورة تأديب بعض العربان الذين انضموا الى جانب اسماعيل بك ، والسير الى عنيزة للتحصن فيها ، وفعلا وصلها فى ٢٥ ذى الحجة سنة ١٢٥٢هـ/ ١٢ ابريل سنة ١٨٣٧م. (١)

لكن هذا التكتيك العسكرى كان فى غير مصلحة الامام فيصل ، اذ سرعان ما تفرق عنه كثير من جنوده ، ومؤيديه ، فقفل راجعا الى الرياض ، فى الوقت الذى دخل فيه خالد بن سعود واسماعيل أغا مدينة عنيزة. (٢)

كان الامام فيصل فى رجوعه الى الرياض حذرا فى تصرفاته ، فأنزل الخيام والأثقال خارج المدينة ، ودخلها على الخيل ليستطلع سلوك أهلها تجاهه ، وقد وجد شيئا من الجفوة والريبة ، فتدارك الأمر ، وخرج بأمواله وسلاحه من القصر(٣) ، واتجه الى الخرج (٤) ليقرر من هناك ما يجب عليه فعله تجاه هذه الأحداث التى أحاطت به.

---

(١) عثمان بن بشر : عنوان المجد فى تاريخ نجد ، ج ٢ ، ص ٧٠.
(٢) محمد بن عمر الفاخرى : الأخبار النجدية ، ص ١٧٣.
(٣) عثمان بن بشر : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٧١.
(٤) أخصب اقليم فى اليمامة ، وتبعد من الرياض أكثر من ثمانين كيلو متر وتقع جنوبها بميل قليل الى الشرق ، وأرضها رملية طينية ، وبها عيون كثيرة ، وقاعدتها الدلم .
عبد الله بن خميس: معجم اليمامة ، ج ١ ، ص ٣٧١-٣٧٨.

وبعد أن أقام عشرة أيام كاملة في الخرج ، تمكن خلالها من دراسة الموقف من جميع جوانبه ، واستطاع استدعاء بعض أهله وأشياء من متاعـــه كانت في الرياض عند رحيله منها ، رحل الى الأحساء في شهر محـــرم سنة ١٢٥٣هـ/١٨٣٧م، وعند وصوله الى الأحساء كان في استقباله عاملـه عليها عمر بن عفيصان ورؤساء وأعيان الاقليم ، الذين رحبوا به ، وجددوا لـه البيعة والولاء ، كما وفد عليه رؤساء بعض القبائل من مطير والعجمان والسهول وسبيع ، وقدموا له فروض الطاعة.(١)

بذلك اتخـذ الامام فيصل بن تركي الأحساء قاعدة لعملياته الحربية والسياسية ، وبدأ منها يرقب الأحداث التي تجرى في وسط نجد على يـد خالد بن سعود واسماعيل أغا ، اللذين استبشرا بخروج الامام فيصل من الرياض ، ليدخلاها في شهر صفر سنة ١٢٥٣هـ/١٨٣٧م.(٢).

ورغـم أن خالد بن سعود قد أعلن امارته في البلاد ، وطلب مـن

---

(١) عثمان بن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد ، ج ٢ ، ص ٧١-٧٢.
، د. عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم : محمد علي وشبه الجزيـــرة العربية ... ، ص ٢٨٦.

(٢) مختارات من سجلات حكومة بومباي
S.R.B.G. No. XXIV. p.p. 444-445.
، محمد عمر الفاخري : الأخبار النجدية ، ص ١٧٣.

مختلف الاقاليم تقديم البيعة له ، الا أن أهل الحوطة والحريق (١) ، رفضوا تقديم البيعة له ، حتى يرحل العساكر المصرية من نجد (٢) ، مما أغضب اسماعيل أغا ، ليخرج لهم بجيوشه الكثيرة فى شهر ربيع الأول من نفس العام ، بيد أن المعركة انتهت بهزيمة اسماعيل أغا وخالد بن سعود وجنودهما . (٣)

أما الامام فيصل بن تركى الذى كان مقيما فى الأحساء ينظم قواته ويرسم الخطة الكفيلة بنجاحه ، فى أى معركة قادمة مع أعدائه (٤) ، فقد غمرته الفرحة والبشرى عندما علم بهزيمة اسماعيل أغا وجنوده فى معركة

---

(١) حَوْطة بنى تَميم أوحوطة الجنوب تمييزاً لها من حوطة سدير فى شمال اليمامة ، وتبعد عن الرياض حوالى ١٥٠ كيلو متر شطر الجنوب .
، الحَرِيق : بلدة فى أعلى وادى نعام ، عامرة بالسكان والنخيل والمزارع ، وقد ذكرها الهمدانى فى كتابه .
عبدالله بن خميس : معجم اليمامة ، ج ١ ، ص ٣١٢ ، ٣٥٤ .

(٢) د . محمد عرابى نخلة : تاريخ الأحساء السياسى ... ، ص ٦٩ .

(٣) ابراهيم بن صالح بن عيسى : تاريخ بعض الحوادث الواقعة فى نجد ، ص ١٦٣ .
، محمد بن عمر الفاخرى : الأخبار النجدية ، ص ١٧٣-١٧٤ .

(٤) د . عبدالفتاح أبو عليه : الدولة السعودية الثانية ... ، ص ٤٤ .

الحلوة(١) ، التى خاضها مع أهل الحوطة والحريق هو وخالد بن سعود ، وأراد عندئذ أن يستغل هذا الوضع الذى أحاط بالقوات المصرية ، فخرج من الأحساء على رأس قوات كبيرة من أتباعه وجنوده ، واتجه الى الخرج ، حيث استنفر أهل الحوطة والحريق ومن يليهم من تلك الجهات ، فلبوا النداء وانضموا الى قواته ، وكان معهم الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ ، وسار بهم الامام فيصل لينتصر على خالد بن سعود وأهل الرياض فى أول معركة بينهم فى المصانع ، ثم فى منفوحة(٢) ، التى أعطاها الامام فيصل الأمان بعد أن صالحه أهلها وبايعوه ،ثم تقدم الامام فيصل بن تركى بجنوده ليضرب الحصار القوى على الرياض فى أول يوم من جمادى الثانى سنة ١٢٥٣هـ، السابع من سبتمبر سنة ١٨٣٧م.(٣) .

---

(١) الحُلْوَة : البلدة الثانية فى حوطة بنى تميم بعد الحِلْة ،وأعلى بلدة فى وادى بُرَيْك ،ولأهل الحلوة موقف مشرف فى حادثة سنة ١٢٥٣هـ حينما غزا خالد بن سعود واسماعيل أغا الحوطة والحلوة ، وقفوا موقف الأبطال وزلزلوا الغزاة زلزالا شديدا .
عبدالله بن خميس : معجم اليمامة ،ج ١ ،ص ٣٣٨ .

(٢) المَصَانِعَ : ضاحية من ضواحى الرياض ،ذات نخيل ومزارع ،ينفرج عنها وادى حنيفة غربا وشرقا ، ويسقى نخيلها ومزارعها .
مَنْفُوحة : قرية مجاورة لمدينة الرياض جنوبيها ،وتقع فى مثلث ضلعاه الشرقى والغربى واديا " الوِتْر - البطحاء الآن ، وحنيفة"،اللذان يلتقيان ،بعد منفوحة مباشرة فى رأس الزاوية الجنوبية ،وقاعدته القف الذى يقع بين منفوحة والرياض ،والذى أصبح الآن حيًّا مترامى الأطراف ويطلق عليه اسم منفوحة .
عبدالله بن خميس :المرجع السابق ،ج ٢ ،ص ٣٧٠،٣٩٧-٤٠٠ .

(٣) عثمان بن بشر : عنوان المجد فى تاريخ نجد ،ج ٢ ،ص ٧٤-٧٥ .
، ابراهيم بن صالح بن عيسى : تاريخ بعض الحوادث الواقعة فى نجد ص ١٦٣ .

واستمر الحصار الذى فرضه الامام فيصل على الرياض مدة تربو على شهرين ،وصلت خلالها الى جيوش الامام فيصل تعزيزات كبيرة من أهل المحمل وسدير(١) ، ولكن طول الحصار ، وسأم الجنود منه ، ثم ما صاحب ذلك من تدخلات بعض القبائل الموالية لأهل الرياض ، والقوات المصرية الْمُحَاصَرة ، من قبائل سبيع وقحطان ، جعل الامام يفك الحصار عنها فى الثانى عشر من شهر شعبان سنة ١٢٥٣هـ، الحادى عشر من نوفمبر سنة ١٨٣٧م، ويتجه الى منفوحة.(٢)

وقد حاول الامام فيصل أن يجرى مفاوضات سلمية مع خالد بن سعود لكى يحمى المنطقة من ويلات الحرب والهلاك ، موكدا له أن "أهل نجد لا يرضون بولاية الترك ولا أتباعهم"(٣) ، ولكن يبدو أن خالدا لم يكن يملك من اتخاذ القرارات ما يفاوض عليه ، فتجددت الحرب بين الجانبين.(٤)

---

(١) المِحْمَل :اقليم من أقاليم العارض ،وقاعدته ثادق .
سُدَيْر : من أكبر أقاليم اليمامة ، شماليها ، تنحدر أوديته من ظهر طويق ، ويحد اقليم سدير من الجنوب العَتْك ، ومن الغرب مرتفعات جبل طويق ومنحدراته الغربية ، ومن الشمال المرتفعات والقفاف المشرفة على روضة السَّبلة وما حولها شرقا وغربا ، ومن الشرق جبل مُجَزَّل ، وقاعدة اقليم سدير المجمعة .
عبدالله بن خميس: معجم اليمامة ،ج٢ ، ص١٨-٢٠ ، ٣٤٤ .

(٢) محمد بن عمر الفاخرى : الأخبار النجدية ،ص١٧٤ .
، عثمان بن بشر : عنوان المجد فى تاريخ نجد ،ج٢ ، ص٧٥-٧٦ .

(٣) عثمان بن بشر : المصدر السابق ، ج٢ ،ص٧٦ .

(٤) محمد بن عمر الفاخرى : المصدر السابق ، ص١٧٤ .
، د . عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم: محمد على وشبه الجزيرة العربية ... ، ص٢٩٩ .

ويبدو أن محمد على قد أحس بصعوبة الموقف الذى تمر به قواته فى نجد ، والتى يقودها خالد بن سعود واسماعيل أغا ، لا سيما وأنه بدأ فى التطلع الى تحقيق أهدافه فى الجزيرة العربية ، بعد أن أصبحت حكومته فى الشام تنعم بنوع من الاستقرار ، بعد معاهدة كوتاهية ـ الهدنة المسلحة ،ليحقق آماله فى العراق عن طريق الجزيرة العربية ، كبديل للشام الذى لم تستطع حكومته هناك الانطلاق منه للعراق ، فقرر تعزيز هذه القوات بقوات جديدة ،يقودها خورشيد باشا (١) ، الذى أصبح هو القائد العسكرى العام فى نجد . (٢)

وقد لجأ خورشيد باشا فى بداية الأمر الى أسلوب المخادعة والملاينة مع الامام فيصل بن تركى ، الذى كان لا يزال مقيما فى منفوحة ، ويخوض الحرب مع القوات المصرية فى الرياض ، فبعث اليه الشريف عبدالله بن

---

(١) هو محمد خورشيد باشا ،قائد ألبانى مستعرب ، جاء الى مصرصغيرا وتعلم فى مدارسها المدنية ثم العسكرية ، وكان فى حملة محمد على باشا التى أرسلها الى الحجاز أولا ،ثم أرسله محمد على هذه المرة الى نجد لمساندة خالد بن سعود واسماعيل أغا ، وقد عين بعد ذلك وكيلا للجهادية بمصر ، ثم مديرا للدقهلية ، وتوفى بالمنصورة سنة ١٢٦٥هـ.

عثمان بن بشر : عنوان المجد فى تاريخ نجد ،ج٢ ،هامش ص٥٧ ، تحقيق عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ .

(٢) ج.ج .لوريمر : دليل الخليج ، القسم التاريخى ،ج٣ ،ص١٦٣٦ .

جباره حاكم ينبع فى شهر شوال سنة ١٢٥٣هـ/١٨٣٨م، ومعه بعض الهدايا والوفود الخادمة. (١)

استطاع مبعوث الباشا أن يوقف المعارك الحربية التى كانت تدور بين الامام فيصل فى منفوحة، وبين القوات المصرية المُحَاصَرة فى الرياض، ولم يعقب ذلك الا رحيل الامام فيصل الى الدُّلَمْ(٢)، فى شهر ذو القعدة من نفس العام، وكأنه قد توصل الى اتفاق مع مبعوث الباشا ،اذ أننا نراه قد بدأ فى تدعيم نفوذه فى مختلف الأقاليم، فأرسل عمر بن عفيصان الى الأحساء، ومحمد بن يحيى بن غيهب الى عمان، والزهيرى الى وادى الدواسر ومحمد بن عبدالله بن جلاجل الى الأفلاج (٣)، فى حين أنه قد أرسل أخاه جلوى بهدايا من الخيل والجيش العمانيات الى خورشيد باشا. (٤)

---

(١) عثمان بن بشر : عنوان المجد فى تاريخ نجد، ج ٢، ص ٧٧.
، محمد بن عمر الفاخرى : الأخبار النجدية، ص ١٧٤.

(٢) الدُّلَمْ : قاعدة اقليم الخرج قديما، وكبرى مدنها، وتبعد من الرياض حوالى مائة كيلو متر.
عبدالله بن خميس : معجم اليمامة، ج ١، ص ٤٣٦.

(٣) الأفلاج، جمع فلج بالتحريك، وهو الماء الجارى من العين أو النهر وهى منطقة عامرة بالسكان والعمران والنخيل فى الجزء الجنوبى من اليمامة، ويحد منطقة الأفلاج من الشمال الخرج والحوطة، ومن الغرب جبل العارض - طويق والسليل ،ويحدها من الجنوب والشرق رمال الربع الخالى والدهناء، وقاعدتها لَيْلَى، وتبعد عن الرياض ٣٢٤ كيلو متر.
عبدالله بن خميس : المرجع السابق، ج ١، ص ٩٥-١٠٣.

(٤) عثمان بن بشر : المصدر السابق، ج ٢، ص ٧٧-٧٨.

يذهب بعض المؤرخين الى أن أعوان الامام فيصل هم الذين شككوا له في شروط الصلح مع الشريف عبد الله بن جبارة ، مندوب الباشــــا ، وأن قبوله حكم الأحساء فقط دون نجد خطأ جسيم ، لأن هذا الصلح مجـــرد خدعة من خورشيد باشا ، ليستولى على نجد ومن ثم الاتجاه الى الأحساء ومن هنا بدأ الامام فيصل بن تركى فى تدعيم نفوذه ، ولم يغادر الدلـم الى الأحساء . (١)

ولعلنا نستطيع أن نقول هنا أنه طالما أن الامام فيصل قد أوفد أخاه جلوى الى خورشيد باشا ، وبهدايا قيمة ، بعد مقابلة مبعوث الباشــــا بشهر ونيف (٢) ، وأنه قد أبدى استعداده ، ورغبته فى التعاون مع الباشا وحكومته (٣) ، فلماذا لا يكون الاخلال بالشروط قد تم من قبل خورشيد باشا ، الذى بدأ فى المسير الى نجد ، دون التقيد ببنود الصلح تلك التى أبرمت مع الامام فيصل ، كما أن هناك قرينة واضحة فى تلك الأحداث وهى أن الامام فيصل وأعوانه لو أرادوا الاخلال بتلك الشروط التى جعلت الامام ينسحـب

---

(١) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيـــرة العربية ... ، ص ٣٠٠ .

، د . عبد الفتاح أبو عليه : الدولة السعودية الثانية ... ، ص ٤٩ .

(٢) عثمان بن بشر : عنوان المجد فى تاريخ نجد ، ج ٢ ، ص ٧٧ .

(٣) وثيقة رقم ٣٣ أصلى و ٦٦ حمراء ، محفظة رقم ٢٦٤ عابدين ، محافظ الحجاز رقم ٥ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .

، د . فائق حمدى طهبوب : تاريخ البحرين السياسى ... ، ص ١٧٦ .

الى الدلم ،لهاجموا الرياض قبل أن يصلها أى مدد من جيوش خورشيد باشا ، حتى أن الأمير جلوى بن تركى الذى أتى مع جيوش الباشا من المدينة المنورة الى عنيزة لم يتأكد من النية المبيتة لدى خورشيد باشا تجاه حرب الامام فيصل ، الا بعد نزوله فى عنيزة ، فتحايل على الباشا وهرب الى أخيه فى الخرج ، ليعلمه بسوء نية الباشا ، وأنه ينوى الحرب لا غيره (١).

ويبدو من سياق الأحداث أن خورشيد باشا ، كان آت لمهمة خاصة ، وهى الوصول الى السواحل الشرقية لشبه الجزيرة العربية ، وتحقيق أهداف وطموحات محمد على باشا ، وقد أدرك خورشيد باشا ، الخطر الكبير الذى يمثله وجود الامام فيصل بن تركى فى المنطقة ، ليصبح حائلا دون تحقيق هذه الأهداف والطموحات ، حيث عبر عن ذلك فى رسالته التى بعثها الى صاحب الدولة فى مصر ، فى ٩ جمادى الآخرة سنة ١٢٥٤هـ حين قال : " ان فيصلا المتقدم الذكر منذ ما فك حصار الرياض ، مقيم الى الآن فى الموضع المسمى -خرج (٢) - الكائن فيما بين الحوطة والحريق وبين الرياض ،وأهالى هذه الجهات يوالونه ويحرضون سائر العربان على موالاته ، وأما الذين

---

(١) عثمان بن بشر : عنوان المجد فى تاريخ نجد ،ج ٢ ، ص ٨١ .

(٢) يقصد اقليم الخرج الذى يقع جنوب الرياض ، وسبق لنا تعريفه .

لا يوالونه في الظاهر فيمسكون الحبل من طرفيه ، على أن كل من في الطاعة من أهالي نجد ، حضريّها وبدويّها ، انما هم في الطاعة رسميا ، والمفهوم أن هؤلاء اذا أسند اليهم أي عمل لا يقومون به بصدق واخلاص ما لم يزل وجود فيصل العار الذكر من الكون "،ثم يبدى رغبته في تلك الرسالة الى أنه أراد ارسال الشريف عبدالله برسالة الى الامام فيصل في مكان اقامته ، الا أن مرض الشريف المذكور ، وتدهور الحالة الأمنية بين المدينة المنورة وينبع ، قد أدت الى صرف النظر عن ذلك كما يقول[1].

وعلى أية حال فقد تقدم خورشيد باشا بقواته ، ليصل عنيزة في آخر شهر صفر سنة ١٢٥٤هـ/ مايو سنة ١٨٣٨م[2] ، ومنها اتجه الى الرياض حيث التقى هناك بقوات خالد بن سعود واسماعيل أغا ، التي كانت قابعة في الرياض ، تنتظر وصول الباشا وقواته اليها ، وفي شهر شعبان من نفس العام خرج خورشيد باشا ، وخالد بن سعود بجيوشهم الجرارة الى الدلم ، التي يقيم فيها الامام فيصل بن تركي ، واستعد الامام لهذه القوات ودارت بينه وبينهم عدة معارك قوية ، ولكنها لم تحسم الأمر، ثم قدم

---

(١) وثيقة رقم ٣٧ أصلي ، ١٩٧ حمراء ، محفظة ٢٦٤ عابدين ، محافظ الحجاز رقم ٥ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة.

(٢) ابراهيم بن صالح بن عيسى : تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ، ص ١٦٣ .

، محمد بن عمر الفاخري : الأخبار النجدية ، ص ١٧٤ .

عمر بن عفيصان من الأحساء ونزل في السَّلَمِيَّة(١) ، وأرسل الى الامام يخبره بقدومه واستعداده للمساعدة ، وبالفعل دارت معركة حاسمة في السابع من شهر رمضان المبارك سنة ١٢٥٤هـ ، بين جيوش الامام وعمر بن عفيصان من جهة ، وجيوش خورشيد باشا وخالد بن سعود من جهة أخرى ، الا أن الامدادات التي بدأت تتابع على جيوش الباشا من الرياض ، أوهنت من عزيمة جند الامام ، فبدأ فيهم الخلل واختلاف الرأى ، وعندها أدرك الامام فيصل صعوبة الموقف ، طلب الصلح مع الباشا ، على أن يؤمن دماء وأموال أهل الدلم ، وعندما تم له ذلك ، خرج الى الباشا ، وبقى عنده قرابة أربعة أيام ، رحل بعدها الى القاهرة في الثاني من شهر شوال سنة ١٢٥٤هـ/١٩ديسمبر سنة ١٨٣٨م.(٢)

وباستسلام الامام فيصل بن تركي الى خورشيد باشا ، انتهت مرحلة اعادة بناء الدولة التي قام بها الامام فيصل ، وناضل من أجلها بكل ما

(١) السَّلَمِيَّة : احدى بلدان الخرج الشرقية ، ويعتبر آل عفيصان من قبيلة عائذ رؤساء لبلدة السلمية منذ القدم.
عبدالله بن خميس : معجم اليمامة ، ج٢ ، ص٢٩.

(٢) عثمان بن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد ، ج٢ ، ص٨١-٨٤.
، محمد بن عمر الفاخرى : الأخبار النجدية ، ص١٧٤-١٧٥.
، الأمير ضارى بن فهيد الرشيد : نبذة تاريخية عن نجد ، ص٣٤.
، د. عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم: محمد على وشبه الجزيرة العربية ... ، ص٣٠٧-٣٠٩.

أوتى من قوة(١) ، تلك المرحلة التى أعقبت مرحلة التأسيس فى عهد والده الامام تركى بن عبدالله رحمه الله .

ولا شك فى أن تلك المرحلتين كانتا تشكلان ازعاجا لحكومة محمد على فى مصر(٢) ، مما جعلها تلجأ فى نهاية الأمر الى القضاء عليها بالقوة المسلحة .

وقد كان الامام فيصل بن تركى من أعظم الأمراء همة وشجاعة ، فقد أجمع المؤرخون على أنه كان من الصفوة الممتازة ، ومن أتقى أئمة آل سعود ، فهو ميال للبحث والدرس ، محب للاطلاع والمعرفة ، حافظا للقرآن الكريم ، وكان يجمع بين اللين والشدة ، تغلب عليه الأريحية ودماثة الخلق فى التعامل مع جلسائه . (٣)

ويكفيه فخرا أنه كان الساعد الأيمن لوالده أثناء مرحلة تأسيس الدولة السعودية الثانية ، والقائم على اعادة بناء الدولة بعد استشهاد والده ،

---

(١) د . محمد عبدالله ماضى : النهضات الحديثة فى جزيرة العرب ، ص ٨٣

(٢) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص ٥٥٦ .

(٣) أحمد عبدالغفور عطار : صقر الجزيرة ، ج ١ ، ص ٨٨ .
، أمين سعيد : تاريخ الدولة السعودية ... ، ص ١٤٥ .
، حافظ وهبة : جزيرة العرب فى القرن العشرين ، ص ٢٣٢-٢٣٣ .
، سنت جون فلبى : تاريخ نجد ، ... ، ص ١٩٤ .

رغم ما تعرض له من المصاعب والتحديات ، وسوف نراه يعود أخيرا الى بلاده بعد خروج جيوش الباشا منها ، وبعد معاهدة لندن المعروفة سنة ١٢٥٦هـ/ ١٨٤٠م، ليعيد بناء الدولة ويرسي دعائمها ، على أسس متينة وصلبة ، بعد أن عركته الليالي والأيام ، وخرج منها يحمل زاد الحاكم السياسي الطموح ، الذي سيساعده على مجابهة الصعاب والأحداث، وهو ما تم بالفعل على يد الامام فيصل بن تركي بن عبدالله في مرحلة حكمه الثانية.

ومن هنا نقرر حقيقة تاريخية ثابتة تتمثل في تلك الجهود الجبارة التي قام بها الامام فيصل بن تركي خلال فترة زمنية قياسية لا تتجاوز خمس سنوات ، استطاع خلالها اعادة بناء دولته ، لا سيما وأنه قد تسلم مقاليد الحكم في ظروف غير طبيعية ، كانت المنطقة خلالها تتأرجح على ما يشبه فم البركان الثائر ، ولكن الامام فيصل وعزيمة الأبطال ، استطاع بتوفيق الله أن يكمل ما بدأه والده العظيم.

ولأن الأوضاع الخارجية كانت أكبر من أن تتحملها المنطقة بشكل عام ودولة الامام فيصل بشكل خاص ، وبالذات تلك الأحداث التي تجري في الشام بين محمد علي باشا والدولة العثمانية ، فقد أثرت بشكل مباشر على هذه الدولة وعلى الجزيرة العربية بشكل عام ، وهو ما سنتطرق اليه في الصفحات التالية من هذا البحث .

منذ ما كان محمد على باشا - والى مصر - يأتمر بأوامر السلطان العثمانى فى أوائل القرن الثالث عشر الهجرى ، التاسع عشر الميلادى لم يتردد فى شن الحرب على الجزيرة العربية ، وارسال الحملات العسكرية المتتابعة عليها ، والتى أدت فى نهاية الأمر الى سقوط الدرعية ، والقضاء على الدولة السعودية الأولى ، مما أدى الى انتشار الفوضى والاضطرابات السياسية فى ربوع الجزيرة العربية ، وبالذات فى اقليم نجد .

تلك الاضطرابات التى لم تستطع حكومة الباشا القضاء عليها ، أو أنها لم تحاول ذلك ، مكتفية بوضع حاميات عسكرية فى أنحاء متفرقة من المنطقة ، لتضمن التبعية الاسمية لها ، وبالتالى الحصول على الضرائب التى تذهب الى خزينتها ، وقد لعبت الأحداث السياسية والعسكرية التى مرت بها حكومة محمد على فى اليونان دورا ايجابيا فى تخفيف قبضتها العسكرية على شبه الجزيرة العربية (١) ، ثم تكرر ذلك الحدث التاريخى أثناء حروب الشام الأولى التى خاضها محمد على ضد الدولة العثمانية(٢) ، وكأن الأحداث

---

(١) د . فؤاد سعيد العابد : سياسة بريطانيا فى الخليج العربى ... ، ص ١٢٢ .
، أمين سعيد : تاريخ الدولة السعودية ... ، ص ١٤٦ .

(٢) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ... ، ص ٣٩٥ .
، د . فؤاد سعيد العابد : المرجع السابق ، ص ١٢٢-١٢٣ .

استمرت متتالية على حكومة الباشا لتشل حركته في شبه الجزيرة العربيــــة ، وبالتالي افساح المجال أمام أئمة آل سعود لاعادة بناء دولتهم على أســس ثابتة وقوية ، وهذا ما سنلحظه أثناء استقرائنا لأهم الأحداث والأعمال القوية التي قام بها كل من : الامام تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود ، ونجله الامام فيصل بن تركي ، في تأسيس وبناء الدولة السعودية الثانية ، التي كان قيام حرب الشام الأولى بين الدولة العثمانية ومحمد علي فرصة ثمينــة لها ، لتعيد الأمن والاستقرار الى ربوع الجزيرة العربية ،ولتستعيد نفــوذ أسرة آل سعود ، الذى قُضِي عليه بواسطة محمد علي وجنود الدولــــة العثمانية .

وقد أدرك الامام تركي بن عبدالله أن الحاميات المصرية التي تقبــع في أنحاء متفرقة من اقليم نجد ، هي أعجز من أن تتصدى لعزيمته وطموحاته فأخذ على عاتقه مسئولية اخراجهم من المنطقة ، ليسترد ملك آبائه وأجداده وينشئ دولته . (١)

---

(١) أمين سعيد : تاريخ الدولة السعودية ، ص ١٤٦ .
، د . محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربي ، ... ، ص ٢٣٤ .
، د . عبدالله صالح العثيمين : حول كتاب الدولة السعودية الثانيــة للدكتور أبو عليه ... مجلة الدارة ، العدد الأول ، السنة الثالثة ربيع الأول سنة ١٣٩٧هـ ، ص ٢٤٨ .

ثم استمر الامام تركي في تدعيم نفوذه في مختلف أنحاء الجزيرة(١) ، وكأنه قد أدرك أن الحرب التي تجرى في الشام بين محمد علي ، والدولة العثمانية ، هي لمصلحة الجزيرة العربية ، التي بدأت تتنفس الصعداء على يديه ، اذ أن الاستقرار قد بدأ يعود الى ربوعها .

وليس هناك من شك في أن هذه الحرب التي جرت في الشام قد شجعت الامام تركي بن عبدالله في المضي قدما لتدعيم أركان دولته ، فها هو يرسل جيوشه الى عالية نجد في شهر صفر سنة ١٢٤٧هـ/يوليو سنة ١٨٣١م ، لكبح جماح العربان الخارجين على حكومته من قبائل عتيبة(٢) ، رغم أنه يدرك أن هناك قوات في الحجاز تابعة لحكومة محمد علي في مصر ، الا أن الأوضاع التي تحيط بحكومتها في الشام لا تساعدها على ارسال قوات جديدة الى شبه الجزيرة العربية في هذا الوقت بالذات .

وفي سنة ١٢٤٨هـ - ١٨٣٢م ، قاد الامام تركي بنفسه حملة قوية على الأحساء لمعاقبة فلاح بن حثلين وقبيلته من العجمان(٣) ، وأخضع تلك القبيلة وقبيلة بني مرة لنفوذه الكامل ، وراح بعد ذلك يدعم نفوذه في

---

(١) عثمان بن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد ، ج٢ ، ص٤٢ .
، سنت جون فلبي : تاريخ نجد ... ، ص١٨٣-١٨٥ .

(٢) عثمان بن بشر : المصدر السابق ، ج٢ ، ص٣٩ .
، صلاح الدين المختار : تاريخ المملكة العربية السعودية ... ، مجلد ١ ، ص٢٤٥ .

(٣) عثمان بن بشر : المصدر السابق ، ج٢ ، ص٤٣-٤٤ .

مدن وموانئ اقليم الأحساء ، حيث مكث هناك ما يقرب من شهرين يتقبل خلالهما البيعة والولاء من أهل الأقليم(١) ، ولم ينس الامام خلال تلك المدة أن يتقرب بالمصاهرة الى أهل المنطقة ، فيتزوج ابنة هادى بن مذود رئيس عربان آل كثير(٢) ، وكأنه بذلك يؤكد لهم انتهاء زمن الفوضى والحروب الأهلية التى عاشها اقليم الأحساء فى سنوات خلت(٣) .

ومهما يكن من أمر فان محافظ مكة من قبل محمد على ، قد أصابه الذعر والخوف من تحركات الامام تركى فى قلب الجزيرة العربية ، وسواحلها الشرقية ، فبالاضافة الى رسالة الشريف محمد بن عون - أمير مكة ، التى بعثها فى سنة ١٢٤٥هـ - ١٨٣٠م ، والتى ضمنها كثيرا من الخوف والقلق من تحركات الامام تركى بن عبدالله فى عالية نجد وجمعه للزكاة من قبائل عتيبة ، القاطنة بنواحى مكة(٤) ، فان احتلال الأحساء من قبل الامام تركى ، وهزيمة بنى خالد ، قد جعلت محافظ مكة المكرمة ، يرسل الى محمد على تفاصيل هذه العمليات ، وازدياد نفوذ الامام تركى فى

---

(١) د. محمد عرابى نخلة : تاريخ الأحساء السياسى ... ، ص ٥٦ .

(٢) عثمان بن بشر : عنوان المجد فى تاريخ نجد . ، ج ٢ ، ص ٤٢ .

(٣) ج . ج . لوريمر : دليل الخليج ، القسم التاريخى ، ج ٣ ، ص ١٤٣٣

(٤) محفظة ١٣ بحر برا ، وثيقة رقم ٦٤ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة.

المنطقة ،وقد طلب محافظ مكة من محمد على السماح له بتسيير حملة عسكرية للقضاء على النفوذ السعودى هناك قبل انتشاره فى نواح كثيرة من الجزيرة العربية ،وربما الامتداد الى الحجاز(١) ، الا أن الظروف التى كانت تمر بها حكومة محمد على فى الشام ، والاستعدادات التى يبذلها الباشا لخوض الحرب مع الدولة العثمانية ، كانت كفيلة باستبعاد أية فكرة من هذا النوع قد تقوم بها حكومة الحجاز ضد حكومة تركى بن عبدالله فى نجد . (٢)

وتأكد ذلك حين طلب محمد على من محافظ الحجاز " توجيه النصح لإمام السعوديين بأن يركن للهدوء ،وإلا أرسل عليه جيشاً يكتسحه اكتساح السيل "(٣) ، وهذا شيء مستبعد فى ذلك الوقت على الأقل ،لأن الظروف التى يمر بها محمد على فى الشام لن تمكنه من تنفيذ هذا التهديد ، ولكن محمد على أراد استخدام التهديد كوسيلة بديلة ، وبشكل مؤقت علها تؤدى الى نتيجة ايجابية مع هذا الحاكم الجديد ،الذى بدأ يثير القلق لحكومة الباشا فى الجزيرة العربية ، وهو لا يزال فى معمعة الحرب مع

---

(١) د . فائق حمدى طهبوب : تاريخ البحرين السياسى... ، ص ١٧٣ .

(٢) د . عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ... ، ص . ٢٦٠-٢٦١ .

، د . فؤاد سعيد العابد : سياسة بريطانيا فى الخليج العربى ... ، ص ١٢٢ .

(٣) د . فائق حمدى طهبوب : المرجع السابق ، ص ١٧٣ .

الدولة العثمانية فى الشـام .

لـكن الامام تركى لم تفت من عزيمته تلك التهديدات والتحذيرات التى يطلقها الباشا ، فسار قدما وبخطى حثيثة وراسخة فى تدعيم أركان دولتـه وفى أنحاء متفرقة من الجزيرة العربية(١) ، حتى أن الوثائق البريطانيـة قد وصفته بأنه يعد من الحكام المستقلين فى حكمهم ، الا أنه حاول استمالة محمد على الى جانبه والتقرب اليه ،بدفع جزية قليلة له ،لكى يحصـل على اقرار منه بحقه فى الحكم. (٢)

وعلى أية حال فقد طلب أهالى عمان من الامام تركى أن يبعث لهـم بأمير وقاض ليعلمهم المبادئ السلفية التى تسير عليها حكومـة نجـد ، فبعث لهم " عمر بن محمد بن عفيصان أميرا ، والشيخ محمد بن عبد العزيـز العوسجى قاضيا ، فلما وصلا الى عمان هرع الأهالى لتحيتهما ، وبذلـك امتد النفوذ السعودى مرة ثانية الى البريمى وساحل عمان"(٣) .

---

(١) ج ج . لوريمر : دليل الخليج ، القسم التاريخى ، ج ١ ، ص ٣٢٨ .

(٢) مختارات من سجلات حكومة بومباى

S.R.B.G. No.XXIV.p.p.438-440.

(٣) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجـزيـرة العربية ... ، ص ٣٥١ .

أعقب ذلك توقيع سلطان مسقط على الاتفاقية الثنائية بينه وبين مندوب الامام تركي سعد بن مطلق المطيرى ، والتي تم بموجبها تعهد سلطان مسقط على دفع الزكاة السنوية للدولة السعودية ، اضافة الى استعداد الطرفين للتعاون في قمع التمردات التي تقع داخل حدود كل منهما . (١)

مما أدى الى ردة فعل قوية لدى السلطات البريطانية في الخليج العربي ، التي لم تخف قلقها حيال هذا التوسع السعودى ، واستنكرت بذلك البند الخاص بتبادل المساعدة بين الامام وسلطان مسقط ، حول قمع التمردات التي يقوم بها العربان في داخل حدود كل منهما ، معللة ذلك بالعداوة القديمة بين السعوديين ومحمد على في مصر(٢) ، وكأنها كانت تخشى من استغلال محمد على لهذا البند كي يتدخل في شئون سلطنة عمان ، مع أنها تفضل أن يتدخل في وسط الجزيرة العربية ، ويقضى على أى نفوذ للدولة السعودية ومجددها الامام تركي بن عبد الله(٣).

---

(١) ج . ج . لوريمر : دليل الخليج ، القسم التاريخي ، ج ٢ ، ص ٧١١ .
، د . صلاح العقاد : التيارات السياسية في الخليج العربي ، ص ١٢٩ .
، أمين سعيد : تاريخ الدولة السعودية ... ، ص ١٤٣ .

(٢) ج . ج . لوريمر : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٧١١ .
، د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ... ، ص ٣٦٤ .

(٣) جون . ب . كيلي : بريطانيا والخليج ... ، ص ٣٩٦ .

ولكن سلطان عمان أكد للبريطانيين بأن التزامه هذا سيكون خاضعا لرغبات البريطانيين أنفسهم قبل أى شئ آخـر(١).

ولا غرو فى ذلك فبريطانيا تعرف أن محمد على منشغلا بحروب الشـام فى الوقت الحالى ، اذا فالخطر على مصالحها فى الخليج سيكون عـن طريق الامام تركى بن عبدالله ، الذى بدأ فى تدعيم نفوذ دولته بسرعـة عجيبة ، جعلت سكان المنطقة يعترفون بسيادته عليهم(٢) ، ومن هنا لم تكن اتصالات الامام تركى مع حكومة بمباى ، ذات نتائج مثمرة ، فهى ربما تفضـل أن تتصل بشيوخ الساحل العمانى ، وتعقد معهم الاتفاقيات ، بدلا من الاتصال بالدولة السعودية فى الداخـل(٣) ، رغم ادراكها بأن الامام تركى لن يسمح بظهور القرصنة على سواحل دولته الشرقية ، وهى التى كانـت بريطانيا تخشاها وتتفـنى بالقضاء عليها.(٤)

---

(١) ج.ج. لوريمر : دليل الخليج ، القسم التاريخى ، ج٢ ، ص ٧١١.

(٢) مختارات من سجلات حكومة بومباى

S.R.B.G. No. XXIV. p.p. 439-441.

(٣) د. عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم : محمد على وشبه الجزيـرة العربية ... ، ص ٣٥٢.

(٤) مختارات من سجلات حكومة بومباى

S.R.B.G. No. XXIV. p.440.

، د. صلاح العقاد : التيارات السياسية فى الخليج العربى ، ص ٢٩ ١

وقد ذهب بعض المؤرخين الى رأى آخر يتمثل فى أن " حكومة بومباى لم تقف موقف العداء الصريح للامتداد السعودى فى عمان .. ، لأن سقوط عمان فى أيدى السعوديين وبسط نفوذهم عليها لا يعنى بالضرورة عودة ـ القرصنة ـ بل يمكن أن يعين ذلك فى حماية تجارة بريطانيا نتيجة للتجانس الذى سيفرضه السعوديون على المنطقة" (١) .

وعلى أية حال فقد كانت الفترة الزمنية الممتدة من ١٢٤٧هـ - ١٢٤٩هـ/ ١٨٣١ - ١٨٣٣م ، وهى الفترة التى خاض فيها محمد على باشا الحرب الأولى فى الشام ضد الدولة العثمانية ، الى أن تم التوصل الى ايقافها بعقد اتفاقية الهدنة المسلحة فى كوتاهية ، قد شكلت فرصة ثمينة جدا للامام تركى بن عبدالله ، ليدعم نفوذ دولته ، وينطلق فى فتوحاته ، ويفرض سيطرته على المنطقة ، حتى أصبح الحاكم الفعلى لها ، فأوامره مطاعة ، وتعليماته منفذة فى كل مكان وعلى أى مستوى (٢) ، لأن أقاليم الجزيرة العربية قد

---

(١) د . عبدالعزيز عبدالغنى ابراهيم : علاقة ساحل عمان ببريطانيا ... ، ص ٢٧٧ .

(٢) مختارات من سجلات حكومة بومباى

S.R.B.G. No. XXIV. p.p.438-442.

، د . عبدالله صالح العثيمين ، حول كتاب الدولة السعودية الثانية للدكتور أبو عليه ، مجلة الدارة ـ عدد ١ ، السنة ٣ ، ص ٢٤٩ .

، جى . بى . كيلى : الحدود الشرقية لشبه الجزيرة العربية ، ص ٩٧-٩٨

دانت له ، والقوى المحيطة به أصبحت تخشاه وتخطب وده ، وهو يتصرف في دولته وفق دستورها الخالد ، الشريعة الاسلامية ،ويفرضها على رعيته بلا هوادة. (١)

ولقد" ظل محمد على طوال فترة حكم الامام تركى بن عبد الله ، يرفض القيام بأى تدخل عسكرى فى شئون نجد ، ولم يسمح لحكومة الحجاز القيام بأى عمل من هذا النوع(٢)" ، وهذا يعطينا دليلا واضحا على أن الأوضاع التى تعيشها حكومة الباشا فى الشام ، حتى بعد أن وضعت الحرب أوزارها لم تساعدها فى التوجه الى الجزيرة العربية ، بنفس القوة التى توجهت لها فيها ، ابان حملات محمد على على الدولة السعودية الأولى .

وبالرغم من أن ابراهيم باشا قد أصبح حاكما عاما للبلاد السورية ، وقائدا للجيش فيها ، ورغم ما بذله من تنظيمات ادارية وسياسية وحربية ، كتعيين محمد شريف باشا حاكما عاما على سورية ، وسليمان باشا الفرنساوى على صيدا ، ومحمود نامى بك محافظا لبيروت ، وكذلك تعيين حنا بك بحرى على ادارة الشئون المالية ، وما صاحب ذلك من محاولات جادة لفرض

---

(١) صلاح الدين المختار : تاريخ المملكة العربية السعودية ... ،مجلد ١ ، ص ٢٥٢-٢٥٣ .

، أمين سعيد : تاريخ الدولة السعودية ... ، ص ١٤٣ .

(٢) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ... ، ص ٢٨٢ .

سيطرة الحكومة على اقليم الشام واقرار النظام والأمن في ربوعه ، الا أن نظام الحكم الذى بدأت حكومة الباشا في تطبيقه هناك ، والمتمثل في الاحتكار التجارى ، وتجنيد الأهالى بالقوة ، وفرض ضريبة باهظة عليهم بمختلف مذاهبهم ونحلهم ، وأخيرا نزع السلاح من أيديهم ، أدى حينذاك الى ثورة عارمة في مختلف أنحاء الشام.(١)

مما أدى الى عدم وجود الاستقرار والهدوء في خضم هذه الاضطرابات التى عمت الأهالى ، ولم يجد ابراهيم باشا حينذاك بدا من التصدى لكبح جماحها ، وتنفيذ أوامر والده ، ولكن الثورة لم تكد تخمد هنا حتى تقوم هناك وبشكل شبه مستمر طوال سنوات احتلاله للشام. (٢)

وليس هناك أى شك في أن انشغال محمد على في الشام وفي هذه الفترة بالذات ، وما يبذله من محاولات مستمرة لفرض سيطرة حكومته على المنطقة ، قد أثر بشكل مباشر على مركزه في الجزيرة العربية ، اذ أن الضعف قد بدأ يتسلل اليه (٣) ، رغم وجود حاميات عسكرية في الحجاز وفي

---

(١) عبد الرحمن الرافعى : عصر محمد على ، ص ٢٥٧ - ٢٦٤ ، أسد رستم : ادارة الشام ، ص ١٤٤ .

(٢) عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق ، ص ٢٦٤ - ٢٦٩ .

(٣) د . بدر الدين عباس الخصوصى : محمد على والخليج العربى ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الكويت ، عدد ٥ ، سنة ١٣٩٤ هـ ، ص ١٠٢ .

اليمن ، ورغم أن قسما كبيرا من جيوشه قد انسحب من آسيا الصغرى ، وفق اتفاقية الهدنة المسلحة المسماة "كوتاهية" سنة ١٢٤٨هـ/١٨٣٢م. (١)

من هنا نرى أن الامام تركى بن عبدالله حين تلقيه خبرا من الأحساء فى سنة ١٢٤٩هـ / ١٨٣٤م ، عن وجود بعض الاضطرابات وأعمال الفوضى التى عمت الاقليم بسبب عصيان سكان جزيرة العماير ، المساندين من شيخ البحرين لم يتردد فى ارسال قوات كبيرة تحت قيادة ابنه الأمير فيصل ،ليعيد الأمن والاستقرار للاقليم ،ويضرب بيد من حديد على أيدى الخارجين (٢) ، وهذا يدل بلا شك على مدى ما كان يتمتع به الامام تركى من نفوذ مطلق فى شبه الجزيرة العربية وسواحلها الشرقية ، وكأنه مدرك بأن الخطر من الغرب لن يأتيه فى هذه المرحلة على الأقل ، والا لما أقدم على ارسال قائده الفذ وعضده القوى الى شرق الجزيرة العربية ، لكبح جماح المتمردين دون أن يحسب حسابا لحكومة الحجاز ومن ورائها محمد على .

وقد استمر النفوذ السعودى على قوته واتساعه فى عهد الامام

---

(١) د. فائق حمدى طهبوب : تاريخ البحرين السياسى ... ، ص ١٧٣.
، د. فؤاد سعيد العابد : سياسة بريطانيا فى الخليج العربى ... ، ص ١٢٢-١٢٣.

(٢) صلاح الدين المختار : تاريخ المملكة العربية السعودية ... ، مجلد ١ ، ص ٢٥٩-٢٦٠.
، محمد سعيد المسلم : ساحل الذهب الأسود ، ص ١٨٢-١٨٣.

فيصل بن تركى ، ابان فترة حكمه الأولى (١) ،بعد ما تسلم الأمانة من والده ، وهذا بلا شك ما أزعج محمد على وجعله يعيد حساباته فيما يتعلق بشبه الجزيرة العربية وما يجرى فيها ، لأنه بات يرى" فى قيام الدولة السعودية ثورة تهدد سيادته فى قلب نجد والمناطق الشرقية من الجزيرة " (٢) .

ولعلنا نستطيع الآن أن نتطرق الى الملامح الرئيسية فى تطور أحوال الدولة السعودية الثانية ،فى عهد الامام فيصل بن تركى ، وخلال السنوات التى أعقبت معاهدة كوتاهية ،وحتى ارسال حملة خورشيد باشا ، وهى الفترة التى كانت الثورات فى الشام على أشدها ، وحكومة محمد على باشا لم تستقر هناك بعد ، لكى تتجه بقوة الى الجزيرة العربية .

فحينما عاد الامام فيصل الى الرياض تمكن من استمادتها ،ثم أعلن سياسته لرؤساء الأقاليم والقبائل ،الذين قدموا له فروض الطاعة والولاء فى عاصمته الرياض (٣) .

---

(١) د . عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ... ، ص ٣٩٥ .

(٢) د . عبدالفتاح أبو عليه ، الدولة السعودية الثانية ... ، ص ٣٨ .

(٣) عثمان بن بشر : عنوان المجد فى تاريخ نجد ،ج ٢ ،ص ٥٠-٥١ .
، د . عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم : المرجع السابق ، ص ٢٧٨ .
، محمد سعيد المسلم : ساحل الذهب الأسود ، ص ١٨٤ .

" ويبدو أن تلك الأحداث لم تكن بمنأى من تفكير محمد علي ، غير أنه لم يكن في مقدوره اعادة تثبيت حكمه في تلك الجهات" ، لأن البيت السعودي قد بدأ في عهد الامام فيصل يستعيد قوته وهيبته ، في الوقت الذي كان محمد علي منشغلا بنزاعه مع الدولة العثمانية في الشام ، فلم يكن بمقدوره حينذاك أن يخوض حربين في جبهتين متباعدتين هما الشام ونجد (١) ، ومع أن معاهدة كوتاهية قد جعلته يتنفس الصعداء ، ليلتفت الى الجبهة النجدية ،الا أن نظام الحكم في الشام قد أجّل هذه الالتفاته بضع سنوات وهو ما واكب عهد الامام فيصل ، وجعل دولته تتطور بشكل مرضي وحثيث.

فقد أمضى الامام فيصل سنوات حكمه الأولى في نضال مستمر ليدعم أركان دولته ، ويوطد سلطانه في نجد والأقاليم التابعة له (٢) ، فبعد أن قبض الزكاة من العربان الذين امتنعوا من دفعها في روضةالتنهات، وبعد

---

(١) د .بدرالدين عباس الخصوصي : دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر ،ج ١ ، ص ١٢٥-١٢٦.

، د .بدرالدين عباس الخصوصي ، محمد علي والخليج العربي ، مجلة كلية الآداب والتربية ، جامعة الكويت، عدد ٥ ،سنة ١٩٧٤م ،ص ١٠٢

(٢) عثمان بن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد ، ج ٢ ، ص ٦٦-٦٧.

، د . محمد عبدالله عاضي : النهضات الحديثة في الجزيرة العرب ،ص٨٢

، صلاح الدين المختار: تاريخ المملكة العربية السعودية ...، مجلد ١ ، ص ٢٨٠-٢٨١.

أن قبل البيعة من عربان مطير وقحطان والدواسر (١) ، راح الامام فيصل بن تركي يثبت أركان حكومته في اقليم الأحساء ، ويتطلع للقضاء على من شقوا عصا الطاعة على والده من قبله ، محاولا أن يستفيد من أطماع سلطان مسقط في البحرين، الذى كان يتحين الفرصة المناسبة للانقضاض على البحرين والاستيلاء عليها ، وقد أوعز الامام فيصل الى عامله في الأحساء بأهمية التعاون مع سلطان مسقط ضد البحرين ، الا أنه يبدو أن سلطان مسقط كان يريد اشعال الخلاف بين الامام فيصل وشيخ البحرين ليستفيد هو من ذلك (٢) ، ولكن عندما شعر الامام فيصل باستحالة التعاون مع امام مسقط ، وأحس بتحركات محمد على في الحجاز وعسير، قبل دون تردد خضوع البحرين لدولته ودفعها للزكاة ، كما تعهد بحماية البحرين من أي هجوم خارجي ، خاصة أمام التهديد الايراني الذى تلقاه شيخ البحرين . (٣)

---

(١) د . عبدالفتاح أبو عليه ، الدولة السعودية الثانية... ، ص ٣٦ .

(٢) د . فائق حمدى طهبوب : تاريخ البحرين السياسي ... ،ص ١٣٣-١٣٤

(٣) ج .ج . لوريمر : دليل الخليج ، القسم التاريخي ، ج ٣ ،ص ١٢٩٨ - ١٢٩٩ .

، د . محمد عرابى نخلة : تاريخ الأحساء السياسي ... ، ص ٦٦-٦٧ .

وبينما كان عامل الامام فيصل على البريمى وساحل عمان يوطد نفوذ الدولة السعودية ، ويكوّن الحاميات القوية فيها (١) ، كان أهل عسير يرسلون للامام فيصل بعض ما غنموه من حروبهم مع جيوش محمد على باشا التى يقودها والى الحجاز أحمد باشا يكن (٢) ، ويراسلون الامام فى محاولة منهم للتنسيق معه من أجل تشتيت جهود حكومة الحجاز لكى لا تقوم بتركيز جهودها فى ميدان واحد (٣) ، ولكن الامام فيصل أدرك وجود استقرارا أكثر لقوات محمد على فى الشام ، والتى بدأ يتجه أكثرها الى وسط الجزيرة العربية (٤) ، بعد أن قضت على ثورة محمد أغا - تركجه بيلمز - فى الحجاز وفى اليمن . (٥)

لجأ عند ذلك الامام فيصل الى المجاملة والأسلوب السياسى ، فأرسل أخاه جلوى ومعه الهدايا الى أحمد باشا والى الحجاز ، علّه يسعى لدى

---

(١) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ، ص ٣٥٢-٣٥٣ .

(٢) عثمان بن بشر : عنوان المجد فى تاريخ نجد ، ج ٢ ، ص ٦٨ .

(٣) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : المرجع السابق ، ص ١٦٠-١٦١

(٤) عثمان بن بشر : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٩ .
، الأمير ضارى بن فهيد الرشيد : نبذة تاريخية من نجد ، ص ٣٣ .

(٥) د . جاد طه : سياسة بريطانيا فى جنوب اليمن ، ص ٦١ .

حكومة محمد علي في مصر، لاقناعها بعدم ارسال حملات عسكرية الى نجد ، لأن حدود دولته لم تصل الى الحجاز ، الذي يتبع حكومة الباشا ، ولكن تلك الوساطة لم تجد نفعا لدى والي الحجاز ، وعاد الأمير جلوي الى أخيه في الرياض ، ليؤكد له سير الحملة العسكرية الى نجد والتي يقودها خالد بن سعود واسماعيل أغا. (١)

ومن هنا نقول أنه اذا كانت الفترة الأولى من حكم الامام فيصل بن تركي قد تميزت بوجود العداء المسلح بين محمد علي وبين الامام ،فذلك ناتج من ما أفرزته حرب الشام الأولى من نتائج وحيثيات مختلفة ، أثرت بشكل مباشر على حكومة محمد علي في مصر بوجه خاص وعلى الجزيرة العربية بوجه عام.

لقد أدرك محمد علي ازدياد النفوذ السعودي في وسط الجزيرة العربية منذ سنة ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م ، وهي السنة التي تسلم فيها الامام فيصل مقاليد الأمور في الدولة السعودية الثانية ، وكان الموقف حينذاك قد تأزم بشكل قوي بين محمد علي والسلطان العثماني في الشام ،اذ بلغت الحرب الدبلوماسية ذروتها بين الجانبين (٢) ، ولكن محمد علي خشي أن

---

(١) د. عبدالفتاح أبو عليه : الدولة السعودية الثانية... ، ص ٤٢-٤٣.

(٢) د. عبدالعزيز نوار : تاريخ العراق الحديث ... ، ص ٢٠٨.

،د. عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم : محمد علي وشبه الجزيرة العربية... ، ص ٢٨١.

يصبح الامام فيصل ودولته حجر عثرة فى سبيل أهدافه وطموحاته التوسعية، التى يريد أن ينفذها فى الجزيرة العربية والعراق ، كما أنه خشى أن تصبح الدولة السعودية سهما يصيبه من تلك الجهة ،فيما لو نشبت الحرب بينـــه وبين السلطان العثمانى مرة أخرى . (١)

عندما اتقدت نار الحرب فى شبه الجزيرة العربية ، ابتداء مـــن اليمن ومرورا بالحجاز ، وانتهاء بنجد ، على أيدى قوات محمد على باشا ، التى يقودها ابراهيم يكن فى اليمن ، وأحمد باشا يكن فى الحجاز ، وأخيرا خورشيد باشا فى نجد (٢) ، ورغم ما بذله الامام فيصل من محاولات سياسية وعسكرية لايقاف زحف هذه القوات ، الا أن جيوش خورشيد باشا استطاعت أن تستولى على اقليم نجد ، بعد أن استسلم الامام فيصل فى الجولـــــة العسكرية الأخيرة فى الدلم سنة ١٢٥٤هـ/١٨٣٨م(٣) ، وبعد أن قدم الكثير من الجهد والمال للمحافظة على أمن واستقرار دولته التى أسسها والـــده وجده هو بنائها .

---

(١) د .أحمد مصطفى أبوحاكمه : تاريخ الكويت،القسم الأول ،ج ٢ ،ص ١٢٢
، د . عبدالعزيز نوار : مصر والخليج العربى فى القرن ١٩ ، مجلـــة الهلال المصرية ، عدد ١١ ، السنة ٧٢ ،سنة ١٩٦٤م ،ص١٦٢-١٦٣
، أحمد عســه : معجزة فوق الرمال ، ص ٣٦ .

(٢) سيديو : خلاصة تاريخ العرب،ص ٢٨٥ .

3-Document:F.O. 78/373. C/A/61064. No.3. p. 93.
، محمود كامل : الدولة العربية الكبرى ، ص ٤١١ .

ويتبـين لنا من هذا الاستعراض لأهم مجريات الأحداث فى الشام ، والحرب التى كانت دائرة هناك بين محمد على والدولة العثمانية ، ومـا تلاها من تطبيق معين لأنظمة الحكم التى حاول الباشا فرضها على أهـل الشام ، أن تلك الأحداث كانت عاملا مميزا لتطور أحوال الدولة السعودية الثانية خلال عهدى الامام تركى بن عبد الله بن محمد بن سعود والامـام فيصل بن تركى ، ذلك التطور الذى كاد أن يعيد الأمن والطمأنينة لربوع الجزيرة العربيـة ، لا سيما والدولة السعودية الثانية تنطلق من العقيدة الاسلاميـة السلفية كمنهج للحكم ودستورا للدولة ، وما قضاؤها عـلى الاضطرابات وأساليب النهب والسلب التى كانت سائدة فى المنطقة ، الا دليلا على قوة دعائمها ، وأصالة مبادئها ، ولكن أهداف محمد على باشـا وأطماعه فى الجزيرة العربيـة والخليج العربى ، ومن ورائهما العراق حالت دون ذلك كلـه .

قضى الامام تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود وابنه الأمير فيصل عامي ١٢٤٧هـ/ ٣١-١٨٣٢م ، في تحرك مستمر لتوطيد دعائم الدولة السعودية الثانية في شبه الجزيرة العربية ، بعد أن خفت القبضة العسكرية للدولة العثمانية وواليها في مصر محمد علي ، الذي أصبح يخوض حربا ضد السلطان العثماني ودولته في الشام.

وعندما أدرك الامام تركي خلال تلك الفترة أن الدولة العثمانية تخوض حربا مع واليها في مصر ، الذي لا زالت قواته تتمركز في الحجاز ، تبادل مع والي بغداد من قبل الدولة العثمانية علي رضا باشا الرسائل والهدايا حيث بعث الامام تركي هدية مع حمد بن يحيى بن غيهب رئيس شقراء ، الى والي بغداد ردا على رسالته ، التي وصلت للامام عندما كان نازلا على ماء الرمحية سنة ١٢٤٧هـ/ ١٨٣١م ، وقد كانت رسالة الباشا تحمل كثيرا من معاني الصداقة والمحبة التي أبداها والي بغداد للامام تركي ابن عبدالله ودولته.(١)

وليس هناك من شك في أن الدولة العثمانية التي سيرت حملاتها العسكرية الى شبه الجزيرة العربية ، من أجل القضاء على الدولة السعودية

---

(١) عثمان بن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد ، ج٢ ، ص ٤٢ . ، صلاح الدين المختار : تاريخ المملكة العربية السعودية ... ، مجد ١، ص ٢٤٩ .

الأولى في أوائل القرن الثالث عشر الهجري ، أوائل القرن التاسع عشر الميلادي ، قد أدركت أنها لم تكن موفقة الى حد ما في قرارها السياسي الخاص باسناد تلك المهمة الى محمد على ، الذى بدأت قواته تخوض حربا ضروسا ضد الدولة العثمانية في الشام ، بقيادة ابنه ابراهيم باشا ، فلم تتردد حينذاك من التقرب الى الدولة السعودية الثانية وأمرائها من آل سعود ، لا سيما وأنها قد لمست التفاف أبناء الجزيرة حول هذه الدولة السلفية. (١)

في الوقت الذى كانت تسعى فيه الدولة العثمانية الى وضع كل العراقيل أمام تحركات محمد على وأهدافه في الجزيرة العربية ، لكي لا يتمكن من الوصول الى العراق عن طريقها ، لادراكها بمدى أفكاره وخططه السياسية في هذا المجال ، ليكمل بذلك دورانه حول الشام من الجنوب والشرق ، وبالتالي محاصرة العراق من الشمال والجنوب . (٢)

أما الامام تركي وابنه الامام فيصل فلم يغب عن ذهنيهما هذا الموقف الحيوى الهام ، والذى سيساعد على بناء دولتهما في وسط الجزيرة العربية ، مع ادراكهما لخطورة قوات محمد على في الحجاز وفي مصر ، وكذلك قواته

---

(١) أحمد عسه : معجزة فوق الرمال ، ص ٣٥ .

(٢) د . فؤاد سعيد العابد : سياسة بريطانيا في الخليج العربي ... ، ص ١٢

فى الشام التى خاضت حربا قوية ضد الدولة العثمانية.

من هنا استمر اتصال على رضا باشا والى بغداد بالامام فيصل بن تركى ، ليؤكد له أن الدولة العثمانية تعتبره من المنتمين لها ، وهى على أتم الاستعداد لتقديم كامل المساعدة له لكى يتمكن من طرد قوات محمد على باشا من الجزيرة العربية ،وعرض والى بغداد خدماته للامام فيصل قائلا :" أرجو أن تفيدنا عما يناسب حالك من المساعدة وفيه تقويتك ونجاح أمورك ومصلحتك "(١)

وقد ذهب بعض المؤرخين الى أن والى بغداد قد انتهز فرصة وجوده فى منطقة جنوب العراق فى شهر رجب سنة ١٢٥٣هـ/١٨٣٧م ،ليرسل الى الامام فيصل بن تركى رسالة يلومه فيها على عدم مراسلته ، ويحثه على اعلان ولائه للدولة العثمانية لكى يحفظ امارته من هجمات محمد على باشا والى مصر التى يعتزم شنها على دولته . (٢)

وكان الامام فيصل بن تركى يأمل فى مساعدة والى العراق ليستطيع مقاومة جيوش محمد على التى يقودها خالد بن سعود واسماعيل أغا ،

---

(١) د . عبدالحميد البطريق ، محمد على ومشروع غزو العراق ، مجلة كلية الآداب الجامعة الأردنية - عدد ١ ، يناير ١٩٦٩م ،ص ٥٣

(٢) د . عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ... ،ص ٣٠١ .

خاصة وهو يدرك سوء العلاقة بين الدولة العثمانية ، ومحمد على بسبب حروب الشام ، الا أن مساعدة والي بغداد الذى يمثل الدولة العثمانية ، لم تبرز الى حيز التنفيذ وبشكل عملى ، وكأنها أثر لما يجرى فى الشام فى تلك الفترة ، حين بلغت الحرب الدبلوماسية ذروتها منذ عام ١٢٥٣هـ/١٨٣٧م ، بين الباب العالي ومحمد على فى مصر(١) ، لذلك أصبحت مساعداتها للامام فيصل فى وسط الجزيرة العربية عبارة عن تدخل سياسى تمثل فى التحريض المستمر ، وابداء الرغبات للامام فيصل ، بحرص الدولة العثمانية على استمرار امارته فى نجد ، وتمكنه من القضاء على جيوش محمد على ، ولم تتعدى المساعدة العثمانية ذلك الأسلوب السياسى الى التدخل العسكرى المباشر. (٢)

وغنى عن القول أن الحرب فى الشام التى لا زالت آثارها باقية ، وبوادر تجددها ظاهرة ، كانت كفيلة باحجام والي بغداد عن ارسال أية مساعدة للامام فيصل بن تركى فى نجد ، لأنه كان مشغولا بتعزيز الشمال العراقى ضد قوات محمد على التى تسيطر على الشام بقيادة ابراهيم باشا فى سوريا .

---

(١) د . فائق حمدى طهبوب : تاريخ البحرين السياسى ... ، ص ٢٠٩ .
، د . عبدالعزيز نوار : مصر والخليج العربى فى القرن ١٩ ، مجلة الهلال المصرية ، عدد ١١ ، السنة ٧٢ ، ١٩٦٤م ، ص ١٦٣ .

(٢) د . محمد عرابى نخلة : تاريخ الأحساء السياسى ... ، ص ٧١ .

وبما أن الدولة العثمانية كانت تهتم في المقام الأول باستخدام والى بغداد للتجسس على تحركات محمد على فى الجزيرة العربية(١) ، والعمل على مقاومتها بأى وسيلة ممكنة ، فقد أوحى والى بغداد الى عبدالله الفداغ أحد التجار النجديين المقيمين فى الكويت ، والذى يعد من أصحاب المكانة الكبيرة فى المنطقة(٢) لكى يكتب للامام فيصل بن تركى ، ويؤكد له حرص الوالى على انتصاره فى تلك المعارك التى يخوضها ضد جيوش محمد على ، كما أن الوالى قد أبدى استعداده لارسال بعض الجنود الى الامام اذا تم له النصر ، وكأنه يريد أن يرفع من معنويات الامام وجنده ، وقد أشار عبدالله الفداغ على الامام فيصل فى رسالته المؤرخة فى ١٦ رمضان سنة ١٢٥٣هـ ، بأن يكتب الى والى بغداد رسالة يطلب فيها تزويده بأمر من السلطان العثمانى ، يؤكد تبعيته للدولة العثمانية ، ومن ثم يقرأ هذا الأمر بين الحاضرة والبادية فى مختلف أقاليم الجزيرة العربية ، وتبعا لذلك تنسحب قوات محمد على من المنطقة ، بناء على أوامر السلطان(٣)، باعتبار أن محمد على من ولاة الدولة العثمانية .

---

(١) د . عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية .... ، ص ٣٨٣ .

(٢) محفظة ٢٦٤ عابدين ، محافظ الحجاز رقم ٥ ، وثيقة رقم ٣٣ أصلى ، و ٦٦ حمراء - دار الوثائق القومية بالقاهرة.

(٣) محفظة ٢٦٤ عابدين ، محافظ الحجاز رقم ٥ ، المرفق العربى بالوثيقة التركية رقم ٦٦ حمراء - دار الوثائق القومية بالقاهرة.

ولعل الامام فيصل بن تركى عندما انسحب بقواته الى الدلم ، بعد مفاوضاته مع الشريف عبد الله بن جبارة ، فى منفوحة كان يحاول استكشاف حقيقة موقف الدولة العثمانية وواليها فى بغداد ، ومدى ما سيجنيه من مساعدة فعلية فى هذه الحرب، التى ستضع النقاط على الحروف فيما يتعلق بصدق نوايا الدولة العثمانية حيال علاقاتها مع الدولة السعودية الثانية.

وفى الوقت الذى بدأ الامام فيصل فى اعادة تنظيم قواته ، وزيادة تحصيناتها فى الدلم ،ذهب بعض المؤرخين الى القول بأنه بدأ يستحث والى بغداد ، وقبطان البصرة من قبل الدولة العثمانية ، ويطلب منهما المساعدة العاجلة ، محذرا اياهما من مغبة التوانى والتأخر عن نجدته ، لأن قوات محمد على ستزحف الى الأحساء ، ومنها الى البصرة، وهو ما تخشاه الدولة العثمانية (١) .

ولقد كان الامام فيصل ذكيا وحذرا جدا أمام هذه المتغيرات السريعة ، اذ أنه عندما أدرك أن والى بغداد لم يكن ليقدم له أكثر من الوعود والرسائل التشجيعية ، لجأ حينذاك الى الأسلوب السياسى فى

---

(١) د . محمد عرابى نخلة : تاريخ الأحساء السياسى ... ، ص ٧١ .
، د . فؤاد سعيد العابد : سياسة بريطانيا فى الخليج العربى ... ، ص ١٢٤ .
، د . فائق حمدى طهبوب: تاريخ البحرين السياسى ... ، ص ١٧٧ .

التعامل مع خورشيد باشا ، الذى بدأت طلائع قواته تزحف على نجد فأرسل أخاه الأمير جلوى الى خورشيد باشا ، ومعه الهدايا ، ورد على رسالة خورشيد باشا التى استفسر فيها من الامام فيصل عن ماهية علاقته بكل من على رضا باشا والى بغداد وشيخ عسير ، وجاء فى رد الامام فيصل أن تلك الاتصالات مع والى بغداد ما هى الا نتيجة لما يربطه مع الوالى من صداقة سابقة وتعاون ، نظرا لما قام به والى بغداد من تعاون شمر فى كفه لعشائر بنى خالد والظفير من مهاجمة حدود دولته ، أما علاقته بعسير فهى غير واردة . (١)

ويبدو من خلال ذلك أن خورشيد باشا ،قد بدأ يشك فى تصرفات الامام فيصل ، وأن مهادنته ربما ستمكنه من التعاون مع الدولة العثمانية وتدعيم علاقاته معها ، وبذلك تصبح أهداف خورشيد باشا فى جنوب العراق وشرق ووسط الجزيرة العربية تحت رحمة الامام فيصل ، الذى ستصله مساعدات الدولة العثمانية عن طريق واليها فى بغداد(٢).

---

(١) د . عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ... ، ص ٣٨٣ .

، د . محمد عرابى نخلة : تاريخ الأحساء السياسى ... ، ص ٦٩-٧٠ .

(٢) د . فائق حمدى طهبوب : تاريخ البحرين السياسى ... ، ص ١٧٨ .

لأن الأستانة بدأت تنظر الى الامام تركى بن عبد الله ومن بعده ابنه الامام فيصل على أنهما ولاة نجد والأحساء (١)، وعلاقة الدولة العثمانية بهما بدأت فى تحسن مستمر بعد ما خاض واليها فى مصر حربا قوية ضدها فى الشام.

ورغم أن خورشيد باشا قد علم بالاتصالات الجارية بين على رضا باشا والى بغداد ، وسليمان بن غنام شيخ قبيلة العقيل والتى حاول فيها والى بغداد أن يستحث أواصر القربى لدى شيخ عشائر العقيل لكى يقنع الامام فيصل بن تركى ، باعلان ولائه للدولة العثمانية (٢) ، الا أنه قد حاول هو فى وضع عيون له فى الزبير والبصرة وبغداد لتنقل له أخبار تلك المناطق ، وربما يعود سبب ذلك الى قلقه وخوفه المتزايد من استمرار ومن ثم تحسن العلاقات السياسية بين الامام فيصل بن تركى والدولة العثمانية ، ممثلة بواليها فى بغداد :

وقد عبر عن ذلك فى رسالته التى بعثها الى صاحب الدولة والعاطفة بتاريخ ٣ جمادى الأولى سنة ١٢٥٤هـ/يوليو سنة ١٨٣٨م ، والتى قال فيها : " سبق أن أوفد فيصل بن تركى أخاه مدعيا الرغبة فى الولاء

---

(١) د . أحمد مصطفى أبو حاكمه : تاريخ الكويت ـ القسم الأول ، ج ٢ ، ص ١٤٣-١٤٤ .

(٢) د . فائق حمدى طهبوب : تاريخ البحرين السياسى... ، ص ١٧٨ . ، د . محمد عرابى نخلة : تاريخ الأحساء السياسى ... ، ص ٧١ .

وتقديم الخدمات ، ولكن المشاهد من أحواله أنه يتجه الآن اتجاها آخر ، وأن معظم الأهالى يميلون الى جهات العراق والكويت والبصرة... "(١) .

من هنا يظهر لنا أن علاقة الدولة السعودية الثانية بالدولة العثمانية ، لم تكن على نفس النمط الذى كانت عليه علاقات الدولة السعودية الأولى ، فالأحداث التاريخية التى أحاطت بالدولة السعودية الثانية ، وكذلك الأحداث التى أحاطت بالدولة العثمانية ، ابان حروب الشام الأولى التى خاضتها مع محمد على ، جعلت الدولة العثمانية هى التى تخطب ود الدولة السعودية الثانية ، لكى تضرب بها قوات محمد على فى الجزيرة العربية ، لتوقفه بذلك من تحقيق أهدافه وخططه السياسية والعسكرية التى يعتزم تنفيذها فى شبه الجزيرة العربية وبغداد ، بعد أن بسط نفوذه على الشام.

مما يؤكد لنا أن حرب الشام الأولى كانت ذات أثر واضح وجلى فى زيادة تدعيم هذه العلاقة بين الدولة السعودية الثانية والدولة العثمانية ، ولكن اضطراب الأحوال فى ولاية بغداد والآتى من الشام ، وكذلك احجام والى بغداد من تقديم المساعدة العسكرية للامام فيصل بن تركى ، كان

(١) محفظة ٢٦٤ عابدين ، محافظ الحجاز رقم ٥ ، وثيقة رقم ٣٣ أصلى ، و ٦٦ حمراء ، دار الوثائق القومية بالقاهرة.

كفيلا باستيلاء قوات محمد على على شبه الجزيرة العربيــة ، وبالتالــى استسلام الامام فيصل لقائد تلك القوات خورشيد باشا ، لتنتهى بذلك تلك العلاقــة السياسيــة مع انتهاء حكــم الامام فيصل بن تركــى فى فترتــه الأولــى ..

الفصل الثالث

محمد على والخليج العربى

أ - محمد على والتجارة فى الخليج والمحيط الهندى .

ب - تقدم محمد على نحو الأحساء وسياسة نحو البحرين .

جـ - خطة محمد على بالنسبة للبصرة والمحمرة وبغداد .

د - الحوار البريطانى : حول الحرب أم الدبلوماسية ؟

منذ أن تولى محمد على حكم مصر كان جل همه منصرفا الى أن يجعل من مصر قوة حربية ذات بأس شديد ، وكان يخصص حوالى نصف دخل الدولة لهذه الغاية ، لذلك كان الباشا يجبر المزارعين على بيع محصولات الأراضى التى يزرعونها للحكومة ، وبالثمن الذى تحدده الدولة ، لتتمكن الحكومة من جمع تلك المحصولات فى مخازنها وبالتالى تصدرها للخارج ، وكان الفلاح حينذاك يشترى ما يحتاجه لغذائه أولاستهلاكه المحلى من الدولة وبالثمن الذى تحددة للبيع(١) ، وكأن محمد على قد شعر بضرورة سيطرة الدولة على كل وسائل الانتاج ، لكى يتمكن من تطويرها ووضعها فى خدمة النظام الذى أنشأه (٢) ، اذ صارت ملكية معظم الأراضى فى البلاد بيد الحكومة التى تولت أمر احتكار التجارة ، نتيجة لاشرافها على ميدان الزراعة وميدان الصناعة(٣) ، ليمتد بذلك " احتكار الحاصلات الزراعية الى احتكار توزيعها وتصديرها ، وتصنيع الباقى منها "(٤) .

ويظهر لنا من هذا أن محمد على كان ذا صفة تجارية فريدة يتمتع بها ، ويبذل قصارى جهده فى تطبيقها حتى أصبح التجار الأجانب

---

(١) د . محمد فؤاد شكرى وآخرون : بناء دولة مصر محمد على ، السياسة الداخلية " ، ص ٤٧ .

(٢) د . جلال يحيى : المجمل فى تاريخ مصر الحديثة ، ص ٢٢٥ .

(٣) جورج كيرك : موجز تاريخ الشرق الأوسط ، ص ١٥١ .

(٤) صبحى وحيده : فى أصول المسألة المصرية ، ص ١٥ .

لا يجدون غير الباشا ، لكي يتعاملوا معه ، نتيجة لنظام الاحتكار الداخلي فسيطر بذلك على التجارة الخارجية سيطرة تامة. (١)

وقد كان ذلك النظام من العوامل المهمة التي جعلت بريطانيا تقف في وجه محمد علي باشا في سوريا ، لكي لا يطبق نظامه الاحتكاري في الشام(٢) ، اذ سرعان ما كلف اللورد بالمرستون Palmerston وزير خارجية بريطانيا سفير حكومته في الأستانة اللورد بونسنبي Ponsonby لكي يهتم بمراجعة الأنظمة الخاصة بتجارة بريطانيا مع الدولة العثمانية ، ليتوصل في نهاية المطاف وبعد مفاوضات متعددة مع الباب العالي الى عقد المعاهدة التجارية المعروفة باتفاقية بلطة ليمان Balta liman في سنة ١٢٥٤هـ/١٨٣٨م ،والتي تتألف من ثمانية بنود أساسية ، وثلاثة أخرى اضافية ، والتي كان لها من الآثار العميقة على نظام الاحتكار في ممتلكات محمد علي باشا ، ما أدى في النهاية الى الغائه (٣) ،كما أن تلك المعاهدة كان القصد من ورائها تمزيق معاهدة كوتاهية التي عقدت سنة ١٢٤٨هـ/١٨٣٣م

---

(١) د. محمد فؤاد شكري وآخرون : بناء دولة مصر محمد علي " السياسة الداخلية " ،ص ٥٢ .

2- Document: F.O.78/247.P.P.109-120.11/11/1834.

(٣) د. أحمد عزت عبد الكريم: دراسات في تاريخ العرب الحديث ،ص ٢٧٢ .
،د. عبد العزيز نوار: تاريخ العرب المعاصر" مصر والعراق "،ص ١٤٠- ١٤١ .

بين محمد على والباب العالى ، والكيد للباشا بمختلف الأساليب. (١)

ولعل الباشا قد شعر بخطورة تطبيق هذا النظام فى سوريا على علاقاته مع بريطانيا وخشيته من الاصطدام بها ، وهو لا يزال فى حرب مع الدولة العثمانية ، وأبدى حينذاك استعداده لتنفيذ الاتفاقية التجارية المعقودة بين بريطانيا والباب العالى (٢) ، ورغم المزايا التجارية التى منحها محمد على للأوروبيين فى مصر ، اذ كانوا يدفعون ضريبة جمركية قدرها ٣ ٪ ، بينما يدفع المسلمون ٤ ٪ ، والذميون ٥ ٪ ، فضلا عما يدفعونه من اتاوات جمركية وعوائد مرور ، يعفى الأوروبيون من دفعها (٣) ، الا أن الحكومة البريطانية وقفت موقفا حازما فى وجه النظام الاحتكارى لمحمد على (٤).

وليس هناك من شك فى أن الأموال والمشروعات السياسية والتجارية التى كانت تختمر فى ذهن محمد على ، ومحاولته تنفيذها ، تعطى الباحث صورة واضحة لمدى ما يتمتع به الباشا من طموحات كبيرة ذات أهداف واسعة ، يعمل على توطيدها وتدعيم مركزه فيها ، حيث أننا قد رأيناه

---

(١) د. محمد عبد اللطيف البحراوى : حركة الاصلاح العثمانى فى عصر السلطان محمود الثانى ... ، ص ٢٢٣.

2- Document:F.O.78/373No.14.P.P. 70-72 xC/A/61064.

(٣) د. محمد فؤاد شكرى وآخرون : بناء دولة مصر محمد على " السياسة الداخلية " ، ص ٢٨٠.

(٤) جون مارلو : تاريخ النهب الاستعمارى لمصر ، ص ١١٢.

" يوازن بين القيمة الاستراتيجية فى مشروع غزو الجزائر الذى راودته عليه فرنسا ، وما للشام والعراق من تلك الاستراتيجية ، فيختار ثانيهما من أجل التجارة مع الهند ، وعلى ذلك بدأ هجوم جيش ابراهيم على الشام (١)" فى حروبه الأولى سنة ١٢٤٧هـ/ ١٨٣١م.

وبما أن موقع الجزيرة العربية يعتبر من المواقع الاستراتيجية الممتازة والفريدة ، لاشرافها على أهم وأقصر طريق بحرى عالمى ، يربط بين الشرق والغرب ، وهو البحر الأحمر ، اضافة الى اشرافها على الخليج العربى الذى يعتبر طريقا حيويا للتجارة مع الهند والشرق الأقصى (٢) ، كانت أنظار محمد على باشا تتجه الى الجزيرة العربية والخليج العربى ليحقق فيها طموحاته وأهدافه (٣) ، لذا فان انسحاب ابراهيم باشا من وسط الجزيرة العربية والأحساء ابان حروبه ضد الدولة السعودية الأولى لم تكن نهاية المطاف لأطماع محمد على ، بل استمرت الأحلام تراوده ليعود لتلك المنطقة ويحقق فيها أهدافه (٤) ، لادراكه بأن " الأحساء هى خير قاعدة يمكنه الانطلاق منها ليحقق أهدافه وطموحاته فى الخليج العربى "(٥)

---

(١) د . محمد عبد اللطيف البحراوى : حركة الاصلاح العثمانى فى عصر السلطان محمود الثانى ... ، ص ١٥٣ .

(٢) نبيل عبد الحى رضوان : الدولة العثمانية وغربى الجزيرة العربية .. ، ص ٩

(٣) د . حسن أحمد ابراهيم : محمد على فى السودان ، ص ٣٨ .

(٤) د . فؤاد سعيد العابد : سياسة بريطانيا فى الخليج العربى ... ، ص ١٢٢ .

(٥) د . محمد عرابى نخلة : تاريخ الأحساء السياسى ... ، ص ٣٤ .

وحين انشغاله بحملاته على السودان وبناء جيشه الجديد ،لم يغفل من الجزيرة العربية وسواحلها البحرية ،فأرسل الى حاكم الحجاز سنة ١٢٣٧هـ/١٨٢١م بضرورة المحافظة على سواحل البحر الأحمر ، واتخاذ الاحتياطات اللازمة لتأمين الموانئ اليمنية ضد السفن البريطانية التى ترد اليها (١).

أخذ محمد على فى اظهار نواياه وأهدافه التوسعية فى شبه الجزيرة العربية بعيد حرب الشام الأولى سنة ١٢٤٧هـ/١٨٣١م ، حين تحركت قواته من الحجاز فى حملة على عسير واليمن (٢) ،ولا غرو فى ذلك اذ أن رغبة الباشا كانت كبيرة فى الاستفادة من تجارة الشرق عن طريق الاستيلاء والتحكم فى الطرق التجارية المسيطرة على هذه التجارة وأهمها طريقا البحر الأحمر والخليج العربى ،اضافة الى حرصه المستمر فى المحافظة على تجارة البن التى يشتهر بها اليمن ، حيث تجلى ذلك فى اسراع الباشا بايفاد عميلا له لشراء البن من مخا وارساله الى السويس حالما تم الاستيلاء على مخا ، قاعدة تجارة البن هناك (٣).

---

(١) د . فاروق عثمان أباظه : عدن والسياسة البريطانية فى البحر الأحمر ... ، ص ١٠٩-١١٠ .
،د . عبدالحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث... ،ص ٦٠-٦١ .
(٢) د . أحمد مصطفى أبو حاكمه : تاريخ الكويت ، القسم الأول ،ج ٢،ص ١٢٠
(٣) د . محمد فؤاد شكرى وآخرون : بناء دولة مصر محمد على " السياسة الداخلية " ، ص ٥٧ .

وقد وجد الباشا فرصة المناسبة بعد توقيعه للهدنة المسلحة " صلح كوتاهية سنة ١٢٤٨هـ/١٨٣٣م، حيث أتاحت له سحب عدد كبير من قواته المتواجدة في آسيا الصغرى لتوجيهها الى شبه الجزيرة العربية(١) الا أن محاولة السيطرة على جنوب وشرق الجزيرة العربية ستؤدى الى الاصطدام بالانجليز، وهو ما لم يرغب محمد على في وقوعه في البداية لا سيما وهو المعروف بنهجه السياسي الفريد الذي يخدم أغراضه وأهدافه دون المساس بالأطراف الأخرى ، حتى أن بعض المؤرخين أشار الى تلك الميزة التي تتوفر في الباشا (٢).

وعند ادراك محمد على لهذا القلق البريطاني المتزامن مع تحركات قواته الى اليمن وجنوب الجزيرة العربية ، أكد للقنصل البريطاني في مصر الكولونيل باتريك كامبل Patrick Campbell، أنه لا يفكر في توسيع مشروعاته خارج البحر الأحمر ولا يبغى مد أملاكه شرقي صنعاء (٣).

وقد كان محمد على متحمسا لانشاء علاقات تجارية بين مصر والهند البريطانية ، وقام بعدة محاولات في هذا النطاق الا أن محاولاته تلك

---

(١) د. فائق حمدى طهبوب : تاريخ البحرين السياسي ... ،ص ١٧١.
(٢) د. أحمد مصطفى أبو حاكمة :تاريخ الكويت ،القسم الأول،ج ٢ ،ص ٩٣ نقلا عن هنرى دودول : مؤسس مصر الحديثة ،ص ١٢٨.

3- Document.F.78/3185.,617070.P.52. 23/2/1837.

لم يحالفها النجاح ، رغم حرص بريطانيا على سلامة طرق مواصلاتها التي تربطها مع الهند والتي يسيطر الباشا على أهمها في البحر الأحمر، والأراضي المصرية. (١)

منذ أن وطئت أقدام قوات محمد على باشا أرض الجزيرة العربية ، وتطلعات الباشا الى فتح اليمن وامتلاكها تزداد يوما بعد يوم ، خاصة وأنها تنطلق من أطماع اقتصادية أكثر منها سياسية ،فموانيها التجارية الهامة ، وموقع تلك الموانئ على البحر ، ومدى ما يمكن أن تدره من ريع جماركها من مال وفير،اضافة الى تجارة البن المربحة التي يتطلع الباشا الى احتكارها (٢) ، كل ذلك جعل محمد على يتجه الى جنوب الجزيرة العربية، لاخضاعها الى نفوذه ،وفرض سيطرته عليها ، رغم أن هناك أمورا يعيشها الباشا تجعله لا يفصح من أهدافه تلك ، من أهمها الموقف البريطاني المتصلب تجاه تحركات الباشا في هذا الجزء من المنطقة .

ولقد ظل مشروع غزو اليمن مطويا في صدر محمد على الى عام ١٢٤٨هـ/ ١٨٣٢م ، حينما قامت ثورة الجند الغير نظاميين بزعامة محمد أغا " تركجه بيلمز " في الحجاز ،ابان حرب الشام الأولى التي يخوضها محمد على مع

---

(١) د ٠محمد فؤاد شكري وآخرون : بناء دولة مصر محمد على " السياسة الداخلية " ،ص ٥٠٧ ٠

، جون مارلو : تاريخ النهب الاستعماري لمصر ،ص ٤٠ ٠

(٢) د ٠عبد الحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث،،ص ٦٢ ٠

، د ٠السيد رجب حراز: المدخل الى تاريخ مصر الحديث.. ،ص٢٤٤-٢٤٥

الدولة العثمانية ، والتي ابتهج لقيامها الباب العالي ، وأرسل بذلك فرمانا الى قائد الثوار " تركجه بيلمز " يقره على ولاية الحجاز نكاية بمحمد على باشا (١) ، الا أن محمد على لم يرض من قيام تلك الثورة ، ولم يعترف بفرمان السلطان (٢) ، وانتهز بذلك الفرصة ليوطد نفوذ حكومته في الحجاز واليمن ، فأرسل حملة عسكرية بقيادة أحمد باشا يكن للقضاء على هذه الثورة ومثيريها ، ولكن الثوار لم يصمدوا أمام قوات أحمد باشا يكن ، بل هربوا الى اليمن ، ومنها انتهت ثورتهم قبل أن يشتد عودها ، دون أن يستفيدوا منها الا القتل والتشريد (٣) ، في حين أن تلك الثورة قد أثارت في نفس محمد على ذلك المشروع الذي كان يخفيه لسنوات خلت ، خاصة وأن الأوضاع التي يعيشها اليمن أصبحت تساعد الباشا على تحقيق آماله ورغباته (٤) ، لا سيما وهو الآن قد تخلص من أخطر ثورة ضد حكمه في الجزيرة العربية ، من هنا أفصح من غزو اليمن في شهر رمضان سنة ١٢٥٠هـ/ يناير سنة ١٨٣٥م (٥) ، اذ قرر ارسال قوة جديدة بقيادة ابراهيم باشا

---

(١) عبدالرحمن الرافعي : عصر محمد على ، ص ٣١٠ .

(٢) د . فاروق عثمان أباظه : الحكم العثماني في اليمن ... ، ص ٣٥ .

3-Document : F.O.78/227, 60952. No.10.

4-Document : F.O.78/228 ,60952. No.62.

(٥) د . عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ... ، ص ٢٠٥ .

يكن (١) ، وجعله سر عسكر اليمن ، وسارت تلك الحملة برا وبحرا ، وأخذ الأسطول المصرى تحت قيادة حافظ على بك يستولى على الموانئ اليمنية ، بينما القوات البرية التى يقودها ابراهيم باشا تستولى على المدن اليمنية الهامة ، وتضع فيها الحاميات القوية حتى تمكنت تلك الحملة من الاستيلاء على جميع المدن والموانئ اليمنية الهامة ، باستثناء عدن (٢) ، واستقر ابراهيم باشا فى الحديدة ، وجعلها مقرا لولايته ، وبدأ فى تعيين المحافظين والولاة على مدن اليمن المختلفة (٣) .

"ولما كانت الناحية الاقتصادية هى الأساس الذى بنيت عليه آمال محمد على فى الاستيلاء على اليمن فقد وجه حاكم اليمن أكبر اهتمام للسيطرة على المناطق التى تجود فيها زراعة البن لأنه المحصول الرئيسى الذى عزم الباشا على احتكاره تطبيقا لسياسته الاقتصادية فى البلاد التى حكمها (٤) " ، وقام

---

(١) ابراهيم يكن " ابراهيم باشا توفيق " هو ابن أخت محمد على ، وشقيق أحمد باشا يكن الأصفر ، ولد بالقاهرة سنة ١٨٠٤م ، واشترك فى حروب الشام ، وبذل جهدا كبيرا فى حصار عكا ، وكانت ثقة محمد على به كبيرة .

د . عبدالحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث ١٥١٧-١٨٤٠م ، هامش ص ٧٥ .

(٢) الشيخ عبدالواسع يحيى الواسعى : تاريخ اليمن المسمى " فرجة الهموم والحزن فى حوادث وتاريخ اليمن " ، ص ٢٣٣ .

3 - Document : F.O.78/247. P. 119.

(٤) د . عبدالحميد البطريق : المرجع السابق ، ص ٩٩ .

بفرض ضرائب باهظة على التجار التابعين لشركة الهند الشرقية بلغت نسبتها ٥ر٧٪ بينما التجار الأمريكيون يدفعون ٣٪ فقط، مما أثار حفيظة وزير خارجية بريطانيا اللورد بالمرستون Palmerston، الذى طالب بسرعة رفع هذه القيود من التجار البريطانيين، والا ستضطر حكومته لاتخاذ الاجراءات الكفيلة بانهاء ذلك (١)، بدأ بعد ذلك ابراهيم باشا يكن يمد ناظريه الى توسيع رقعة ممتلكاته في اليمن، وطلب من والى الحجاز تزويده بالامدادات اللازمة والجنود، ليتمكن من الاستيلاء على مدينة تعز وتوابعها، الا أن ظروف والى الحجاز منعته من تلبية ذلك (٢)، ويذهب بعض المؤرخين الى أن تعز قد استسلمت للجيش المصرى بقيادة ابراهيم باشا يكن فى ربيع أول سنة ١٢٥٣هـ الموافق يونية سنة ١٨٣٧م، وأنه قد تم تعيين مصطفى بك أحد قادة الحملة حاكما عليها، وقد زف ابراهيم يكن البشرى الى محمد على باشا من اتمام قواته لفتح كامل اقليم تعز بعد ست معارك قاتل فيها الجيش المصرى قتال الأبطال (٣).

كان سرور محمد على باشا بالغا فى السعادة والغبطة عند ما وصلته الأنباء من خضوع كامل الساحل الشرقي للبحر الأحمر من السويس وحتى

---

(١) د. فاروق عثمان أباظة : عدن والسياسة البريطانية فى البحر الاحمر ...، ص ١٥١.
، د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: محمد على وشبه الجزيرة العربية ...، ص ٢٣٢.

(٢) وثيقة رقم ١٤٤ نمرة ٣٨٧، محفظة ٢٦١ عابدين، دار الوثائق القومية بالقاهرة، نقلا من د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: من وثائق شبه الجزيرة العربية فى مصر محمد على، مجلد ١، ص٤١٣-٤١٤

(٣) د. عبد الحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث ١٥١٧-١٨٤٠م، ص ٧٩-٨٠.

باب المندب للسيادة المصرية ،بينما القنصل البريطاني في مصر يبدو على النقيض تماما ،حينما بعث برسالة الى وزير خارجيته اللورد بالمرستون Palmerston ، ينبئه فيها بسيطرة جيوش محمد على على أغلب المدن والموانئ اليمنية(١).

كان ابراهيم باشا يكن يعتبر تعز مفتاح صنعاء ،فلما اطمأن الى دخول الساحل اليمني في حوزة الحكم المصرى ، بدأ في الاستعداد للقيام بحملات جديدة داخل اليمن ، ولكنه كان في حاجة الى الامدادات البشرية والعسكرية ، اذ أن جل جيشه أصبح موزعا على شكل حاميات بين الأقاليم اليمنية التي فتحها ،اضافة الى ضرورة تزويده باذن من محمد على باشا بفتح صنعاء ،فبقى حينذاك ينتظر الاذن بالسماح له وارسال الامدادات اليه ، وخلال تلك الفترة حاول أن يستولى على مدين وهى حاضرة اقليم هام بين زبيد واب ،فأرسل كتيبة بقيادة البكباشي محمد صادق ، استطاعت أن تخضع مشائخ الأقليم والأهالى ،الذين طلبوا الانضواء تحت مظلة الحكم المصرى (٢).

ثارت صنعاء بسبب سوء الأوضاع السياسية والمعيشية التي تمر بها في

1-Document :F.O.78/257.xC/A/61064. No.2.

(٢) د. السيد رجب حراز : المدخل الى تاريخ مصر الحديث من الفتح العثماني الى الاحتلال البريطاني ، ص ٢٤٦.
، د. عبدالحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث ١٥١٧-١٨٤٠م ص ٨٢.

ــــــهد الامام المنصور على بن المهدى الذى خرج عليه عمه القاسم (١) ، من هنا استطاع ابراهيم يكن باشا من اسكات قاسم عم الامام براتب شهـــرى ومكافأة مالية ،مع السماح له بالاقامة فى مخا ، لكى يتمكن هو من اخضاع امام صنعاء ، تلك المدينة التى بات الباشا يتوق لفتحها بين الفينة والأخرى حتى أن امام صنعاء اضطر الى الكتابة الى أحمد باشا والى الحجاز مـــله يتوسط لدى ابراهيم باشا بالكف من الاعتداءات التى يقوم بها ابراهيم باشا بين الحين والآخر على جهات مختلفة من حكومتـه (٢) ، الا أنه لم يلبث أن أعلن ولاءه للحاكم المصرى فى اليمن ، ليتقى شر البريطانيين بعد سيطرتهم على عدن . (٣) .

وورد ت الى محمد على بعض الرسائل من أهالى وأعيان حضرموت يطالبونه فيها بارسال الموظفين والجنود الى الاقليم لحفظ الأمن وتنظـــيم الاحوال هناك ، مؤكدين له فى رغبتهم الانضواء تحت ادارة حكومته ، التى أقامهـا ابراهيم يكن فى اليمن (٤) .

---

(١) محمود كامل :اليمن شماله وجنوبه تاريخه وعلاقاته الدولية ،ص ٢٣١ .

(٢) د . السيد رجب حراز : المدخل الى تاريخ مصر الحديث من الفتـح العثمانى الى الاحتلال البريطانى ، ص ٢٤٦ .

،د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ... ، ص ٢١١-٢١٧ .

(٣) د . فاروق عثمان أباظه : عدن والسياسة البريطانية فى البحر الأحمر ١٨٣٩-١٩١٨م ، ص ٢١٦ .

(٤) د . فاروق عثمان أباظه : الحكم العثمانى فى اليمن ١٨٧٢-١٩١٨م ، ص ٣٧ .

وقد قام الكابتن جيمس ماكنزى James Mackenzie من فرقة خيالة البنغال الخفيفة ،باعداد تقرير كامل فى أوخر شهر صفر ١٢٥٣هـ الموافق للأول من يونيو سنة ١٨٣٧م ، أرسله الى رئيس لجنة المراسلات بالجمعية الآسيوية الملكية فى لندن ، أوضح من خلاله انتصارات محمد على ،على سواحل البحر الأحمر، وأشار الى أن تلك القوات قد استولت بالفعل على الساحل الممتد من السويس والعقبة شمالا حتى المخا قرب مضايق باب المندب عند أقصى الطرف الجنوبى للبحر الأحمر ، وأنه بذلك سيصبح مسيطرا على تجارة اليمن والحجاز وهما أهم اقليم الضفة الغربية للجزيرة العربية ، ولم ينس المسؤول البريطانى أن يشير الى احتكار محمد على للتجارة الداخلية بصفة عامة ، وكذلك ما يفرضه من رسوم جمركية على التجارة الواردة من الهند ،والتى تصل الى ١٠٪ كما يقول فى تقريره ذاك. (١)

ويعنى ذلك أن بريطانيا كانت تعلم بأطماع محمد على فى اليمن ،لذلك باتت ترصد حركات قواته فى شبه الجزيرة العربية ، خاصة فى السواحل اليمنية ، التى تتيح له التحكم فى تجارة البن ، والطرق البحرية الهامة المؤدية الى الهند ، وهى تعلم أن محمد على لن يسمح بتهديد نفوذه فى الاقليم ، فلم يعد أمامها من حل سوى اتباع أساليب الخداع والتمويه مع الباشا لتصل

---

(١) نقلا من مجلة الدارة عدد ٢ ،السنة الأولى ، ص ١٨٢.

_Document : F.O.78/3185. P.P. 22-32.

الى فرضها الرشود ، لأن التقارير التي تصلها من الجواسيس الانجليز تثبت بما لا يدع مجالا للشك تطلعات محمد على المستمرة ، للسيطرة على كل الساحل اليمني بما في ذلك ميناء عدن الهام ، خاصة وأن حكومته في الشام بدأت تتجه الى الاستقرار والهدوء ، مما يجعل قبضته في سواحل الجزيرة العربية تشتد من ذى قبل . (١)

" وما أن يفرض محمد على سيطرته على عدن ، فسوف يسعى دون أدنى شك لبسط نفوذه على حضرموت ، ذلك الاقليم الذى يمتد الى السواحل الجنوبية للجزيرة العربية ، وينقسم حاليا بين عدد من صغار الأمراء والمشائخ وهم أضعف من أن يقفوا في وجه محمد على أو الحيلولة دون تقدمه ، واذا ما زحفت قوات محمد على ، على طول ساحل حضرموت فانها سوف تدخل عمان وينتهى بها الأمر الى احتلال مسقط والبلاد الواقعة على الجانب الجنوبي الغربي من الخليج الفارسي - العربي - ، وبذلك يسيطر الباشا على الجزيرة العربية كلها ".(٢) ، فأصبح ظهور قوات محمد على في البحر الأحمر دليلا واضحا لبريطانيا على معرفة نوايا وأهداف الباشا الاقتصادية في المنطقة ، وتطلعه الى التحكم في موانئها الهامة ، عندئذ بدأت في محاولة سباق معه للسيطرة على المنطقة والمواقع الهامة فيها ، وأخذ الجانبان في مراقبة بعضهما البعض ، وكل منهما يتجسس على الآخر بطريقته الخاصة ،

1- Document:F.O.78/227, 60952. No. 24
, Document :F.O.78/228,60952. No. 62.

(٢) نقلا من مجلة الدارة ، عدد ٢ ، السنة الأولى ، ص ١٨٢ .

2- Document : F.O.78/3185 .P.P. 22-32.

بينما استمرت " تجارة البن فى يد السلطات المصرية فى اليمن الى أن تم للانجليز الاستيلاء على عدن ،وأخذ نفوذهم يمتد نحو المناطق التى تزرع البن ، وعندئذ أخذت تجارته تتسرب الى عدن وقل الوارد منه الى تعز ومخا "(١) ، وهو ما تريد بريطانيا تحقيقه .

ورغم أن وزير خارجية محمد على قد أبدى قلق حكومته من الاجراءات التى تتخذها الحكومة البريطانية بشأن ايجاد موقع لها قرب مخا (٢) ،الا أن استيلاء بريطانيا على عدن ،هو العلاج الناجح فى نظر الساسة البريطانيين لايقاف توغل محمد على فى بلاد اليمن ، وأَتْبعت ذلك الاحتلال بانذار الباشا بأن " أى محاولة من جانبه للمساس بعدن تعد اعتداءً على جزء من الأملاك البريطانية "(٣) .

ولا غرو فى ذلك فقد هال الانجليز تقدم قوات محمد على فى شبه الجزيرة العربية والسودان ، وبدأ القلق يراودهم حول مصير تجارة الهند ، التى بدأت أهداف الباشا فيها واضحة ، خاصة عندما بدأ فى منع السفن الأوروبية الآتية من بومباى لكى لا تصعد فى البحر الأحمر شمالى جدة(٤) ،

---

(١) د . عبد الحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث ١٥١٧-١٨٤٠م ،ص١٠١
(٢) د . فاروق عثمان أباظه : عدن والسياسة البريطانية فى البحر الأحمر ، ص ١٧٥ .
(٣) جورج كيرك : موجز تاريخ الشرق الأوسط ،ص ١٢٢ .
(٤) د . فاروق عثمان أباظه : الحكم العثمانى فى اليمن ... ،ص ٣٨ .

رغم أنهم يدركون أن محمد علي باعتباره والي مسلم يسير على نمط السياسة العثمانية في اتخاذ اليمن كحجاب واق للحجاز وللأماكن المقدسة في مكة المكرمة والمدينة المنورة بشكل خاص(١).

احتلت بريطانيا عدن في شهر ذو القعدة سنة ١٢٥٤هـ المصادف للتاسع عشر من يناير سنة ١٨٣٩م، لتوجه ضربة قاضية لمحمد علي في اليمن، لارغامه على الانسحاب منها (٢)، ولم تكتف بهذا الاحتلال فقط، بل بدأت في الاتصال بمشائخ القبائل المجاورة لعدن، لتتقرب منهم بالهدايا والهبات الثمينة، لكي يخلعوا عصا الطاعة التي منحوها لابراهيم باشا يكن حاكم اليمن من قبل محمد علي، وبدأ الحاكم البريطاني في عدن الكابتن هينز Haines يحرض الأهالي على عدم دفع الزكاة المفروضة للادارة المصرية في اليمن (٣)، لكي يفرض هيمنة تجارية على تجارة البن وتحويلها الى عدن التي يسيطرون عليها،(٤) في الوقت الذي حاولوا فيه جذب العمليات التجارية الى ميناء عدن من جميع المناطق اليمنية.

1- Document :F.O.78/228, 60952. No. 62.

(٢) أمين الريحاني : ملوك العرب، ج١، مجلد ١، ص٤١٤-٤١٥.

(٣) د. فاروق عثمان أباظه : عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ...، ص٢٠١.

(٤) د. محمد فؤاد شكري وآخرون : بناء دولة مصر محمد علي "السياسة الداخلية"، ص٧١٢.

، د. أحمد حسن جوده : المصالح البريطانية في الكويت حتى عام ١٩٣٩م، ص٣٩.

من هنا نستنتج أن السياسة البريطانية قد قامت على اتباع أسلوب المعاكسة الاقتصادية والسياسية، لاضعاف النفوذ المصرى فى اليمن لكى يضطر الى الانسحاب منها ، ويبتعد بذلك من البحر الأحمر، الطريق الحيوى لمصالحها التجارية والسياسية فى الشرق (١) ، وقد عبر عن ذلك الكابتن هينز Haines فى رسالته التى بعثها للقنصل البريطانى فى القاهرة الكولونيل كامبل Campbell ، حيث أشار الى أن طموح محمد على هو غزو اليمن كله ، واحتكار البن ، واغراق المنتجات المصرية للقطر كله ، ولم يعد يوقفه من التحرك شمالا وجنوبا الا المقاومة الشديدة وطبيعة البلاد الجبلية الحصينة (٢) .

وقد كان ابراهيم يكن باشا قد عرض تصورا كاملا للأحداث التى تجرى فى اليمن ، وطلب من الباشا توجيهه بما يجب عليه اتخاذه حيال تلك الأحداث ، فتلقى بذلك جوابا ذا طابع سياسى محض حيث طُلب منه التزام الحكمة والمعاملة الحسنة مع الانجليز دون اظهار المعارضة لهم ، حتى تصدر له الارادة من محمد على بهذا الشأن (٣) ، ولكن التقارير التى أرسلها الكابتن هينز Haines تؤكد أن حكومة محمد على فى اليمن قد دبت

1- Document: F.O.78/373, C/A/61064. No. 21.P.P.98-99.
2- Document: F.O.78/373, C/A/61064. No. 21. P.P. 101-1o3.

(٣) وثيقة رقم ١٠٥ ، محفظة ٢٦٤ عابدين ، محافظ الحجاز رقم ٦ دار الوثائق القومية بالقاهرة.

بعض اليمنيين على استخدام أسلحة المدفعية والأسلحة الأخرى ، ليتمكنوا بمقدرتهم الذاتية من الصمود أمام المحاولات البريطانية المبيتة ضدهم(١) ، وليس ذلك بمستبعد على شخصية سياسية مثل محمد على باشا ، الذى يحاول دائما حماية مصالحه وأهدافه بأساليب مختلفة ، حسب الأوضاع التى يمر بها ، وهو الذى طلب من ابراهيم يكن باشا افادته من كل مجريات الأحداث التى تجرى هناك بين أهالى اليمن والحاكم البريطانى هينز Haines ، ومدى ميلهم اليه ، وكذلك افادته عن موقف امام صنعاء من النفوذ البريطانى .(٢).

وعندما علم محمد على بوصول بعض عملاء الانجليز الى مخا ، لكى يجمعوا العمال والصناع وأرباب المهن ، لتشغيلهم فى عدن ، خشى أن يقوى النفوذ البريطانى هناك ، ويقضى بالتالى على كل أهدافه وتطلعاته الاقتصادية والسياسية على حد سواء(٣) ، أرسل حينذاك الى ابراهيم يكن يحذره " من النتائج الاقتصادية التى تترتب على اخلاء مخا من العمال والصناع وأرباب الحرف ، ويطلب اليه العمل على منع انتقالهم الى عدن ، والى جانب ذلك كان خائفا على تجارة البن التى احتكرها أن تنتقل من مخا الى عدن ، حيث تتحول الى التجار الانجليز ، فيفقد بذلك احتكاراً

(١) د . فاروق عثمان أباظه : عدن والسياسة البريطانية فى البحر الاحمر ، ص ١٨٩
(٢) وثيقة رقم ٩٤ حمراء ، محفظة ٢٦٧ عابدين ، محافظ الحجاز رقم ٧ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .
، وثيقة رقم ٢٤ حمراء ، محفظة ٢٦٧ عابدين ، محافظ الحجاز رقم ٧ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .
(٣) د . فاروق عثمان أباظه : المرجع السابق ، ص ٢١٦ .

ثمينا مضمون الفائدة ،وقد ظهرت النتيجة التى كان يخشاها عقب استيلاء الانجليز على عدن ،اذ وصلته رسالة كتبها محافظ مخا يشكو فيها من أن احتلال الانجليز لعدن ،قد أثر كثيرا على ورود البن الى مخا ،وأن عملاء مخا فى تجارة البن قد تواروا من الأبصار" (١)

وعلى أية حال فقد بدأت المتاعب تظهر ضد حكومة محمد على فى اليمن منذ أن احتل البريطانيون عدن ، حيث ظهر ذلك واضحا فى الشكوى التى رفعها الحاكم المصرى هناك والذى أكد " بأن ذلك سوف يؤدى بطبيعة الحال الى خلل بالمصالح المصرية "، الا أن محمد على فضل عدم الاصطدام بالانجليز وطلب من حاكم اليمن عدم اظهار أى معارضة لهم (٢) ، لادراكه أهمية هذه المنطقة للسياسة البريطانية ، التى ترى فى سيطرته هو على الجزيرة العربية بوجه عام والبحر الأحمر بوجه خاص خطرا كبيرا يهدد مواصلاتها الى الهند عبر البحر الأحمر ، والخليج العربى ، وهو يعرف ذلك الموقف منذ حملاته الحربية على الدولة السعودية الاولى ، ويعرف أطماع بريطانيا فى تلك النواحى (٣) ، لا سيما وهو يخوض الآن حربا من نوع آخر مع الدولة العثمانية فى الشام .

---

(١) د . عبدالحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث ١٥١٧-١٨٤٠م ، ص ٩٢- ٩٣ .

(٢) د.عبدالحميد البطريق : المرجع السابق : ص ٩٣-٩٤ .

(٣) جورج فورستر سادلير: رحلة عبر الجزيرة العربية خلال عام ١٨١٩م ، ص ٢٧٤-٢٧٧ .

ورغم ذلك فانه لم يرفع يده من اليمن بشكل كامل ، حيث أرسل الى امام صنعاء أحد رجاله المدعو سعيد حسين وعندما بلغ ذلك القنصل البريطاني في مصر ، سارع الى الاستفسار من مهمة هذا المندوب ، وهل هي لتحريض القبائل ضد البريطانيين ، كما ذكر حاكم عدن أم لا ؟ رد عليه الباشا بأن المندوب المشار اليه كان يحمل معه اقتراحا بتقليد حكم صنعاء للامام مقابل جزية سنوية يدفعها للباشا (١) .

لكن تطلعات محمد علي باشا لم تعد مقصورة على البحر الأحمر فحسب ، بل تعدته الى الخليج العربي ، وشرقي الجزيرة العربية ، وبما أنه كان يجمع بين الطموح وبعد النظر بدرجة كبيرة ، فان مطامحه تلك تطرح مسائل هامة وجوهرية في ميدان العلاقات الدولية (٢) ، ولكنه كان يتصرف دوما بحذر ولباقة شديدة ، خاصة كلما أقدم على اتخاذ أي خطوة في الجزيرة العربية لها مساس بالاطماع البريطانية ، " سواء كان ذلك في عدن والمنطقة المطلة على مياه البحر الأحمر ، أم كان ذلك في شرقي الجزيرة والخليج " (٣) ، فهو الذي ظل زمنا طويلا يخشى من

1- Document: F.O.78/404. PP.97-98. 22/2/1840

(٢) بيير رنوفان : تاريخ العلاقات الدولية في القرن التاسع عشر ، القسم الأول ، ص ١٣٠ .

(٣) د . أحمد مصطفى أبو حاكمة : تاريخ الكويت ، القسم الأول ، ج ٢ ، ص ١٢٧ .

التدخل المباشر في اليمن خوفا من التدخل البريطاني ، حيث كانت بريطانيا ترصد تحركات قواته على أرض الجزيرة العربية ،ولا تريد له أن يصل الى سواحل جنوب شبه الجزيرة ومدخل البحر الأحمر ، أو سواحل الخليج العربي ،رغم أنه " قد حاول بشتى الوسائل الممكنة أن يتغلب على معارضة البريطانيين لوجوده في اليمن وذلك بعرض صداقته عليهم واستعداده لمراعاة المصالح البريطانية في موانئ البحر الأحمر ، غير أن النتائج السياسية الدولية التي ترتبت على انتصاراته على الباب العالي واقتراب القوات المصرية من الأستانة ، جعلت المسألة المصرية تتجاوز حدود تركيا "(١) ، متيحة بذلك الفرصة أمام وزير خارجية بريطانيا اللورد بالمرستون Palmerston ،الذي كان شديد الحقد على محمد علي باشا ، ونمو دولته التي يعتزم تأسيسها لتشمل جميع بلاد العرب ، كما ذهب الى ذلك بالمرستون نفسه . (٢)

ولنا أن نلم بشئ من الايضاح من أهم الملامح البارزة في تطلعات محمد علي باشا التجارية في الخليج العربي ، وشرقي الجزيرة العربية ، والتي سارت بشكل متواز الى حد ما مع تطلعاته التجارية في اليمن

---

(١) د . فاروق عثمان أباظه : عدن والسياسة البريطانية في البحرالأحمر ... ،ص ٢٢٣ .

(٢) د . عبدالحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث ١٥١٧-١٨٤٠م ، ص ٢٧ .

،د . حسن أحمد ابراهيم : محمد علي في السودان ،ص ٣٧ .

والبحر الأحمر ، والتى كانت بريطانيا تدركها منذ حروب الباشا ضد الدولة السعودية الأولى ، وحاولت حينذاك احتواءها ومعرفة أبعادها المختلفة (١). الا أن محمد على كان حريصا على عدم اثارة مخاوف الانجليز ، والتأكيد لهم بين الفينة والأخرى بأنه لا يرغب فى المساس بمصالحهم فى الجزيرة العربية ، بشكل عام ، رغم قناعته بالأهمية التجارية لاقليم الأحساء بشكل خاص ، وشرقى الجزيرة العربية بشكل عام ، فلما تمكن خورشيد باشا من الاستيلاء على اقليم نجد ، لم يتردد محمد على فى ابلاغ القنصل البريطانى بالقاهرة الكولونيل كامبل Campbell خبر خضوع شبه الجزيرة العربية وسواحلها الشرقية الى نفوذه (٢) ، ليثبت بذلك ادراكه الكامل للأهمية الاقتصادية التى يمثلها اقليم الأحساء فى امداد قواته فى وسط الجزيرة بما تحتاج اليه من موارد غذائية ، اضافة الى أهميتها كقاعدة توسعية نحو بلدان الخليج العربى الأخرى (٣) .

وبما أن الباشا كان يطمح الى تقليل نفقات قواته المتواجدة فى الجزيرة العربية ، لكى لا تستنزف جهد وقوة قواته المتمركزة فى الشام

(١) جورج فورستر سادلير : رحلة عبر الجزيرة العربية خلال عام ١٨١٩م ، ص ١٥
(٢) جون .ب. كيلى : بريطانيا والخليج ١٧٩٥-١٨٧٠ ، ج ١ ، ص ٥٠٦-٥٠٧
، د . فؤاد سعيد العابد : سياسة بريطانيا فى الخليج العربى.. ، ص ١٢٦
(٣) د . فائق حمدى طهبوب : تاريخ البحرين السياسى .. ، ص ١٧٨ .
، د . محمد عرابى نخلة : تاريخ الأحساء السياسى ، ص ٥٩ .

التى من المحتمل أن تخوض حربا أخرى ضد الدولة العثمانية ،فقد كان حريصا على أن تعتمد تلك القوات فى نفقاتها على المساعدات الممكنة التى يستطيع والى الحجاز تقديمها ، اضافة الى المساعدات المادية والعسكرية التى يمكن الحصول عليها من المنطقة ذاتها (١) ، وليس أدل على ذلك من قيام خورشيد باشا بتعيين أحمد السديرى على اقليم الأحساء ليستميل قلوب الأهالى تجاه حكومته ،لمعرفته بمكانة السديرى فى نفوس الناس ،ولكنه سرعان ما أرسل محمد أفندى ليفرض الضرائب الباهظة على الأهالى (٢) ، بعد أن استقر وضع قواته فى نجد ، وأصبحت فى حاجة ملحة الى المال والسلاح الوفير.

ونظرا لما تتميز به البحرين من أهمية استراتيجية وتجارية ، وما تملكه من مصادر طبيعية وغنى فى مصائدها من اللؤلؤ الطبيعى ، مما يجعلها تغطى جانبا كبيرا من نفقات القوات المصرية المرابطة فى شبه الجزيرة العربية (٣) ، فقد سارع خورشيد باشا الى طلب الجزية السنوية من حكام البحرين (٤) ، فى الوقت الذى أكد فى رسالة بعثها الى محمد على أهمية

---

(١) د. بدر الدين عباس الخصوصى : محمد على والخليج العربى - مجلة كلية الآداب والتربية ، جامعة الكويت ، عدد ٥ سنة ١٣٩٤هـ،ص ١٠٣

(٢) عثمان بن بشر: عنوان المجد فى تاريخ نجد ،ج٢ ،ص ٨٥-٨٧.

(٣) د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ... ، ص ٣٢٢ .

(٤) مختارات من سجلات حكومة بومباى، شركة أرامكو بالظهران .
Document: S.R.B.G. No. XXIV. P.P. 444-448.

البحرين وأنها كانت تابعة لآل سعود من قبل ، وتدفع لهم الزكاة السنوية[1]، أوفد مندوبه محمد رفعت أفندى الى البحرين ليوقع مع الشيخ عبد الله بن أحمد شيخ البحرين اتفاقا يقضى بدفع ضريبة سنوية للحكومة المصرية ، مقابل حمايتها له من أى تدخل خارجى (٢) .

لم يغفل كذلك القائد المصرى خورشيد باشا من الأهمية التجارية فى المشيخات العربية فى الخليج العربى ، ويذهب المؤرخون فى ذلك الى أن عدم توافر الامدادات العسكرية والاقتصادية اللازمة لقوات خورشيد باشا نظرا لموقف حكومة القاهرة فى حرب الشام ، والأوضاع الدائرة هناك ، فقد أدى ذلك به الى التوغل فى الساحل العمانى ، وسلطنة مسقط ، اضافة الى ارساله للمبعوثين شمالا الى الكويت والبصرة وجنوب العراق (٣) ، وكذلك ارسال مبعوثيه الى بوشهر على الساحل الفارسى (٤) ، لادراكه الكامل بأهمية تلك المناطق الاقتصادية والتى تعتبر بمثابة " مركز تموين لنجد فى كثير من

---

(١) وثيقة ٧ أصليه ، و ٥٠ حمراء ، محفظة ٢٦٧ عابدين ، محافظ الحجاز رقم ٧ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة.

(٢) د . عبد الفتاح أبو عليه : الدولة السعودية الثانية ... ، ص ٥٢ .
، د . أحمد مصطفى أبوحاكمه : تاريخ الكويت ، القسم الأول ، ج ٢ ، ص ١٢٨-١٣٩

(٣) د . بدر الدين عباس الخصوصى ، دراسات فى تاريخ الخليج العربى الحديث والمعاصر ، ج ١ ، ص ١٣٣ .
، د . عبد العزيز نوار : مصر والخليج العربى فى القرن ١٩ ، مجلة الهلال المصرية ، عدد ١١ السنة ٧٢ سنة ١٩٦٤م ، ص ١٦٤ .

(٤) د . محمد عرابى نخلة : تاريخ الأحساء السياسى ... ، ص ٨٣ .

السلع الغذائية والتجارية" (١).

وبما أن محمد على كان يدرك مدى الحرص البريطانى على سلامة الخليج العربى بشكل عام ، والساحل العمانى بشكل خاص ، فقد قرر فى وقت مبكر للقنصل البريطانى فى مصر ،بأنه ليست لديه أية نوايا عدوانية ضد حكم صديقه سلطان مسقط ، وهو يكن له كل تقدير واحترام (٢) ، ولا شك فى أن التكوين التجارى الذى تمتاز به شخصية محمد على ، وادراكه لأهمية مسقط التجارية ، التى أصبحت ذات مستوى دولى ،بعد تدخل الحكومة الأمريكية فى المنطقة ، وعقدها لأول امتياز تجارى تحصل عليه حكومة غربية فى ممتلكات السيد سعيد (٣) ، قد جعلته يسعى الى اقامة علاقات ودية مع سلطان مسقط ،لكى تيسر له الاتصال بحرا بشرق الجزيرة العربية فيما لو أراد ارسال أى سفن بحرية الى هناك من طريق البحر الأحمر والخليج العربى (٤).

ازداد شعور السلطات البريطانية بالخطر الذى أتى مع قوات محمد على الى وسط الجزيرة العربية والخليج العربى ، وبدأت تقف موقفا حازما تجاه

---

(١) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ،ص ٣٧٣
(٢) جون . ب . كيلى : بريطانيا والخليج ... ،ج ١ ، ص ٥٨٨ .
(٣) د . عبد العزيز عبد الغنى ابراهيم : بداية الامتيازات الأمريكية فى الشرق الأوسط ،مجلة الدارة ،عدد ١ ،السنة ٨ ،ص ١٠٠ .
(٤) ج . ج . لوريمر : دليل الخليج ،القسم التاريخى ،ج ٢ ،ص ٧١٢ .

تلك القوات لتكرر ما قامت بـه فى الطرف الجنوبى الغربى من شبـه الجزيرة العربية تجاه الباشا وقواته (١) ، لأنها وجدت فى محمد على منافسا خطيرا على وجودها التجارى فى الخليج العربى ،وسياسته فى المنطقة ،وفرض نفوذه عليها ،سيكون عقبة كؤود أمام الأطماع البريطانية بشكل عام ، وطرقها التجارية الى الهند بشكل خاص .

وعلى أية حال فان تخوف وزير الخارجية البريطانية اللورد بالمرستون Palmerston من نوايا محمد على فى منطقة الخليج لم يهدأ ، لا سيما بعد تلقيه لتلك التقارير التى بات يبعثها جواسيسه فى الخليج بصفة مستمرة ، مؤكدين له ورود الأوامر من محمد على الى خورشيد باشا ،يحثه فيها على مواصلة الزحف حتى سلطنة عمان (٢) ، ولا غرو فى أن تزداد عوامل القلق والخوف لدى البريطانيين ،ذلك بأن الساحل الشرقى للبحر الأحمر من السويس الى باب المندب أصبح يخضع للتبعية المصرية ، اضافة الى وصول قوات خورشيد باشا الى السواحل الشرقية لشبه الجزيرة العربية وبسط نفوذها على موانئ الخليج العربى ، مما يعنى أن هذين الخطين الملاحيين عبر البحر الأحمر والخليج العربى ،قد أصبحا تحت رحمة محمد على باشا ،

---

(١) ج.ج.لوريمر : دليل الخليج ،القسم التاريخى ،ج٢ ،ص ١٠٦٨ .
،جون .ب.كيلى : بريطانيا والخليج ١٧٩٥-١٨٧٠م ، ج ١ ،
ص ٤٠٧- ٤٠٨ ، ٥٤٢ .

(٢) جون .ب.كيلى : المرجع السابق ، ص ٥٨٤ .

وهـذا من شأنه تحطـيم التجارة البريطانيـة والمصالح الاقتصادية هناك فـي المقـام الأول ،اضافـة الى ما سيتبع ذلك من آثار كثيرة وكبيرة تخشاها الحكومة البريطانية ، وتحسب لها ألف حساب ، لا سيما وأنها تهدد طرق مواصلاتها الى درة التاج البريطاني - الهنـد .

منذ أن امتلى محمد على باشا أريكة الحكم فى مصر ،وهو ينهج وفق استراتيجية معينة فى الحكم ، ليحقق من خلالها الأهداف والطموحات التى يرمى اليها ، خاصة وأنه يتمتع بصفات من العبقرية والدهاء ، جعلته ذا شخصية معينة ، وذا شأن فى العالم الاسلامى (١) ، ولعل الدولة العثمانية عندما أسندت اليه مهمة التصدى للدعوة السلفية فى شبه الجزيرة العربية ، لم تكن تدرك هذه الأهداف التى تختلج فى خيال محمد على ،الاأن بريطانيا كانت هى المدركة لهذه الأهداف ، ولتلك الصفات التى يتميز بها الباشا عن من سواه من ولاة الدولة العثمانية فى ذلك الوقت.

سارعت الحكومة البريطانية بايفاد الكابتن جورج فورستر سادلير Captain.G.F.Sadleir لمقابلة ابراهيم باشا وتقديم الهدايا والتهانى له ، بمناسبة انتصاره على الدولة السعودية الأولى فى الدرعية ، ولمعرفة أهدافه وطموحاته التوسعية فى الجزيرة العربية ، فى الوقت الذى تعرض فيه استعدادها للتعاون مع الباشا فى الاستيلاء على السواحل الشرقية لشبه الجزيرة العربية ، ورغم الصعوبات التى جابهها المندوب البريطانى فى رحلته تلك الا أنه لم يستطع سبر أغوار عقلية ابراهيم باشا ، الذىاستمر فى ملاينته ومجاراته حتى تأتيه اجابة والده من مصر(٢) ، والتى يبدو أنها لم تكن على ما يتمنى المندوب البريطانى ومن ورائه حكومته ، الا أن

---

(١) جورج ٠فورستر٠سادلير: رحلة عبرالجزيرة العربية خلال عام ١٨١٩م ،ص ١٥٥

(٢) جورج ٠فورستر٠سادلير: المصدر السابق ، ص ١٨٠-١٨٢، ٢١٥-٢١٦٠

سادلير Sadleir قد توقع فى تقرير رفعه الى حكومته بأن مشاريع الباشا لا يمكن أن تصل الى الاحتفاظ بأقاليم ربما لا توازى مكاسبه فيها نفقات الغزو لها ، وهو يشير بذلك الى انسحاب جيوش محمد على من وسط الجزيرة العربية ، حيث أكد أن الباشا قد "اقتصر على تأسيس قوته على الساحل الغربى للجزيرة العربية لكونه أقرب من أجل الاتصال بالمنشأة العسكرية فى مصر التى يحصل منها على الامدادات فى المؤن والعتاد والامداد بشكل سريع(١)".

فاذا كان محمد على قد وضع حامية عسكرية فى حصن الرياض سنة ١٢٣٨هـ/١٨٢٢م بهدف حمايته من أى انتفاضة قد تقوم فى وسط اقليم نجد (٢) ، فربما أن أفكاره كانت حينذاك تراوده بشئ من الاستقلال وتحقيق المطامح الذاتية فى المنطقة، الا أن موقفه النابع من تبعيته للسلطان كان يحتم عليه استبعاد هذه الفكرة أو تأجيلها الى الوقت المناسب له . (٣)

جاءت حرب الشام الأولى التى خاضها محمد على ضد الدولة العثمانية ، وانتصاراته التى حققها فى بداية تلك الحرب(٤) ، لتبعث فى

---

(١) جورج فورستر سادلير: رحلة عبر الجزيرة العربية خلال عام ١٨١٩ ، ص ٦٣
(٢) مختارات من سجلات حكومة بمباى - شركة أرامكو بالظهران :
Document: S.R.B.G. No. XXIV. P.P. 437-438.
(٣) د . أحمد حسن جوده : المصالح البريطانية فى الكويت حتى عام ١٩٣٩م ، ص ٣٤
(٤) وثيقة رقم ٨٢٤ ، دفتر ٤٠ معيه تركى ، ص ١٣٠ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة.

ذهن الباشا ما يختمر فيه من أهداف وطموحات ينوى تحقيقها فى شبه الجزيرة العربية ، حيث أعلن ذلك صراحة للجند الغير نظاميين الذين ثاروا فى مكة بقيادة محمد أغا - تركجه بيلمز - عندما قال لهم : " علمت من الأوراق الواردة أخيرا أنكم قمتم من جدة بعد ذلك القتال وتوجهتم الى مكة المكرمة كى تبسطوا عليها أيديكم بالسوء بزعمكم الفاسد ، وانى لمرسل عليكم تحت امرة يكننا أحمد باشا آلا يين من مشاة جند الجهادية ، وآلا يا من فرسانهم وألف فارس من العربان يزحفون عليكم ، فان أصررتم على زعمكم الباطل فلا ريب أنهم سيحملون عليكم حملة تشتت شملكم جميعا ، وان زعمتم أنكم ستجدون السلامة فى الفرار فلن تفلحوا اذا أبدا ، فبلاد العرب بأسرها قد التحقت بمصر ولله الحمد ، كما اطلعتم على ذلك فى الوقائع ، وقد أوشكت بغداد أن تصبح تابعة لنا ، وكم من بلاد أخرى ستخضع ، وقد بلغ من يأس رجال استانبول أن أرسلوا الينا قبوكتخدانا نجيب أفندى وسيطا للصلح ، فأينما توجهتم فلن تبلغوا السلامة ..."(١)

وكان محمد على يعرف أن فرنسا ستؤيده فى أى مشروع من شأنه تدعيم نفوذه فى الجزيرة العربية ، لعله يقطع الطريق التجارى البريطانى المؤدى الى الهند ، الا أن الايحاء النمساوى الذى تلقاه محمد على فى بداية عام ١٢٤٩هـ/ الموافق لشهر مايو سنة ١٨٣٣م ، حيال امتداد

---

(١) د . عبد الحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث ١٥١٧ - ١٨٤٠م ، ص ٦٧ .

نفوذه فى شبه الجزيرة العربية ، كان بمثابة احياء للحلم الذى يداعب فكر الباشا منذ فترة ليست بالقصيرة (١) ، لدرجة أدرك معها القنصل البريطانى فى القاهرة ، الأبعاد السياسية التى ينتهجها محمد على فى تسهيلات أمور الحج للحجاج القادمين من اسطمبول وغيرها من الأماكن الأخرى ،مؤكدا أن هذه الجهود التى يبذلها الباشا فى مكة والمدينة، هى لأهداف سياسية أكثر منها دينية ،ولكى يرتفع من خلالها ذكر اسمه وشهرته فى أنحاء العالم الاسلامى (٢).

أصبحت حرب الشام الأولى وما نتج منها من عقد اتفاقية الهدنة المسلحة كوتاهية سنة ١٢٤٨هـ/١٨٣٣م ، اضافة الى ثورة الجند غير النظاميين فى الحجاز ، هى الشرارة التى أشعلت فى نفس الباشا تحقيق أهدافه وطموحاته فى الجزيرة العربية (٣)، وكان وسط الجزيرة العربية وشرقها ينعم باستقلال ذاتى ابان حكم الامام تركى ابن عبدالله وابنه فيصل ، ولم يعد لمحمد على وممثل حكومته فى الحجاز أحمد باشا يكن الا مجرد تهديدات (٤)، لم يكن محمد على ليقتنع بها ، لا سيما وهو يسيطر على الشام بعد انتصاراته العسكرية

---

(١) جورج انطونيوس: يقظة العرب ، ص ٨٦.

2- Document : F.O.78/247. P.120. 11/11/1834.

(٣) محمود بهجت سنان : البحرين درة الخليج العربى ، ص ١٥١.

(٤) د. أحمد مصطفى أبو حاكمة : تاريخ الكويت ،القسم الأول ،ج ٢ ، ص ١٢١-١٢٢.

التى أحرزها هناك ضد الدولة العثمانية ، وهو الساعى لتحقيق أهدافه وطموحاته التوسعية التى يتطلع من خلالها الى الخليج العربى والى العراق ، لا سيما وأن ضم العراق لحكومة الباشا ، يجعل الشام ينعم بهدوء أكثر لاكتمال حلقة الدولة التى يعتزم محمد على انشاءها والسيطرة عليها ، لتشمل كافة أقاليم الجزيرة العربية اضافة الى العراق والشام .

وكانت أولى خطوات الباشا فى هذا المجال هى تعيين تاجر بحرينى فى أوائل عام ١٢٥١هـ/صيف ١٨٣٥م(١) ، يسمى عبدالله بن مشارى ، وقد تم تزويده بثلاثة خطابات من أحمد باشا يكن والى الحجاز الى كل من سلطان مسقط ، والشيخ عبدالله بن أحمد أمير البحرين ، والامام فيصل بن تركى ، وكان التاجر البحرينى المذكور يحمل تفويضا من والى الحجاز لجمع عائدات الأحساء باسم الوالى .

كان هدف محمد على من ارسال عبدالله بن مشارى الى الأحساء ينطلق من اتجاهين : أحدهما وهو الأهم هو جس نبض واختبار لمدى سيطرة الامام فيصل على اقليم الأحساء(٢) ، الذى ينوى الباشا السيطرة

1- Document : F.O.78/373, C/A/61064. No.21.P.P. 101-103.

، جون ب. كيلى : بريطانيا والخليج ... ، ج ١ ، ص ٥٠٠ .

(٢) ج . ج . لوريمر: دليل الخليج ، القسم التاريخى ، ج ٣ ، ص ١٤٣٥ ، ١٦٣٦ .

عليه في تلك الفترة ، والتأكد من موقف الامام فيصل وقوته في المنطقة ومدى نفوذه فيها ، أما الاتجاه الثاني الذى يرمى اليه محمد على في ارسال مندوبه ذاك ، فهو صرف أنظار الامام فيصل من اليمن ، وتعطيل مساعداته لقبائل عسير التي كان يعتقد أن الامام فيصل كان يدعمها سرا ، مما يجعل فرض سيطرة حكومة الباشا على اليمن يجابه بقوة وعنف من قبائل عسير، وهو ما يعرقل مخططات الباشا التي يرمى الى تنفيذها في المنطقة (١).

حاول محمد على باشا استمالة الامام فيصل بن تركى الى جانبه وكذلك اختباره في مدى تقبله لفكرة الولاء لحكومته ودفع الخراج اليه ، فأرسل دوسرى بن عبدالوهاب أبو نقطة للامام فيصل في سنة ١٢٥١هـ/١٨٣٥م (٢) ، ليطلب منه تزويد الجيش الذى سيهاجم عسير ببعض الاحتياجات وليرسل بعض قواته لمشاركة ذلك الجيش (٣).

أدرك الامام فيصل أن هناك مؤامرة تحاك ضده وضد حكومته ، فحاول أن يلجأ الى الأسلوب الدبلوماسي لكى لا يصطدم مع حكومة محمد على في الحجاز ، فأرسل أخاه جلوى بن تركى مزودا ببعض الهدايا

---

(١) د . فائق حمدى طهبوب : تاريخ البحرين السياسى ... ،ص ١٧٤ .
(٢) صلاح الدين المختار : تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها ، مجلد ١ ،ص ٢٨٤-٢٨٥ .
(٣) ج .ج . لوريمر : دليل الخليج القسم التاريخى ،ج ٣ ،ص ١٦٣٦ .

الى والى الحجاز أحمد باشا يكن ،"مبديا له رغبته في طيب العلاقة، شارحا له موقفه ، ومحاولاته في سبيل دولته (١)"، وكأنه يريد أن يوسط والى الحجاز في الأمر، علّه يقوم بدور الوساطة لاقناع حكومة محمد على في مصر ، بصرف النظر من تلك الحملات العسكرية الى وسط الجزيرة العربية.

خشى محمد على من ازدياد نفوذ الامام فيصل بن تركى في المنطقة، وصمم على اخضاع وسط الجزيرة العربية لارادته ، لينطلق منها الى الساحل الشرقى والخليج العربى ، ولكى يعطى عملياته في نجد نوعا من الشرعية وليكتسب ثقة أهالى المنطقة ، اتبع سياسة جديدة تقوم على أساس استخدام الحكام المحليين كأداة لتنفيذ مخططاته ، وبدأ تلك السياسة بالافراج عن الأمير خالد بن سعود (٢) ، شقيق الأمير عبدالله بن سعود آخر أمراء الدولة السعودية الأولى ، وكان خالد هذا مقيما بالقاهرة ، مما جعله يتطبع بالصفات التى يريدها محمد على ، اضافة الى اكتسابه لثقة الباشا ،ولا شك أن الافراج عن الأمير خالد بن سعود ، وارساله على رأس حملة عسكرية الى نجد اسما لا فعلا ، تعد لفتة سياسية بارعة من محمد على ، باعتبار أن خالدا هذا أحد أفراد البيت السعودى ،

---

(١) د . عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ... ،ص ٢٨٢ .

(٢) جون .ب .كيلى : بريطانيا والخليج ١٧٩٥-١٨٧٠م، ج١ ،ص ٥٠٢ . ،أحمد عبدالغفور عطار : صقر الجزيرة ،ج١ ،ص ٨٩ .

وسيكون له نظرة خاصة لدى أهل نجد ، وبذلك يخدم " أهداف محمد على باشا دون ريب ، اذ يقبل بحكمه عرب نجد والبلدان التى كانت خاضعة لحكم آل سعود "(١) .

أعد محمد على حملة قوية تحت قيادة اسماعيل بك ، وخالد بن سعود ، بدأت تحركها صوب نجد فى سنة ١٢٥٢هـ/ ١٨٣٦م ، ليؤكد أن نجاحه فى حروب الشام وسيطرة حكومته عليها ، جعلته يلتفت بقوة الى شبه الجزيرة العربية عامة ، واقليم نجد بصفة خاصة(٢) ، وقد أصدر الباشا تعليماته الى موظفى دولته ومحافظى المدينة المنورة وجدة وينبع ، كى يسهلوا عملية نقل المعدات والمؤن العسكرية التى تحتاجها هذه الحملة المتجهة الى نجد ، وقد حذر محمد على المعنيين بالأمر من تأخير أى مدد يصل لتلك الحملة من طريق الموانئ البحرية(٣) .

حاول الامام فيصل تدارك الأمور قبل استفحالها فأرسل محمد بن ناهض الحربى ببعض الهدايا الى اسماعيل بك وخالد بن سعود وهما فى ينبع ، الا أن مهمة هذا المندوب لم تؤد الى نتيجة ايجابية يستند اليها الامام ، مما حدا به الى السير من الرياض الى القصيم لملاقاة هذه الحملة المصرية فى الوقت الذى تقدمت فيه قوات اسماعيل بك

---

(١) د . أحمد مصطفى أبوحاكمه : تاريخ الكويت ، القسم الاول ، ج ٢ ، ص ١٢١ . ، د . بدر الدين عباس الخصوصى : محمد على والخليج العربى ، مجلة كلية الآداب والتربية ، جامعة الكويت . . . ، ص ١٠٣ .

(٢) الأمير ضارى بن فهيد الرشيد : نبذة تاريخية عن نجد ، ص ٣٢ . ، أمين سعيد : تاريخ الدولة السعودية .... ، ص ١٤٦ .

(٣) د . عبدالفتاح أبو عليه : الدولة السعودية الثانية.... ، ص ٤١ .

وخالد بن سعود الى المدينة المنورة ، ومنها الى الحناكية فى طريقها الى القصيم ،حتى نزلت بـلد الرس(١) ، احدى مدن القصيم المعروفة ، ومنها تقدمت لتنزل فى مدينة عنيزة احدى مدن القصيم الكبيرة ، وذلك فى شهر المحرم سنة ١٢٥٣هـ ـ أبريل سنة ١٨٣٧م ، وعندما علم قائد الحملة بخروج الامام فيصل بن تركى من الرياض ، توجها اليها فى شهر صفر من نفس العام ، واستقرت بذلك القوات المصرية بالرياض منذ ذلك التاريخ .(٢)

راح الأمير خالد بن سعود يعلن امارته على نجد ،ويطلب من مختلف البلدان البيعة والولاء له (٣) ، فى الوقت الذى كان قد أعاد فيه عيسى بن على رئيس جبل شمر السابق ومعه بعض الجنود الى امارته فى الجبل عندما كان مقيما فى عنيزة(٤) ، وفعلا بايعته كثير من البلدان ، الا أن بعضها الآخر قد رفض تقديم الولاء للأمير خالد باعتبار أنه يعمل لحساب محمد على وهذا ما يرفضه أهل نجد ،فسار عليهم اسماعيل بك وخالد بن سعود لاخضاعهم بالقوة ، الا أنهما هزما من قبل أهل الحريق والحوطة والحلوة

---

(١) عثمان بن بشر : عنوان المجد فى تاريخ نجد ،ج٢ ، ص ٦٩-٧٠ .

(٢) محمد بن عمر الفاخرى : الأخبار النجدية ،ص ١٧٣ .
، ابراهيم بن صالح بن عيسى : تاريخ بعض الحوادث الواقعة فى نجد ، ص ١٦٢ .

(٣) د . فائق حمدى طهبوب : تاريخ البحرين السياسى ... ،ص ١٧٦ .

(٤) عثمان بن بشر : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٧٢ .

هزيمة منكرة ، ونجا خالد بن سعود ومن معه من أهل نجد ، ولحق بهم اسماعيل بك والبقية الباقية من جنوده ، وتحصنوا في الرياض وراحوا يطلبون النجدة من الحجاز ومصر (١) .

رغم أن الامام فيصل بن تركي حاول انتهاز الفرصة التي لاحت أمامه ، ليستغل الموقف السيء الذي تعيشه قوات اسماعيل بك وخالد بن سعود بعد هزيمتها من أهالي الحلوة والحوطة ، وذلك بضرب الحصار العسكري على الرياض ومن بقي فيه معهما من الجنود والأتباع (٢) الا أن محمد علي كان قد قدّر خطورة الموقف في نجد ، ورأى أنه لا بد من تعيين حاكم قوي لهذه البلاد ، وفي نفس الوقت يكون محلا لثقته هو لكي يقوم على تنفيذ سياسته التي يضمرها في نفسه ، والتي تنطلق من وسط الجزيرة العربية كمرتكز لها ، لتتوسع في الخليج العربي والعراق وفق أهدافه وطموحاته البعيدة (٣) ، وقد كان ذلك الشخص هو القائد محمد خورشيد باشا الذي كان يملك شخصية فذة وقادرة على استقطاب قبائل العرب . (٤)

---

(١) محمد بن عمر الفاخري : الأخبار النجدية ، ص ١٧٣ .

(٢) عثمان بن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد ، ج ٢ ، ص ٧٤-٧٦ .

(٣) د . عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم : محمد علي وشبه الجزيرة العربية ... ، ص ٢٩٢-٢٩٤ .

، د . عبدالحميد البطريق : محمد علي ومشروع غزو العراق ، مجلة كلية الآداب ، الجامعة الأردنية ، العدد ١ ، يناير ١٩٦٩م ، ص ٤٩ .

(٤) د . محمد عرابي نخلة : تاريخ الأحساء السياسي .. ، ص ٢٣٩ .

طال حصار الامام فيصل للرياض ، وكادت أن تستسلم المدينة له ، لولا ذلك المدد الذى وصل لمناصرة خالد بن سعود واسماعيل بك ، والذى يقوده فهيد الصيفى رئيس سبيع ومعه بعضا من قبائل قحطان ، مما اضطر الامام فيصل الى الانسحاب الى مغفوحة ، ومن هناك حاول اجراء مفاوضات للصلح مع خالد بن سعود ، الذى لم يتوصل معه الى نتيجة مرضية ، مما جعل المعارك الحربية تتجدد بينهما (١) . ولعلنا نستطيع أن نقرر هنا أن خالد بن سعود ، أعجز من أن يعقد صلحا مع الامام فيصل فهو مجرد أداة فى أيدى محمد على وقادته ، وربما أن هذه المفاوضات ليس الا مناورة سياسية حتى تكتمل عناصر القوات المرسلة بقيادة خورشيد باشا الذى أرسل بالفعل الشريف عبدالله بن جباره حاكم ينبع ، ليجرى مفاوضات من نوع آخر مع الامام فيصل بن تركى ، حيث أنه وصل ومعه بعض الهدايا والمراسلات الودية ، والتى نتج عنها انسحاب الامام فيصل الى الدلم(٢) دون ضمانات تذكر ، ولا سيما وأن أحمد باشا يكن عندما استنجد به خالد ابن سعود واسماعيل بك بعد هزيمتهم من أهالى الحلوة قد أعلن صراحة أن هناك قواتاً ستصل الى الرياض ، ويجب على خالد بن سعود كما يقول الوالى " أن يسوس الأمور ، ريثما تصل العساكر(٣) " مما يعنى أن والى

---

(١) عثمان بن بشر : عنوان المجد فى تاريخ نجد ، ج٢ ، ص ٧٥-٧٦.

(٢) عثمان بن بشر : المصدر السابق ، ص ٧٧ .
، محمد بن عمر الفاخرى : الأخبار النجدية ، ص ١٧٤ .

(٣) د . عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ١٢٣٤-١٢٥٦هـ/١٨١٩-١٨٤٠م ، ص ٢٩٥-٢٩٦ ، نقلا عن : وثيقة رقم ٥٤ حمراء ، محفظة ٢٦٢ عابدين ، دار الوثائق القومية بالقاهرة.

الحجاز لديه خبر مسبق بتحرك تلك القوات الى نجد ، مما يؤكد الرأى الذى ذهبنا اليه فى أن تلك المفاوضات التى أجراها خالد بن سعود مع الامام فيصل بن تركى ، وما أعقبها من مفاوضات مع الشريف عبد الله بن جباره ،ما هى الا مناورة سياسية القصد منها كسب الوقت لتصل القوات التى أعدت لهذه المهمة .

أوفد الأمام فيصل بن تركى "أخاه الأمير جلوى الى خورشيد باشا وهو فى المدينة المنورة بهدية من الخيل والركاب العمانيات والقيلان فقدم عليه فى المدينة وأقبل معه الى القصيم"(١) ، وكأن الامام فيصل يؤكد بذلك جنوحه للسلم خاصة بعد مفاوضاته مع الشريف عبد الله بن جباره ، والتى تراجع الامام على ضوئها الى الدلم ، الا أن خورشيد باشا لم يظهر من النوايا ما يؤكد على جنوحه للسلم حيث أنه بدأ فى تنظيم قواته وترتيبها عندما كان مقيما فى الحناكية ،وأرسل من هناك قوة جديدة الى نجد تحت قيادة ملّا سليمان ، وهو رجل كردى ومعه حسن المعاون ، وفى شهر صفر سنة ١٢٥٤هـ - ٢٨ ابريل سنة ١٨٣٨م ، بدأ فى المسير من الحناكية الى القصيم ،وبدأ فى اجتذاب رؤساء القبائل والأقاليم الى جانبه ،(٢) ورغم

---

(١) عثمان بن بشر : عنوان المجد فى تاريخ نجد ،ج ٢ ،ص ٧٧ .
(٢) عثمان بن بشر : المصدر السابق ،ج ٢ ، ص ٨٠ .
،ابراهيم بن صالح بن عيسى : تاريخ بعض الحوادث الواقعة فى نجد ، ص ١٦٣ .

أن خورشيد باشا قد كتب الى محمد على رسالة يلقى فيها باللوم على الامام فيصل ، وأنه بدأ يتجه الى عدم تقديم الولاء لحكومة الباشا ، رغم ايفاده لأخيه قبل ذلك (١) ، الا أن مجريات الأحداث وتحركات خورشيد باشا السريعة فى اتجاه نجد ، تثبت أن تلك الرسالة لا تعبر عن مكنونات ضمير الباشا، الذى لم يأل جهداً فى تدعيم نفوذه وقوته وسط نجد ،ولم يلبث خورشيد باشا أن رد على استفسارات محمد على نفسه ،والتى تسأل عن مكان اقامة الامام فيصل ، وعن اتجاهاته وتحركاته ، وأكد أنه لا بد من اخضاع الاقليم بالقوة لأن الامام فيصل كما يقول الباشا لا يزال مستمراً "فى تحريض القبائل التى يرجى نفعها ، على الابتعاد عن - ولائنا - أنه لا يريد أن يخدمنا".(٢)

على أية حال لقد زحف خورشيد باشا بقواته فى شهر رجب سنة ١٢٥٤هـ/ اكتوبر ١٨٣٨م ، ونزل الوشم ، ثم سار منها الى الرياض ليصطحب معه خالد ابن سعود (٣) ، ولكى يظهر لأهل نجد أنه جاء لاسترداد الحكم وتسليمه الى خالد بن سعود ، وفى نفس الوقت بدأ خورشيد باشا فى مراسلة محمد بن عريعر الذى كان مقيماً فى العراق ، والذى سارع فى التوجه الى الأحساء ، وبدأ فى عملياته العسكرية من هناك ، الى أن استطاع السيطرة على الجزء

---

(٣) وثيقة رقم ٣٣ أصلى و ٦٦ حمراء ،محفظة ٢٦٤ عابدين ، محافظ الحجاز رقم - ٥ - ،دار الوثائق القومية ، بالقاهرة.

(٢) وثيقة رقم ٣٧ أصلى و ٩٧ حمراء ، محفظة ٢٦٤ عابدين ، محافظ الحجاز رقم - ٥ - ،دار الوثائق القومية ،القاهرة.

(٣) محمد بن عمر الفاخرى : الأخبار النجدية ،ص ١٧٤.

الساحلى من اقليم الأحساء[1]،لتصبح قوة الامام فيصل تقاتل على جبهتين وهو ما أراده خورشيد باشا وخطط له .

تقدم خورشيد باشا نحو الدلم التى حاصرها بقواته ،ودارت هناك عدة معارك قوية ،أيقن بعدها الامام فيصل أنه لا فائدة من الاستمرار فى القتال لا سيما وأن المدد يأتى تباعا الى جيوش الباشا ، فعرض حينذاك رغبته فى الاستسلام بشرط أن يحافظ خورشيد باشا على أرواح وممتلكات من كان معه من أهل الدلم وغيرهم ، فوافق الباشا على ذلك ،واستسلم الامام فيصل بن تركى فى أول شهر شوال سنة ١٢٥٤هـ/ديسمبر سنة ١٨٣٨م ، ومن ثم تم ترحيله الى القاهرة برفقة حسن اليازجى (٢)

رحل خورشيد باشا من الرياض فى شهر ربيع الأول سنة ١٢٥٥هـ - مايو سنة ١٨٣٩م ،قاصدا ثرمدا وبنى فيها قصرا ، متخذا اياها قاعدة له ولجنوده بعد أن فرض كامل سيطرته على اقليم نجد (٣) ، ويمكننا حينئذ أن نقرر هنا أن الانتصارات التى أحرزها محمد على فى الشام ضد الدولة

---

(١) د . محمد عرابى نخلة : تاريخ الأحساء السياسى ... ،ص ٧١-٧٢ .
،د . فؤاد سعيد العابد : سياسة بريطانيا فى الخليج العربى ... ، ص ١٢٤-١٢٥ .
،د . فائق حمدى طهبوب: تاريخ البحرين السياسى ... ،ص ١٧٧-١٧٨

(٢) عثمان بن بشر : عنوان المجد فى تاريخ نجد ،ج ٢ ،ص ٨٣-٨٤ .
،د.عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ... ،ص ٣٠٧-٣٠٩ .

(٣) عثمان بن بشر : المصدر السابق ،ج ٢ ،ص ٨٨ .
، محمد بن عمر الفاخرى : الأخبار النجدية ،ص ١٧٥ .

العثمانية فى حربه الأولى ، هى التى جعلت أهدافه فى الجزيرة العربيـــة تتزايد من ذى قبـل ، لكى يحقق له نفوذا قويا ومنفصلا عن الدولة العثمانية الا أن محمد على الذى يمتاز بالحذر الشديد ، والدهاء السياسى ، لم يكن ليغفل عن الموقف البريطانى المتصلب ضد هذه الأهداف والطموحات ، التى يتميز بها الباشا ، خاصة وأنه قد أبلغ القنصل البريطانى فى القاهرة خضـــوع كامـل الجزيرة العربية ، وسواحلها الشرقية لنفوذه فى أوائـل سنة ١٢٥٤هـ/ أوائل سنة ١٨٣٨م ، قبـل أن يستسلم الامام فيصـل لخورشيد باشا (١)، وكأنه يريد أن يجس النبض وردود الفعـل لدى السلطات البريطانية قبـل أن يسيطر سيطرة تامة على أنحاء الجزيرة العربية ، وهو ما تحقق بالفعـل فـى أوائل عام ١٢٥٥هـ/أوائل عام ١٨٣٩م ،حين بعث المقيم البريطانـى فـى الخليج بتقرير كامل الى سكرتير الحكومة فى بمبـاى ، نقـل من خلاله أنبـــاء السيطرة الكاملة لمحمد على على الجزيرة العربية ، وتخوفه من امتدادهــا لتشمل البحرين (٢) ، فى الوقت الذى نقـل فيه قنصـل بريطانيا فى القاهـرة الكولونيـل كامبـل Campbell، الى محمد على ما تضمنته برقية وزير خارجية بريطانيا اللورد بالمرستون Palmerston رقم ١٧ وتاريخ ١٥ يناير سنـة ١٨٣٩م ، والتى أبدى من خلالها قلقه حيال المحتشدات العسكرية الـتى

---

(١) جون .بي. كيلي :بريطانيا والخليج ١٧٩٥-١٨٧٠م ،ج ١ ،ص ٥٠٦-٥٠٧
،د .بدرالدين عباس الخصوص :دراسات فى تاريخ الخليج العربـــى الحديث والمعاصر، ج ١ ، ص ١٣٢ .

2- Document : F.O.78/373, C/A/61064, No.3 .P.93

تقوم بها قوات الباشا فى الجزيرة العربية وسواحلها الشرقية ،الا أن محمد علی كان أحذر من أن يعترف بأهداف تلك التحركات ، اذ أكد للقنصل البريطانى بأن هذه القوات ما هى الا لتدعيم حكومة خالد بن سعود ، ولتوفير عدد من الجمال تكفى لحاجة عمليات تلك القوات فى الجزيرة العربية ، وتطرق الباشا من خلال ذلك الى أن ما ينقل من طريق بعض الاشخاص من هذه التحركات ما هو الا من قبيل التخمين والظنون الفاسدة (١) ، مما يؤكد لنا أن محمد على عندما استعمل خالد بن سعود كحاكم لا قليم نجد ، وما أتبع ذلك من اتخاذ ثرمدا كقاعدة لخورشيد باشا ، انما أراد من وراء ذلك تحقيق أهدافه وطموحاته دون أن يثير انتباه بريطانيا فى المقام الأول ، وسكان الجزيرة العربية فى المقام الثانى . (٢)

كان خورشيد باشا يدرك أهمية الأحساء الاستراتيجية والاقتصادية منذ حصار الدلم (٣) ، ناهيك من أنها تحتل بؤرة تفكيره ،اذ أنها تأتى فى أولويات أهداف وطموحات سيده محمد على فى القاهرة ، الذى يسعى جاهدا لاخضاع الساحل الشرقى للجزيرة العربية لنفوذه ، لكى يحقق من هناك كامل مخططاته التوسعية نحو البصرة وبغداد .

1- Document: F.O.78/373, C/A/61064. No.20.P.P.87-88

(٢) ج .ج .لوريمر: دليل الخليج ،القسم التاريخى ،ج ٣ ، ص ١٦٢٨-١٦٢٩.
،د . محمد عبدالله ماضى :النهضات الحديثة فى جزيرة العرب ،ص ٨٣ .

(٣) د . عبدالعزيز نوار: تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا الى نهاية حكم مدحت باشا ، ص ٢١٤ .

عقد خورشيد باشا العزم على الاستيلاء على الأحساء ولو بالقوة ، الا أن استشارته لحكومته فى القاهرة ، والتى لم تؤيده على غزو الأحساء نظـــرا لتفرق قواتها فى الشام والجزيرة العربية ،فهى تفضل منحهم الأمان والتقدم اليهم سلما (١) ، حينئذ أرسل خورشيد باشا الى رؤساء أهل الأحســـــاء لكى يأتوا اليه بعد انتصاره على الامام فيصل فى الدلم ، وأعطاهم الأمان ، فقدموا اليه ،الا عمر بن عفيصان الذى توجه للبحرين ومنها الى الكويت ، ولما قدم أهـل الأحساء للباشا ، أمنهم على أنفسهم وأذن لهم بالرجوع الى ديارهم ، وعين الباشا أحمد السديرى أميرا على الأحساء فى شهر شوال سنة ١٢٥٤هـ/ يناير سنة ١٨٣٩م ، وأرسل معه قوة كبيرة لضبط الأمور هناك ، وأخيرا أسنـد امارة الأحساء لأحد قادته المعروفين بالبطش والجبروت وهو محمد رفعـــت أفندى ، هادفا من وراء ذلك تقوية نفوذه وسيطرته على الاقليم ، بينمـــا جعل أحمد السديرى قائما على بيت المال هناك ، الا أن سوء الادارة التى اتبعها محمد رفعت أفندى قد أدت الى سرعة انتهائه حيث قتل بأيـدى سكان الاقليم ، الذين سئموا من سلوكه وتصرفاته الرعناء (٢).

---

(١) وثيقة رقم ٢ أصلية و٣٧ حمراء ،محفظة ٢٦٧ عابدين ، محافظ الحجاز رقم ٧ ،دار الوثائق القومية ، بالقاهرة.

(٢) عثمان بن بشر : عنوان المجد فى تاريخ نجد ، ج ٢ ،ص ٨٥-٨٧.
،محمد عبدالله الأحسائى : تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء فى القديـم والجديد ، ص ١٥٤.

كان خورشيد باشا قد أتم استيلاءه على موانئ الأحساء المهمة كالقطيف وسيهات والعقير ، ووضع بها ادارة منظمة اضافة الى بعض الحاميات للمحافظة على الأمن في تلك المناطق (١) ، وليؤكد بذلك انفراد محمد على باشا بالحكم في بلاد العرب وشواطئها الشرقية المطلة على الخليج العربي (٢) . بدأ خورشيد باشا يتطلع الى التوسع نحو امارات الخليج العربي وعمان تمهيدا لاخضاع البحرين لنفوذه ، واستعمل في سبيل ذلك نفس النهج الذى سار عليه محمد على حينما أرسل خالد بن سعود الى وسط الجزيرة العربية ، ليتخذ منه ستارا يخفي وراءه تحقيق أهدافه ، فأرسل خورشيد باشا سعد بن مطلق المطيرى الى ناحية البريمي وعمان ، للاستفادة من خبرته في تلك الجهات لمعرفته السابقة بها (٣) ، ولكى يظهر أن سعد بن مطلق ما هو الا مندوب من قبل خالد بن سعود الذى يحكم نجد اسما لا فعلا بطبيعة الحال ، وهذا ما تنتهجه حكومة محمد على في القاهرة في المقام الأول ،

---

(١) مختارات من سجلات حكومة بمباى :
S.R.B.G. No.XXIV.P.P.445-447.

، محمد سعيد المسلم : ساحل الذهب الأسود ، ص ١٨٥ .

(٢) سيديو : خلاصة تاريخ العرب ، ص ٢٨٥ .

(٣) محمد بن عمر الفاخرى : الأخبار النجدية ، ص ١٧٥ .

، د . فؤاد سعيد العابد : سياسة بريطانيا في الخليج العربي ... ، ص ١٢٧ .

، د . صلاح العقاد : التيارات السياسية في الخليج العربي ، ص ١٤٦

حيث نراها تكتب الى خورشيد باشا وتقول له : " ... أن لا يضع نفسه هدفا للانتقاد بل عليه أن يحيل بالكلام على عاتق خالد بك"(١).

وقد زوّد سعد بن مطلق برسائل من خورشيد باشا الى شيوخ الامارات العربية في الساحل العماني ،كما زوّد بقوة من الفرسان والمشاة ، وقد وصل الى الشارقة في شهر محرم سنة ١٢٥٥هـ/مارس سنة ١٨٣٩م ، ورغم أن الشيخ سلطان بن صقر حاكم الشارقة قد استقبله استقبالا حسنا ، الا أن قبائل بني نعيم رفضوا الاستجابة له والانضواء تحت سلطة حكومة محمد على التي يمثلها وتسليمه واحة البريمي (٢).

وقد راح المندوب المصرى هناك يبعث بالرسائل الى ابني سلطان مسقط لكي يقدموا الطاعة والولاء الى خالد بن سعود الذى يحكم نجد ، ورغم أن محمد على كان يفكر جديا في الاستيلاء على عمان تحقيقا لطموحاته وأهدافه ولموقعها المتميز في الخليج ، الا أنه آثر السياسة ،لكي يستعين بسلطان مسقط في غزو البحرين. (٣)

ورغم تلك السياسة التي ينتهجها الباشا الا أن بريطانيا لم تغفل لحظة

---

(١) ارادة نمرة ٧ ، محفظة ٢٦٧ عابدين ، محافظ الحجاز رقم ٧ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة.

(٢) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: محمد على وشبه الجزيرة العربية ... ،ص ٣٥٤.

، جى . بوكيلى :الحدود الشرقية لشبه الجزيرة العربية ،ص ٩٩-١٠٠.

(٣) نقلا من مجلة الدارة ،العدد الثاني ، السنة الأولى ،ص ١٨٥ :
Document;F.O.78/3185.p.p.22-23.
،د . فاروق عثمان أباظه : عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ... ، ص ١٢٣.

واحدة من تلك التحركات ،اذ سرعان ما تحرك المقيم البريطاني في الخليج الكابتن هنيل Hennell ، وبدأ في استشارة مشائخ المنطقة واعداً اياهم بالمساعدة المادية والعسكرية للوقوف في وجه تحركات جيوش محمد علي التي يمثلها سعد بن مطلق المطيري ومن ورائه خورشيد باشا ، وكان له ما أراد (١) .

لم يلبث خورشيد باشا أن تطلع الى البحرين (٢) ، تلك الجزيرة التي اكتسبت موقعا هاما في طرق المواصلات التجارية الى الهند ، فأفصح عن نواياه تجاهها في أواخر عام ١٢٥٤هـ/أوائل عام ١٨٣٩م (٣) ، وكان لابد له من أن يحسب حساب العوامل الجانبية التي قد تؤثر على تحقيق أهدافه خاصة فيما يتعلق بالوجود البريطاني في المنطقة ، فقام حينذاك باجراء اتصالات مع السيد سعيد سلطان مسقط ، الذي لاحت له الفرصة التي ينتظرها منذ أمد ليس بالقصير ، واستهدفت تلك الاتصالات قيام السيد سعيد

---

(١) د . محمد عرابي نخلة : تاريخ الأحساء السياسي ... ،ص ٩٥ .

(٢) تقع جزيرة البحرين ضمن منطقة الخليج العربي ،ما بين خطي طول ٤٨ ، ٥٧ ، وخطي عرض ٢٤ ، ٣٠ ، على شكل أرخبيل من الجزر على بعد ١٥ ميلا من الساحل الشرقي للجزيرة العربية ، و ١٥٠ ميلا من الساحل الايراني ، و ١٨ ميلا من شبه جزيرة قطر." أ.د ابراهيم الزياني : البحرين بين الاستقلال السياسي والانطلاق الدولي ، ص ٨ .

(٣) ج . ج . لوريمر : دليل الخليج ، القسم التاريخي ،ج ٣ ،ص ١٦٤١ .

بمعاونة قوات خورشيد باشا فى احتلال البحرين ، على أن يسمح لسلطان مسقط بالسيطرة عليها نظير مبلغ من المال يدفعه سنويا الى حكومة محمد على ، الا أن سلطان مسقط لم يستمر فى مشروعه ذاك لأنه " أدرك أن اتصاله بمحمد على يتعارض معارضة صريحة وصداقته للحكومة البريطانية (١) " ، الا أن خورشيد باشا قد كتب للمقيم البريطانى فى الخليج بأنه مستعد للهجوم على البحرين ، وكأنه يريد أن يجس نبض الحكومة البريطانية فى حالة مواصلة زحف قواته باتجاه البحرين (٢) ، ومع ذلك فان وكيله فى الأحساء محمد رفعت أفندى قد استمر فى تدعيم وتقوية نفوذ حكومته فى الاقليم ، اذ سيطر على القلاع والحصون وأخضع كثيرا من المدن والاقاليم " التى تشكل شريطاً حيوياً ومعبراً للتجارة بين البحرين وأجزاء شبه الجزيرة العربية الداخلية ، ولكى يتحقق له ذلك راح يفكر فى أمر مقابلة شيخ البحرين للتباحث معه فيما يتعلق بأوضاع ممتلكاته فى القطيف والبحرين" (٣) .

---

(١) د . فائق حمدى طهبوب : تاريخ البحرين السياسى ... ، ص ١٩٠ .
، ج . ج . لوريمر : دليل الخليج ، القسم التاريخى ، ج ٢ ، ص ٧١٧- ٧١٨ .

2- Document: F.O.78/374.XC/A/61064.

(٢) ج . ج . لوريمر : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ١٣٠٦ .

(٣) د . بدر الدين عباس الخصوصى : دراسات فى تاريخ الخليج العربى الحديث والمعاصر ، ج ١ ، ص ١٣٦ .

ورغم أن المقيم البريطاني في الخليج الكابتن هـنيل Hennell (١) قد وجه تحذيراً الى خورشيد باشا ، بعدم التفكير في غزو البحرين حتى يتلقى هو توجيهات محددة من حكومته في الهند ، وأشار المقيم البريطاني في رسالته تلك الى ضرورة اعطائه خبرا مسبقا فيما لو قام الباشا بأي عمل حربي في الخليج (٢) ، الا أن وكيل خورشيد باشا في الأحساء محمد رفعت أفندي قد بدأ في اتصالاته مع شيخ البحرين ، عبدالله بن أحمد ، محاولا في بداية الأمر أن يخفي أهداف مهمته الأساسية ، وأنه يريد التحقق من وجود عمر بن عفيصان ومن معه من أعداء الحكومة المصرية ، الذين هربوا الى البحرين ، وقد أعد من تلك المهمة تقريرا وافيا رفعه الى خورشيد باشا الذي رفعه بدوره الى محمد علي (٣) .

---

(١) ولد هانيل من أب يعمل صائغا بمنطقة روز هل في برمنجهام سنة ١٨٠٠م والتحق بالخدمة العسكرية سنة ١٨١٩م بالفرقة ١٢ من مشاة بومباي ، وفي سن السادسة والعشرين عين في منطقة الخليج كمساعد للمقيم ، وقد استطاع خلال الفترة التي قضاها في الخليج أن يكتسب ثقة شيوخ الساحل ، لقد كان هـنيل أعظم المقيمين السياسيين البريطانيين الذين خدموا في منطقة الخليج ، وقد أحيل إلى المعاش في شهر اكتوبر سنة ١٨٥٤م ليعود الى ستنهام ، ويموت فيها في سبتمبر سنة ١٨٨٠م وله من العمر ثمانون عاما .

جون ٠ب٠كيلي : بريطانيا والخليج ... ، ج ١ ، ص ٧٠٦-٧٠٧ .

2- Document :F.O.78/374, C/A/61064.

(٣) د . أحمد مصطفى أبوحاكمه : تاريخ الكويت ، القسم الأول ، ج ٢ ، ص ١٣١-١٣٢ .

حاول شيخ البحرين أن يطلب حماية بريطانيا ، لكن حكومة الهند لم تكن تعرف موقف حكومة لندن تجاه تحركات محمد على ، ونظرا لحذره الشديد وقلقه المستمر الذى كان يعيشه منذ أن سمع بتحركات الجيوش المصرية خشية من البطش الذى عرف عن تلك القوات ابان حملات ابراهيم باشا على الجزيرة العربية ، اضافة الى الشائعات التى كانت تتردد عن وجود تعاون بين قوات خورشيد باشا وسلطان مسقط للاستيلاء على البحرين حاول شيخ البحرين المراوغة والادعاء بأنه من رعايا الحكومة الايرانية ، وأنه سيعلن تبعيته لها (١) .

بعث خورشيد باشا الى محمد على رسالة يوضح فيها موقف حاكم البحرين وتردده من الدخول فى دائرة حكومته ، وحمّل حكومة بغداد مسئولية هذا التردد لدعمها لشيخ البحرين ، مؤكداً فى رسالته تلك أهمية البحرين للاحساء والقطيف ، وأنها كانت تدفع الزكاة لآل سعود قبل ذلك ، ولم ينس خورشيد باشا أن يبدى تخوفه من احتلال الانجليز لجزيرة البحرين لأهميتها فى الخليج العربى (٢) .

1- Document:(I.O.R)L./P,S/9/110.No.14.P.425.

(١) ج.ج.لوريمر: دليل الخليج ، القسم التاريخى ،ج ٣ ص ١٣٠٤ ، ١٦٤١ ، د. فؤاد سعيد العابد : سياسة بريطانيا فى الخليج العربى ... ، ص ١٢٨ .

(٢) وثيقة رقم ٧أصلية و ٥٠ حمراء ،محفظة ٢٦٧ عابدين ، محافظ الحجاز رقم ٧ ، دار الوثائق القومية ، بالقاهرة.

ولعله من الانصاف أن نقول أن شيخ البحرين كان في وضع لا يحسد عليه ، ومن الصعوبة عليه أن يختار حليفه من هؤلاء الثلاثة الجدد الذين بدأوا في تهديده ، ومحاولة خطب وده ، الا أنه وبعد أن اطمأن الى مندوب خورشيد باشا ، فضل في نهاية الأمر التعاون مع محمد على وقواته نظرا لوجود أكثر من عامل يدعوه الى ذلك من أهمها : سيطرة قوات الباشا على الساحل الشرقي الذى يعتبر منفذا رئيسيا للبحرين على الجزيرة العربية ، اضافة الى وجود الروابط الدينية واللغوية بين البحرين وسكان الجزيرة العربية ، وهذا لا يتأتى مع الانجليز والايرانيين أصحاب الأطماع الميتة في البحرين .

دخل الشيخ عبد الله بن أحمد الخليفة شيخ البحرين في اتفاقية مع مندوب خورشيد باشا ، في ٢٣ صفر سنة ١٢٥٥هـ/الموافق ٨ مايو سنة ١٨٣٩م [١] ، وأصبح يدفع الزكاة للسلطات المصرية وفق بنود تلك الاتفاقية التى أكدت تبعية البحرين لحكومة نجد ، كما كانت عليه في السابق ، وقد جاء مضمون تلك الاتفاقية في رسالة بعث بها عبد الله بن أحمد الى خورشيد باشا عقب الانتهاء من توقيعها حيث قال : " ... فقد صار الصلح بيننا

---

(١) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ... ، ص ٣٢٢ .

، بدر الدين عباس الخصوصي : دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر ، ج ١ ، ص ١٤٦-١٥١ .

، د . فؤاد سعيد العابد : سياسة بريطانيا في الخليج العربي ... ، ص ١٣٠ .

وبينكم على يد محمد أفندى ... على أن نحن نعادى من عاداكم ونوالى من والاكم ، وانتم كذلك ، ونؤدى لجنابكم الزكاة(١) " ، وقد رد خورشيد باشا على تلك الرسالة برسالة الى شيخ البحرين فى السابع عشر من جمادى الأولى سنة ١٢٥٥هـ جاء فيها : " مضمونة وصلنا جوابكم ، وما ذكرتموه من قبل الاتفاقية التى صار* بينكم وبين محمد أفندى معاوننا ، والمعاهدة الذى صار* فى حكم الشروط ، فقد صار* عندنا معلوم ، وهذا هو المأمول من صداقتكم ، وان شاء الله نحن وانتم حال واحد ، ولا تعاينوا منا الا الحشمة والاكرام ، وما يسر خاطركم بحول الله وقوته ... (٢) " ، ويظهر من ذلك أن خورشيد باشا يسير فى تحركاته تجاه البحرين والخليج العربى وفق استراتيجية معينة رسمها له محمد على ، الذى كان يهدف الى عدم اثارة الانجليز فى تحركاته تلك ، وقد تأكد لنا ذلك من استقرائنا للوثائق التى أظهرت نوايا محمد على باشا الغير معلنة فى البحرين ، والتى لا يعرفها الا المقربون منه أمثال خورشيد باشا ، الذى كان يدرك أهداف سيده ، وطموحاته ، فهو يقول فى رسالة وجهها الى محمد على من ثرمدا فى ٢٩ جمادى الأولى سنة ١٢٥٥هـ ، أى بعد رسالته الى شيخ البحرين باثنى عشر يوما : " وصل لنا خطاب ولى النعم ذى المكارم المعتادة المؤرخ فى ٢١ ربيع الأول سنة ١٢٥٥هـ رقم ١٠ ، المشتمل على أنه أرسل لنا

---

(١) د . محمد عرابى نخلة : تاريخ الأحساء السياسى ١٨١٨-١٩١٣م ، ص ٧٩

(٢) صورة المرفق العربى للوثيقة رقم ١٣٧ حمراء ، محفظة ٢٦٧ عابدين ، محافظ الحجاز رقم ٧ - ، دار الوثائق القومية ، بالقاهرة.

* هنا خطأ لغوى في أسلوب المرسل ... فهى صارت ، وليس صار كما ذكر.

صورة التقرير الذى أعطى لقنصل الانكليز العام فى المحروسة بناء علـــى سلوكهم "أى الانجليز" بخصوص جزيرة البحرين لتكون معلومة للداعى ، بحيث اذا سألوا الداعى يكون الجواب وفقا لتلك الصورة رعايـة لمقتضى المصلحـة ، كما وصلت الينا صورة ارادتين باللغتين العربية والتركية فأحطت علما بالخطاب الوارد وبتينك الصورتين ، وأن الأجوبة التى أجبناهم بها أولاً وآخرًا تشبـه الصورة التى جاءتنا ضمن ذلك الخطاب العالى ، وليس فى أجوبتنا اشارة الى أن يتركوها بوجه من الوجوه ..." (١).

لم يخرج خورشيد باشا عن السياسة التى يريدها محمد على تجـاه البحرين ، وأجوبته للانجليز أولا وآخرا تشبه الصورة التى يريدها محمد على ، والتى أعطى صورة منها لخورشيد باشا ليسير عليها فى تعامله مع الانجليز ، وهو ما أكده خورشيد باشا فى رسالته سالفة الذكر لمحمد على ، ويجدر بنا هنا أن نتعرف على أجوبة خورشيد باشا للانجليز التى تطابق أهداف وسياسة محمد على ، وذلك من خلال كتابه المرسل الى المقيم البريطانى فى الخليج والمؤرخ فى السابع عشر من جمادى الأولى سنة ١٢٥٥هـ ، حيث قال : " ورد الينا جوابكم المؤرخ ١٣ ربيع الأول وبه تشيروا من خصوص التحرك على بنادر العرب المتصلة بسواحل خليج فارس وعدن ، عدم قبول مصالحة البحرين ، نعما نفيد به سعادتكم أن الأقاليم النجدية والتابع لها فى السابق فى حكـم

---

(١) وثيقة رقم ١٦٥ حمراء ، محفظة ٢٦٧ عابدين ، محافظ الحجاز رقم - ٧ - ، دار الوثائق القومية ، بالقاهرة.

السعود، ومن حيث أن خالد بك فهو ولد سعود، وسعادة ذو السطوة والجلال أفندينا محمد على باشا قد أنعم عليه بتملك آل سعود ، وأنه يكون ما كانوا عليه ، وكذلك قد صار الاتفاق مع عبدالله بن أحمد الخليفة على قد القانون الذى كان جارى عليهم بمدة السعود فقط، وهذا شئ صار فى شريف علم سعادتكم ،ولا يخفى الجناب العالى أن عبدالله الخليفة فهو الأمين على البحرين ، وليس القصد بسوق عساكر اليه أو خلافه ولا يكون عندنا مقصد آخر الا لراحة العباد واصلاح البلاد ،وأما من خصوص الدولة العلية الانكليزية والدولة المصرية ، فتعلم أنهم أصدقاء لبعض زيادة عن غيرهم وبحول الله وقوته لا يزالون على هذه الحالة على الدوام ..." (١)

رغم احتجاج الحكومة البريطانية الشديد الذى بعث به المقيم البريطانى فى الخليج الكابتن هنيل Hennell الى خورشيد باشا ومندوبه فى البحرين محمد رفعت أفندى ، والذى أبدى فيه رفض حكومته الكامل لتلك المعاهدة التى تمت مع شيخ البحرين ، الا أن خورشيد باشا قد حاول اقناع المقيم البريطانى ، بأن مصالح حكومته فى الخليج وفى البحرين لن يمسها أى أذى نتيجة لهذه المعاهدة ، وليس هناك أى داع للاهتمام بالبحرين من الآن ، لأنها أصبحت تابعة لحكومة محمد على فى

---

(١) صورة المرفق العربى للوثيقة رقم ١٣٧ حمراء ،محفظة ٢٦٧ عابدين ، محافظ الحجاز رقم -٧- ، دار الوثائق القومية بالقاهرة.

نجـــد . (١)

لكن الانجليز الذين كانوا يبدون قلقهم المستمر نحو أهداف الباشـا في البحرين منذ حروبابراهيم باشا في الجزيرة العربية ، والذى تمثـــل في تنبـؤات الكابتن جورج فورستر سادلير Captain.G.F.Sadleir عند ما كان في مسقط في طريقه لمقابلـة ابراهيم باشـا حينذاك (٢) ، لم يهدأ لهم بال حيـال هذه التحركات التي يقوم بها خورشيد باشا والتي ختمـت بتلك الاتفاقيـة مع شيخ البحرين ،لا سيما وأن وزير خارجية بريطانيا اللورد بالمرستون Palmerston ،كان يتلقى معلومات وفيرة من خلال تقاريـــر الساسة البريطانيين في المنطقـة ، والتي كان على ضوئها يتصرف الوزيـــر البريطاني مع محمد على وقادته لكي يحول دون تحقيـق أهدافه وطموحاتـه في الخليج العربي بشكـل عام ، وجزيرة البحرين بشكل خاص(٣) .

وصـل الكابتن هـنيل Hennell المقيم البريطاني في الخليج على رأس حملة بحريـة الى البحرين في محاولة لاقنـاع الشيخ عبدالله بن أحمد للتنكـر لهذهالاتفاقيـة والانضمام الى الحكومة البريطانية التي ستقدم له العــــون

---

(١) جون .ب.كيلى : بريطانيا والخليج ...،ج١ ، ص٥٥٦ .
، د . أحمد مصطفى أبو حاكمه : تاريخ الكويت ـ القسم الأول ، ج ٢ ، ص ١٣٠ .
،د . فائق حمدى طهبوب: تاريخ البحرين السياسى ... ، ص ٢٠١ .

(٢) جورج فورستر سادلير: رحلة عبر الجزيرة العربية خلال عام ١٨١٩ ، ص ١٧٥ .

3- Document : F.O.78/374. xC/A/61064.

والحماية ضد أى تهديد خارجى (١) ،ورغم أن خورشيد باشا حاول ايفاد مندوبه فى الأحساء محمد رفعت أفندى للتأكد من موقف شيخ البحرين بعد مقابلته للمقيم البريطانى (٢) ، الا أن الأحداث التاريخية التى كانت تحيط بحكومة محمد على فى القاهرة خاصة تلك الضغوط التى بدأت تمارسها بريطانيا ضده ، قد أقنعته بضرورة عدم التدخل فى شئون البحرين ،ليصدر بذلك ارادته رقم ١١ فى أواخر شهر ربيع الأول سنة ١٢٥٥هـ الموافق ١١ يونيو سنة ١٨٣٩م (٣) ، والتى تقضى بتعميد خورشيد باشا بعدم التدخل فى شئون البحرين ، وأن يترك للشيخ عبدالله بن أحمد حق التصرف فى شئونها ، وزود الباشا حكومة بريطانيا بصورة من هذه الارادة التى أنهت الوجود المصرى فى البحرين (٤) ، ولم يعقب ذلك الا قتل محمد رفعت أفندى وكيل خورشيد باشا فى الأحساء ، حين ضاق به أهل الاقليم ذرعا ، وبتصرفاته فخرج له ثلاثة رجال منهم وقتلوه أثناء عودته من رحلته اليومية التى يقوم بها الى عين نجم المشهورة ، وذلك فى شهر شعبان سنة ١٢٥٥هـ

---

(١) ج.ج.لوريمر: دليل الخليج ، القسم التاريخى ،ج ٣ ،ص ١٣٠٨.
،د.عبدالعزيز نوار: مصر والخليج العربى فى القرن ١٩ ،مجلة الهلال المصرية العدد ١١ ،السنة ٧٢ ، ص ١٦٨.

(٢) د. فؤاد سعيد العابد : سياسة بريطانيا فى الخليج العربى ... ، ص ١٣٣-١٣٤.

(٣) د. محمد عرابى نخلة : تاريخ الأحساء السياسى ١٨١٨-١٩١٣م ، ص ٩١-٩٢.

(٤) د.فائق حمدى طهبوب: تاريخ البحرين السياسى ١٧٨٣-١٨٧٠م ،ص ٢٠٥.

المصادف لشهر اكتوبر سنة ١٨٣٩ (١)، مما جعل نفوذ محمد علي في شرق الجزيرة العربية يصاب بنكسة شديدة، ظهر تأثيرها على قائده هناك خورشيد باشا، الذي حاول أن يقوم باجراء تعديلات جذرية في ادارة اقليم الاحساء، فاستدعى عيسى بن علي رئيس جبل شمر، وجعله مسئولا لبيت المال في ذلك الاقليم، معفيا بذلك أحمد السديري من منصبه، كما أرسل شخصا آخر يسمى محمد أفندي، لكي يصبح وكيلا له في الاحساء بدل وكيله المقتول(٢)، لكن السياسة البريطانية التي كانت تؤلب الدول الأوروبية ضد محمد علي وتوسعاته في الجزيرة العربية، كانت أسرع من أي اجراء قد يتخذه خورشيد باشا في ذلك الاقليم، لفرض سيطرته وتدعيم نفوذه، ورغم أنه قد حاول مع حكومته في القاهرة لكي تسعى في سبيل استقلال البحرين، لتمنع وقوعها في أيدي الانجليز (٣)، الا أنه لم يمض وقت طويل، الا وجيوشه تنسحب من الاحساء والجزيرة العربية في طريقها الى مصر، وهو ما سنعرفه في صفحات لاحقة من هذا البحث ..

---

(١) محمد عبد الله الأحسائي : تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد، ص ١٥٤.
، سنت جون فلبي : تاريخ نجد ...، ص ٢٠٧.

(٢) عثمان بن بشر: عنوان المجد في تاريخ نجد، ج ٢، ص ٨٧.
، د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد علي وشبه الجزيرة العربية ...، ص ٣٤٤-٣٤٦.

(٣) د. محمد عرابي نخلة : تاريخ الأحساء السياسي ١٨١٨-١٩١٣م، ص ٩٣

ومن هنا يتضح لنا أن تقدم قوات محمد علي نحو الأحساء والبحرين ، وما سار عليه من سياسة معينة تجاه البحرين ، واستيلائه عليها ، انما هي أمور قد أعدت وتم التشاور حولها لدى حكومة القاهرة ، ولكن وفق أسلوب سياسي معين ، لا سيما وأن محمد علي كان يدرك ماهية الأخطار التي ستقف في وجهه تجاه تحقيق هذه الأهداف ، فتذرع بعدة أمور لكي يحقق غرضه ، ويصل الى طموحاته التي كانت ترتكز على البحرين ، فقد كانت البحرين تمثل في ذهن محمد علي القاعدة التي ينطلق منها شمالا الى العراق والتي تنطلق منها تجارته أيضا الى الأسواق الشرقية ، الا أن السياسة البريطانية لم تعط الفرصة للباشا ليصل الى غاياته التي كادت أن توجد من تلك الامارات الصغيرة ، كيانا واحدا ومتكاملا ، وهو ما لا ترغبه بريطانيا ، فقطعت عليه خطوط الرجعة ، ابتداء من منعها اياه ارسال السفن التي طلبها قائده هناك خورشيد باشا ، ومرورا بتلك التهديدات والتحذيرات التي يتلقاها الباشا من طريق القناصل الانجليز ، وانتهاء بمؤتمر لندن ومعاهدة لندن ، التي ستنهي طموح الباشا في الجزيرة العربية بشكل عام ، وهو ما سنتحدث عنه في الفصل الأخير من هذا البحث ..

ان مخططات وأهداف محمد على باشا التوسعية لم تكن لتقتصر على شبه الجزيرة العربية وحدها ،فحكومته فى الشام تريد الهدوء والاستقرار، وهو فى مناطق الجزيرة العربية وسواحلها البحرية يريد أن يفرض سيطرته ويدعم نفوذه فيها ، وفى الشام من طريقها ،اذا لا بد له من أن يتطلع الى العراق لكى يكمل حلقة نفوذه التى أصبحت تشتمل على مصر والسودان فى افريقيا ، وشبه الجزيرة من البحر الأحمر الى الخليج العربى والشام فى آسيا ، ولم يبق عليه الا ضم العراق لتكوين دولته المنتظرة التى كان يحلم بانشائها(١)، ولعل الدولة العثمانية كانت مدركة لتلك الأهداف التى تختمر فى ذهن الباشا حيال العراق منذ أن كلفته بمحاربة الدعوة السلفية فى نجد ، " فأرادت أن تضرب السعوديين بمحمد على ، ولعل السلطان العثمانى حينئذ كان حريصا على هزيمة محمد على أكثر من حرصه على هزيمة السعوديين" (٢) .

ولقد ظل محمد على مهتما بتتبع أخبار العراق ،وجمع كافة المعلومات منها ،فقد كتب فى أوائل عام ١٢٣٧هـ/ أواخر عام ١٨٢١م ،الى محافظ المدينة المنورة خطابا يطلب فيه ضرورة موافاته بأنباء العراق أولا بأول ،وأن يرسل اليها من قبله الجواسيس سواء من المدينة أو عنيزة ، أو جبل شمر ، والذين لهم علاقات فى تلك النواحى ،لكى تكون الأخبار التى ينقلونها

---

(١) عبد الرحمن الرافعى : عصر محمد على ، ص ٢١٩ .

(٢) مجلة الدارة : العدد الثانى ، السنة الأولى ،ص ١٦٣-١٦٤ .

مؤكدة ومهمة ، ولعل ذلك الاهتمام بالعراق ،ناتج من سوء العلاقات التي كانت بين تركيا وايران ، والاحتمالات المتوقعة من غزو شاه ايران لبغداد (١) .

لاحت الفرصة أمام محمد على لغزو العراق ، وتحقيق أطماعه التوسعية هناك حينما كتب له الصدر الأعظم باسم السلطان العثماني في الخامس عشر من شهر شعبان سنة ١٢٣٨هـ/ ٢٧ أبريل سنة ١٨٢٣م يقول له : "ان والى بغداد قد أقر بعجزه عن رد اعتداء العجم ،وصدهم عن بغداد (٢)" ،وطلب منه أن يرسل ابنه ابراهيم باشا على رأس حملة كبيرة لكي تقوم بمهمة الدفاع عنها ، ولعل الباشا الذى كان لا يزال منغمسا في تدعيم أركان دولته ،اضافة الى أنه لا يزال تابعا للسلطان العثماني ، لم يرد أن يقوم بغزو العراق لحساب الدولة ،لأنه ربما يحتاجها هو في وقت آخر ، وهو ما حصل بالفعل بعد حرب الشام الأولى ، عند ذلك اعتذر محمد على عن تنفيذ هذه المهمة بحجة أن حملته في السودان لم تنته بعد ، وأنه لا يزال منشغلا بمراقبة التحركات البريطانية في موانئ البحر الأحمر الجنوبية (٣) .

وقد ذهب بعض المؤرخين الى أن هناك وثيقة طلب فيها محمد على من السلطان العثماني أن يترك الباشا للدولة العثمانية مصر، على أن

---

(١) د . عبدالحميد البطريق : محمد على ومشروع غزو العراق ،مجلة كلية الآداب ،الجامعة الأردنية ،عدد ١ ، يناير ١٩٦٩م ،ص٥٠ .
،د . أحمد مصطفى أبو حاكمه : تاريخ الكويت ، القسم الأول ج ٢ ،ص١٤٢
(٢) د . عبدالحميد البطريق : المرجع السابق ، ص٥٠ .
(٣) د . عبدالرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ... ،ص٢٧٧

توليه العراق ، ولعل ذلك ناتج من اغراء من محمد على ليس الا للسلطان العثماني ، كي يثبت له أنه يستطيع السيطرة على العراق واعادة الأمور الى طبيعتها في تلك الولاية(١).

قبيل أن يخوض محمد على باشا حرب الشام الأولى ضد الدولة العثمانية ، أدرك أهمية الدور الذى يمكن أن يكون للعراق في مواجهة قواته الزاحفة الى الشام ومهاجمتها عبر الصحراء ، فسعى جاهدا لدى الباب العالي كي يسند حكم العراق الى أحد أصدقائه من أهل العراق الذين لجأوا الى مصر، وهو بكربك الكركوكلى ، الا "أن الباب العالي قد أدرك حقيقة خطة محمد على التى كان يهدف الى تنفيذها من وراء اسناد العراق الى الكركوكلى ، فرفض هذا المطلب ، ولكن بدبلوماسية ناجحة لكى لا يثير غضب تابعه القوى في مصر. (٢)

وقد أظهرت الثورة التى قام بها الجند الغير نظاميين في الحجاز بقيادة محمد أغا "تركجه بيلمز" أثناء حروب الشام الأولى ، مكنونات محمد على حيال ، أهدافه في العراق ، حين قال في رسالته التى بعثها لهم في التاسع من شهر صفر سنة ١٢٤٨هـ/الموافق ٨ يوليو سنة ١٨٣٢م : "... وحيث

---

(١) محمد حسين زيدان : الوثائق تتكلم ... ،مجلة الدارة ،العدد الثاني ، السنة الأولى ، ص١٦٤.

،د . عبدالعزيز نوار : تاريخ العراق الحديث ... ، ص ٢٣٣.

(٢) د . عبدالعزيز نوار: تاريخ العرب المعاصر - مصر والعراق .. ،ص ٣٨١-٣٨٢.

من المأمول بحول الله وقوته ... فان قلعة عكا على وشك الفتح ، ومن ثم فتح الشام ، حتى أن مدينة حلب أيضا سيتم فتحها خلال يوم أو يومين باذن الله تعالى وسيلتحق الشام كله بالحكومة المصرية ان شاء الله ، حتى أن بغداد أيضاً سيتم فتحها .. (١)" ، كما أكد للثوار فى رسالة أخرى الى أن " أهل بغداد قد طردوا الوالى المنصوب عليهم من طرف الدولة العثمانية ، وأقاموا من بينهم واليا آخر ايذانا بالانضمام الى مصر.. (٢)".

كانت أهداف وطموحات محمد على فى العراق معروفة لدى ابنه وقائد جيوشه فى الشام ابراهيم باشا ، الذى أفصح عن ذلك المعنى أثناء حصار عكا عندما سئل الى أى مدى سوف تقف فتوحات أبيه ، أجاب على ذلك بقوله ، حيث تنطق العربية فى أى مكان ، لذلك فان بغداد ستكون واحدة من أهدافه (٣) ، ولا غرو فى ذلك فقد كانت الأنباء التى وردت من الشام الى البصرة وبغداد مفرحة جدا للأهالى ، لا سيما وأن دخول ابراهيم باشا الى دمشق قد أدى الى هبوط الأسعار فى تلك النواحى ، وهى التى كانت فى السابق باهظة الارتفاع بصورة غير طبيعية كما تصفها الوثائق البريطانية (٤) .

---

(١) وثيقة رقم ٨٢٣ ، دفتر ٤٠ معية تركى ، ص ١٣٠ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .

(٢) د . عبد الحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث ١٥١٧-١٨٤٠م ، ص ٦٦ .

3- Document: F.O.78/246, 61070. No. 42.

4- Document : (I.O.R.) L/p,s/9/93. No.29.P.356.
, Document ; (I.O.R.) L/p,s/9/95.No. 53,31. P.P.201-202.

ويعنى ذلك أن محمد على كان يفكر جديا فى السيطرة على العراق منذ أن بدأ فى حرب الشام الأولى ضد الدولة العثمانية(١) ، حيث أنه كان حريصا على سلامة جيوشه التى تتمركز فى الشام لكى لا تهاجمها الدولة العثمانية من ناحية العراق ، لذلك استمر فى محاولاته السياسية لكى يفرض نفوذه على العراق ويدخل فى حوزته أجزاء كبيرة من أعالى نهر الفرات والمناطق المحيطة به (٢) ، ومن هنا كان تشجيع ابراهيم باشا ومساعداته التى زود بها يحيى الجليلى ، الذى كان مقيما فى حلب بعد أن طردته الدولة العثمانية من ولاية الموصل ، والذى كان يتحين الفرصة المواتية لكى يعود الى ولايته ، وعند وصول ابراهيم باشا الى الشام انتهز الجليلى تلك المناسبة ليشن هجوما قويا على الموصل ويستولى عليها باسم حكومة محمد على ، فى الوقت الذى قام فيه صفوق الجربا - شيخ عشائر شمر الجربا بخلع طاعة الدولة العثمانية والانضمام الى محمد على ، عندها كانت السعادة تغمر ابراهيم باشا ، الذى بدأ فى ارسال كتبه ومندوبيه الى كبريات المدن العراقية فى بغداد ، والبصرة ، وكربلاء والنجف والزبير لكى يكسبهم الى جانبه . (٣) .

1- Document : (I.O.R.)L/p,s/9/93. p.p.340-342.

2- Document ; F.O.78/247. p.113.

Document : (I.O.R.)L/p,s/9/96. No.4 p.392.

(٣) د . عبدالعزيز نوار : تاريخ العراق الحديث... ، ص ١٨٣-١٩٦ .

، د . عبدالعزيز نوار : المصالح البريطانية فى أنهار العراق ، ص١٦ ، ٣٨ .

سعت الدول الأوروبية لايقاف محمد على من تنفيذ سياسته التوسعية التى بدأت تهدد الدولة العثمانية ،والتى ستضع تلك الدول فى موقف حرج تجاه هذا الوضع الجديد الذى ستعيشه الدولة العثمانية ، وكانت بريطانيا فى مقدمة تلك الدول ، لأن حروب محمد على فى الشام ستجعله يتحكم فى مفتاح طرقها التجارية المتجهة الى الهند ، وهذا ما عبر عنه ورى Werry القنصل البريطانى فى حلب ،فى رسالته التى بعثها الى كامبل Campbell فى مصر حين قال : " ان ابراهيم باشا يفكر فى انشاء ٣٠ مركبا على بحيرة أنطاكية لينزلها نهر الفرات ، لغزو بغداد (١)" ، كما وأن معاهدة كوتاهية - الهدنة المسلحة - سنة ١٢٤٨هـ/١٨٣٣م ، قد أعطت محمد على الفرصة لكى يتحرك الى الجزيرة العربية ويسيطر على مداخل البحر الأحمر وموانئه الهامة ، وهذا ما أشار اليه هنرى دودويل H.Dodwell من" أن هدف محمد على من فتوحه فى جزيرة العرب بعد سنة ١٨٣٥م كان الوصول الى البصرة وبغداد (٢)".

ولعلنا نتساءل هنا عن عدم اقدام محمد على باشا على غزو العراق من طريق الشام ، لاسيما وأنه قد بدأ فى فرض سيطرة حكومته على معظم المدن الشامية ، وابنه ابراهيم باشا هو قائد تلك الجيوش المتمركزة فى

---

(١) د . لطيفة محمد سالم : الحكم المصرى فى الشام ١٨٣١-١٨٤١م ، ص ٦٠ .
(٢) د . فاروق عثمان أباظه : عدن والسياسة البريطانية فى البحر الأحمر ١٨٣٩-١٩١٨م ، ص ١١٩ .

ولاية الشام ، لكن معرفة السياسة التي اتبعتها الادارة المصرية في الشام تعطي جوابا مقنعا لتلك التساؤلات ، فقد بدأ الاشمئزاز من حكومة محمد علي في الشام منذ سنة ١٢٥٠هـ/١٨٣٢م ، حين أصدر أوامره الى ابنه ابراهيم باشا باحتكار أصناف الحرير للحكومة ، وفرض ضريبة جديدة على الأهالي (١) ، ورغم أن تلك الضريبة كانت متباينة بتباين قوى الأفراد المالية ، الا أنها قد فرضت على المسلمين والنصارى على حد سواء ، مما أثار موجات السخط والغضب في مختلف طبقات الأهالي في الشام(٢) ، فقد كانت أقل ضريبة شخصية للفرد خمسة عشر قرشا ، وأكثرها خمسمائة قرش (٣) ، كما سنت الحكومة المصرية في الشام نظام التجنيد الاجباري على الأهالي وهو ما لم يكن معروفا لدى الشاميين ،ويروى لنا أحد المؤرخين المعاصرين كيفية سن هذا النظام وأصداءه ،في أهالي الشام حيث يقول : " شعرت الدولة الحاكمة -يعني حكومة محمد علي -بحرج مركزها ،.. فرأت نفوذها انما تحفظه القدرة الدافعة ، فسنت نظاما على الأهالي في الخدمة العسكرية ، ولم تحدد مدة الخدمة ، وبدأت تجند من الشعب من تجده صالحا للجندية ، ولم ترع حرمة الكبير ولا الصغير ، فساقت المثرى قبل الفقير ، ورفضت أن

---

(١) محمد كرد علي : خطط الشام ،ج ٣ ، ص ٦٢ .

(٢) سهيل زكار : بلاد الشام في القرن ١٩ ، دراسة وتحقيق " مشهد العيان بحوادث سوريا ولبنان " د . ميخائيل مشاقه ،ص ١٦٤ .

(٣) محمد كرد علي : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٥٨ .

تأخذ بدلا من الخدمة ،فازداد حنق الأهالى عليها ،لأنهم ظنوا الخدمة تدوم ما داموا أحياء ، فهاجروا التماسا للتخلص من هذا العبء"(١).

ثم زاد حنق الأهالى على حكومة الباشا فى الشام حين أقدم على نزع السلاح منهم ، وهم فى مجتمع يرى أن الوسيلة الأولى لحماية الفرد وأمنه هى بندقيته (٢) ، وحمل السلاح فى ذلك المجتمع يعد من المقومات الأساسية للرجولة ،اضافة الى ذلك فان ابراهيم باشا كان يحشد الناس لبناء الثكنة العسكرية بطريقة السخرة ،مما حدا بالأهالى الى الفرار الى رؤوس الجبال والأودية ،وأحيانا يلجئون الى تشويه أنفسهم بخلع احدى عيونهم أو قطع أصابعهم ليعفوا من الخدمة العسكرية(٣).

كل تلك التشريعات والنظم التى بدأت حكومة محمد على فى الشام فى فرضها على الأهالى أدت الى تجدد الثورات والاضطرابات بصورة شبه مستمرة فى أنحاء متفرقة من الشام ، فهى لم تكد تقف هنا حتى تقوم هناك (٤)، مما جعل الادارة المصرية فى الشام تعيش فترة استنفار عسكرى شبه دائم وبالتالى تنشغل عن التفكير الجدى فى غزو العراق عن طريق الشام ، رغم أن محمد على قد أكد للقنصل البريطانى فى القاهرة الكولونيل Campbell

(١) سهيل زكار: بلاد الشام فى القرن ١٩ ،دراسة وتحقيق "مشهد العيان بحوادث سوريا ولبنان" ،د. ميخائيل مشاقة ،ص ١٦٩ .
(٢) جورج أنطونيوس : يقظة العرب ،ص ٩٢ .
(٣) محمد كرد على : خطط الشام ،ج ٣ ، ص ٦٠ .
(٤) محمد شفيق غربال : منهاج مفصل لدروس العوامل التاريخية فى بناء الأمة العربية على ما هى عليه اليوم .. ،ص ٩٧ . ، سهيل زكار : المرجع السابق ، ص ١٦٥-١٨٠ .

فى شهر شعبان سنة ١٢٤٩ هـ ، ديسمبر ١٨٣٣م ، أنه حريص على توطيد الدعائم بين سوريا والعراق ، وهو يعبر بذلك من طموحاته فى العراق عن طريق الشام(١) .

عندما تمكن محمد على من اعادة سيطرته على أجزاء شبه الجزيرة العربية ، وتمكنت قواته التى يقودها خورشيد باشا من بسط نفوذ الباشا على نجد والأحساء والبحرين ، لم تكن العراق الا هدفا فى ذهن الباشا يحاول الوصول اليه عن طريق الجزيرة العربية ، وهذا ما أكده الكابتن جيمس ماكنزى James Mackenzie فى تقريره المؤرخ فى التاسع والعشرين من شهر رمضان سنة ١٢٥٢هـ ، السادس من يناير سنة ١٨٣٧م ، والذى قدمه الى وزارة الخارجية البريطانية ، وأشار من خلاله الى " أنه اتضح له من محادثاته مع كبار الضباط فى جيش محمد على أن خطة الباشا قائمة على أساس أنه فور الانتهاء من ثورة عسير ، فان الجيوش سوف تواصل تحركاتها للاستيلاء على عدن ، وبعدها حضرموت ثم مسقط وعمان ، وبعد ذلك يصبح أمر غزو البصرة وبقية العراق أمرا ميسورا "(٢) ، وفى ربيع الأول سنة ١٢٥٣هـ الموافق للأول من يونيو سنة ١٨٣٧م ، كتب ماكنزى Mackenzie

---

1- Document : F.O.78/228, 60952. No.72.

(٢) د . عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية .. ، ص ٣٧٨ .
، د . جاد طه : سياسة بريطانيا فى جنوب اليمن ، ص ٦٣ .

رسالة أخرى الى وزارة الخارجية البريطانية ، أكد فيها ما سبق له أن أشار اليه فى رسالته السابقة حيال أهداف وطموحات محمد على فى البصرة وبغداد . (١)

عندما أدرك محمد على وقائده فى الجزيرة العربية أن والى العراق كان يحيك له الدسائس فى شبه الجزيرة العربية ، وأن الامام فيصل بن تركى على اتصال مع هذا الوالى (٢) ، زاد استحواذ مشروع غزو العراق على أفكار الباشا وقائده ولا سيما وأن محمد أغا "تركجه بيلمز" الذى ثار على محمد على فى الحجاز ابان اشتعال حرب الشام الأولى ، والذى هرب على سفينة بريطانية الى الهند ، قد أصبح مسئولا عسكريا فى البصرة ، " حيث شغل فيها منصب سر عسكر ، أو قبودان باشا - حاكما على البحر والبر - على السفن الموجودة بالبصرة " ، مما يعنى أن تلك النواحى قد أصبحت تمثل مركزا مناهضا لنفوذ محمد على فى شبه الجزيرة العربية(٣) ، وهذا ما تمثل فى سلوك خورشيد باشا عندما رفض التعاون مع الامام فيصل بن تركى ، حينما علم باتصاله مع على رضا والى بغداد ، لخشيته من أن يثمر هذا التعاون بين الامام والوالى الى عرقلة أهدافه وطموحاته فى العراق ، بل بالأصح أهداف وطموحات محمد على باشا . (٤)

---

(١) نقلا من مجلة الدارة عدد ٢ السنة الأولى ، ص ١٨٤ .

(٢) Document : F.O.78/3185.P.P. 22-32.
وثيقة رقم ٣٣ أصلى ، ٦٦ حمراء ، محفظة ٢٦٤ عابدين ، محافظ الحجاز رقم - ٥ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .

(٣) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ... ، ص ٣٧٧

(٤) د . فائق حمدى طهبوب : تاريخ البحرين السياسى ١٧٨٣-١٨٧٠ م ، ص ١٧٨

كان أول اتصال يتم بين قائد قوات محمد علي في شبه الجزيرة العربية خورشيد باشا وأهل العراق هو اتصاله بأعداء السعوديين من آل عريعر، والذين كانوا يقيمون في العراق ، حين عين محمد بن عريعر أميرا على الأحساء ، لكي يفتح له جبهة خلفية على قوات الامام فيصل قبل التقائه معه في المعركة النهائية (١) ، وحينما تمكنت قوات خورشيد باشا من الوصول الى الأحساء سارع القائد المصري "بارسال وفود الى شيخي الكويت والبحرين يخطرهما بتقدم جيوشه ، ويطالبهما بتقديم ما يحتاجه الجيش من تموين عند وصوله الى ساحل الخليج (٢) " ، مما يجعلنا نقرر هنا بأن تركيز محمد علي لنشاطه حول البحرين بعد استقراره في الأحساء ناتج من قناعته بأن البحرين تعد من أبرز المواقع الاستراتيجية التي تمكنه من ميزة التحرك السريع في الاتجاه الذي يريد التحرك اليه ، سواء باتجاه امارات الساحل العماني في جنوب الخليج العربي ، أم في اتجاه البصرة وبغداد في العراق شمال الخليج العربي (٣) ، وهذا ما تضمنه البند الثالث من بنود المعاهدة التي أبرمها محمد رفعت أفندي وكيل خورشيد باشا مع الشيخ عبدالله بن أحمد شيخ البحرين (٤) .

---

(١) د . عبدالعزيز نوار: تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا الى نهاية حكم مدحت باشا ، ص ١١٤ .

(٢) جون . ب . كيلي : بريطانيا والخليج ١٧٩٥-١٨٧٠م ، ج ١ ، ص ٥٢٤ .

3- Document :(I.O.R.) L/p,s/9/110. No.14.P.425.

، د . بدرالدين عباس الخصوصي : دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر ، ج ١ ، ص ١٢٥ .

(٤) د . أحمد مصطفى أبو حاكمه : تاريخ الكويت ، القسم الأول ، ج ٢ ، ص ١٢٨ .

وعند ما كان خورشيد باشا ملقيا باللوم على حكومة بغداد لاغرائها شيخ البحرين بعدم الانضواء تحت مظلة حكومة محمد على [١] ، فانه كان يرقب تحركات قبائل المنتفق فى جنوب العراق التى بدا له أنها تستعد لمهاجمة قواته فى الجزيرة العربية ، لا سيما وأن قبائل العراق الشمالية بدأت فى مهاجمة الحدود السورية فى الشام [٢] ، وهذا ناتج دون شك من ادراك سلطات الدولة العثمانية لأهداف محمد على فى تحركاته الأخيرة التى يرمى من ورائها الى الاطباق على العراق من طريق تلك القوات المصرية المرابطة فى بلاد الشام من ناحية الشمال ، وقوات شبه الجزيرة العربية من ناحية الجنوب [٣] ، ولقد ظهر ذلك واضحا فى الطلبات التى أرسلها تركجه بيلمز الى على رضا عند ما كان فى الموصل حين طلب منه "أن يبعث له بوجه السرعة عسكرا وأسلحة وجبه خانة بقدر ما يكفى للمحافظة على البصرة ... والوقوف فى وجه الغزو المرتقب [٤] ، ويقصد به غزو خورشيد باشا .

---

(١) وثيقة رقم ٧ أصلية ، و ٥٠ حمراء ، محفظة ٢٦٧ عابدين ، محافظ الحجاز رقم - ٧ - ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .

(٢) د . أحمد مصطفى أبو حاكمه : تاريخ الكويت ، القسم الأول ، ج ٢ ، ص ٤٣ .

(٣) د . بدر الدين عباس الخصوصى : دراسات فى تاريخ الخليج العربى الحديث والمعاصر ، ج ١ ، ص ١٢٩ .

، د . فؤاد سعيد العابد : سياسة بريطانيا فى الخليج العربى .. ، ص ١٢٥ .

(٤) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ... ، ص ٣٨٤ .

وعلى أية حال فان ضم العراق الى حكومة محمد على قد أصبح ضرورة لا بد من تحقيقها خاصة بعد ما تمركزت قواته على السواحل الشرقية للجزيرة العربية ، اضافة الى وجود قواته المتمركزة فى الشام ،وهذا ما كان يدركه خورشيد باشا ، الذى كان احتلاله للبحرين بمثابة تعبير واضح لاتخاذها قاعدة لشن هجومه على البصرة منها ، واستخدام السفن التابعة لآل خليفة فى نقل قواته من البحرين الى الأطراف الجنوبية من العراق (١) ، لا سيما وأنه قد بعث بمندوبيه الى كل من الكويت والمحمرة بحجة الحصول على الامدادات والمؤن اللازمة لجيشه (٢) الا أن المصادر التاريخية ومجريات الأحداث تؤكد أن مهمة هؤلاء المندوبين وبالذات مندوبه فى الكويت هى مهمة سياسية فى المقام الأول (٣) ، وأن وجود هذا المندوب فى الكويت انما هو لجمع الاخبار من المنطقة عامة والعراق خاصة ، لا سيما وأن الكويت فى نظر الباشا تستطيع أن تلعب دورا كبيرا فى تلك المهمة ،نظرا لموقعها المتوسط ، ووجود ارتباطات عائلية بين سكان الكويت وسكان الزبير

---

(١) جون .ب. كيلى : بريطانيا والخليج ... ، ج ١ ،ص ٥٣٢ .
،د . عبدالحميد البطريق : محمد على ومشروع غزو العراق ، مجلة كلية الآداب ، الجامعة الأردنية عدد ١ ، يناير ١٩٦٩م ،ص ٥٣ .

(٢) د . محمد عرابى نخلة : تاريخ الأحساء السياسى .. ، ص ٩٣ .

(٣) ج .ج . لوريمر : دليل الخليج ،القسم التاريخى ،ج ٣ ،ص ١٥١٣-١٥١٤ .
،د . أحمد حسن جوده : المصالح البريطانية فى الكويت... ص ٣٤ .

والبصـــرة(١) .

لقد لقى مندوب خورشيد باشا لدى شيخ الكويت كل ترحيب وتعاون ، واستطاع من هناك أن يرسل عدة قوارب محملة بالشعير الى القطيف كامدادات للقوات المصرية المتواجدة هناك ، اضافة الى تمكنه من جمع المعلومات والأخبار التى ستساعد خورشيد باشا فى غزو العراق ، كما أنه نتيجة لهذه المكانـة المتميزة التى يحتلها المندوب المصرى لدى شيخ الكويت وصلت الى القـوات المصرية فى القطيف الشحنة الوحيدة من الذخيرة والعتاد على سفينة كويتيـة من ميناء الحديدة على البحر الأحمر وذلك فى شهر رمضان سنـة ١٢٥٥هـ الموافق نوفمبر سنة ١٨٣٩م(٢) ، اضافة الى قيام شيخ الكويت بالتعاون مـع خورشيد باشا ومؤيديه من عناصر القوات العثمانية فى العراق التى تريـد الانضمام الى حكومة محمد على ، حيث قام بنقل بعض الكتائب العثمانيـة على سفينة البحرية لتنضم الى المصريين (٣) .

رغم أن السلطات البريطانية قد أبدت قلقها حيال تحركات خورشيـد باشا فى شمال الخليج ، وأنها بعثت بمساعد المقيم البريطانى فى الخليـج

---

(١) د . أحمد مصطفى أبو حاكمة : تاريخ الكويت ، القسم الأول ، ج ٢ ، ص ١٤٦-١٤٧ .

(٢) ج . ج . لوريمر : دليل الخليج ، القسم التاريخى ، ج ٣ ، ص ١٥١٣-١٥١٤ .
، نوريه محمد ناصر الصالح : علاقات الكويت السياسية بشرقى الجزيـرة العربية والعراق العثمانى ، ص ٢٢ .

(٣) د . عبدالعزيز نوار : مصر والخليج العربى فى القرن ١٩ ، مجلة الهلال المصرية ، عدد ١١ ، السنة ٧٢ ، ص ١٦٤ .
، أحمد عسه : معجزة فوق الرمال ، ص ٣٨ .

الملازم ادموندز T.Edmunds الى شيخ الكويت فى شهر شوال سنة ١٢٥٥هـ الموافق ٣٠ اكتوبر سنة ١٨٣٩م[١]، لكى يتعرف منه على تحركات خورشيد باشا ومهمة مندوبه هناك ، الا أن التقرير الذى أعده ادموندز Edmunds كان بمثابة تأكيد على أهداف الباشا فى العراق وأن شيخ الكويت راغب فى التمسك بصداقة محمد على (٢) ، مما حدا بالمقيم البريطانى فى الخليج الكابتن هنيل Hennell الى التوجه مرة ثانية الى الكويت فى ربيع الأول سنة ١٢٥٦هـ/ مايو سنة ١٨٤٠م ، لكى يتعرف منه عن نوايا خورشيد باشا بشأن البصرة ، وتحركاته المرتقبة تجاهها ، لا سيما وأن قنصل بريطانيا فى القاهرة كان هو الآخر يؤكد رغبة محمد على فى السيطرة على بغداد ، سواء من طريق سوريا أو الجزيرة العربية(٣) ، الا أن شيخ الكويت أكد للمقيم البريطانى أنه لم يلمس من المبعوثين التابعين للباشا أى احتمال لتحرك مصرى صوب البصرة(٤) .

ولا شك أن محمد على الذى عُرف بالحذر والدهاء السياسى يدرك أهداف البريطانيين ويعرف مواقفهم تجاه تلك المواقع التى لها علاقة بمصالحهم الاقتصادية فى الهند ، مما يعنى أن تقدم جيوشه فى وسط وشرق

---

(١) ج.ج. لوريمر : دليل الخليج ، القسم التاريخى ، جـ ٣ ، ص ١٥١٤ .

(٢) د. بدرالدين عباس الخصوصى : محمد على والخليج العربى ، مجلة كلية الآداب والتربية ، جامعة الكويت ، العدد ٥ ، جماد أول سنة ١٣٩٤هـ ، ص ١١٧ .

3- Document : F.O.78/373, C/A/61064.No.20.P.P.90-91.

(٤) جون .ب. كيلى : بريطانيا والخليج ١٧٩٥ - ١٨٧٠م ج ١ ، ص ٥٥٩ - ٥٦٠ ، د. فؤاد سعيد العابد : سياسة بريطانيا فى الخليج العربى.. ، ص ١٤١ .

الجزيرة العربية ما هو الا لتحقيق أطماعه وطموحاته في العراق الا أنه كان يخفيها من الانجليز ومندوبيهم (1) ، لأنه ما فتئ يتلقى التقارير والأخبار التي تسره ، والتي يسعى بلا شك للحصول عليها من أحوال العراق بشكل عام ، ومدن البصرة وبغداد بشكل خاص ، طوال تلك الفترة التي كانت قواته متواجدة في الجزيرة العربية(2) ، وهذا ما كان يرمي اليه خورشيد باشا من تحركه في الكويت ، وليس ذلك فحسب بل منذ أن وطئت قدماه مدن القصيم قادما من المدينة المنورة ، وهو يعد العدة لترسيخ نفوذ محمد علي باشا في نجد ، والأحساء ومن ثم التقدم نحو البصرة وبغداد (3) ، ولكن وفق سياسة معينة يقف وراءها محمد علي دون ريب .

زاد تحمس خورشيد باشا لتنفيذ فكرة غزو العراق بعد أن أتته الأخبار من عيونه وأنصاره هناك (4) ، أمثال الشيخ حمود بن جسار ، الذي تربطه به صداقة وطيدة منذ أن كان محافظا لمكة المكرمة ، والذي بدأت علاقاته تزداد رسوخا منذ وصول الباشا الى عنيزة ، حيث بدأ في تبادل المراسلات معه ،

(1) وثيقة رقم ١٦٥ حمراء ، محفظة ٢٦٧ عابدين ، محافظ الحجاز رقم ٧ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .

1- Document : F.O.78/374, C/A/61064.

(2) وثيقة رقم ١٧ أصلي ، و ١٦١ حمراء ، محفظة ٢٦٦ عابدين ، محافظ الحجاز رقم -٧- ، دار الوثائق القومية بالقاهرة.

(3) د . أحمد مصطفى أبو حاكمة : تاريخ الكويت ، القسم الأول ، ج٢ ، ص ١٤٥-١٤٦ .

(4) د . عبدالحميد البطريق : محمد علي ومشروع غزو العراق ، مجلة كلية الآداب =

الى أن قدم له الشيخ ابن جسار تقريرا شاملا فى السابع والعشرين من شهر جمادى الأولى سنة ١٢٥٥هـ - أغسطس سنة ١٨٣٩م ، وفيه اشارات واضحة من شخصيات معروفة فى بغداد والبصرة والزبير يؤيدون قدوم الباشا الى تلك النواحى ، ويؤكدون له أنهم هم الذين أوفدوا ابن جسار ليدعو الباشا للقدوم اليهم (١) ، عندها لم يتردد خورشيد باشا فى ارسال خطاب الى محمد على يرجو فيه الموافقة على صدور التعليمات اليه لكى يقوم بغزو العراق ، مؤكدا أهمية تلك النواحى وأهمية السيطرة عليها حيث قال : "... لا يحصل الا الخير وبلوغ المرام خصوصا بهذا الفتح والنصر العمم الذى صار لسعادة سر عسكر باشا ، ولا يخفاكم أن هذا ملكا عظيما يضاهى ملك مصر الآن ، وهو الآن كالحسام الجوهر الذى سقط فى جفين ، فبحسب ظنى أن أخذه واجب غير أنه يلزم الاستحراص والقوة ..." (٢) ، مشيرا فى تلك الرسالة الى أن تنفيذ هذا المشروع لن يحمل الحكومة أعباء كثيرة ، فالأخبار التى جاءته من أنصاره مؤكدة ، والذخيرة والسلاح يمكن الحصول عليها من تلك الجهات بأسعار رخيصة دون الحاجة الى حملها ، ودفع تكاليف ايصالها الى هناك ، ولم ينس الباشا أن يشير الى أنه مدرك هو الآخر لموقف

= الجامعة الأردنية ، عدد ١ ، يناير ١٩٦٩م ، ص ٥٥ .

، د . عبدالعزيز نوار ، مصر والخليج العربى فى القرن ١٩ ، مجلة الهلال المصرية ، عدد ١١ ، السنة ٧٢ ، ص١٦٧ .

(١) صورة المرفق العربى للوثيقة رقم ٤ حمراء ، محفظة ٢٦٧ عابدين ، محافظ الحجاز رقم -٧- ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .

(٢) وثيقة رقم ٤ حمراء ، محفظة ٢٦٧ عابدين ، محافظ الحجاز رقم -٨- ، دار الوثائق القومية ، بالقاهرة .

الانجليز حيال تلك الأهداف حيث قال : " من خصوص الانكليز فانه اذا صار معهم مكالمة من الموجودين بالمحروسة - يعني مصر - وأما الذى بهذه الجهات فلا لنا عليهم تعدى ، كون أن البر فى يدنا ومشانا فى البر فهو أقرب وأسهل ..." (١) .

الا أن تحمس خورشيد باشا ذلك قد جاء فى وقت متأخر نوعا ما ، حيث أصبح الموقف الدولى فى غير صالح محمد على نفسه ، سواء فى الشام أو الجزيرة العربية ، حيث أن معركة نصيبين وما نتج عنها ، ووفاة السلطان محمود الثانى ، قد جعلت الدول الأوروبية وفى مقدمتها بريطانيا صاحبة المصلحة الأولى فى ايقاف محمد على وتوسعاته فى الشام وفى الجزيرة العربية على حد سواء ، جعلتها تلك الأحداث تقف بكل قوة وبمختلف الأساليب السياسية والعسكرية فى وجه تطلعات الباشا وتحركاته ، لترغمه على صرف النظر من ذلك المشروع ، واصدار الأوامر الى خورشيد باشا بالانسحاب من الجزيرة العربية لأن الوقت ليس وقت المصلحة التى يتصورها ذلك القائد والتى يأملها الباشا نفسه . (٢)

---

(١) وثيقة رقم ٤ حمراء ، محفظة ٢٦٧ عابدين ، محافظ الحجاز رقم -٨- ، دار الوثائق القومية ، بالقاهرة .

(٢) ارادة نمرة ٢١ ، محفظة رقم ٢٦٧ عابدين ، محافظ الحجاز رقم -٨- ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .

ورغم أن بعض المؤرخين يعتقدون أن خورشيد باشا "كان يتصرف في العامين الأخيرين - من وجوده في الجزيرة العربية - بمفرده ، دون الرجوع الى أخذ رأى محمد على باشا في تنفيذ الخطط والتعليمات الموكلة اليه (١)" ، وأنه كان يحكم على الأمور على ضوء خبراته بمنطقة الخليج والعراق فقط (٢) ، الا أن الرأى المؤكد الذى ذكره خورشيد باشا في رسائله الى حكومته هو عدم انتظام البريد ومضى زمن طويل يصل الى خمسة أشهر دون أن يحاط بأى معلومات من قبل حكومته مما يجعله يتصرف وفق ما لديه من تعليمات سابقة دون أن يكون لديه العلم بمتغيرات الأحداث وموقف حكومته منها ، وهو يؤكد في رسائله تلك أنه مرتبط بحكومته ومخلص لها ، الا أنه في حاجة الى كل التعليمات التى تطرأ على سياسة حكومته لينهج نهجها ، ويسير وفق سياستها . (٣)

من هنا نستطيع أن نقرر أن خطة محمد على في التحرك نحو البصرة وبغداد والسيطرة على العراق من الجنوب كطريق بديل من السير اليه

---

(١) د . أحمد مصطفى أبو حاكمه : تاريخ الكويت، القسم الأول ، ج ٢ ، ص ١٢٤
(٢) د . عبد العزيز نوار : تاريخ العرب المعاصر - مصر والعراق .. ، ص ٣٩٨ .
(٣) وثيقة رقم ٢ أصلية ، و ٣٧ حمراء ، محفظة ٢٦٧ عابدين ، محافظ الحجاز رقم - ٧ - ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .
، وثيقة رقم ٤ أصلية ، و ٣٨ حمراء ، محفظة ٢٦٧ عابدين ، محافظ الحجاز رقم - ٧ - ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .

من الشام الذى لم يستطع منه التحرك نحو العراق لم تكن وليدة الظروف التي ترتبت على وصول قوات الباشا الى وسط الجزيرة العربية وشرقها كما اعتقد بعض المؤرخين[١] ، وانما هى خطة موضوعة من قبل محمد على ، وحكومته فى القاهرة منذ أن بدأت تلك القوات تتجه الى الجزيرة العربية[٢]، لا سيما وأن أوضاع حكومة الباشا فى الشام لا تساعدها على التحرك من هناك الى العراق ،اضافة الى التحركات البريطانية المتمثلة فى حملة تشزنى Chesney عبر نهر الفرات والتى حاول الباشا تعطيلها بمختلف الأساليب[٣] ، الا أنه فى نهاية الأمر خضع للتهديدات البريطانية ، وبدأ فى تسهيل مهمة تلك الحملة ، وتقديم كل شئ تحتاج اليه ويرضى قائدها[٤]، مستبدلا ذلك الطريق الى العراق بطريق آخر وهو غزوها من الجنوب عن طريق الجزيرة العربية .

---

(١) د . بدرالدين عباس الخصوصي : دراسات فى تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر ، ج ١ ، ص ١٣٣ .

(٢) د . فائق حمدى طهبوب : تاريخ البحرين السياسى ... ، ص ١٧٩ .

(٣) جون .ب .كيلى : بريطانيا والخليج ... ،ج ١ ، ص ٤٨٥-٤٨٦ .
، جورج كيرك : موجز تاريخ الشرق الأوسط ، ص ١٢١

4- Document : F.O.78/257,xC/A/61064.No.26.

، د . عبدالعزيز محمد الشناوى : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها ، ج ٢ ، ص ٧٧٦ .

ومما يؤكد ماذهبنا اليه تلك العلاقات التى حاول محمد على تدعيمها مع شاه ايران ، الذى كان ينوى ايفاد عدد من الشباب الايرانى للدراسة فى القاهرة (١) ، اضافة الى التحركات الايرانية تجاه البصرة وبغداد بعيد مغادرة أحد المبعوثين التابعين لمحمد على ومساعدة من شيخ قبائل المنتفق (٢) ، مما يسهل المجال أمام خورشيد باشا للتحرك من الجنوب باتجاه البصرة والمحمرة وبغداد، والتى ستخضع له دون عناء يذكر ، خوفا من العدوان الايرانى المرتقب ، الذى لا يريده أهالى العراق بأى وجه من الوجوه ، اضافة الى ذلك تلك العلاقات والتأييد الذى يحظى به خورشيد باشا من بعض قبائل وشخصيات جنوب العراق . (٣)

وعلى أية حال فقد كان الساسة البريطانيون وعلى رأسهم وزير الخارجية اللورد بالمرستون Palmerston ، مدركين لأهداف وطموحات محمد على باشا ، حيث ذكر الوزير البريطانى فى رسالته التى بعثها الى قنصل حكومته فى القاهرة فى أواخر عام ١٢٤٨هـ الحادى عشر من مارس سنة ١٨٣٣م ما نصه : " ان خطة محمد على الحقيقيـة ترمى الى تأسيس دولة عربيـة

1- Document : (I.O.R.)L/p,s/9/111.P.P. 695-696.

2- Document : (I.O.R.)L/p,s/9/115. No.26.

(٣) د . محمد عرابى نخلة: تاريخ الأحساء السياسى ... ، ص ٩٧ .
، د . عبدالحميد البطريق : محمد على ومشروع غزو العراق ، مجلة كلية الآداب ، الجامعة الأردنية ، عدد ١ ، يناير سنة ١٩٦٩م ، ص ٥٥ .

تضم جميع البلدان التى يتكلم أهلها العربية"(١) ، من هنا لم يزل بالمرستون Palmerston مستمرا فى جمع المعلومات والتقارير من جميع الساسة البريطانيين فى الخليج والجزيرة العربية ، لكى يكوّن فكرة كاملة عن تطلعات وتحركات الباشا ،الا أنه لم يجد مناً فى وضع سياسة حكومته موضع التنفيذ ليوجه تحذيرا صريحا الى محمد على عن طريق القنصل البريطانى فى القاهرة يؤكد من خلاله " .. أن الحكومة البريطانية لا يمكن أن تنظر بعين اللامبالاة الى تنفيذ مثل هذه الخطط(٢)" ، و "أن الحكومة البريطانية لا يمكنها أن تغض الطرف عن تنفيذ مثل هذه النوايا"(٣) .

سارت الحكومة البريطانية على استراتيجية معينة الى أن تمكنت فى نهاية الأمر من ابعاد محمد على عن مشروع غزو العراق عن طريق الجزيرة العربية ، وبالتالى اقتلاعه من شرق الجزيرة العربية ووسطها وغربها ،وكذلك اقتلاعه من الشام الذى خاض فيه حربين عسكريتين ضد الدولة العثمانية ، وقد انتهجت الحكومة البريطانية فى هذا الموقف أسلوبين مختلفين هما الأسلوب العسكرى ، والأسلوب السياسى ،الى أن توصلت الى ما أرادت وهذا ما سنتحدث عنه فى صفحات لاحقة من هذا البحث .

---

(١) د . حسن أحمد ابراهيم : محمد على فى السودان ، ص٣٧ .

(٢) د . أحمد مصطفى أبو حاكمه : تاريخ الكويت ، القسم الأول ،ج ٢،ص ١٢٠

(٣) بدرالدين عباس الخصوصى : محمد على والخليج العربى ،مجلة كلية الآداب والتربية ، جامعة الكويت ،العدد الخامس ،جمادى الاولى ١٣٩٤هـ ص ١٠٤ .

ويظهر لنا من خلال هذا الاستعراض لخطة محمد على بالنسبة لامتداد نفوذه تجاه البصرة والمحمرة وبغداد ،أن الباشا كان حريصا فى عدم استثارة بريطانيا تجاه تحركاته ، وأنه لم يكن راغبا فى الاصطدام بها لكى يتم مخططاته بهدوء ، دون احتكاك قد يؤدى الى اعاقة تقدمه ،لذلك كان طوال تلك الفترة حريصا على التأكيد للساسة البريطانيين بأنه لن يقوم بأى عمل فى الخليج العربى أو فى العراق يتعارض مع مصالح الحكومة البريطانية وسياستها رغم أن الواقع الذى ينتهجه الباشا كان معاكسا لذلك تماما ، مما يعطى لنا انطباعا خاصا عن شخصية الباشا السياسية ، وما يمتاز به من مكر ودهاء سياسى (١) ، استطاع من خلاله أن يغير من حسابات الساسة الانجليز ويربك مخططاتهم ولو إلى حين ..

---

1 - Document : F.O.78/404. P.99.

رأت الحكومة البريطانية ورأى الساسة البريطانيون أنه من الأجدى ايقاف تحركات محمد على باشا ،التى يقوم بها فى الجزيرة العربية والتى باتت تهدد طرق المواصلات البريطانية ومصالحها الاقتصادية فى الهند ، لاسيما وأن حكومة محمد على فى الشام التى يتزعمها ابنه ابراهيم باشا تسيطر على معظم أقاليم الشام ،وهو من طرق المواصلات الهامة لدرة التاج البريطانى -الهند ، التى تمر بالعراق والخليج العربى ، اضافة الى سيطرة حكومة الباشا على مداخل البحر الاحمر فى غربى الجزيرة العربية ، مما يعطى الانطباع الكامل لدى بريطانيا ورجال السياسة فيها الى أن حكومة محمد على فى مصر " قد أصبحت تسيطر على الطرق المؤدية الى الهند " مع ادراكهم الى أن نظام الاحتكار الذى يطبقه الباشا يتعارض بشكل مباشر مع مصالح بريطانيا الاقتصادية . (١)

لقد ظهر الفزع البريطانى حيال هذا الخطر الجديد فى العالم العربى على تصرفات وأساليب الساسة الانجليز ،وأرائهم المختلفة التى بدأوا فى تداولها ،وطرح الحلول التى يرون أنها كفيلة بالقضاء على هذه الدولة الجديدة وما قد تسببه من أخطار جسيمة على المصالح البريطانية وكان كل من هؤلاء الساسة البريطانيين يدلى بالرأى الذى يرتآيه ويعتقد أنه أنجح علاج لهذا الخطر، وكل منهم يرى الحل الأمثل

---

(١) د . جلال يحيى : المجمل فى تاريخ مصر الحديثة ، ص ٢٣٨ .

لتلك المشكلة من واقعمايشته للأحداث ، وموقعه من مكان حدوثها ، و قد خصصنا هذا الجزء من البحث لتلك الفترة من الحوار البريطانى حـــول الحرب أم الدبلوماسية ، فى كيفية ايقافهذا الخطر المتمثل فى تحركات محمد على فى الجزيرة العربية ،لا سيما وأن أصحاب الحوار هذا هـــم أقطاب السياسة الخارجية فى بريطانيا فى تلك الفترة ،بدءا من وزير الخارجية اللورد بالمرستون Lord Palmerston ،وسفير حكومته فى الأستانـــة وقناصلها فى القاهرة وبغداد والخليج العربى ، اضافة الى حاكم بومباى الذى أدلى بدلوه هو الآخر فى تلك الأحداث والحوار الدائر حولها .

رغم أن وزير خارجية بريطانيا اللورد بالمرستون Palmerston كان يكتفى فى بداية حرب الشام الأولى باحالة التقارير التى تصله من تحركات محمد على الى مجلس الهند ، الا أن التقرير الذى بعثه السفير البريطانـى فى الأستانة ستراتفورد كاننج Stratford Canning والذى طالب فيـــه بشن هجوم فورى على مصر ، لايقاف ذلك الخطر ، لأن مصالح بريطانيـــا التجارية باتت مهددة من جراء تلك الحرب التى يقوم بها محمد على ضـــد الدولة العثمانية فى الشام(١) ، وما اضافه هنرى أليس على هذا التقريـــر من ملاحظات هامة بعثها الى بالمرستون Palmerston فى شهر شعبـان سنة ١٢٤٨هـ الموافق للأسبوع الأول من يناير سنة ١٨٣٣م ، قد تـــركت

---

(١) جون ب.كيلى : بريطانيا والخليج ... ،ج١ ،ص ٤٦٧-٤٦٨ .

انطباعاً قوياً على الوزير البريطاني ،تمثل في رسالته الى اللورد جرانفيل والتى قال فيها : "... ينبغى ارغام محمد على باشا بحصر نفوذه فى مصر فقط ، لأن احتلال سوريا سوف يؤدى بالضرورة الى احتلال بغداد ، واقامة دولة واحدة من مصر وسوريا والعراق بزعامة محمد على باشا لن تفيد بريطانيا فى شئ "(١) ، وكأنه بذلك قد آمن بملاحظات هنرى أليس التى قال فيها : " أنه ليس من مصلحة الدولة الأوروبية الحاكمة فى الهند أن تقوم على أرض الفرات دولة اسلامية قوية ،.. كما أن أية دولة تنشأ فى هذه المنطقة سوف يمتد نفوذها بلاأدنى شك الى جميع أقطار شبه الجزيرة العربية وقد تصبح فى مدى قصير دولة بحرية هامة ، وان عدم وجود دولة كهذه فى الوقت الحاضر لهو خير ضامن ضد غزو الهند ..."(٢) .

ولعل القنصل البريطانى فى بغداد الكولونيل تايلور Rubert Taylor كان يسير فى نفس المنهج الذى تسير عليه حكومته ، حين بدأ فى اظهار كثير من الملاحظات التى تخدم المصلحة البريطانية فى خطابه الموجه للقنصل البريطانى فى سورية(٣) ، وكأن بريطانيا قد بدأت منذ انتصار

---

(١) جون ب.كيلى : بريطانيا والخليج ... ، ج ١ ، ص ٤٧١ .

(٢) جون ب.كيلى : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٤٧٠ .

3- Document: (I.O.R.) L/p,s/9/93. P.P. 344-345.

محمد علي في حروب الشام الأولى في السير وفق استراتيجية معينة، للوقوف أمام طموحات وأهداف الباشا التي ستهدد المصالح الاقتصادية للحكومة البريطانية في الهند والطرق المؤدية اليها ، وقد أوضح اللورد بالمرستون Palmerston سياسة حكومته تلك في رسالة بعثها الى الكولونيل كامبل Campbell في شهر رمضان سنة ١٢٤٨هـ المصادف لشهر فبراير سنة ١٨٣٣م ، مشيرا فيها الى أن حكومته مهتمة بالمحافظة على كيان الدولة العثمانية ، لأن بقاءها يعتبر عاملا رئيسيا في بقاء التوازن الدولي في أوروبا ، ويضمن للحكومة البريطانية سلامة الطرق التجارية الموصلة الى الهند (١) .

سارت جنبا الى جنب أعمال المسح والمراقبة على أيدي رجال البحرية الهندية في الخليج العربي مع المراقبة وجمع المعلومات التي يقوم بها القنصل البريطاني في مصر في تتبع حركات الباشا وتدوين التقارير عن أهدافه وطموحاته ، وكذلك عن أساليبه في الادارة والحكم.(٢)

وعندما قامت ثورة الجند الغير نظاميين في الحجاز بقيادة محمد أغا

---

(١) د . محمد فؤاد شكري : مصر والسودان - تاريخ وحدة وادي النيل السياسية في القرن ١٩ ، ص ١٤ .
، د . محمد فؤاد شكري وآخرون : بناء دولة مصر محمد علي "السياسة الداخلية" ، ص ٧٤٩ .

2- Document : F.O. 78/227 ; 60952. No. 9.
، ج . ج . لوريمر : دليل الخليج ، القسم التاريخي ، ج ١ ، ص ٣٢٢ .

"تركجه بيلمز" ، أخذ الانجليز يتتبعون أنباءها بصورة مباشرة ، لدرجة أن محمد على قد أدرك هذا الحرص من الانجليز، فأرسل فى طلب القنصل البريطانى فى القاهرة ، وأبلغه أن تفاقم أمر هؤلاء المتمردين سيعرض المصالح التجارية البريطانية فى البحر الأحمر للخطر ، وأن ارساله قوات الى اليمن لكبح جماح الثوار سيضفى نوعا من الأمن والاستقرار على الاقليم لينعكس بالتالى على سلامة السفن والتجارة البريطانية. (١)

ورغم أن القنصل البريطانى كامبل Campbell ، كان قد أكد لوزير خارجيته فى رسالة بعثها فى شهر ذو القعدة سنة ١٢٤٨هـ ، ابريل سنة ١٨٣٣م ، الى أن تركجه بيلمز قد قام بثورته تلك اعتقادا منه بقرب نهاية حكم محمد على فى الجزيرة العربية ، مفترضا أن الباشا سيهزم فى الشام بواسطة الدولة العثمانية(٢) ، الا أن مقابلة كامبل تلك لمحمد على قد جعلته يؤيد ارسال حملة مصرية لليمن لكبح جماح المتمردين لاعتقاده بأن ذلك سيعود بالمصلحة الاقتصادية المباشرة على بريطانيا (٣) ، ولعل تلك الحملة المصرية وما صاحبها من اقتناع القنصل البريطانى فى

---

(١) د. عبدالحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث ١٥١٧ - ١٨٤٠م ، ص ٧١-٧٢.

(٢) د. فاروق عثمان أباظه : عدن والسياسة البريطانية فى البحر الأحمر... ، ص ١١٣-١١٤.

(٣) 3-Document : F.O. 78/227; 60952. No. 10.

مصر ، وحكومة الهند البريطانية في ارسالها ، قد جاءت في وقت كانت الآراء السائدة بين الساسة الانجليز متفائلة نوعا ما ، في امكانية الاستفادة من قوات محمد علي باشا سواء في الشام أم في البحر الأحمر ، حيث أشار الى ذلك اللورد بونسنباى Lord, Ponsonby في رسالته الى قنصل بريطانيا في مصر الكولونيل كامبل Campbell في ربيع الثاني سنة ١٢٤٩هـ الموافق للحادى والثلاثين من أغسطس سنة ١٨٣٣م [١] ، ورسالته الى اللورد بالمرستون Palmerston في جمادى الأولى سنة ١٢٤٩هـ الموافق السادس عشر من سبتمبر سنة ١٨٣٣م [٢] ، واللتين تطرق فيهما الى امكانية الاستفادة من جيوش محمد علي في الشام للوقوف ضد الخطر الروسي الذى يهدد طرق المواصلات البريطانية الى الهند .

وقد وافق القنصل البريطاني في مصر الكولونيل كامبل Campbell زميله في الأستانة الرأى ، وأشار في رسالة بعثها الى بالمرستون Palmerston في جمادى الثاني سنة ١٢٤٩هـ ، السابع والعشرين من أكتوبر سنة ١٨٣٣م الى أنه يجب ترك البحر الأحمر وموانئه المهمة تحت سيطرة محمد علي لأنه بحكم وضعه في مصر يسيطر على الساحل الغربي للبحر الأحمر ، وباخماد ثورة المتمردين في الحجاز سيصبح الباشا مسيطرا على الساحل الشرقي للبحر الاحمر أيضا ، مما يسهل حركة

1- Document : F.O. 78/228; 60952.

2- Document : F.O. 78/224;61070 .No. 57.

التجارة البريطانية الى الهند مع هذا الشريان المائى الهام، لا سيما وأن الباشا قد أقنع كامبل أنه حريصا على المحافظة على صداقته مع الانجليز، أصحاب النفوذ البحرى الكبير فى البحرين الأبيض المتوسط والأحمر (١)، ثم عاد القنصل البريطانى وأكد وجهة نظره تلك فى رسالة بعثها الى بونسنباى Ponsonby فى ربيع الثانى سنة ١٢٥٠هـ الموافق للحادى والعشرين من أغسطس سنة ١٨٣٤ م، وأنه بالامكان اعطاء بعض المساعدة للباشا كى يسيطر على بغداد، ليصبح حائلا دون الخطر الروسى الذى بدأ يهدد جوانب مختلفة من آسيا كما يقول (٢).

حتى أن هنرى أليس قد تطرق فى تقريره سالف الذكر الى الآراء التى كان ينادى بها محمد على، والتى يحاول من خلالها عدم اثارة بريطانيا، واقناعها بأن امتداد سلطته خارج مصر فى مصلحة بريطانيا ومصلحته فى آن واحد، حيث قال: " ان قيام دولة اسلامية تسعى الى اكتساب خبرة الدول الأربعة فيما يختص بالتجارة والسلاح، ويشمل نفوذها سوريا وبلاد ما بين النهرين، وتتمتع بامكانيات بلد كمصر، سوف يضع حداً للأطماع الروسية فى الأقاليم الآسيوية للباب العالى، وبانشاء هذه الدولة ويكون بها علاقات للدفاع المشترك مع حكومة الشاه سيجعل فى مقدورها أن تقدم مساعدات فعالة لشاه فارس ضد الاعتداءات الروسية، وبالتالى

1- Document : F.O. 78/228; 60952. No. 62.

2- Document : F.O. 78/246, 61070. No. 42.

تحبط خططها لغزو الهند ،والخلاصة أنه لو نفذت خطة محمد علي باشا فسوف يتمخض منها قيام حلف رباعي يضم السلطان التركي أولا ،والوالي الجديد لمصر وسوريا والعراق ثانيا ، وشاه فارس ثالثا والحكومة البريطانية بوصفها الدولة المسيطرة على الهند رابعا ، وذلك بهدف اقامة دفاع مشترك في الأقطار الآسيوية الخاضعة لهم ضد روسيا (١)".

غير أن اللورد بالمرستون Palmerston وزير خارجية بريطانيا ، الذي بات يكن العداء لمحمد علي ،لاعتقاده بأن الباشا قد بدأ يشكل خطرا متزايدا على الأمن الأوروبي في حروبه الأولى ضد الدولة العثمانية ، والتي أنتجت معاهدة انكيار سكليسي Unkiar-Skelessi ،اضافة الى تهديده المباشر للطريقين الرئيسيين للمواصلات التجارية البريطانية الى الهند ،عبر البحر الأحمر والخليج العربي ، لم يؤيد تلك الأفكار والآراء التي ذهب اليها الساسة البريطانيون حول امكانية الاستفادة من جيوش محمد علي سواء في الشام أم البحر الأحمر (٢).

كان المقيم البريطاني في بغداد العقيد .ر.تايلور Taylor مؤيدا لأفكار بالمرستون Palmerston في ضرورة التصدي لمشروعات

---

(١) جون .ب. كيلي : بريطانيا والخليج ١٧٩٥-١٨٧٠م ،ج١ ،ص ٤٦٩

(٢) د .عبدالعزيز عبدالغني ابراهيم : علاقة ساحل عمان ببريطانيا - دراسة وثائقية ، ص ٢٧٨.

، د .عبدالعزيز نوار : تاريخ العراق الحديث ... ، ص ٢٠٢.

محمد على باشا التى يزمع القيام بها فى العراق وشبه الجزيرة العربية ، حتى أنه كان يرى من الضرورة بمكان أن تقوم بريطانيا باستخدام شـــئ من القوة المسلحة لا حتلال بعض المواقع فى القسم الأدنى من الفـــرات لايقاف التغلغل الروسى والمصرى على حد سواء ، حين أشار الى ذلك فى رسالته الموجهة الى السكرتير العام لحكومة بومباى فى جمادى الثانى سنة ١٢٥٠هـ الموافق للعاشر من أكتوبر سنة ١٨٣٤م.(١)

كانت التقارير التى تعد من قناصل بريطانيا فى الشرق والتى تؤكد عزم الباشا على غزو العراق ، وما تبع ذلك من تلميحات أفضـــى بها محمد على الى قناصل الدول الأوروبية فى الاسكندرية عن رغبتـــه فى اعلان الانفصال عن الباب العالى(٢) ، كفيلة باثارة وزير خارجيـــة بريطانيا ليقوم بتوجيه تحذيراته الى محمد على بعدم التفكير فى مثـــل هذا المشروع الخطـير ، الذى لن تقف أمامه بريطانيا مكتوفة اليدين .

ولم تكن ردة الفعـل ازاء تحركات الباشا فى الشام والجزيرة العربية لتظهر على وزير خارجية بريطانيا وقناصله المعتمدين فى الشرق فحسب ، بـل تعدت ذلك لتصل الى الملك وليم الرابع الذى بدأ فى اظهار اهتمامه

1-Document : (I.O.R.) L/p, s/9/97.No.67.P.P.358-360.

2-Document: F.O.78/247. P.P. 109-110.

، د . عبدالحميد البطريق : محمد على ومشروع غزو العراق ، مجلة كلية الآداب ، الجامعة الأردنية ، العدد الأول يناير سنة ١٩٦٩م ص ٥٦-٥٧ .

ورجال حكومته بما يجرى من أحداث وتطورات كثيرة على سواحل شبه الجزيرة العربية(١) ، ليهتدى رجال الحكومة البريطانية بعد ذلك الى وضع خططهم السياسية المتمثلة فى ايجاد مصالح تجارية لهم فى أنهار العراق ، لكى تستخدم للملاحة التجارية فى الظاهر، وتنفذ مخططاتهم العسكرية والدبلوماسية فى واقع الأمر(٢) ، دون أن يثيروا انتباه أيا من الدول الأوروبية المتنافسة على المنطقة ، وكذلك الدولة العثمانية صاحبة الشرعية فيها والتى طُلِبَ منها اصدار فرمان سلطانى بالسماح للبعثة التى يرأسها رودسن شيزنى Rowdson Chesney بمزاولة أعمالها فى تلك الأنهار.

عندما كان الباب العالى مترددا فى اصدار فرمان يسمح لبريطانيا بحق الملاحة فى أنهار العراق ، كانت السفارة الروسية فى الأستانة تبذل مساعيها الحثيثة للحيلولة دون اصدار هذا الفرمان (٣)، بينما كانت السلطات المصرية فى الشام تعترض على تفريغ أجزاء الباخرتين اللتين سيتم استعمالهما فى نهر الفرات(٤) ، مما أثار الغضب فى نفس

---

(١) جون .ب.كيلى : بريطانيا والخليج .. ،ج ١ ، ص ٤٠٧-٤٠٨ .

(٢) د .عبدالعزيز نوار: تاريخ العراق الحديث... ، ص ٢٠٣-٢٠٤ .

(٣) د .عبدالعزيزمحمد الشناوى :الدولة العثمانية دولة اسلامية.. ، ج ٢ ، ص ٧٧٦ .

(٤) د . لطيفة محمد سالم : الحكم المصرى فى الشام... ، ص ٦٠-٦١ ، د . رأفت الشيخ : فى تاريخ العرب الحديث ، ص ٣٠٨ .

اللورد بالمرستون Palmerston الذى بات يفكر فى فرض حصار بحرى على الاسكندرية لارغام محمد على على تغيير موقفه تجاه حملة الفرات ، الا أن وصول أنباء من القنصل البريطانى فى القاهرة من خضوع الباشا للتهديدات البريطانية ، واصدار تعليماته الى ولده فى الشام لتقديم المساعدة لتلك الحملة ، قد خفف من غضب الوزير البريطانى وجعله يغير موقفه العسكرى تجاه حصار الاسكندرية (١) ، لا سيما وأنه قد حصل من الباب العالى على فرمان بحق الملاحة فى أنهار العراق فى شهر شعبان سنة ١٢٥٠هـ - ديسمبر سنة ١٨٣٤م (٢) ، وأخضع محمد على لتنفيذ هذا الفرمان وتقديم المساعدة لرجال البعثة البحرية البريطانية وتسهيل الطرق أمامها لانجاح مهمتها ، وقد بات الساسة البريطانيون بعد ذلك يرقبون تحركات محمد على فى شبه الجزيرة العربية وسواحلها الشرقية والغربية بشئ من الحرص والحذر ، ففى الوقت الذى يبلغ فيه قنصل بريطانيا فى القاهرة حكومته بسيطرة قوات الباشا على المدن اليمنية الهامة (٣) كان الضابط البحرى البريطانى هينز Haines يقوم باستطلاع حقيقة الموقف على السواحل اليمنية بعد وصول قوات محمد على الى اليمن (٤) ، بينما كان المقيم البريطانى فى الخليج هنيل Hennell

(١) جون ٠ب٠كيلى : بريطانيا والخليج ... ، ج ١ ، ص ٤٨٥-٤٨٨ ٠

(٢) د ٠ عبد العزيز نوار : تاريخ العرب المعاصر- مصر والعراق - ، ص ٤٢٤ ٠

3-Document : F.O.78/257.xC/A/61064.No.2.

(٤) د ٠ فاروق عثمان أباظة : عدن والسياسة البريطانية فى البحر الأحمر ، ... ص ١٢٧ ٠

يبعث بتقاريره السياسية الى حكومته فى لندن ، من طريق طهران ، والتى يتحدث فيها بشئ من الكراهية والحقد من تحركات محمد على فى المنطقة آملا من حكومته اتخاذ الاجراءات الرادعة ضد الباشا وقواته (١).

ورغم أن الكولونيل كامبل Campbell فى القاهرة أشار فى رسالة بعثها الى وزير خارجيته فى شهر ذو القعدة سنة ١٢٥٢هـ الموافق للثالث والعشرين من فبراير سنة ١٨٣٧م ، بأنه يعتقد أن الباشا لا يضمر لحكومة بريطانيا أية نوايا عدوانية فى السواحل الغربية لشبه الجزيرة العربية ، الا أنه مع ذلك سيقدم لحكومته معلومات وافية من أهدافه فى تلك الجهات ومن تحركات قواته فيها (٢) ، أما الكابتن جيمس ماكنزى James Mackenzie فقد قطع الشك باليقين فى رسالته المؤرخة فى أوائل شهر صفر سنة ١٢٥٣هـ - الأول من شهر يونيو سنة ١٨٣٧م ، حيال أهداف الباشا التى سيكون من ضمنها الاستيلاء على عدن ومسقط وأنه من المعتقد أن الحكومة البريطانية لن تسمح للباشا بهذا الاعتداء فى فتوحاته ، لاعتبارات سياسية واستراتيجية كما يقول المسئول البريطانى (٣) ،

---

(١) د.فؤاد سعيد العابد : سياسة بريطانيا فى الخليج العربى ..... ، ص ١٢٥-١٢٦ .

2-Document : F.O. 78/3185. 61070. P.52.

(٣) نقلا عن مجلة الدارة العدد الثانى السنة الأولى ، ص ١٨٥ ؛

Document : F.O. 78/3185.P.P.22-32.

وكان اللورد بونسنبى Ponsonby فى الآستانة يذهب الى نفس المنهج فى تقاريره الى حكومته فى تلك الفترة ، مؤكدا أنه لا يوجد هناك أية قوة يمكنها الوقوف فى وجه الباشا ، ولا بد عندئذ من اتخاذ قرار بريطانى حاسم حيال تلك التحركات التى أصبحت تهدد المصالح البريطانية فى الهند (١) ، أما المقيم البريطانى فى بغداد الكولونيل تايلور Taylor فقد انزعج هو الآخر من تحركات الجيوش المصرية فى وسط الجزيرة العربية ، وكتب الى وزيرخارجية حكومته فى شهر شعبان سنة ١٢٥٣هـ الموافق للتاسع والعشرين من نوفمبر سنة ١٨٣٧م ، ليتعرف على موقفها تجاه هذه التحركات التى يقوم بها الباشا فى المنطقة(٢) .

أصدر اللورد بالمرستون Palmerston تعليماته الى الكولونيل كامبل Campbell بضرورة الاتصال بمحمد على ، وابلاغه بطريقة ودية بأن حكومة بريطانيا لا يمكنها أن تنظر تجاه هذه التحركات بعين اللامبالاة والسكوت من تنفيذ هذه الخطط التى تراود الباشا (٣) ، ولم يكتف بالمرستونPalmerston بهذه التعليمات بل أصدر تعليمات أخرى أشد لهجة من الأولى ، وطلب من كامبل Campbell نقلها

1- Document : F.O. 78/306.No.257;61070.

، جون ب. كيلى :بريطانيا والخليج .. ،ج ١ ، ص ٥٠٤-٥٠٥ .

(٢) د .بدرالدين عباس الخصوصى : دراسات فى تاريخ الخليج العربى الحديث والمعاصر ،ج ١ ، ص ١٣٠-١٣١ .

3- Document : F.O.78/318.No.4;xC/A/61064.

الى الباشا والتأكيد له من خلالها بأن حكومة بريطانيا لن تقف مكتوفة اليدين من التحركات التى يقوم بها محمد على فى الشام وشبه الجزيرة العربية ، كمحاولة منه لمد نفوذه الى الخليج العربى والعراق (١) .

وفى شهر رمضان سنة ١٢٥٢هـ الموافق للسادس من ديسمبر سنة ١٨٣٧م ، وفى أثناء متابعة وزير الخارجية البريطانية للأحداث الدائرة فى الشام ، أوعز الوزير البريطانى الى قنصل حكومته فى مصر بأن يطرح اقتراحا سرياً وغير رسمى على محمد على ، بأنه من الأفضل للباشا الاستمرار فى نظام التجنيد الذى تطبقه حكومته فى مصر والشام ، ويشرح الوزير البريطانى لقنصل حكومته هدف هذا الاقتراح فى رسالته تلك الى الى أن الباشا سيحاول فرض هذا النظام الأكثر فاعلية - انطلاقا من ثقته فى القنصل البريطانى ،

كما يعتقد الوزير الانجليزى ، وبعد فترة قصيرة يصبح الباشا منبوذاً من الشعب المصرى والسورى على حد سواء كما يقول بالمرستون ، وبذلك ينفتح الطريق أمام بريطانيا لتكوّن جيشا مناهضا لحكومة الباشا فى الشام من الأهالى الذين يكرهون نظام التجنيد ، ولكنهم سيكونون جيشا

---

(١) جون . ب . كيلى : بريطانيا والخليج ١٧٩٥ - ١٨٧٠م ، ج١ ، ص ٥٠٦ .

، جورج كيرك : موجز تاريخ الشرق الأوسط ، ص ١٢١-١٢٢

أهليا لمحاربة حكومة محمد علي ، وعندئذ تنتهز بريطانيا فرصتها كما يقول الوزير البريطاني من خلال اشتعال الحرب شبه الأهلية بين حكومة الباشا وأهل الشام (١) ، وهذا ما يوضح لنا السر الكامن وراء المساعدة البريطانية التي لقيها محمد أغا" تركجه بيلمز" ابان ثورته على محمد علي في الحجاز واليمن ، تلك المساعدات التي تمثلت في نقل -بيلمز- من ميدان المعركة الخاسرة في اليمن الى أن وصل الى البصرة في العراق وأسند له فيها منصبا قياديا .

ولم يغفل وزير خارجية بريطانيا من تحركات الباشا في اليمن اذ طلب من قنصل حكومته في مصر ابلاغ محمد علي بأن بريطانيا لا تنظر بعين الرضا لتلك التحركات التي يحاول أن يقدم عليها الباشا في سبيل اخضاع عدن وحضرموت لنفوذ حكومته مهما كانت المبررات والأغراض التي كان الباشا يحاول أن يستتر خلفها . (٢)

أثارت تلك التصريحات التي أبلغها محمد علي الى القنصل البريطاني في مصر من خضوع اقليم نجد وشبه الجزيرة العربية - من مكة المكرمة الى المدينة المنورة - وسواحلها الشرقية الى الخليج العربي لنفوذ

1- Document : F.O.78/318. No.24; C/A/61064.

(٢) د . فاروق عثمان أباظه : عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ... ، ص ١٢٤ .

د ولته ، اهتمام رجال السياسة البريطانيين بشكل عام ، خاصة وأن الباشا كان يُلمّح فى أواخر شهر صفر سنة ١٢٥٤هـ ، أواخر شهر مايو سنة ١٨٣٨م الى رغبته القوية فى اعلان الاستقلال من الباب العالى ، ليعلن هسوب هاوس صراحة من انحياز بريطانيا الى جانب السلطان العثمانى ، وأنه لا بد لحكومته أن تستولى على مواقع مهمة فى البحر الأحمر والخليج العربى ، مثل عدن وجزيرة خرج ، للتصدى لقوات محمد على باشا فى المنطقة.(١)

ورغم أن الحكومة البريطانية قد وجهت بلاغا رسميا الى محمد على فى شهر جمادى الأولى سنة ١٢٥٤هـ الموافق لشهر أغسطس سنة ١٨٣٨م بعدم الخروج من طاعة السلطان ، والا اضطرته الى ايقاف تحركاته بالقوة المسلحة بالتعاون مع الدول الأوروبية(٢) ، الا أنها عقدت مع الدولة العثمانية المعاهدة التجارية المعروفة بمعاهدة بلطة ليمان Balta Liman (٣) ، والتى كانت نتائجها السياسية أبعد أثراً

---

(١) جون ب. كيلى : بريطانيا والخليج ١٧٩٥-١٨٧٠م ، ج ١ ، ص ٥٠٦ ، ٥٠٧ ، ٥١٠-٥١١ .

(٢) د . محمد فؤاد شكرى وآخرون : بناء دولة مصر محمد على - "السياسة الداخلية" ، ص ٧٥٣ .

(٣) د . سليمان بن محمد الغنام : قراءة جديدة لسياسة محمد على باشا التوسعية... ، ص ١٥٣-١٥٤ .

، جون مارلو : تاريخ النهب الاستعمارى لمصر ، ص ١١٣-١١٤ .

، د . لطيفه محمد سالم : الحكم المصرى فى الشام... ، ص ٦٢

وأشد خطورة من نتائجها الاقتصادية والتجارية على أهداف وطموحات محمد على باشا ، لدرجة أن قنصل بريطانيا فى مصر قد أظهر سروره وارتياحه ، عندما أبلغه الباشا استعداده لتنفيذ تلك الاتفاقية حال وصولها اليه من الباب العالى مع الفرمان اللازم لها ، فكتب القنصل البريطانى بذلك الى حكومته (١) .

عندما توارد ت المعلومات من بغداد الى الحكومة البريطانية من زحف قوات محمد على الى الخليج العربى باتجاه اقليم الأحساء والقطيف فى طريقها الى البحرين ، خرجت الحكومة البريطانية عن سياستها التقليدية فى المناورات السياسية ، ليبعث الوزير البريطانى بالمرستون Palmerston ، برسالة شديدة اللهجة الى القنصل الانجليزى فى القاهرة الكولونيل كامبل Campbell فى أوائل شهر رمضان سنة ١٢٥٥هـ الموافق التاسع والعشرين من نوفمبر سنة ١٨٣٨م طالبا منه سؤال محمد على عن صدق هذه المعلومات ، وابلاغ الباشا عن ثقة الحكومة البريطانية بعدم تفكير الباشا فى البقاء فى الجزيرة العربية وتأسيس حكومة له بها ، لأن مثل هذا العمل سوف ينظر له بحزم وشدة من قبل الحكومة البريطانية(٢) ، فى الوقت الذى

1-Document : F.O. 78/373.No.14.P.P.70-72.

2-H.Temperly, and.L.M.Penson : Foundations of British foreign Policy.P.127.

صدرت فيه الأوامر الى قائد الأسطول البريطانى فى المياه الهندية الأميرال فردريك ميتلاند Fredrick,Maitland بالتحرك صوب الخليج العربى فى محاولة لاستعراض العضلات أمام قوات محمد على ، ومنعها من التقدم صوب البحرين بشتى السبل المتوفرة ، وتقديم المساعدة الممكنة لشيخ البحرين.(١)

وقد طلب اللورد بالمرستون Palmerston من حاكم الهند مراقبة الأوضاع فى شبه الجزيرة العربية ، ودراسة التقارير الواردة من هنيل Hennell وميتلاند Maitland من تحركات خورشيد باشا فى المنطقة، كما كلف المعتمدين البريطانيين هناك بضرورة الاتصال بشيوخ المنطقة وتشجيعهم على الوقوف أمام تحركات القوات المصرية(٢) ، وعلى الحكومة البريطانية فى الهند أن تتصدى لأى عمل يقوم به خورشيد باشا فى منطقة الخليج ولو أدى ذلك الى استخدام القوة المسلحة ،وهو ما عبر عنه الوزير البريطانى بعد ذلك فى رسالته الى هوبهاوس بعبارات واضحة. (٣)

بينما كان المقيم البريطانى فى بغداد الكولونيل تايلور Taylor يرفع التقارير المتتابعة الى حكومته فى لندن والى حكومة الهند البريطانية والتى يأمل فيها أن تقوم الحكومة البريطانية بامداد والى بغداد بالأسلحة والذخيرة لكى يتصدى للغزو المصرى المنتظر ، كان يحبذ للوالى العثمانى

---

(١) د. فؤاد سعيد العابد : سياسة بريطانيا فى الخليج العربى...،ص ١٢٩

(٢) د. فائق حمدى طهبوب : تاريخ البحرين السياسى ...،ص١٨٤-١٨٥

(٣) جون.ب.كيلى : بريطانيا والخليج ١٧٩٥ - ١٨٧٠ م، ج١، ص ٥٢٦

هناك تولى الضباط البريطانيين لقيادة الجيش(١) ، فى الوقت الذى كان فيه أحد الأعضاء البارزين فى البرلمان البريطانى وهو الدكتور بورنج Bowring يقوم باعداد التقرير الذى كلفته به الحكومة البريطانية عن امكانيات مصر الاقتصادية وأهميتها الاستراتيجية وأحوال السكان فيها (٢)، ليتم التعرف عن قرب على مقدار خطرها فى الخليج العربى ، الذى بدأت قوات محمد على تزحف اليه ،فى الوقت الذى أرسل فيه الكولونيل كامبل Campbell من القاهرة تقريرا آخر أبدى من خلاله قلقه المتزايد عن وجود مهندسين فرنسيين أحدهما يعمل فى خدمة محمد على منذ عشرين عاما وهو لينان دى بيلفون Linant,de,Pelle Fond ،والآخر التحق بخدمته حديثا ، وهو مهندس الطرق والكبارى موجيل Mougel وكلاهما متحمس لفتح قناة ملاحية تربط بين البحر الأحمر والبحر المتوسط. (٣)

رغم أن المقيم البريطانى فى الخليج هنيل Hennell قد زود رؤساءه بتقارير منتظمة عن تقدم قوات خورشيد باشا فى شرقى الجزيرة العربية ، فقد كان يفضل بقاء البحرين مستقلة عن أى حماية قد تخضع لها من قبل الحكومة البريطانية فى الهند (٤) ، الا أن سلوك شيخ البحرين

(١) د . عبدالعزيز نوار : تاريخ العراق الحديث.. ،ص ٢٨٦-٢٨٧ .

(٢) د . سليمان بن محمد الغنام : قراءة جديدة لسياسة محمد على باشا .. ،ص ١١٠-١١١ .

(٣) جون مارلو : تاريخ النهب الاستعمارى لمصر ،ص ٤٨ .

(٤) جون .ب .كيلى :بريطانيا والخليج ١٧٩٥-١٨٧٠م ،ج١ ،ص ٥٢٩ ،د .بدرالدين عباس الخصوصى :دراسات فى تاريخ الخليج العربى الحديث والمعاصر ،ج١ ،ص ١٢٨ .

تجاه خورشيد باشا وميله للتحالف معه ، قد أثار رجال السياسة البريطانيين في الهند الذين قرروا عدم الوقوف في وجه سلطان عمان فيما لو أراد غزو البحرين مرة أخرى. (١)

صدرت التعليمات من الحكومة البريطانية للمقيم البريطاني في بوشهر في شهر ذي الحجة سنة ١٢٥٤هـ الموافق لشهر فبراير سنة ١٨٣٩م ، تؤكد عليه بذل كل ما في وسعه لعرقلة تقدم القوات المصرية ، كما أعطت أوامر صريحة الى قائد البحرية في المياه الهندية ميتلاند Maitland للقيام بزيارة للساحل العماني لمعرفة موقف شيوخ المنطقة من تحركات الباشا ، وقد حصل منهم ميتلاند Maitland ، ومساعد المقيم السياسي في الخليج الكابتن ت.ادموندز Captain.T.Edmunds ، على تعهدات شبه جماعية بعدم اقامة علاقات ودية مع مبعوث القائد المصري في المنطقة ، وأكدوا على حسن نواياهم بأنهم مستعدون لمقاومة تلك القوات. (٢)

وبينما كانت حكومة الهند البريطانية ومندوبيها في الخليج مترددون في كيفية الوقوف أمام التحركات التي تقوم بها قوات محمد علي في الشاطئ الشرقي للجزيرة العربية (٣) ، كان بالمرستون Palmerston يؤكد رفض

---

(١) ج.ج.لوريمر : دليل الخليج ، القسم التاريخي ، ج٣ ، ص ١٣١٠.

(٢) ج.ج.لوريمر : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٠٦٨.

(٣) ج.ج.لوريمر : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ١٣٠٤ ، د. فائق حمدي طهبوب : تاريخ البحرين السياسي ١٧٨٣ - ١٨٧٠م ، ص ١٩٣.

حكومته لأى امتداد لحكومة الباشا فى الجزيرة العربية لأنها ستشكل عقبة كؤود فى طريق سياستها الشرقية(١)، وازداد غضب الوزير البريطانى، حينما تلقى رسالة القنصل البريطانى فى القاهرة المؤرخة فى ٢٣ محرم سنة ١٢٥٥هـ الموافق للثامن من أبريل سنة ١٨٣٩م والمرفق بها تقرير خطير من الكابتن هينز Haines يتطرق من خلاله الى الجهود التى يبذلها محمد على فى اليمن، لتهديد النفوذ البريطانى هناك، ولم ينس القنصل البريطانى فى مصر أن يضيف بعض عبارات التشاؤم حول الدور الذى يلعبه الساسة الفرنسيون فى سياسة محمد على، لكى يقف فى طريق المصالح البريطانية، وأكد المسئولان البريطانيان على أنه لابد من وضع حدٍّ لتقدم قوات الباشا فى الجزيرة العربية، لأن احتلال عدن من قبل بريطانيا لا يسعد الباشا بأى حال من الأحوال (٢).

فى الجانب الآخر تقدمت حكومة الهند البريطانية خطوات أكثر جرأة فى مقاومة التحركات التى يقوم بها خورشيد باشا فى الشاطئ الشرقى لشبه الجزيرة العربية، فأوعزت الى المقيم البريطانى فى الخليج الكابتن هنيل Hennell، بأن يقدم احتجاجا الى قائد القوات المصرية يبلغه فيه

---

(١) د. سليمان بن محمد الغنام، قراءة جديدة لسياسة محمد على باشا ...، ص ١٠٩.

2-Document : F.O. 78/373.xC/A/61064.No.21.
P.P. 98-99.

, Document : F.O. 78/373.xC/A/61064. No.21
p.p.101-103.

من عدم رغبة الحكومة البريطانية من هذه التحركات التي يقوم بها تجاه البحرين ،في الوقت الذى أعطت أوامرها الى " قائد بحريتها فى الخليج ميتلاند Maitland ، بأنه فى حالة طلب شيخ البحرين تدخل بريطانيا وتعهده بأن يضع أرضه تحت الحماية البريطانية ، فعلى القائد البريطانى أن يؤكد له أنه تحت حماية مؤقتة من جانب اسطول صاحبة الجلالة فى الخليج ، وابلاغ خورشيد باشا بفحوى هذا الاجراء"(١).

قام المقيم البريطانى فى الخليج الكابتن هنيل Hennell بارسال الدكتور ماكنزى Mackenzie الى الكويت والبصرة والمحمرة ،ليتعرف من هناك من صحة ما يتردد من اشاعات حول وجود عملاء للباشا منتشرون فى جميع أنحاء منطقة الخليج ، فى الوقت الذى بعث فيه بنسخة من الرسالة التحذيرية التى سبق أن أرسلها هنيل Hennell الى خورشيد باشا فى القطيف ، لتسلم له هذه المرة من طريق شيخ الكويت لكى يقوم بافهام الباشا بأهمية الأخطار التى تنطوى عليها هذه التحركات(٢) ، الا أن الأنباء التى ترددت من انعقاد اتفاقية ثنائية بين شيخ البحرين ومندوب خورشيد باشا جعلت المقيم البريطانى يتجه بنفسه الى البحرين لمعرفة ذلك من قرب وفى

---

(١) ج.ج. لوريمر : دليل الخليج ، القسم التاريخى ،ج٣ ،ص١٣٠٦

(٢) د. أحمد مصطفى أبو حاكمه : تاريخ الكويت ، القسم الأول ،ج٢ ، ص١٤٩-١٥٠.

محاولة لافساد ذلك الاتفاق ، لا سيما وأن مندوب آخر من خورشيد باشا قد وصل الى الشارقة ومعه تفويض من الأمير خالد بن سعود للاستيلاء على الساحل العماني (١) ، من هنا لم يتردد المقيم البريطاني بعد أن يئس من تراجع شيخ البحرين من ذلك الاتفاق ، من التوجه الى شيوخ الساحل العماني ليحصل منهم على تعهدات خطية بمناصرة بريطانيا ، والتصدى لمخططات خورشيد باشا ، وقد وعدهم المقيم البريطاني بتزويدهم بالأسلحة والذخيرة لاستخدامها ضد القوات المصرية (٢) ، بينما سلم احتجاجين خطيين الى شيخ البحرين وخورشيد باشا ، يظهر فيهما عدم موافقة حكومته على عقد مثل هذا الاتفاق (٣) ، ولأن المقيم البريطاني فى الخليج كان يخشى من تأثير صداقة محمد على للسيد سعيد ، سلطان مسقط ، فقد اقترح على حكومته استرضاء السيد سعيد بمساعدته فى ضم

---

(١) د . عبدالعزيزعبدالغنى ابراهيم : علاقة ساحل عمان ببريطانيا - دراسة وثائقية ... ، ص ٢٨٠ .

(٢) ج . ج . لوريمر : دليل الخليج ، القسم التاريخى ، ج ٢ ، ص ١٠٧٠ ، مختارات من سجلات حكومة بومباى
S.R.B.G. No.XXIV.P.446-449.

، د . عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية... ، ص ٣٥٨-٣٥٩ .

جى . بى . كيلى : الحدود الشرقية لشبه الجزيرة العربية ، ص ١٠٠ .

(٣) صورة المرفق العربى للوثيقة رقم ١٣٧ حمراء ، محفظة رقم ٢٦٧ عابدين ، محافظ الحجاز رقم -٧- ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .

، د . بدرالدين عباس الخصوصى : دراسات فى تاريخ الخليج العربى الحديث والمعاصر ، ج ١ ، ص ١٥٧ .

البحـــرين (١) ،من هنا تكرر النهج الذى تسلكه بريطانيا سياسيا فى محاولاتها المتكررة حـول التصدى لتحركات محمد على باشا فى المنطقـــة والمتمثل فى عقد الاتفاقيات والمعاهدات مع مشائخ المنطقة ، وتم منذئـذ عقد الاتفاقيـة التجارية بين مسقط وبريطانيا فى شهر ربيع الأول سنـــة ١٢٥٥هـ الموافق للحادى والثلاثين من شهر مايو سنة ١٨٣٩م ،والتى أصبحت فى انتظار التصديق عليها بين الحين والآخر ، ومن أهم بنودهـــا تعيين قنصل بريطانى فى السلطنة ،ولعله الخطوة الأولى التىأرادت بهـا بريطانيا السير لاستعادة نفوذها فى سواحل الخليج العربى . (٢)

كتب اللورد بالمرستون Palmerston الى السفير البريطانى فىالأستانة اللورد بونسنبى Ponsonby ،فى أواخر شهر صفر سنة ١٢٥٥هـ، الموافق للحادى عشر من شهر مايو سنة ١٨٣٩م، طالبا منه الاستيضاح من البـاب العالى من مغزى الفتوحات التى يقوم بها محمد على فى الجزيرة العربيـة وهـل الباشا يقوم بها بناء على أمر من السلطان العثمانى ، وفى نفـــس الوقت ذكّر المسئول البريطانى رجال الدولة العثمانية ، تلك الأخطـــار

---

(١) د . صلاح العقاد ،التيارات السياسية فى الخليج العربى ،ص ١٤٧

(٢) جون .ب.كيلى : بريطانيا والخليج ١٧٩٥ - ١٨٧٠ ، ج١ ، ص ٥٨٦ ، د . مديحة أحمد درويش : سلطنة عمان فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، ص ١٢١-١٢٢.

التى تهدد الولايات العثمانية فى العراق نتيجة لهذه التحركات التى يقوم بها الباشا (١) ، مما يؤكد أن الحكومة البريطانية فى تلك الفترة كانت تحاول أن توقف أهداف ومخططات محمد على فى الجزيرة العربية دون أن تظهر هى فى الصورة ، لكى لا تفتح المجال أمام تدخلات الدول الأوروبية الأخرى ، فى الوقت الذى كانت تحاول فيه كسب ثقة الدولة العثمانية ، أى أنها لا زالت تسلك المنهج الدبلوماسى بشكل واضح، وتحاول أن تفرضه كحل حاسم لتحركات محمد على .

أوعزت الحكومة البريطانية الى قنصلها فى القاهرة الكولونيل كامبل Campbell ،للتباحث مع محمد على والحصول منه على وعد قاطع بعدم ارسال السفن البحرية التى كان قد طلبها خورشيد باشا ، لترسل له من جده عبر البحر الى الخليج العربى ، وكذلك تزويد خورشيد باشا بتعليمات صريحة من حكومته بعدم التقدم الى ما وراء الأحساء ، وقد تحقق للقنصل البريطانى ما أراد وتزود بصورة من تلك التعليمات(٢) .

ورغم أن المقيم البريطانى فى الخليج قد قام بزيارة الى الساحل العمانى وحصل على ضمانات كتابية من شيوخ المنطقة بتأييد السياسة

---

(١) د . بدرالدين عباس الخصوصى : محمد على والخليج العربى ، مجلة كلية الآداب والتربية ، جامعة الكويت ، عدد ٥ ، جمادى الأولى ، سنة ١٣٩٤هـ ، ص ١٠٨ .

(٢) 2 - Document : F.O. 78/374. xC/A/61064.
، ارادة نمرة ٧ ، محفظة رقم٢٦٧ عابدين ، محافظ الحجاز رقم-٧- ، دار الوثائق القومية بالقاهرة.

البريطانية فى التصدى لتحركات جيوش محمد على ،فانه قد أبلغ وكيل القوات المصرية فى الشارقة باستنكار حكومته لهذه التحركات وأن عليه أن يغادر المنطقة حالا ، لأنها قد أصبحت تحت الحماية البريطانية(١) ، ومع ذلك أشار فى تقريرة الى حكومة بومباى فى شهر جمادى الأولى سنة ١٢٥٥هـ الموافق للرابع عشر من شهر يوليو سنة ١٨٣٩م ،الى أن شيخ البحرين وغيره من شيوخ الخليج العربى ينظرون الى الحرب الدائرة فى الشام بين قوات محمد على والدولة العثمانية نظرة خاصة ، ففى حالة انهزام ابراهيم باشا قائد القوات المصرية هناك فان الجميع سيقفون موقفاً معادياً من حملة خورشيد باشا وقواته(٢) ، وكأن المقيم البريطانى يشير من طرف خفى الى الوقوف عسكرياً ضد محمد على فى الشام ، لتختل قواه فى الجزيرة العربية ، منطلقا فى ذلك من تعليمات بالمرستون Palmerston التى أرسلها الى كامبل Campbell فى أوائل ربيع الثانى سنة ١٢٥٥هـ ، الخامس عشر من شهر يونيو سنة ١٨٣٩م ، والتى طالب فيها بالدفاع من البحرين بالقوة

---

(١) ج.ج. لوريمر : دليل الخليج ،القسم التاريخى ،ج ٣ ،ص ١٦٤٣ .
، جون .ب. كيلى : بريطانيا والخليج ١٧٩٥-١٨٧٠ ، ج ١ ،ص ٥٦٢-٥٦٣ .

(٢) د . محمد عرابى نخلة : تاريخ الاحساء السياسى ١٨١٨-١٩١٣م ، ص ٨٩ .
،د . فائق حمدى طهبوب : تاريخ البحرين السياسى ١٧٨٣-١٨٧٠م ص ٢٠٤ .

المسلحة ، مع تقديم تحذير شديد اللهجة الى محمد على بعدم التفكير بالزحف تجاه البصرة بواسطة قائده فى الجزيرة العربية خورشيد باشا ، لأن ذلك سيجعل بريطانيا تلجأ الى استخدام القوة المسلحة لمنع الباشا من تحقيق مخططاته (١) .

استمر المقيم البريطانى فى الخليج هنيل Hennell فى مواصلة تحركاته المضادة لأهداف وطموحات محمد على وقائده خورشيد باشا ، وأعد تقريرا عاجلا الى حكومة بمباى مبديا فيه شكوكه من جدوى الاحتجاجات التى يقدمها كامبل Campbell الى محمد على فى القاهرة ، مؤكدا فى تقريره ذاك أن خير وسيلة لايقاف الباشا عند حده هى التهديد بالقوة المسلحة ، وأنه لا بد من تعزيز الأسطول البريطانى فى الخليج ، ليتم من خلاله فرض حصار بحرى على الموانئ الشرقية لساحل الجزيرة العربية ، فيما لو حاول خورشيد باشا اعادة مندوبه الى الساحل العمانى مرة أخرى ، وكذلك توجيه انذار الى شيوخ المنطقة بعدم التعاون مع خورشيد باشا مستقبلا والا قام الأسطول البريطانى بتدمير تحصيناتهم ،واختتم المقيم البريطانى تقريره سالف الذكر بضرورة المحافظة على الساحل العمانى لكيلا يضيع فى أثر البحرين التى فقدت بسبب ما أسماه بسياسة العجز والتردد التى تسير عليها حكومته . (٢)

---

(١) جون . ب . كيلى : بريطانيا والخليج ١٧٩٥-١٨٧٠ ، ج ١ ، ص ٥٥٣-٥٥٤

(٢) جون . ب . كيلى : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٥٦٣-٥٦٤ .

لقيت مقترحات هنيل Hennell تأييداً قويًا وصريحاً من قبل حاكم بومباى الجديد السير جيمس كارناك James Carnac الذى أعلن عقب قراءته لتقرير هنيل Hennell أنه يتحتم على البريطانيين الوقوف فى وجه تحركات محمد على التى يقودها خورشيد باشا ، وذلك بمساعدة الحكام العرب فى المنطقة ، لأن أنصاف الحلول قد تؤدى الى الفشل الذريع كما يقول ، وإلا فان محمد على سيتمكن من النجاح فى بسط سيادته الكاملة على الساحل الشرقى للجزيرة العربية (١) ، غير أن الحاكم العام البريطانى فى الهند أوكلاند Auckland لم يوافق على هذا الرأى حين أبلغ جيمس كارناك James Carnac فى شهر جمادى الأولى سنة ١٢٥٥هـ الموافق بداية أغسطس سنة ١٨٣٩م ، اعتراضه على ذلك وأنه لا بد من موافقة حكومة لندن ،فى حالة القيام بأى عمل من هذا القبيل ، اذ لا بد من الالتزام بالخط السياسى الذى قررته تلك الحكومة ازاء محمد على (٢) .

أصبحت الأحداث فى الشام تفرض وضعا آخر على حكومة لندن لا سيما

---

(١) د . عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ١٢٣٤-١٢٥٦هـ ... ، ص ٣٦٠-٣٦١ .

(٢) د .فؤاد سعيد العابد : سياسة بريطانيا فى الخليج العربى خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر ، ص ١٣٧ .

، د .عبدالدين عباس الخصوصى : دراسات فى تاريخ الخليج العربى الحديث والمعاصر،ج ١ ، ص ١٦٤ .

بعد تفوق جيوش محمد على على جيوش السلطان العثمانى فى معركة نصيبين، وقد بعث كلا من سفير بريطانيا فى الأستانة اللورد بونسنبى Ponsounby، وقنصلها فى مصر الكولونيل كامبل Campbell برسالة مشتركة الى وزير خارجية بريطانيا فى شهر ربيع الثانى سنة ١٢٥٥هـ الموافق للخامس من يوليو سنة ١٨٣٩م، أبلغاه فيها ما تمخض عنه اجتماع ممثلى الدول الأوروبية الخمس بوزير خارجية الدولة العثمانية، والذى رغبت فيه دولته فى الصلح مع محمد على، وتطرق المسئولان البريطانيان فى تلك الرسالة الى الوضع العسكرى فى الشام، ليكون الوزير البريطانى على بينة من أمره فيما يصدره اليهما من تعليمات. (١)

غير أن العقيد تايلور Taylor المقيم البريطانى فى بغداد، قد حذر حكومته من أهداف وطموحات محمد على فى الشواطئ الشرقية لشبه الجزيرة العربية فى رسالة بعثها الى اللجنة السرية فى لندن فى أوائل جمادى الثانية سنة ١٢٥٥هـ الموافق للخامس عشر من أغسطس سنة ١٨٣٩م، طالبا من حكومته تزويد ولاة بغداد بالأسلحة والذخيرة والضباط البريطانيين للوقوف أمام تحركات محمد على باشا، كما أشار الى أهمية النفوذ السياسى الذى يجب أن يبذله السفير البريطانى فى الأستانة لاستغلال نفوذه لدى الباب العالى لتحقيق المصالح البريطانية التى أصبحت مهددة من قبل قوات محمد على وقائده فى الجزيرة العربية خورشيد باشا (٢).

1-Document : F.O. 78/375.xC/A/61064. P.P.4-6 and No, 55.

2-Document : (I.O.R.) L/p,s/9/103.No, 7.P.P.184-187.

حاول اللورد بالمرستون Palmerston أن يصبغ السياسة البريطانية فى مختلف جهات الجزيرة العربية بصبغة واحدة وهى عقد معاهدات الصداقة وابرام الاتفاقيات التجارية مع أهل البلاد فى سبيل التصدى لنفوذ محمد على فى المنطقة ، وهذا ما أشار اليه فى استغراب من الأسباب التى تحول بين حكومة الهند ووكيلها فى عدن لعقد مثل هذه المعاهدات(١) ، لا سيما وأن مساعد المقيم البريطانى فى الخليج قد نجح فى الحصول على تعهد مكتوب من شيوخ أبوظبى ودبى والشارقة وأم القوين بمساندتهم للسياسة البريطانية ومعارضتهم للسياسة المصرية فى أواخر ربيع الأول سنة ١٢٥٥هـ العاشر من يونيو سنة ١٨٣٩م.(٢)

وبعد أن طلبت الحكومة البريطانية من محمد على صراحة أن يسحب قواته من اليمن فى أواخر عام ١٢٥٥هـ/أواخر عام ١٨٣٩م، ورأت أن الباشا لا يزال يناور بأساليبه السياسية المعروفة(٣) ، بعث وزير الخارجية البريطانية برسالة الى الكولونيل هودجز Hodges فى أوائل شهر شعبان سنة ١٢٥٥هـ الرابع عشر من أكتوبر سنة ١٨٣٩م ، طالبا منه اعطاءه تفصيلات

---

(١) د . فاروق عثمان أباظه : عدن والسياسة البريطانية فى البحر الأحمر، ١٨٣٩-١٩١٨م، ص ٢٢١ .

(٢) د . عبد العزيز عبد الغنى ابراهيم : علاقة ساحل عمان ببريطانيا - دراسة وثائقية - ، ص ٢٨١ .

(٣) د . عبد الحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث ١٥١٧-١٨٤٠م، ص ١٠١-١٠٢ .
، د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ١٢٣٤-١٢٥٦هـ/١٨١٩-١٨٤٠م، ص ٢٣٧-٢٣٨ .

كاملة من القدرة العسكرية التي يمتلكها الباشا لحماية الاسكندرية ، اضافة الى قواته في الشام ، وتدوين المقترحات التي تفيد الجهات البريطانية والقدرة العسكرية التي تحتاجها تلك الجهات لمهاجمة الاسكندرية ، وكأنه بذلك قد وطد العزم على استعمال القوة المسلحة للتصدى للباشا (١) ، وهذا ما أشار اليه هودجز Hodges من طرف خفى ، عندما تحدث من مقابلته للباشا التي سأله فيها عن وفده الى إمام صنعاء ، والتي أشار اليها أنها تأدية للواجب المرير تجاه ما أسماه بالمكر الذى يكيده الباشا للمصالح البريطانية في المنطقة (٢) .

كان تخوف الوزير البريطاني اللورد بالمرستون Palmerston من نوايا محمد على في الأجزاء الشرقية من شبه الجزيرة العربية ، يزداد يوما بعد يوم لا سيما وأنه قد تلقى تقارير من رجال حكومته في المنطقة تزيد من تشاؤمه ، وكان أهمها ذلك التقرير الذى بعثه تايلور Taylor في شهر رمضان سنة ١٢٥٥هـ ، الموافق للثالث عشر من نوفمبر سنة ١٨٣٩م ، والذى أشار من خلاله أن خورشيد باشا قد وُجِّهَ ثانيةً لمد نفوذه الى الساحل العماني (٣) ، وهذا ما أكده مجددا مساعد المقيم البريطاني في الخليج

1- Document : F.O. 78/377; 61070.No.2.P.P.3-4. 1- Document : F.O. 78/377; 61070.No.2.P.P.3-4.
, Document :(I.O.R)L/p,s/9/113.No.1609 and No,1583.
, Document :(I.O.R)L/p,s/9/113.No.1609 and No,1583.

2- Document : F.O.78/404.P.P.97-98.22/2/1840.

3- Document : (I.O.R) L/p,s/9/113.No.44.P.P.237-238.

ادموندز T.Edmunds ، فى تقريره الذى أرسله الى حكومته فى شهر شوال سنة ١٢٥٥هـ الموافق لشهر ديسمبر سنة ١٨٣٩م[١] ، وذلك بعد أن منيت مهمته لدى شيخ الكويت بنوع من الفشل الذى لم يتعوده البريطانيون فى المنطقة[٢] .

صرح اللورد بالمرستون Palmerston فى أواخر شهر ذى الحجة سنة ١٢٥٥هـ أواخر شهر فبراير سنة ١٨٤٠م لهوبهاوس : " أنه يعتقد بأنه قد أصبح من حق حكومة الهند اللجوء الى القوة اذا دعت الظروف لارغام المصريين على الانسحاب من موانئ الاحساء ومن أية منطقة أخرى يحتلونها على سواحل الخليج ، وأن الحد الأدنى لمثل هذه الاجراءات هو كما اقترح هانيل ، فرض حصار على سواحل القطيف"[٣] ، ولا غرو فى ذلك اذا عرفنا أنه قد وصلت الى البصرة فى شهر شوال من عام ١٢٥٥هـ الموافق لشهر ديسمبر سنة ١٨٣٩م ، ثلاث سفن بريطانية مسلحة تسليحا كافيا ، لتوضع تحت قيادة هنرى .ب. لينش Henry, Blass, Lynch

---

(١) جون .ب. كيلى : بريطانيا والخليج ١٧٩٥-١٨٧٠ ، ج١ ، ص ٥٨٤ .

(٢) د .أحمد مصطفى أبوحاكمه : تاريخ الكويت ، القسم الأول ، ج ٢ ، ص ١٠٢ ، د .فؤاد سعيد العابد : سياسة بريطانيا فى الخليج العربى خلال النصف الاول من القرن التاسع عشر ، ص ١٤١ .

(٣) جون .ب. كيلى : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٥٨٥ .

قائد الأسطول البريطاني في أنهار العراق . (١)

ورغم أن وزير خارجية محمد علي ، وهو بوغوص بك قد أكد للقنصل البريطاني في القاهرة الكولونيل هودجز Hodges في أواخر شهر ذي الحجة سنة ١٢٥٥هـ - أواخر شهر فبراير سنة ١٨٤٠م ، عدم وجود أية نوايا عدوانية لدى حكومة الباشا فيما يختص بمصالح بريطانيا في شرق الجزيرة العربية ، الا أن المقيم البريطاني في الخليج وجه تحذيرا الى الحاكم المصري في القطيف في تلك الفترة محذرا اياه من أية محاولة للتسلل الى عمان عبر المنطقة ، لأن الأسطول البريطاني سيقوم بمنعها ، وقد أيد حاكم بومباي جيمس كارناك James Carnac هذا الاجراء ، أما الحاكم البريطاني العام للهند فقد تردد بين الموافقة والرفض ، الا أنه كتب الى وزير خارجية بريطانيا اللورد بالمرستون Palmerston قائلا له : " انني حتى الآن لم أفهم بوضوح اتجاهات السياسة المصرية ، وكنت أتصور أن تصفية هذه المشكلة تقع في اختصاصكم ، وأرى على أي حال أنه طالما ظلت لهجة حكام القاهرة معتدلة فيما يتعلق بتحركات خورشيد باشا في منطقة الخليج فانه لا يبدو أن هذا القائد سوف يتراجع من خطته ، في

---

(١) ج • ج • لوريمر : دليل الخليج ،القسم التاريخي ،ج١ ، ص٣٥٥ • ، د • عبدالعزيز سليمان نوار : المصالح البريطانية في أنهار العراق ١٦٠٠-١٩١٤م ، ص ٤٩-٥٥ •

١٠٥٨
جامعة أم القرى / مكتبة المكرمة
UMM AL-QURA UNIVERSITY MAKKAH
عمادة شؤون المكتبات
قسم المخطوطات

توسيع نفوذه فى تلك المنطقة ، وأنه من المحتمل سواء بكثير من الجهد أو بقليل منه أن يمتد نفوذ هذا القائد أكثر ، كما سيزداد مركزه قوة فى هذه المناطق"(١) ، مما يعنى أن الساسة البريطانيون فى الخليج لم يكونوا على توافق فى الآراء ،فمنهم من يؤيد المنهج السياسى ، للوقوف أمام هذا الخطر الذى يهدد مصالحهم ، ومنهم من يذهب الى استخدام القسوة ، وخير مثال على ذلك أن نجد المقيم البريطانى فى الخليج هنيل Hennell يذهب الى الكويت فى شهر ربيع الأول سنة ١٢٥٦هـ الموافق لشهر مايو سنة ١٨٤٠م ، ليستطلع من هناك أهداف ومخططات خورشيد باشا فى البصرة وبغداد ، وهناك تأتيه الأنباء من سواحل الجزيرة العربية ، من بدء الانسحاب المصرى من نجد والاحساء (٢) ، وعلى نفس النمط ، وبنفس القلق كان يسير المقيم البريطانى فى بغداد ، الذى بعث برسالة الى وزير خارجيته فى أواخر شهر ربيع الاول سنة ١٢٥٦هـ - الموافق للأول من يونيو سنة ١٨٤٠م ، واصفا فيها ما تعانيه تلك الولاية من انهيار و فوضى ، ومبدياً خوفه من سقوطها فى أيدى القوات التى ستهاجمها لأول وهلة ، وان كان يرمى فى رسالته تلك الى الخطر الايرانى ، الا أن خوفه من قوات

---

(١) جون ب. كيلى : بريطانيا والخليج ، ١٧٩٥ - ١٨٧٠ ، ج ١ ، ص ٥٨٠ ، ٥٨٣-٥٨٤ .

(٢) جون ب. كيلى : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٥٩١ .

محمد على فى الجزيرة العربيــة لا يقل أهمية من الخطر الايرانى ، وقــد أمــّل فى رسالته تلك من حكومته أن تصل اليه السفن الحربية التى ستقــوم بالحفاظ على تلك الولاية والمصالح البريطانية فيها . (١)

مما سبق يتضح لنا أن السياسيين البريطانيين كانوا فى تلـــك الفترة فى مرحلة يمكن أن نسميها عدم التوازن ،اذ كان التردد وعدم الثبات على نهج معين هو الطابع المسيطر على رجال السياسة البريطانيين ، اذ أن الباحث حينما يستقرئ ما كان يدور بينهم من رسائل وتقارير ، يلحـظ ذلك التردد واضحا ،فهـل يوقفون تحركات محمد على فى الجزيرة العربية والخليج العربى بالقوة المسلحة والحرب .. أم يلجأون الى السياســـة والحلول الدبلوماسية .. ! أم أن هناك حـلا آخر يمكنهم اللجوء اليه ؟

---

1 -Document : (I.O.R.) L/p,s/9/115.No.26.

الفصل الرابع

فصل في المسألة الشرقية

أ - احتلال بريطانيا عدن ، يناير ١٨٣٩م.

ب - حرب الشام الثانية ، معركة نزيب ، يونيو ١٨٣٩م .

جـ - الحالة في الأستانة - منشور كلخانه «بدء تنظيمات» .

د - انجلترا والحل الدولي : معاهدة لندن ١٨٤٠م.

هـ - انسحاب محمد علي من شبه الجزيرة العربية.

كان طريق رأس الرجاء الصالح هو الطريق الأطول لاتصال أوربا بالشرق ، اذ كانت الرحلة عبر هذا الطريق تستغرق من لندن الى بومباى نحو أربعة أشهر وأكثر ، اضافة الى وجود الصعوبات والأخطار التى يلاقيها الملاحون فى ذلك الطريق سواء تلك التى تتمثل فى قسوة الجو أم البحر ، وعند استخدام السفن البخارية تضاءلت المدة الزمنية للرحلة عبر هذا الطريق لتستغرق شهرين من الزمان ، بدلا من أربعة أشهر ، بينما كان الطريق من غرب أوربا وحتى الهند عبر البحر المتوسط والبحر الأحمر ، تستغرق الرحلة من خلاله أربعة أسابيع فقط (١) ، من هنا كان الاهتمام البريطانى بطريق البحر الأحمر وموانئه ، وكذلك طريق الخليج العربى الذى يصل الى موانئ البحر المتوسط من خلال الطريق البرى عبر أراضى العراق والشام .

وتعتبر مدينة عدن (٢) من أهم الموانئ اليمنية لوقوعها جنوبى

---

(١) د . فاروق عثمان أباظة : عدن والسياسة البريطانية فى البحر الأحمر ، ١٨٣٩-١٩١٨م ، ص ١٣٥-١٣٦ .

(٢) تقع شبه جزيرة عدن على الساحل الجنوبى للجزيرة العربية على خط العرض ١٢/٤٧ شمالا ، وخط الطول ١٠/٤٥° شرقا ، وتبعد عن الساحل بنحو خمسة أميال ، وتقع عدن الأصلية فى شرق شبه جزيرة عدن ، وهى محاطة تقريبا بسلسلة تلال عالية ، تجعل المكان كما لو كان حصنا طبيعيا ، وتعتبر مدينة عدن المفتاح الجنوبى للبحر الاحمر . د . جاد طه : سياسة بريطانيا فى جنوب اليمن ، ص ٤ ، ٧١ .

باب المنـدب[١] ، وبالتالي تحكمها في مداخل البحر الأحمر الجنوبية ، وقد أدرك رجال شركة الهند الشرقية البريطانية أهمية ميناء عدن في طـــرق مواصلاتها الى الهند ، منذ بداية استخدام البواخر للاستفادة منهـــا كمستودع للفحم لتأمين البواخر البريطانية ، القادمة والمتجهة من والى الهند البريطانيـــة. [٢]

ولقد بدأ الاهتمام البريطاني بعدن منذ الحملة الفرنسية على مصر يأخذ طابعا عليا تمثل في احتلال جزيرة بريم ميون [٣] ، والتي تقع فـــي أضيق بقعة في بوغاز باب المندب ، الا أن الوضع المعيشي الصعب في تلك الجزيرة ، جعل قوة الاحتلال تنتقل الى عدن ، لتبرم مع سلطان الحـــج معاهدة تجارية في سنة ١٢١٧هـ/١٨٠٢م. [٤] ، مفتتحة بذلك أبواب عدن للتجارة الانجليزية القادمة من الشرق والغرب على حد سواء ، وهذا مـــا جعل اللورد فالنشيا Lord, Valntia ، يتنبأ بعد ذلك ببضع سنـوات بما سيكون لعدن من شأن عظيم في المصالح البريطانية حين قال : " ان

---

(١) ابراهيم فصيح صبغة الله الحيدرى : عنوان المجد في بيان أحـــوال بغداد والبصرة ونجد ، ص ١٩٢.

(٢) د. فاروق عثمان أباظة : عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ١٨٣٩-١٩١٨م ، ص ١٥١.

(٣) الاستاذ محمد شفيق غربال : منهاج مفصل لدروس العوامـــــل التاريخية .... ، ص ١٤٣.

(٤) د. محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربي ١٥١٤-١٩١٤م ، ص ١٩٥.

عدن هى بمثابة جبل طارق فى الشرق "(١).

وقد كانت الدولة العثمانية مدركة لأطماع الانجليز فى عدن منذ أن قام جورج فورستر سادلير G.F. Sadleir برحلته الشهيرة فى وسط الجزيرة العربية، بعيد حروب محمد على ضد الدولة السعودية الأولى، حيث كتب الصدر الأعظم الى محمد على فى مصر بضرورة الحرص والتنبه الى أطماع الانجليز المُغلَّفَة بالمكر والدهاء(٢)، وفعلا استطاع البريطانيون ابرام معاهدة مع امام اليمن فى أوائل سنة ١٢٣٦هـ/الخامس عشر من يناير سنة ١٨٢١م، بعد أن خلقوا حادثة اعتداء ضد الوكالة البريطانية فى ميناء مخا، يستطيعون من خلالها التدخل مباشرة واملاء المطالب التى يريدونها(٣)، فى الوقت الذى جددت فيه المعاهدة التجارية مع سلطان لحج فى أواخر عام ١٢٣٧هـ / الموافق للسادس من سبتمبر سنة ١٨٢٢م.(٤)

وفى سنة ٤٤/١٢٤٥هـ المصادف لسنة ١٨٢٩م قامت بريطانيا

---

(١) جورج كيرك : موجز تاريخ الشرق الأوسط، ص ١١٣.

(٢) وثيقة رقم ٢٠٩، محفظة ٧ عابدين، نقلا عن : جورج فورسترسادلير: رحلة عبر الجزيرة العربية ...، ص ٢٧٤-٢٧٧.

(٣) د. عبدالحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث ١٥١٧-١٨٤٠م، ص ٥٥-٥٧.

(٤) محمود كامل : اليمن شماله وجنوبه تاريخه وعلاقاته الدولية، ص ٢٣٢.

بعقد اتفاقية صداقة وتجارة مع سلطان لحج ، يتم بموجبها استخدام عدن كمحطة للفحم وقيام وكالة بريطانية فيها (١) ، مما يؤكد أن الانجليز كانوا خلال هذه الفترة الزمنية الطويلة يسعون بشتى الطرق والأساليب من خلال المعاهدات والاتفاقيات وما يصاحبها من تهديدات عسكرية للتمكن من وضع قدم لهم في اليمن بشكل عام وفي ميناء عدن بشكل خاص .

وبما أن الأهداف والأطماع البريطانية في عدن كانت تنطلق من أهمية موقعها الاستراتيجي الذي تتميز به في طريق مواصلاتها الى الهند ، فان تحركات محمد علي باشا في الجزيرة العربية منذ حروبه ضد الدولة السعودية الأولى ، كانت تثير مخاوف الانجليز بشكل واضح ، ليتعرفوا على كنهها وغاياتها ، وهذا ما أشار اليه سادلير Sadleir في رسالته الى القنصل البريطاني في القاهرة عندما وصل الى المدينة المنورة في رحلته الشهيرة سنة ١٢٣٤هـ/سبتمبر سنة ١٨١٩م.(٢)

كانت حروب الشام الأولى وما صاحبها من ثورة للجند الغير نظاميين في الحجاز ، كفيلة بابراز أهداف وطموحات محمد علي في اليمن وداخل

---

(١) د. عبدالحميد البطريق :من تاريخ اليمن الحديث ، ص ٨٥.
، د. عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم: محمد علي وشبه الجزيرة العربية ... ، ص ٢٣٢.

(٢) جورج فورستر سادلير : رحلة عبر الجزيرة العربية خلال عام ١٨١٩م ص ١١٣-١١٤.

البحر الأحمر ، ومن أهمها ميناء عدن ، وهذا هو العمل الذى لا تقره بريطانيا ، ولا تلتزم الصمت حياله ، وتمثل موقفها ذلك فى تعاطفها الملحوظ مع قائد الجند الثائرين محمد أغا " تركجه بيلمز " ، حين قامت بتهريبه من اليمن الى بومباى على ظهر سفنها الحربية ، بعد أن ثبت عدم استطاعته الوقوف فى وجه قوات محمد على التى تغلبت عليه فى الحجاز واليمن .

كان القنصل البريطانى فى مصر متتبعا لأهداف وطموحات محمد على فى اليمن التى يعتزم تنفيذها هناك خاصة فيما يتعلق بالسيطرة على ميناء عدن الهام ، وكان يرسل التقارير المتتابعة الى وزير خارجيته اللورد بالمرستون Palmerston ، عن تلك التحركات التى يعتزم الباشا تنفيذها (١) ، وليؤكد من خلالها أن كل الشاطئ اليمنى والمدن اليمنية الهامة قد سلمت لجيوش محمد على التى يقودها أحمد باشا يكن ، وأنها فى طريقها للتوغل داخل الاقليم. (٢) .

عندما عقد محمد على العزم على تدعيم نفوذه فى اليمن بإرسال

1- Document : F.O. 78/227 , 60952, No.9.
, F.O. 78/227, 60952, No.24

2- Document : F.O. 78/247, p. 119. 11/11/1834.

قوات جديدة تحت قيادة ابراهيم يكن باشا فى أواخر عام ١٢٥٠هـ ، أوائل عام ١٨٣٥م[١] ، كانت حكومة الهند البريطانية ترسل الكابتن هينز Haines "لاكتشاف المنطقة ، ومدى صلاحية عدن لتكون قاعدة بحرية للسفن الانجليزية ، ومستودعا للفحم ، ولما عاد الى الهند لفت نظر حكومة الهند الى صلاحية ميناء عدن للغرض المنشود [٢]" ، بينما كان القناصل الانجليز فى مصر والأستانة يتبادلون الرسائل والمعلومات والآراء فيما بينهم وبين وزير خارجيتهم فى لندن ، حول تحركات الباشا فى اليمن وفى عدن ، وطموحاته التى يعتزم تحقيقها فى المنطقة ، ونتائج تحقيقها على المصالح البريطانية بشكل عام ، وطريق الهند بشكل خاص. [٣]

ومما أثار البريطانيين اقدام الباشا على الحد من حرية السفن الأوروبية التى كانت تصعد فى البحر الأحمر ، شمالى جدة عندما تأتى من بومباى فى طريقها الى أوروبا ، واصداره أمرا بمنع تلك السفن من

---

(١) د . فاروق عثمان أباظة : عدن والسياسة البريطانية فى البحرالأحمر ... ، ص ١١٥-١١٦ .

(٢) د . عبدالحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث ١٥١٧-١٨٤٠ ، ص ٨٨ .

3 – Documents : F.O. 78/227, 60952.
; F.O. 78/227, 60952, No. 28
; F.O. 78/228, 60952, No. 62
; F.O. 78/3185, 61070, p.52.

الصعود في البحر الأحمر شمالي جدة (١) ، اضافة الى التقرير الخطير الذى رفعه الكابتن جيمس ماكنزى James-Mackenzie في أواخر شهر صفـــــر سنة ١٢٥٣هـ، الأول من يونيو سنة ١٨٣٧م، والذى أكد فيه أهداف محمد على التوسعية في ميناء عدن العتيد كما يقول ، وأن الباشا لم يؤخره مـن تنفيذ تلك الأهداف الا القضاء على ثورة عسير ، اذ أنه سيبعث بعد ذلك بكتيبة من قواته للاستيلاء عليها ، مؤكدا في ذلك عجز سلطان عدن من مقاومة قوات الباشا التي ستهاجمه ،ولم ينس المسئول البريطاني أن يذكـر حكومته بالأهداف والطموحات الأخرى التي يسعى الباشا لتحقيقها مـــن طريق الاستيلاء على عدن . (٢) .

وقد كان ابراهيم يكن باشا ينوى بالفعل الاستيلاء على عدن حين أرسل البكباشي محمد صادق لتنفيذ هذه المهمة ، وكاد أن يتحقق له مـا يريد لولا أن قوات الحملة المصرية كانت موزعة بين الاقاليم اليمنية في الداخل، وموانئها الساحلية الأخرى (٣) ، وزاد من قلق البريطانيين في تلك الجهات

---

(١) د. فاروق عثمان أباظة : الحكم العثماني في اليمن ... ، ص ٣٨ .

(٢) نقلا من مجلة الدارة ، العدد الثاني ، السنة الأولى ،ص ١٨٤-١٨٥ .
2- Document ; F.O. 78/3185 ,

(٣) د .السيد رجب حراز : المدخل الى تاريخ مصر الحديث... ،ص ٢٤٦ .

ما قام به سلطان مسقط من عقد اتفاقية تجارية مع الحكومة الأمريكية ، ليعطى بذلك أول امتياز تحصل عليه حكومة غربية فى ممتلكات السيد سعيد (١) ، مما يعنى أن التجار الأمريكيين سيشكلون منافسة خطيرة للنشاط التجارى لشركة الهند الشرقية البريطانية فى منطقة البحر الأحمر والمحيط الهندى وكأن محمد على باشا الذى فاز فى حرب الشام الأولى وقواته فيها لا تزال تفرض وجودها بشكل قوى ، قد بدأ فى اثارة انتباه الدول الأوروبية لاقتصاديات الشرق وأهميته التجارية ، خاصة اذا عرفنا أن السفن الفرنسية قد بدأت فى اكثار التردد على منطقة البحر الأحمر بعد انشاء الخط الملاحى المنتظم للسفن التجارية من مرسيليا الى الاسكندرية ، مكتسبة فى ذلك نفوذا خطيرا فى البحر المتوسط (٢) .

شعر اللورد بالمرستون Palmerston وزير خارجية بريطانيا بخطورة قيام حكم قوى يوحد بين مصر والشام ، تحت قيادة محمد على ، وقرر التدخل بحزم وشدة ليمنع ما اعتبره كارثة تحل بمواصلات انجلترا الى الهند ،

---

(١) د . عبدالعزيز عبدالغنى ابراهيم : بداية الامتيازات الأمريكية فى الشرق الأوسط ، مجلة الدارة ، عدد ١ ، سنة ٨ ، ص ١٠٠ .

(٢) د . صلاح العقاد : التيارات السياسية فى الخليج العربى ، ص ١٢٥ ، جاكلين بيرين : اكتشاف جزيرة العرب ، ص ٢٣٨ .

والشرق الأقصى(١)، فأبلغ قنصل حكومته فى مصر الكولونيل كامبل Campbell فى ربيع الأول سنة ١٢٥٤هـ الموافق يونيو سنة ١٨٣٨م، بضرورة انذار محمد على " بأن أية محاولة عدوانية تقوم بها قواته ضد عدن ستعتبر عدوانا على الممتلكات البريطانية ، وستتخذ بشأنها الاجراءات المناسبة لمواجهتها "(٢) ، ولا غرو فى ذلك اذ أن محمد على قد أصبح يسيطر على الشام ،وبالتالى فهو يتحكم فى طريق الفرات الى الخليج العربى ، كما أنه أصبح ذا نفوذ قوى فى سواحل البحر الأحمر الغربية والشرقية ، ناهيك عن قواته التى بدأت تزحف فى وسط الجزيرة العربية باتجاه الخليج العربى والعراق .

كان الكابتن هينز Haines قد أعد تقريرا وافيا لحكومته عن ما يمتلكه ميناء عدن العظيم من قدرات وامكانيات لا يملكها غيره من موانئ الجزيرة العربية ، مؤكدا أن ازدهار هذا الميناء سيقضى على قوة محمد على فى ميناء مخا والموانئ الهامة الأخرى فى البحر الأحمر ، لما يحتله هذا الميناء من مركز تجارى ممتاز ، يجعل منه أنسب موانئ المنطقة بالنسبة للمواصلات البريطانية الى الهند عبر البحر الأحمر طوال فصول السنة ،

---

(١) د . محمد كمال الدسوقى : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ،ص ١٨١
(٢) د . فاروق عثمان أباظه : عدن والسياسة البريطانية فى البحر الأحمر ١٨٣٩-١٩١٨م، ص ١٧٧ .

وكأنه بذلك يشير من طرف خفى الى أهمية احتلال هذا الميناء بأى وسيلة ممكنة ، وهذا ما جعل القنصل البريطانى فى مصر يعتقد أنه لا يمكن لوكلاء الدول الأوروبية الكبرى وهى فرنسا وروسيا والنمسا التساهل فيما لو تم احتلال بريطانيا لعدن . (١)

أصبح الساسة البريطانيون مدركين لأطماع وأهداف محمد على فى البحر الأحمر ، وما سينتج عنها من اتساع فى أجزاء متفرقة من الجزيرة العربية ، لا سيما وأنه قد بدأ فى تدعيم نفوذ حكومته فى الشام بشكل واضح مما يعنى قدرته على التحكم فى طريقى المواصلات البريطانية الى الهند ، عبر البحر الأحمر والخليج العربى ، ومن ثم كان احتلال عدن هو العلاج الناجح كما يعتقد البريطانيون لايقاف طموحات الباشا والحيلولة دون تحقيقها ، ولكن لا بد لهم من وسيلة يتذرعون بها لاحتلال عدن لكيلا يثيروا الدول الأوروبية الأخرى ، ولكى لا يفقدوا صداقة الدولة العثمانية وثقتها ، وفى شهر رمضان سنة ١٢٥٢هـ الموافق لشهر يناير سنة١٨٣٧م ، ساقت الأقدار ما تمناه الانجليز ،حين جنحت السفينة دوريا دولت Duria Dowlat ، التى تحمل العلم البريطانى وتعود فى ملكيتها الى سيدة هندية ، والتى تحمل بعض البضائع والحجاج القادمين الى

---

(١) د . فاروق عثمان أباظة : عدن والسياسة البريطانية فى البحر الأحمر ١٨٣٩-١٩١٨م ، ص ١٤٥ ، ١٥٤ .

جدة ، بالقرب من شاطئ عدن ، ليقوم بعض الأعراب المجاورون لمدينة عدن بمهاجمة السفينة ، وأخذ كثير من بضائعها (١) .

استغلت بريطانيا حادثة السفينة دوريا دولت Duria Dowlat لتبعث بالكابتن هينز Haines الى سلطان لحج في شهر شوال سنة ١٢٥٣هـ ، الموافق لشهر فبراير سنة ١٨٣٨م (٢) ، طالبة منه التعويض من خسائر هذه السفينة أو اعادة البضائع المنهوبة بحجة أن رعية السلطان هم الذين قاموا بذلك العمل وعندما رفض سلطان لحج الاستجابة لتلك الطلبات عرض عليه المندوب الانجليزي التنازل عن ملكية عدن لتستخدمها بريطانيا كمحطة للسفن البريطانية القادمة من بومباي ، وذلك نظير مبلغ كبير من المال (٣) ، ولا غرو في ذلك فالاتساع المصري على يد القائد ابراهيم يكن باشا ، بدأ في محاصرة عدن والقبائل اليمنية أصبحت تميل اليه تماما ، وهذا ما لا ترغبه بريطانيا ولا يميل له سلطان لحج الذي سارع الى ابرام

---

(١) أحمد فضل بن علي محسن العبدلي : هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن ، ص ١٤٣ .
، د . عبد الحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث ١٥١٧-١٨٤٠م ص ٨٨ .

(٢) أحمد فضل بن علي محسن العبدلي : المرجع السابق ، ص ١٤٣-١٤٤
، أمين الريحاني : ملوك العرب ، ج ١ ، مجلد ١ ، ص ٤١٥ .

(٣) أحمد فضل بن علي محسن العبدلي : المرجع السابق ، ص ١٤٣ .
، محمود كامل : اليمن شماله وجنوبه ... ، ص ٢٣٦ .

اتفاق مع القائد البريطاني ، ولعل سلطان لحج كان في اتفاقه ذاك متأثرا بعوامل هامة تحيط به حينذاك ،لا يجد حيالها الا التساهل مع البريطانيين وتوقيع ذلك الاتفاق معهم ، فقد " كان السلطان واثقا من اصرار بريطانيا على محاصرة ساحل عدن بالأسطول ، وأنه لن يستطيع المقاومة ،ـ اضافة الى ـ خوفه على مستقبل سلطنة لحج بعد اقتراب القوات المصرية من حدودها ، وانضمام أكثر القبائل التابعة له الى ابراهيم باشا يكن بعد أن اتصل بها وأجزل لها العطاء ، وربما أنه كان يطمع أيضا في التمتع بالحماية البريطانية حتى تتهيئ له الفرصة للتوسع في الداخل (١)" ، وهذا ما حاول الكابتن البريطاني هينز Haines أن يؤكده لسلطان لحج لكي يدفعه الى توقيع تلك الاتفاقية مع حكومته ، سواء عن طريق الترغيب أو الترهيب. (٢)

كان هدف بريطانيا من الوقوف في وجه تقدم القوات المصرية هو عدم وضع مصالحها في الخليج العربي والبحر الأحمر ، وطرق مواصلاتها الـتي

---

(١) د. عبد الحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث ١٥١٧ - ١٨٤٠م، ص ٨٩.

(٢) د. فاروق عثمان أباظة : عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ... ، ص ١٦٥-١٦٦.

الهند تحت سيطرة محمد على الذى يسيطر على الشام حينذاك ، وهذا ما أشار له الكولونيل كامبل Campbell فى تقريره الى الدكتور بورنج Bowring حين قال : " موقع عدن حصين فيما أعتقد ،ولا يحتاج الدفاع عنه إلاّ الى حامية صغيرة جدا ... ، ويخيل إلىّ أن الاستيلاء عليها يعود على مصالحنا بأكبر الفوائد ... ، ان امتلاك عدن من شأنه أن يضع حدا نهائيا لما قد يجول فى ذهن محمد على من مشروعات الفتح والتوسع فى هذه الجهات(١) "، اذا فاحتلال جزيرة خرج فى سنة ١٢٥٤هـ /١٨٣٨م عند رأس الخليج العربى لسد الطريق أمام أى تحرك أو زحف من جانب محمد على صوب العراق ،لا بد أن يتبع باحتلال ميناء عدن أو السيطرة عليه ، لسد الطريق أمام أى تحرك يقوم به محمد على فى البحر الأحمر، ولكيلا يقوم بامداد قواته التى تسير فى وسط الجزيرة العربية وتتجه الى شرقها . (٢)

---

(١) د . محمد فؤاد شكرى وآخرون : بناء دولة مصر محمد على "السياسة الداخلية" ، ص ٧١٢.

2- H. Temperley and L.M. Penson : Foundations of British Foreign Policy, p. 124.

،د . بدرالدين عباس الخصوص : محمد على والخليج العربى ... ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الكويت ،عدد ٥ ، سنة ١٩٧٤م ، ص ١٠٤ .

حينما عارض ابن السلطان ورجال دولته الاتفاقية التى أبرمها والده مع الكابتن هينز Haines والتى تقضى بأن يتخلى السلطان عن عدن للانجليز مقابل مبلغ من المال (١) ، حينذاك كان استخدام القوة هو البديل الوحيد للسيطرة على عدن ، ورغم أن بعض رجال حكومة الهند البريطانية كانوا لا يرون فى حادثة السفينة دوريا دولت Duria Dowlat ما يبرر غزو عدن ، مما يعرضهم لمشاكل واصطدامات مع المصريين ومع القوى الغربية الأخرى (٢) ، الا أن هوب هاوس كتب الى أوكلاند Auck Laned مؤكدا له فى أن مهمته الفورية هى أن يقوم باحتلال عدن ، فهى المنطقة التى كان يساوم عليها منذ وقت طويل ، مشيرا بأنه لا يبدى أى ارتياح تجاه محمد على باشا (٣) .

تراجع الكابتن هينز Haines عندما شعر أن هناك خطة للقضاء عليه هو وجنوده على الشاطئ الذى يعتزم النزول فيه ، وبعث بتحذير قوى الى السلطان ، ثم عاد الى بومباى (٤) ، ليقدم الى حكومته تقريرا

---

(١) د . السيد رجب حراز : المدخل الى تاريخ مصر الحديث ، ص ٢٤٧
(٢) د . فاروق عثمان أباظة : عدن والسياسة البريطانية فى البحر الأحمر ١٨٣٩ - ١٩١٨م ، ص ١٦١ .
(٣) جون . ب . كيلى : بريطانيا والخليج ١٧٩٥-١٨٧٠ ، ج١ ، ص ٥١٠ ، ٥٢٦ .
(٤) أحمد فضل بن على محسن العبدلى : هدية الزمن فى أخبار ملوك لحج وعدن ، ص ١٤٤ .

كاملا من مهمته تلك ، مقترحا فيه امكانية السيطرة على عدن بالقوة ، بحجة الاهانة التى لحقت بالعلم البريطانى ، والرعايا البريطانيين على السفينة دوريا دولت Duria Dowlat ، وقد أكد المسئول البريطانى أن أهالى عدن لن يشكلوا عقبة فى سبيل هذا الاحتلال الذى سيتم بدون التعرض الى خسائر فادحة فى الأرواح والممتلكات ، الا أن الصعوبة التى ستواجهها القوة البريطانية ، تتمثل فى الجيوش التى يسيرها محمد على ، مما يحتم على القوة البريطانية التى ستحتل عدن البقاء هناك لحراستها بالتعاون مع سفن حربية بحرية من الأسطول الهندى البريطانى . (١)

فى الوقت الذى لم تكن اللجنة السرية فى لندن والتى تشرف على حكومة الهند ، بمنآى من الاجراءات التى تقوم بها حكومة الهند للسيطرة على عدن ، كان الرأى العام البريطانى ، كما جاء فى مجلة بلاك وود Black Woods Magazin ، فى أحد مقالاتها ، يعارض استخدام القوة لاحتلال عدن ، لأن أهلها قد أبدوا استعدادهم لتقديم التسهيلات التى يطلبها البريطانيون كانشاء مخزن ومحطة للفحم لتموين السفن البريطانية ، وليس هناك خوف من سيطرة الحكومة المصرية على عدن لأن محمد على كما تقول المجلة قد أبدى استعداده لتقديم كافة التسهيلات

---

(١) د . فاروق عثمان أباظة : عدن والسياسة البريطانية فى البحر الأحمر ١٨٣٩-١٩١٨م ، ص ١٧١-١٧٢ .

التى تتطلبها السفن البريطانية على غرار ما هو معمول به فى الموانئ المصرية التى يسيطر عليها الباشا (1) ، الا أن البت فى هذه الأمور كان فى أيدى الساسة البريطانيون الذين يدركون ماهية الأخطار من وراء تحركات محمد على فى البحر الأحمر وسيطرته على عدن ، لأن الوضع فى الشام الذى أفرز هذه التحركات لا يزال ماثلا أمام أنظارهم ، وأعماله فى تعطيل خطط البريطانيين الموجهة للعراق لا زالت قائمة (2) ، رغم تأكيداته هو للقنصل البريطانى فى القاهرة بعدم تفكيره باحتلال عدن أو أى منطقة فى شرقها (3).

عاد الكابتن هينز Haines الى عدن فى شهر شعبان سنة ١٢٥٤هـ الموافق لشهر اكتوبر سنة ١٨٣٨م ، وفى نيته تحقيق أهدافه وأهداف حكومته فى السيطرة على عدن بالقوة المسلحة لا سيما وأن الوزارة البريطانية قد وافقت على أن تتخذ حكومة الهند كافة الاجراءات العسكرية للاستيلاء على عدن عنوة ، ولكنه أدرك تصميم العرب فيها على المقاومة ، حين بدأوا فى التحرش بالسفن البريطانية ، فتراجع الى جزيرة صغيرة بالقرب من عدن فى

---

(1) د . فاروق عثمان أباظة : عدن والسياسة البريطانية فى البحر الأحمر ١٨٣٩-١٩١٨م ، ص ١٧٣-١٧٤ .

(2) د . أحمد مصطفى أبو حاكمة : تاريخ الكويت ، القسم الأول ، ج٢ ، ص ١١٩ .

(3) د . عبد الحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث ١٥١٧ - ١٨٤٠م ، ص ٨٤ .

انتظار الاعدادات العسكرية من حكومته [1] ، في الوقت الذى رأى فيه استخدام الحصار الاقتصادى حول الميناء كاجراء حربى فعال للتأثير على معنويات السكان ومعيشتهم ، وكذلك استغلال وجود المنازعات الداخلية بين قبائل المنطقة ،لاشعال نيران الصراع الداخلى بينهم كى لا يقفوا جبهة واحدة ضد الغزو المرتقب .

استعدت حكومة الهند البريطانية لعملية الغزو واحتلال عدن بالقوة ، وأصدرت تعليماتها بأن تتوجه السفينتان فولاج Volage ،ذات الثمانية والعشرين مدفعا ، وكروزر Cruizer ذات الستة عشر مدفعا ، واللتان كانتا تقومان بمهمة فى نهر السند ، بسرعة التوجه الى عدن للمشاركة فى عملية الاحتلال ، ويرافق هاتين السفينتين ثلاثمائة جندى أوروبى ، وأربعمائة جندى هندى ، اضافة الى أربعين جنديا من أطقم المدفعية البريطانية ، وعدد من المهندسين المتخصصين فى مجالات متعددة ، لتنضم هذه القوة الى السفن والقوة التى كان يقودها الكابتن هينز Haines والتى كانت تحاصر مدينة عدن ، بينما كان يرافق السلطان محسن العبدلى فى عدن سبعمائة رجل فقط ،اضافة الى فارق التسليح والخبرة العسكرية التى كان يمتاز بها

---

(1) د . عبدالحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث ١٥١٧-١٨٤٠م ص ٩٠ .

، د . السيد رجب حراز : المدخل الى تاريخ مصر الحديث..،ص ٢٤٧ .

البريطانيون حينئـــذ (١) .

هنا يتبادر الى الذهن سؤال جدير بالاجابة ، فاذا كان سكان مدينة عدن لا يزيدون من الستمائة نسمة تقريبا فى ذلك الوقت(٢) ، فلماذا كل هذه الاستعدادات وكل هذه القوة التى أمدت لغزو عدن ..؟ الجواب على ذلك قريب وبسيط ، فاذا كانت بريطانيا تنوى احتلال عدن للوقوف أمام طموحات وتحركات محمد على فى المنطقة ، فمن الأولويات أن تحسب ألف حساب لما قد تقوم به قوات الباشا من مساعدة لأهل عدن ،ان لم تشارك ببعض مناصـــرها فى الدفاع عن المدينة وهذا غير مستبعد الوقوع ، حيث أن الكابـــتن هـــينز Haines ، قد أكد لحكومته أن المصريين قد دربوا عرب عدن تدريبـــا فائقا على استخدام مختلف الأسلحة ،مؤكدا أنهم قد اشتركوا بالفعل فـــى المناوشات الحربية التى وقعت بين قواته وقوات عدن (٣) .

---

(١) د . فاروق عثمان أباظة : عدن والسياسة البريطانية فى البحر الأحمر ... ، ص ١٨٥-١٨٦ ، ١٩٥ .

، أحمد فضل بن على محسن العبدلى : هدية الزمن فى أخبار ملـــوك لحج وعدن ، ص ١٤٥ .

(٢) أمين الريحانى : ملوك العرب ، ج ١ ، مجلد ١ ،ص ٤١٥ .

(٣) د . فاروق عثمان أباظة : المرجع السابق ، ص ١٨٩ .

تطورت الأحداث بين البريطانيين المحاصرين لعدن وبين سلطان لحج ، لتدفع بالطرفين الى ساحة الحرب ، حيث وقعت مدة مناوشات بين الجانبين ، ربما حاول البريطانيون ايجادها لتقوم المعركة التي ينشدونها لكي يحققوا من ورائها هدفهم المرتقب في احتلال عدن ورغم أن أعيان مدينة عدن أمثال السيد العيدروس ، قد حاولوا اطفاء نار الحرب التي باتت وشيكة الوقوع ،الا أن القائد البريطاني قد ألقى بتبعية ذلك على السلطان محسن العبدلي وابنه ، اللذين بدآ في المناوشات الحربية على حد زعمه ولكي يظهر نفسه بأنه غير راغب في الحرب بعث بانذاره الأخير الى السلطان محسن وجميع زعماء قبائل العبادلة ، مخطرا اياهم بوصول قوات بريطانية ضخمة لاحتلال عدن ، وأنه لا بد من تسليمها له ، لكي لا يجبر على قوه الخسائر المادية والبشرية (١) ،الا أن أنفة السلطان وقومه ، وحبهم لأرضهم ، لم تمكن القائد الانجليزى من أهدافه العدوانية التي يرمي الى تحقيقها دون حرب وتدمير ، مؤكدين أنهم لن يسلموا عدن الا بعد أن يقدموا في سبيلها أرواحهم وممتلكاتهم ، وما يستطيعون تقديمه من عزيمة واباء.

في صباح الرابع من ذى القعدة سنة ١٢٥٤هـ ، التاسع عشر من يناير سنة ١٨٣٩م ، بدأت السفن البريطانية كوت Coote وفولاج Volage

---

(١) د . فاروق عثمان أباظة : عدن والسياسة البريطانية في البحر الاحمر ... ، ص ١٩١-١٩٤ .

وماهى Mahi ، وكروزر Cruizer قصفها لميناء عدن ، لتسقط الأبراج وتتمكن القوات البريطانية الأخرى من الاستيلاء على الميناء ورفع العلم البريطاني على قصر السلطان محسن العبدلى (١) ، الذى فر الى لحج مع أبنائه وعائلته وأعيان مدينة عدن (٢) ، ليعقد بعد ذلك مع الانجليز معاهدة يدفعون له بموجبها ستة آلاف ريال تعويضا عن الاحتلال كما تعهد الانجليز بدفع رواتب سنوية للسلاطين والمشائخ فى ذلك الساحل كسلطان قبائل الفضلى ويافع والحوشبى وغيرهم. (٣)

وهكذا استطاع البريطانيون احتلال عدن وفرض سيطرتهم عليها بالقوة ، بعد أن كانت جميع محاولاتهم وخططهم قد وصلت الى الفشل ، والتى كانوا يحاولون من خلالها السيطرة على عدن بأساليب الضغط السياسى والمناورات الحربية لاجبار سلطان لحج وعدن على التنازل عنها .

---

(١) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ... ، ص ٢٣٤ .

، د . عبد الحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث ١٥١٧-١٨٤٠م ص ٩١ .

(٢) الشيخ عبد الواسع يحيى الواسعى : تاريخ اليمن ، المسمى " فرجة الهموم والحزن فى حوادث وتاريخ اليمن " ، ص ٥٨ .

، أحمد فضل بن على محسن العبدلى : هدية الزمن فى أخبار ملوك لحج وعدن ، ص ١٤٥ .

(٣) الاستاذ محمد شفيق غربال : منهاج مفصل لدروس العوامل التاريخية ... ، ص ١٦ .

، محمود كامل : اليمن شماله وجنوبه ... ، ص ٢٣٦

أوضحنا أن الأهداف البريطانية من السيطرة على عدن هو أهميتها لمصالحهم الاقتصادية والاستراتيجية في أهم طريق لمواصلاتهم التجارية الى الهند عبر البحر الأحمر ، ولكي يقفوا من خلاله في وجه طموحات وأهداف محمد على التي بدأت تتبلور في اليمن ، بعد أن فرض سيطرته على الشام ، وبدأ في التركيز على الجزيرة العربية والخليج العربي ، مما يعني أن أفضل وسيلة وأسرع اجراء يمكن اتخاذه لايقاف هذا الخطر ، هو السيطرة على عدن باعتبارها نقطة تحكم في البحر الأحمر[1] ، ولعل في طريقة الاحتلال وتوجيهات حاكم بومباى للقائمين على الحملة ، بضرورة احتلال عدن تحت أي ظرف من الظروف ، ثم ما تبع ذلك من حسن المعاملة للأهالي واستجلاب رضا الزعماء والمشائخ بالهبات والرواتب السنوية[2]، ما يؤكد ما ذهبنا اليه ، وقد أدرك أحد رجال القانون الأمريكي عدم مشروعية احتلال عدن من الناحية القانونية ، "لأن المفاوضات قد انقطعت بعد أن رفض السلطان أن يتنازل عن سيادته على عدن ، وأنه لم يتم معه اتفاق سابق على استعمال القوة ، وأنه لذلك يكون ما تدعيه بريطانيا من حق على عدن انما يستند الى القوة وحدها .."[3]

---

(١) محمد صبرى : تاريخ مصر الحديث من محمد على الى اليوم ،ص ٧١ ، جون ،ب،كيلى : بريطانيا والخليج ١٧٩٥-١٨٧٠م ، ج ١ ، ص ٥٦٨

(٢) د . فاروق عثمان أباظه : عدن والسياسة البريطانية في البحرالأحمر ... ، ص ١٨٦-٢٠٢ .

(٣) محمود كامل : اليمن شماله وجنوبه تاريخه وعلاقاته الدولية ،ص ٢٣٦

لم يغفل ابراهيم باشا يكن الوالي المصري في اليمن من الأحداث التي جرت في عدن من قبل الانجليز ،اذ كتب الى محمد على بتفاصيل تلك الأحداث في العاشر من ذي القعدة سنة ١٢٥٤هـ، الخامس والعشرين من يناير سنة ١٨٣٩م، مبلغا اياه احتلال الانجليز لعدن بعد أن خرج منها السلطان الذي لم يعد في استطاعته مقاومة مدافع الانجليز وقواتهم الكبيرة ، وأشار الوالي المصري الى أنه يوجد بلدة تسمى بئر أحمد تقع في المنتصف بين عدن ومخا ،وأن الانجليز ينوون السيطرة عليهما ، لأنهم قد بدأوا في التباحث مع حاكمها للانضواء تحت نفوذهم ، مما يهدد النفوذ المصري في تلك الجهات ، الا أن اجابة محمد على على تلك الرسالة كانت على نفس منهجه السياسي الذي يحاول أن يتبعه بصفة مستمرة مع الانجليز وهو عدم الاصطدام بهم عسكريا ، والتعامل معهم بوسائل سلمية (١) ، ولأن مركز الثقل لسياسته كان الخليج العربي والعراق كما سنوضح ذلك فيما بعد .

لم تكن أهداف وطموحات محمد على في اليمن بشكل عام وفي عدن بشكل خاص ، غير معروفة لدى البريطانيين اذ أن وزير خارجيته قد أبلغ القنصل البريطاني في القاهرة من قلق الباشا حيال المفاوضات التي كانت

---

(١) وثيقة رقم ١٠٥ ، عربي ، محفظة ٢٦٤ عابدين ،محافظ الحجاز رقم ٦ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة.

تجرى بين الكابتن هينز Haines وسلطان لحج ، مؤكدا له أن عدن ليست منطقة مستقلة بحيث يمكن الاستيلاء عليها دون مواجهة أية اعتراضات معللا ذلك بتبعيتها لامام صنعاء حينذاك. (١)

بعد أن تم الاحتلال البريطاني لعدن ، صارت تعليمات الباشا الى واليه فى اليمن تؤكد عليه تتبع الأحداث فى جهة عدن ورفعها الى محمد على أولا بأول (٢) ، وهذا يكفينا من الادلاء بأى تعليق حيال ما يختمر فى ذهن الباشا تجاه تلك النواحى ، غير أن ما صرح به بعد ذلك علانية بمنع العمال والصناع وأرباب الحرف من مغادرة مخا الى عدن (٣) ، يؤكد تلك الأهداف والطموحات بشكل واضح .

طالما أن الاحتلال البريطانى لعدن ما هو الا وسيلة لايقاف التوسع المرتقب لمحمد على فى المنطقة ، فقد سارع الكابتن هينز Haines قائد الحملة العسكرية التى قامت بالاحتلال ، بابلاغ ابراهيم باشا يكن باستيلائه على عدن قائلا له : " لى الشرف أن أفيدكم بأن عدن أصبحت ملكا

---

(١) د . فاروق عثمان أباظة : عدن والسياسة البريطانية فى البحر الأحمر ... ، ص ١٧٥ .

(٢) وثيقة ٩٤ حمراء ، تركى ، محفظة ٢٦٧ عابدين ، محافظ الحجاز رقم ٧ دار الوثائق القومية بالقاهرة.
، صورة الوثيقة رقم ٢٤ حمراء ، عربى ، محفظة ٢٦٧ عابدين ، محافظ الحجاز رقم ٧ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة.

(٣) د . عبد الحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث ١٥١٧-١٨٤٠م ، ص ٩٢-٩٣ .

للحكومة البريطانية منذ ٤ ذى القعدة سنة ١٢٥٤هـ، ١٩ يناير سنة ١٨٣٩م وقد حالت مشاغل كثيرة ،دون افادتكم بهذا النبأ السعيد ، وأتمنى أن تكونوا متمتعين بكامل الصحة"(١) ، وكأنه يقول له بأن لا يضعها ضمن مخططه التوسعى الذى ينفذه حسب توجيهات محمد على .

ولكى يقف الكابتن هينز Haines دون أية ظروف طارئة قد تحدث لانتزاع عدن من سيطرة حكومته ، استعمل اسلوب الاغراء بالهدايا والهبات التى بدأ يسبغها على مشائخ القبائل فى الاقليم ،محرضا اياهم على عدم دفع الزكاة المفروضة عليهم للادارة المصرية(٢) ، ونجح فى ذلك الى أبعد مدى فى استقطاب كثير من القبائل ،اضافة الى شروعه فى نقل التجارة من الموانئ اليمنية التى يسيطر عليها جيش محمد على الى عدن .

وهنا نستطيع أن نؤكد أن السبب المباشر لاحتلال عدن من قبل بريطانيا فى ذلك الوقت بالتحديد ، انما هو كاجراء وقائى سريع لايقاف تحركات جيوش محمد على التى أصبحت تسيطر على ساحلى البحر الأحمر، وبدأت فى الوصول الى السواحل الشرقية من الجزيرة العربية ، ولم يعد

---

(١) د .عبدالحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث ١٥١٧-١٨٤٠م، ص ٩١-٩٢ .

، د .عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ... ، ص ٢٣٤-٢٣٥ .

(٢) د .فاروق عثمان أباظة : عدن والسياسة البريطانية فى البحر الأحمر ... ، ص ٢١٦ .

ينقصها الا الامدادات العسكرية البحرية التى ترسل لها من طريق البحر الأحمر ، لا سيما وأن عدن تملك حينذاك أهمية حربية واقتصادية لوقوعها على الطريق التجارى العالمى الواصل بين الشرق والغرب[1] ، ولعل السير روبرت جرانت حاكم بومباى Sir, Robert-Grant قد تنبه الى ذلك وأشار اليه من طرف خفى ،فى رسالة بعثها الى رئيس مجلس ادارة شركة الهند الشرقية فى لندن ، أوائل شهر ذو القعدة سنة ١٢٥٢هـ ، أواخر فبراير سنة ١٨٣٨م ، حين قال : "ان أهمية عدن بالنسبة لنا لا تقدر بثمن اذ أنه يمكن استخدامها كمخزن ومحطة لتموين السفن التجارية طيلة فصول السنة ، كما أنها مركز التقاء ، ومرفأ ممتاز لرسو السفن التى تعبر طريق البحر الأحمر ،فضلا عن أنها قاعدة عسكرية قوية بحيث يمكن بالسيطرة عليها أن نحمى ونستفيد من كل تجارة البحر الأحمر والخليج العربى ،والساحل المصرى المواجه والغنى بمنتجاته ،واذا ما أصبحت عدن ملكا لنا فانها كجبل طارق تتميز بحصانتها ومنعتها من البر ومن البحر على السواء ،ـ الى أن قال ـ فهناك امتان كبيرتان تتآمران علينا وتودان القضاء على قوتنا فى الشرق ، أولهما روسيا وهى تتجه نحونا من خلال ايران ، والثانية فرنسا وهى آتية من خلال مصر ، وحتى

---

(١) الأستاذ محمد شفيق غربال : منهاج مفصل لدروس العوامل التاريخية فى بناء الامة العربية على ما هى عليه اليوم ،ص ١٤ .

نتصدى لهذه التهديدات يتحتم علينا أن نقيم مراكز ناحية متقدمة فيما وراء نطاق حدودنا"(١)

لم يكتف البريطانيون باحتلال عدن ،بل استمروا في بذل الجهود المختلفة لاقتلاع الخطر الأساسي الذي دفعهم لهذا الاحتلال وهو وجود جيوش محمد على في هذه النواحي ،فلقد قام المعتمد السياسي البريطاني في عدن الكابتن هينز Haines باتخاذ عدة ضغوط اقتصادية على حكومة ابراهيم باشا يكن في اليمن ، لكي يؤثر على استقرارها وطموحاتها المستقبلية ، فقام بتحويل التجارة اليمنية من الموانئ التي تسيطر عليها حكومة الباشا الى عدن ، كما قام بتحويل تجارة البن من مخا الى عدن اضافة الى ذلك قام بعدة محاولات لعقد معاهدات صداقة مع زعماء القبائل بحجة حمايتهم ،وحماية مصالحهم التجارية من تهديدات قوات محمد على (٢)

كانت المعاهدات التي تبرمها بريطانيا مع مشائخ وسلاطين المنطقة ، نموذجا سياسيا فريدا امتازت به السياسة البريطانية في تلك الحقبة الزمنية ،

---

(١) د . فاروق عثمان أباظة : عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ... ، ص ١٥٣ .

(٢) د . عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ... ،ص ٢٣٥-٢٣٧ .

، د . فاروق عثمان أباظة : المرجع السابق ، ص ٢١٨ .

للتصدى لأطماع وتوسعات محمد على باشا ، دون أن تثير انتباه أى من الدول المنافسة فى المنطقة ، وكذلك أهالى المنطقة أنفسهم ،اذ أنها كانت توقع معهم معاهدات حماية وصداقة تضمن من خلالها عدم اعتراضهم لها فى حكم المنطقة مقابل اتاوات سنوية تدفعها لهم ، وليس أدل على ذلك من أن مجموع تلك المعاهدات فى الجنوب العربى منذ احتلال عدن الى آخر معاهدة قبل الاستقلال قد بلغ تسعين معاهدة . (١)

لم يهدأ بال للحكومة البريطانية رغم احتلالها عدن ،لأن الساسة البريطانيون كانوا حذرين جدا فى تعاملهم مع محمد على وقواته التى أصبحت تسيطر على أجزاء كثيرة من اليمن ، وطموحات الباشا التى ينوى تحقيقها فى تلك الجهات(٢) ، وكان القنصل البريطانى فى القاهرة يقوم بتزويد حكومته بالتقارير اللازمة عن الأوضاع التى تجرى فى عدن فى ظل الادارة الانجليزية الجديدة ، ومدى استجابة الأهالى لها (٣) ، وعندما وصل الى أسماع القنصل البريطانى فى مصر نبأ وجود مبعوث شخصى من قبل محمد على لدى امام صنعاء ، لم يتلكأ فى التوجه الى قصر الباشا ،

---

(١) محمود كامل : اليمن شماله وجنوبه تاريخه وعلاقاته الدولية ، ص ٢٣٧-٢٣٩ .

2- Document:F.O.78/373, C/A/61064.No. 21.p.p.98-99, and p.p. 101-103.

3- Document:(I.O.R.)L/P,S/9/112.No.4. p.p. 37-38.

ليسأل محمد علي عن هدف تلك الزيارة التي يقوم بها مبعوثه الى اليمن ، وليشعره في أثناء تلك المقابلة أن بريطانيا لا يمكنها التغاضي عن التحركات السياسية المدروسة التي يقوم بها الباشا في اليمن ، ويجب عليه ادراك مايوحي اليه ، وعدم المساس بالمصالح التجارية البريطانية هناك. (١)

من هنا نستطيع أن نقرر ومن خلال ما سبق استعراضه أن الاحتلال البريطاني لميناء عدن الهام ، انما هو ضربة موجهة لمحمد علي لايقاف طموحاته وأهدافه في الجزيرة العربية بشكل عام ، واقليم اليمن بشكل خاص فالأهمية الاستراتيجية التي يحتلها عدن ، وتحكمه في المدخل الجنوبي للبحر الأحمر هي خير حاجز لتلك التوسعات التي يعتزم محمد علي القيام بها في المنطقة ، لا سيما وأن حكومته في الشام قد بدأت في فرض سيطرتها على الأمور ، لتهدد من جانب آخر ذلك الطريق الهام للمواصلات التجارية البريطانية الى الهند عبر أراضي العراق والخليج العربي ، وبذلك اهتدى الساسة البريطانيون الى ايجاد هذا العلاج العسكري لتحقيق مصالحهم التجارية والاستراتيجية على حد سواء ، وبالوسيلة التي يريدونها ، ليتحكموا بذلك في مداخل البحر الأحمر ويقطعوا طريق الامدادات العسكرية لقوات الباشا التي بدأت تستقر في شرق الجزيرة العربية ، والحاجة الى الامدادات

---

1 - Document: F.O.78/404. p.p. 97-99.

من حكومتها الأم في مصر لا تزال قائمة ، وخير طريق لارسالها هو البحر ، لأن الطريق البرى طويل وشاق ولا يؤدى نفس المهمة التي يمتاز بها طريق البحر ، الا أن احتلال عدن كان بداية النهاية لطموحات وأهداف محمد على التوسعية في الجزيرة العربية .

استمر اشتعال نيران الثورات فى قلب الشام ، وفى أماكن مختلفة منها ، منذ معاهدة كوتاهية - الهدنة المسلحة - ، ورغم أن سياسة محمد على التى انتهجها مع أهل الشام كانت من أهم الدوافع لاشتعال هذه الثورات ، الا أن أيدى الانجليز كانت وراء هذه الثورات تحيكها ضد حكومة الباشا ، لتقتلعه من المنطقة بأسرها ، وتحقق فيها أهدافها المختلفة. (١)

كانت الدولة العثمانية لا تفتأ منذ دخول قوات محمد على الشام على استثارة أهل الشام ، واستمالة رؤساء العشائر وأصحاب الزعامات والأعيان فيها الى جانبها فى سبيل اخراج محمد على من الشام ، لتصبح الأمور بالنسبة للباشا وحكومته فى وضع جد خطير ، ويصبح الوجود المصرى فى الشام فى غاية الصعوبة ، حتى كانت الشام بأسرها تترقب هزيمة تحل بالباشا وحكومته لتشق عليه عصا الطاعة والخضوع ، ويذهب بعض المؤرخين فى هذا الشأن الى أن حكومة الباشا قد أصابها العجز المادى والعسكرى ، ولم تعد تستطيع امداد جيوشها فى الشام بعناصر جديدة ، تقوى من قبضتها هناك. (٢)

---

(١) رزق الله منقريوش الصّدفى : تاريخ دول الاسلام ، ج ٣ ، ص ٣٢٠ .

(٢) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص ٥٦٠-٥٦١ .

رغب محمد على بتشجيع من فرنسا ومساعدة من سفيرها في الآستانة التوصل الى اتفاق مرض مع السلطان العثماني يتم بموجبه اعطاء ولايتى مصر وبلاد العرب لمحمد على باشا ارثا له ولأولاده من بعده ، وبلاد الشام الى جبال طوروس له مدة حياته ،ويبدو أن المندوب العثماني الذى وصل الى مصر في سنة ١٢٥٣هـ/١٨٣٧م، كان متفقا في هذا الرأى مع الباشا الا أن الباب العالى رفض الاتفاق ، مما جعل هذا الصلح يتعثر مرّة أخرى ولا يكتب له النجاح . (١)

ولعل بريطانيا التى كانت تبذل جهودا مكثفة ضد الادارة المصرية في الشام، كانت أحرص على نشوب حرب جديدة بين الباشا والسلطان لكى تحقق من خلالها ما يعود على مصالحها الاستراتيجية بفوائد مباشرة ليست على الأسس التى أبرمت من خلالها معاهدة انكيار سكليسى Unkiar - Skelessi بين الدولة العثمانية وروسيا .

زاد اصرار السلطان العثماني على ضرورة محاربة محمد على لاجباره على الخضوع لطاعة السلطان وتنفيذ أوامره ،باعتبار أنه أحد الولاة التابعين

---

(١) رزق الله منقريوس الصدفى : تاريخ دول الاسلام ،ج ٣ ، ص ٣٢٠-٣٢١ .

، محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ،ص ٤٥٢ .

لدولته ، لا سيما وأن هذا الوالي قد بدأ في التطلع الى جهات بعيدة من نواحي الدولة العثمانية في محاولة لاخضاعها لنفوذه المطلق ، كشرقي الجزيرة العربية وجنوبها وولاية العراق ، وقد ظهرت نتائج المحاولات التي تقوم بها الدولة العثمانية لاستعادة الشام ،بجانب الثورات التي تشتعل في جهات مختلفة من الشام حين أعلنت كثير من المدن والقرى في النواحي الشمالية من الشام انضمامها الى السلطان العثماني [1] ، كما استمالت الدولة العثمانية الى جانبها شيخ عشائر شمر الجربا - صفوق الجربا - لكي يقوم بفتح ثغرة خلفية في جيوش ابراهيم باشا الذي سيتوجه لحرب الدولة العثمانية ، في معركة مقبلة ، خاصة وأن تلك الثغرة ستكون من طريق الصحراء ، مما يعني أن القوات النظامية ستجد صعوبة في التصدي لهذه القبائل المهاجمة ،وهو ما تنبه له ابراهيم باشا ، ليطلب من والده ارسال المدد الى قواته للوقوف أمام هذه الثغرة الجديدة ، أما الولاة العثمانيون في العراق فقد كان ظهور خورشيد باشا في شرقي الجزيرة العربية وتهديده لجنوب العراق كفيلا بتقليل أهمية خطرهم على قوات ابراهيم باشا . [2]

---

(١) د . لطيفة محمد سالم : الحكم المصري في الشام ١٨٣١-١٨٤١م ، ص ٦٢ .

(٢) د . عبدالعزيز نوار : تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا الى نهاية حكم مدحت باشا ، ص ٢٠٥-٢٠٧ .

لقد كان اعلان محمد على رغبته في الاستقلال والانفصال من الدولة العثمانية غير مقبول من السلطان العثماني ، ومن الدول الأوروبية وفي مقدمتها بريطانيا [١] ، ومن ثم أخذ كل طرف من ناحيته في الاستعداد لخوض حرب عسكرية أخرى ، وكأنهما يؤكدان أن معاهدة كوتاهية ما هي الا هدنة مسلحة أعقبت حرب الشام الأولى ، يستعيد كل منهما خلالها قوته ، ويدعم نفوذه، فقد كان محمد على حريصا على انتهاز الفرصة منذ تلك المعاهدة ، وقبل أن يتم تدريب القوات العثمانية على أيدى الضباط الأوروبيين ، حتى أن البعض كان يعزو الحرائق التي اجتاحت القسطنطينية في سنة ١٢٥٤هـ ، أوئل سنة ١٨٣٩م ، الى تدبير من محمد على نفسه [٢] ، بينما قام ابنه ابراهيم باشا قائدا قواته في الشام بتحصين حدود دولته هناك ، وأقام معسكرات وثكنات لجيشه في الشمال ، وأنشأ خطاً دفاعياً عند جبال طوروس [٣] ،بينما أرسل السلطان العثماني جيوشه الكبيرة تحت قيادة حافظ باشا والتي يقدر عددها بسبعين ألف مقاتل ،ويقال في رواية أخرى أن الجيش العثماني قد بلغ مائة ألف مقاتل ،بينما لم يتعد عدد الجنود المقاتلين مع ابراهيم باشا أربعين

---

(١) د . السيد رجب حراز : المدخل الى تاريخ مصر الحديث... ،ص٢٧١ ، د . محمد فؤاد شكرى : مصر والسودان ـ الوضع التاريخي للمسألة ، ص ١٧ .

(٢) د . محمد عبد اللطيف البحراوى : حركة الاصلاح العثمانى ... ، ص ١٥٤ .

(٣) عبد الرحمن الرافعى : عصر محمد على ، ص ٢٧٢ .

ألـفاً (١) ، ولقد كانت الحكومة البريطانية التى بعثت بمجموعة من ضباط البحرية الانجليزية فى مهمة لاعادة تنظيم الأسطول العثمانى (٢) ، تعلم أنه اذا حدثت الحرب بين الباشا والسلطان فلن تكون قائمة بينهما فقط ، وانما سوف تتدخل قوى أوروبية كثيرة ، وربما يحصل الباشا على مكاسب كبيرة كتلك التى نالها فى حرب الشام الأولى ، وربما تدخلت روسيا لتنفذ معاهدة انكيار سكليسى Unkiar Skelessi وهو شئ مرفوض فى نظر الحكومة البريطانية التى قامت بالتلويح للباشا بأنه اذا استمر فى اصراره على قتال السلطان العثمانى فانها ستقوم بمساعدة السلطان بغض النظر عن أى شئ آخر قد يكون بين جيوش الدول الأوروبية. (٣)

لقد كان القنصل البريطانى فى حلب متتبعا لكامل الأوضاع فى الشام حين كتب الى قنصل حكومته فى مصر يقول له : "ان كل ما فى سوريا حربى وخاصة فى شمالها فقد سافرت الى أقرب موقع تشغله قوات السلطان ، فوجدت

---

(١) محمد كرد على : خطط الشام ، ج٣ ، ص ٦٢.

(٢) بيير رنوفان : تاريخ العلاقات الدولية فى القرن التاسع عشر ، القسم الأول ، ص ١٣٤.

3-H.Temperley and L.M.Penson: Foundations of British Foreign Policy. p. 126.

المدافع القوية التى أقامتها القوات المصرية والممتدة على طول الحدود الى عنتاب ، وانى أرى روحهم عالية ويفوقون قوات السلطان" (١)

اذا كان محمد على فى هذه الحرب الثانية يتجه بتفكيره اتجاهاً جديداً بعد ما وثق من أن الدول الأوروبية قد رفضت مشروعه الانفصالى عن الدولة العثمانية ، اذ أنه لا يريد الاستقلال ولكنه يريد الوراثة لأسرته ، كما ألمح بذلك الى القنصل الروسى والفرنسى فى مصر (٢) ، فان السفير البريطانى فى الأستانة كان يظن أن بعض رجال الدولة العثمانية الذين يؤيدون محمد على ، انما هم يفعلون ذلك لمجرد الكيد لروسيا (٣) .

دخلت الأزمة بين السلطان العثمانى ومحمد على دورها الحاسم فى أوائل عام ١٢٥٥هـ الموافق لأوائل عام ١٨٣٩م، ورغم أن محاولات من الديبلوماسيين الأوروبيين قد بذلت فى بداية الأمر لايقاف أو تأجيل انفجار الحرب ، الا أن الجيش العثمانى عبر نهر الفرات فى شهر المحرم من عام ١٢٥٥هـ المصادف لشهر ابريل سنة ١٨٣٩م (٤) ، وهنا يذهب بعض

---

(١) د .لطيفة محمد سالم : الحكم المصرى فى الشام... ، ص ٩٥ .

(٢) صبحى وحيده : فى أصول المسألة المصرية، ص ١٤٦ .

3-Document : F.O. 78/375.xC/A/61064.p.p. 7-9

(٤) د . محمد كمال الدسوقى : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية، ص ١٧٩

4-H.Temperley and L.M. Penson; Foundations of British Foreign Policy, p.122.

المؤرخين الى أن بريطانيا هى التى أثارت حرب الشام الثانية ، نظرا لما قام به القنصل الانجليزى فى الأستانة من دور خطير فى اقناع السلطان العثمانى بخوض تلك الحرب ، لأن بريطانيا قد ضمنت وقوف جميع الدول الأوروبية الى جانبها فى هذه الحرب ما عدا فرنسا ، وأن بريطانيا ستقف الى جانب الدولة العثمانية من أى خطر قد يهددها نتيجة لهذه الحرب(١) ، ولعل ذلك هو ما أراد اللورد بالمرستون Palmerston الاشارة اليه ، حين كتب يقول : " ان مصلحتنا أن يسترد السلطان سوريا بل ومصر"(٢) .

أرسل ابراهيم باشا الى والده بمصر يسأله ماذا يكون موقفه اذا هاجمه العثمانيون كما يظهر من تحركاتهم العسكرية ، فرد عليه محمد على ، بأن عليه عدم الاستعجال فى فتح باب الحرب مع الدولة العثمانية ، وأن يلتزم جانب الدفاع لا الهجوم ، لكى يثبت للدول الأوروبية أن السلطان العثمانى هو البادئ بالحرب وليس هو(٣) ، الا أن رسالة أخرى قد وصلت من ابراهيم باشا

---

(١) ميخائيل شاروبيم بك : الكافى فى تاريخ مصر القديم والحديث ، ص ٦٦
، حسين مؤنس : الشرق الاسلامى فى العصر الحديث ، ص ٢٣٢ .

(٢) محمد صبرى : تاريخ مصر الحديث - من محمد على الى اليوم ، ص ٧٢

(٣) ميخائيل شاروبيم بك : المرجع السابق ، ص ٦٥ .
، كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص ٥٥٩ .

الى محمد على فى الاسكندرية ،مؤرخة فى أوائل ربيع الأول سنة ١٢٥٥هـ أواخر شهر مايو سنة ١٨٣٩م ، تشير الى أن بعض الفرسان العثمانيين التابعين لجيش حافظ باشا قد هاجموا الفرسان المصريين المعسكرين أمام عنتاب، وأنهم قد أثاروا القرى الموجودة فى منطقة عنتاب ، وقاموا بتسليم الأهالى السلاح والعتاد لمهاجمة القوات المصرية ، وأن قوات حافظ باشا فى حالة من الثورة ،استعداداً للحرب كما تقول الرسالة. (١)

أدرك محمد على أن الحرب واقعة بينه وبين السلطان العثمانى ، فكتب الى ابراهيم باشا آمرا اياه بالتأهب للحرب والاستعداد لخوض غمارها فى حين أنه أمر بجمع الجند وارسالهم الى الشام لمعاونة ابراهيم باشا فى الحرب المنتظرة. (٢) .

احتشد الجيش العثمانى والجيش المصرى استعداداً لخوض المعركة التى يعتزم كل منهما الفوز بها ،والقضاء على خصمه فيها ، لانهاء ذلك التوتر الذى ساد علاقتهما منذ حرب الشام الأولى ، وبعد عدة مناوشات ومناورات متفرقة بين الجيشين التقيا فى معركة حاسمة بالقرب من قرية

1-Document : F.O. 78/ 374.From Campbell to Palmerston.

(٢) عبدالرحمن الرافعى : عصر محمد على ، ص ٢٧٣ .

نصيبين (١) ، والتى عرفت المعركة باسمها ، وذلك فى الحادى عشر من ربيع الثانى سنة ١٢٥٥هـ الموافق الرابع والعشرين من يونيو سنة١٨٣٩م ورغم أن الضابط البروسى فون مُلْتِكه Von Moltke قد قام بتدريب الجيش العثمانى الا أن الجيش المصرى الذى تلقى جرعات كبيرة من التدريب على أيدى مدربين فرنسيين ،قد حسم المعركة لصالحه ،لينتصر فى هذه المعركة ويكبد الجيش العثمانى خسائر كبيرة فى الأرواح والمعدات رغم ما أبداه من شجاعة ومقدرة فائقة فى أرض المعركة ،وقد أسرت القوات المصرية خمسة عشر ألف رجل بسلاحهم ومهماتهم حتى ان ابراهيم باشا قد قبض على كثير من الاوراق الهامة التى تركت فى أرض المعركة ، بعد أن تقهقر العثمانيون ولم يتمكنوا من حملها . (٢)

---

(١) تقع قرية نصيبين على الطريق الواصل بين بيره جك والاسكندرونة ، وموقعها غربى بيره جك القائمة على الضفة اليسرى لنهر الفرات ، وهى غير نصيبين التى بالجزيرة ، وتعرف عادة فى كتب الغربيين باسم نزيب .

- عبدالرحمن الرافعى : عصر محمد على ،هامش ، ص ٢٧٣ .

، محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٤٥٣ .

(٢) الميرالاى اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ،ج١ ، ص ٦٨٨ .

، جورج كيرك : موجز تاريخ الشرق الاوسط ،ص ١٢٢ .

، السيد أحمد بن السيد زينى دحلان : الفتوحات الاسلامية بعد مضى الفتوحات النبوية ، ج ٢ ،ص ١٩٧ .

، سهيل زكار : بلاد الشام فى القرن ١٩ ،دراسة وتحقيق : مشهد العيان بحوادث سوريا ولبنان . د .ميخائيل مشاقه ،ص ١٧٩-١٨٠ .

كان السلطان العثماني قد أرسل الأسطول البحرى لحصار الاسكندرية ودك حصونها وقلاعها ، الا أن قائد الأسطول العثماني توقف في كريت مدة أيام ، قيل انه تم خلالها تبادل المراسلات بينه وبين محمد على ، استطاع من خلالها الباشا استمالة قائد الاسطول العثماني وخديعته ، ليقدم كامل سفن الاسطول ومعداتها الى محمد على دون حرب ولا قتال [١]، ويذهب بعض المؤرخين في تعليل ذلك الى أن قائد الاسطول العثماني أحمد فوزى باشا كان حاقدا على الباب العالى ، في عدم توليته الصدارة العظمى في الدولة ، وهو المنصب الذى كان ينتظره حينذاك بفارغ الصبر [٢]، بينما يشير القنصل البريطاني في مصر الى أن السبب الذى دعا قائد الأسطول الى تسليم اسطوله الى محمد على هو عداءه الشخصى لخسرو باشا وخوفه من أن يفقد مركزه الوظيفى بعد موت السلطان محمود الثاني ، اضافة الى رغبته في منصب الصدارة العظمى في الدولة العثمانية [٣] ، الا أن المؤرخين الأوروبيين كانوا أقرب الى الواقع في تعليلهم للأسباب التى دعت قائد الأسطول العثماني الى الانضمام الى محمد على ، حيث أشاروا الى

---

(١) ميخائيل شاروبيم بك : الكافي في تاريخ مصر القديم والحديث، ص ٦٢

(٢) رزق الله منقريوس الصدفى : تاريخ دول الاسلام ، ج٣ ، ص ٣٢١

3 - Document : F.O. 78/374. From Cambpell to Palmerston.

أن قائد الاسطول كان يعتقد أن عاصمة الدولة العثمانية قد بيعت الى الروس ، وأن السلطان لم يعد لديه المقدرة الكافية على الدفاع عنها (١) ، وأيا كان الرأى الأرجح فى تلك الحالات فان قائد الاسطول العثمانى قد أدرك ضعف الدولة العثمانية أمام تابعها القوى محمد على بعد انتصاره عليها فى معركة نصيبين ، وأن تسليم الاسطول العثمانى الى محمد على هو الحل الأمثل فى نظر القائد العثمانى ،طالما أن الجيوش البرية قد هزمت أمام جيوش الباشا الذى أصبح يهدد القسطنطينية ذاتها .

تكالبت الأحداث المروعة على الدولة العثمانية فى تلك الفترة،ففى التاسع عشر من ربيع الثانى سنة ١٢٥٥هـ المصادف للأول من يوليو سنة ١٨٣٩م، انتقل السلطان محمود الثانى الى جوار ربه قبل أن تبلغه كارثة هزيمة جيشه فى نصيبين (٢) ، ورغم أن على رضا الوالى العثمانى فى العراق ، وكذلك صفوق الجربا ، شيخ عشائر شمر الجربا ، قد قاما بمحاولات عدة للتصدى لأهداف وطموحات محمد على فى العراق ،من طريق اضطهاد من كانوا على صلة بقائده فى الجزيرة العربية خورشيد باشا ، أو بامدادهم

---

(١) أ.ج.جرانت وهارولد تمبرلى : أوربا فى القرنين التاسع عشروالعشرين ج ١ ، ص ٣٣٦.

، I-H.Temperley and L.M.Penson:Foundations of British Foreign Policy, p.123.

(٢) الميرالاى اسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار،ج ١ ، ص ٦٨٨.

، رزق الله منقريوس الصدفى : تاريخ دول الاسلام ،ج ٣ ، ص ٣٢١.

للجيش العثماني الذي يخوض معركة حاسمة في نصيبين من طريق الموصل في شمالي العراق (١) ، الا أن تلك الجهود والمحاولات لم تؤد الى نتيجة تذكر ، حيث أن نتائج معركة نصيبين وما تبعها من انضمام الأسطول العثماني الى محمد علي ، ووفاة السلطان العثماني محمود الثاني ، كانت أكبر من أي مساعدة أو خدمات تقدم الى الدولة العثمانية في تلك الفترة .

تولى الخلافة بعد السلطان محمود الثاني ، ابنه عبدالمجيد ، ليتولى الأمر ويبايع بالملك وهو لم يتجاوز السادسة عشر من عمره ، وكانت الدولة حينذاك تموج بالاضطرابات والأحداث الجسام التي خلفتها حرب الشام الثانية ، وكانت معركة نصيبين وما صاحبها من نتائج خطيرة ، كفيلة بزيادة الأعباء الكبيرة على كاهل السلطان الصغير ، الذي أصبحت عاصمة دولته مفتوحة الأبواب ، ولعل مما زاد الأمور تعقيدا اسناد منصب الصدر الأعظم الى خسرو باشا وهو من ألد الأعداء لمحمد علي ، الا أن ابلاغ السلطان الجديد بهزيمة جيوشه في نصيبين بعد يوم من جلوسه على كرسي الحكم ، وابلاغه بخبر انضمام الأسطول البحري الى محمد علي بعد عشرة أيام أخر ، لم تفت من عزيمته واصراره ، بل استمر في التصدي لتلك الأوضاع الكبيرة والخطيرة التي أصبحت تعيشها دولته ، وهو ما قل أن يتكرر لمثله

---

(١) د . عبدالعزيز نوار : تاريخ العراق الحديث ... ، ص ٢٢٤-٢٢٥ .
، د . عبدالحميد البطريق : محمد علي ومشروع غزو العراق ، مجلة كلية الآداب بالجامعة الأردنية ، عدد ١ ، يناير ١٩٦٩م ، ص ٥٥ .

من رجال التاريخ (١) .

كانت معركة نصيبين وما تلاها من انضمام الأسطول البحرى العثمانى الى محمد على أكثر من أن تتحمله الدول الأوروبية ، وبالذات بريطانيا صاحبة المصالح الاقتصادية والاستراتيجية فى المنطقة ، ولم يكن ذلك بالحدث اليسير على أوروبا بشكل عام ، باستثناء فرنسا التى كانت تميل الى جانب محمد على فى معظم الحالات(٢) ، عند ذلك أرسلت الدول الأوروبية مذكرة مشتركة الى الباب العالى موقعة من سفراء بريطانيا وفرنسا وروسيا والنمسا وبروسيا تطالبه فيها بعدم البت فى شأن المسألة المصرية دون علمهم . (٣)

أحس محمد على بخطورة الموقف المضاد له ، والذى ستقفه الدول الأوروبية الى جانب السلطان العثمانى ، فكتب الى الباب العالى يهنىء فيه السلطان بمناسبة اعتلائه كرسى السلطنة ، ويُظهر من خلاله علامات الود والطاعة التى يطلب فيها وضع حد لاراقة دماء المسلمين ، الا أنه كان

---

(١) الميرالاى اسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار من دول البحار ، ج ١ ، ص ٦٨٩ .

(٢) ج . ج . لوريمر : دليل الخليج ، القسم التاريخى ، ج ٣ ، هامش ص ١٦٤٠ .

(٣) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٤٥٥-٤٥٧ .
، رزق الله منقريوس الصدفى : تاريخ دول الاسلام ، ج ٣ ، ص ٣٢٢ .

يهاجم فى رسالته تلك عدوه القديم خسرو باشا.(١)

ولعلنا من هذا نستطيع أن نستخلص أن محمد على لم يكن يريد حقيقة الخروج على السلطان كما ذهب بعض المؤرخين ، وانما هو أراد أن يكون له مكانة مرموقة فى الدولة العثمانية ، مع استمراره فى الولاء للسلطان العثمانى ، ولكن بعد أن يزيح رجال السلطنة فى الأستانة ، والذين يعملون على طرفى نقيض مع الباشا ، ولكى يصبح من خلال ذلك من أصحاب الحل والعقد فى مصير الدولة العثمانية التى يكن لها الولاء والاخلاص وقد ذهب الى هذا الاتجاه أحد المؤرخين الذين بحثوا فى أصول المسألة المصرية ، حين تطرق الى مطالبة محمد على للدول الأوروبية بضرورة اقصاء خسرو باشا من منصبه ، والى ضرورة اصلاح الدولة العثمانية ، التى يرى أنه هو الجدير باصلاحها ، وانفراده هو بالقدرة على ذلك ، بعد أن تثور الأستانة على خسرو باشا ورجاله ، مؤكداً فى نظرته تلك الى مقدرته على اعلان ثورة اسلامية شاملة فيما لو تصدت له الدول الأوروبية ، كما بعث الباشا برسائل الى حكام الولايات ، وشيخ الاسلام مقارنا لهم ماضيه بماضى خسرو باشا ، وطالبا معونتهم فى اقصائه والعمل على النهوض بالدولة العثمانية.(٢)

---

(١) د. لطيفة محمد سالم : الحكم المصرى فى الشام ١٨٣١-١٨٤١م ، ص٦٣

(٢) صبحى وحيده : فى أصول المسألة المصرية ، ص١٤٧.

قررت حكومة السلطان عبد المجيد أن تتناسى الماضى ، وأن تحسم النزاع مع محمد على حقنا لدماء المسلمين ، ومنعا للتدخلات الأجنبية ، فبعث السلطان عارف أفندى الى محمد على برسائل رسمية يطلب فيهما تقديم الطاعة والولاء للسلطان ، وأن يوقف الحرب استعدادا لاجراء مفاوضات سلمية بين الجانبين ، وقد بعث محمد على برسالة سريعة الى ابراهيم باشا يأمره فيها بايقاف كل الحروب والمناوشات بعد أن بلغته أنباء وفاة السلطان محمود الثانى ، بل ذهب الباشا الى أبعد من ذلك فى تأكيداته للقنصل البريطانى فى مصر ، حين أشار الى أنه واثق بأن كل الاختلافات سوف تحسم وتستقر الأمور بدون اعتراض القوى الكبرى ، لأنه يعترف بالاحترام الكبير والخضوع للسلطان الصغير . (١)

وقد انتشرت فى أوروبا وفى انجلترا بالذات أنباء كثيرة وعلى جانب كبير من الخطورة مفادها أن السلطان الصغير والذى لم يتجاوز العمر ستة عشر عاما ، ربما يقدم لمحمد على كل ما يطلبه (٢) ، وهذا ما جعل اللورد بونسنبى pLord,Ponsonby القنصل الانجليزى فى الأستانة يتعرف على ماهية التحصينات والاستعدادات العسكرية التى تقوم بها حكومة السلطان (٣) ، بينما كان على الجانب الآخر يقوم الكولونيل

1-Document:F.O.78/374.From Campbell to Palmerston.

2-Hurewitz.J.C.,:Diplomacy in The Near and middle East,Vol.1.p.113.

3 - Document : F.O.78/374.XC/A/61064.No. 53.

كامبل Campbell القنصل البريطانى فى مصر بمعرفة نوايا محمد على تجاه الدولة العثمانية التى أصبحت فى موقف جد خطير، الا أن الباشا قد أظهر استعداده لايقاف الحرب ، وأنه قد أمر ابنه ابراهيم باشا بالاستعداد للعودة ، بعد ما علم بتسلم جنود السلطان أوامر من حكومتهم بالانسحاب من حدود سوريا ، وأشار محمد على فى مقابلته تلك للقنصل البريطانى الى أنه سيعيد الأسطول العثمانى الى السلطان حتى ولو رغب قائدة فى التخلى عنه للباشا (1) .

كان الجانبان أن يتوصلا الى اتفاق فيما بينهما ، لا سيما وأن السلطان الجديد كان أن يوافق على التنازل عن الشام ومصر وراثيتين لمحمد على باشا ، بعد أن عفا السلطان عن الباشا فيما ارتكبه من سالف الأعمال فى عهد والده ، ولتصبح الحرب بينهما قاب قوسين أو أدنى من النهاية ، الا أن الدول الأوروبية وعلى رأسها بريطانيا ، لم ترد أن يكون الحل كما يريد محمد على ، لأن ذلك يتعارض جملة وتفصيلا مع مصالحها الاقتصادية والاستراتيجية ، فحالت دون قيام أى صلح بينهما ، لتفرض هى الصلح وفق أهدافها ومصالحها الذاتية. (٢)

1- Document : F.O. 78/374. From Campbell to Palmerston.

(٢) د . السيد رجب حراز: المدخل الى تاريخ مصرالحديث... ،ص ٢٧٣ ، د . محمد كمال الدسوقى : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ،ص ١٨٠

لقد وضع انتصار جيوش محمد على على جيوش الدولة العثمانية في معركة نصيبين المسألة المصرية والمسألة الشرقية ، ومسألة التوازن الأوروبي عامة موضع البحث والنظر (١) ،لا سيما وأن تفكير الباشا قد بدأ في الاتجاه الى الأستانة ، عندما لوح للقنصل الفرنسي في مصر، بأن نفوذ حكومته قد بدأ في الاتساع والظهور في القسطنطينية ، وذهب الى أبعد من ذلك حينما أبلغ قناصل الدول الأوروبية لديه ، بأنه سيبادر الى مساعدة اخوانه في الأستانة فيما لو زحف الروس اليها ، وأنه سيأمر ابنه ابراهيم باشا بالسير الى الأناضول للدفاع من الاسلام والمسلمين ،وقد تنبه القنصل الفرنسي لهذه التحركات التي يزمع الباشا على القيام بها ، وأنه قد تحول تحولا خطيرا ،فسارع بالكتابة الى حكومته مؤكدا لها "أن محمد على سيقدم هذه المرة على العمل وحده مهما فعلت الدول ، ويعلن نفسه حامياً للاسلام والمسلمين ، فهو لم ينس عثمانيته ،ولم ينس أنه ملزم بالدفاع من الأراضي المقدسة وديار المسلمين" (٢) .

ورغم أن غموض الموقف في الجبهة الشامية بين قوات محمد على والدولة العثمانية وتأزم الموقف الدولي قد شغل محمد على من تقديم أية معونة

---

(١) عبد الرحمن الرافعي : عصر محمد على ، ص ٢٨٥ .
(٢) صبحي وحيده : في أصول المسألة المصرية ، ص ١٤٦-١٤٧ .

مسكرية لقائده فى شبه الجزيرة العربية أو حتى اعطائه الأوامر للتحرك فى اتجاه الخليج العربى والعراق ، الا أن بريطانيا كانت تعلم أن معظم قوات الدولة العثمانية فى الجبهة العراقية والشمالية منها بالذات كانت تشد من أزر الجيش العثمانى الذى يخوض حرب الشام الثانية ضد قوات الباشا ، مما يعنى تهيئة الطريق أمام تحركات القائد المصرى فى الجزيرة العربية ،خورشيد باشا ،لذا أسرعت بريطانيا بتعزيز قوتها شمالى الخليج ضد أية اتجاهات مصرية نحوه ، فأرسلت على عجل ثلاث بواخر مسلحة ، انضمت الى الباخرة الفرات - فى العراق ، ووقفت هذه البواخر الأربع فى أنهار العراق على أهبة الاستعداد لمنع انضمام العراق الى مصر. (١)

سارع مندوبو الدول الأوروبية الى الاجتماع بوزير خارجية الدولة العثمانية بناء على دعوته لهم ، بعد وفاة السلطان محمود الثانى ،وبعد وصول أنباء معركة نصيبين ، وقد أبلغهم الوزير العثمانى بأن السلطان قد قرر وضع حد للكوارث التى تثقل كاهل حكومته نتيجة لخروج باشا مصر على الدولة، لذلك فهو عازم على ارسال أحد رجال حكومته المخلصين لمقابلة الباشا وتقديم وسام عسكرى اليه ، وصف بأنه كقناع ستمار ، على أن يعطى وعد للباشا بمنحه الحكم الوراثى لمصر ، شريطة أن تعود سوريا فورا الى السلطان ،

---

(١) د .عبد العزيز نوار: تاريخ العرب المعاصر "مصر والعراق" ، ص٤٢٤-٤٢٥

ورغم أن الوزير العثمانى قد أبلغ مندوبى الدول الأوروبية حرص السلطان على الحصول على موافقة حكوماتهم على ما يتخذه من اجراء ،الا أن هـؤلاء المندوبين لم يبتوا فى الأمر قبل أن يعرفوا الاجابة الصحيحة من حكوماتهم التى سيبلغونها بما تم فى هذا الاجتماع لمعرفة آرائها الصحيحة فى هـذا الشأن (١) ، مما يعنى أن الدول الأوروبية التى تتزعمها بريطانيا قد أصبحت هى القاسم المشترك فى حل هذه القضية التى أصبحت مسألة أوروبية خالصة ولم تعد قضية خلاف محلى بين الباشا والسلطان .

وقد تعرضت حكومة الباشا فى اليمن لهزات عنيفة ، زعزعت مركـز حكومته فى المنطقة ، وأحدثت له كثيرا من القلق وعدم الارتياح ،اذ قـام الحسين بن على بن حيدر بنشاط ملحوظ فى تدعيم مركزه فى المخـلاف السليمانى ، وتضامن فى ذلك مع حاكم عسير الذى كانت له طموحات فى مد سيطرته الى تهامة ، واستغل القائدان فى ذلك انشغال محمد على فى حرب الشام الثانية ، وكذلك قيام النزاع بين والى الحجاز وشريف مكـة(٢) ، أما فى الخليج العربى وبالذات أهدافه فى جزيرة البحرين والبصرة وبغداد ، فقـد تكفل بمراقبة نشاطه فيها القنصل البريطانى فى مصر الكولونيل كامبـل Campbell الذى سارع فى منتصف سنة ١٢٥٥هـ ، يوليو سنة١٨٣٩م ، الى

1-Document:F.O. 78/375.^{x}C/A/61064.p.p. 4-6.

(٢) د . فاروق عثمان أباظة : الحكم العثمانى فى اليمن ١٨٧٢-١٩١٨م ص ٣٨ .

ابلاغ الباشا مضمون رسالة وزير خارجية بريطانيا رقم ١٧ ، والتي وصلته تـوّاً محذراً إياه من تبعات تلك التحركات التي يعتزمها في الجزيرة العربية والخليج العربي ، رغم نفيه المتكرر الذي يؤكده للبريطانيين (1) بعدم وجود أي أطماع له هناك .

من الاستعراض السابق لأحداث حرب الشام الثانية وما صاحبها من أحداث سياسية وعسكرية وما أفرزته من نتائج كثيرة على الوضع في المنطقة بشكل عام يظهر لنا أن حرب الشام الثانية كانت بداية النهاية لأهداف ، وطموحات محمد على التي كان يعتزم تحقيقها والسعي الى بلوغها ، فقد لعبت هذه الحرب وما نتج منها دوراً خطيراً في افشال تلك المشروعات التي كانت تختمر في ذهن الباشا والتي ينوي تحقيقها ، والعلة في ذلك واضحة وصريحة ، فقد أفرزت تلك الحرب مقدرة جيوش الباشا ومدى ما يتمتع به هو كشخصية سياسية بارعة ، بدأت تلمع في سماء عاصمة الدولة العثمانية مما يعني أن أهداف ومصالح الدول الأوروبية ستتعرض للأخطار وستقع في مأزق لا يتناسب والاستراتيجية العامة لتلك الدول ، والعلاج الناجح لهذا الخطر هو ايقاف الباشا عند حده ، وتجريده من مكتسباته التي حققها من حربي الشام الأولى والثانية ، واعادته الى حجمه الطبيعي وال لمصر وتابع للدولة العثمانية والسلطان العثماني ، وهو ما تحقق بالفعل في معاهدة لندن ، التي سنتطرق للحديث عنها في صفحات لاحقة .

1-Document: F.O. 78/374.From Campbell to Palmerston

منذ أن قامت الدولة العثمانية وهى دولة اسلامية ، فالسلطان العثمانى خليفة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وخليفة خلفائه ، هكذا اعتبره المسلمون السنيون وهو بمقتضى ذلك له حق الطاعة وشرف الخلافة ، وكان مراد الأول ثالث سلاطين آل عثمان أول من تقدم ليؤم المصلين [١] ، ولقد خاضت جيوش الدولة العثمانية المعارك تحت شعار إما غاز ، واما شهيد ، لذلك كان ينظر اليهم على أنهم خلفاء للمسلمين ، وأنهم امتداد للخلافة العباسية والأموية ومن قبلهما الخلافة الراشدة [٢] ، غير أن الدولة قد فتحت القسطنطينية وغزت الروملى مما يعنى تغيرا فى نظام الخلافة بانتقال بعض العناصر الجديدة اليها ، اذ أصبح السلطان وارث لأباطرة القسطنطينية ، بالاضافة الى الخلافة الاسلامية ، الا أن الدولة العثمانية لم تعرف الارستقراطية أو فكرة سيادة جزء من الأمة على جزء آخر كما كان الحال فى أوروبا ، وهذا يرجع بطبيعة الحال لتأثير الدين الذى حفظ السلطة للسلطان ، ونشر روح المساواة بين المسلمين جميعا ، وعلى ذلك لم يوجد فى الدولة العثمانية نبلاء أو طبقية ، فان كل المسلمين متساوون فى الحقوق والواجبات ولم يوجد فى الدولة طبقة للعبيد بمفهومها السياسى ، ومن ثم لم توجد طبقة نبلاء ،

---

(١) د . محمد عبداللطيف البحراوى : حركة الاصلاح العثمانى فى عصر السلطان محمود الثانى ١٨٠٨-١٨٣٩م ، ص ٣٩ .

(٢) د . على حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٣٨ .

فالمساواة حقيقية ، كما أنها نظرية ، وحين يفقد أملا موظف فى الدولة وظيفته فانه يتساوى مع أى فرد من بين أفراد الدولة(١) .

وقد أعطت الدولة العثمانية لروسيا حق اقامة كنيسة أرثوذكسية فى القسطنطينية نفسها ، وقام عليها أساقفة روس ، ليصبح التدخل الروسى هذا بعد ذلك بداية لكثير من المشاكل التى لم تفتأ تقوم بين الدولة العثمانية وروسيا التى تتذرع بحقها فى حماية الرعايا المسيحيين الأرثوذكسى بيد أنها كانت تهدف فى واقع الأمر الى النيل من سيادة الدولة العثمانية ، وايقاف الاصلاحات التى يبدو أن الدولة تعتزم احداثها (٢) ، بينما لعبت فرنسا نفس الدور حين اعتبرت نفسها حامية للكاثوليك ، فقد كان القنصل الفرنسى فى لبنان يمتاز بعناية خاصة من المسيحيين الكاثوليك الذين كانوا يقومون بتخصيص مكان الشرف فى كنائسهم له . (٣) .

لقد كان الاتحاد الحقيقى للدولة العثمانية فى دينها ، لأن الدين هو الرابطة بين الأعلى والأسفل ، والغنى والفقير ، مما يعنى أن استبدال العقيدة أو المساس بها سيقلب الدولة رأسا على عقب ، ورغم أن الانكشارية فى الدولة العثمانية كانوا خطرا وعائقا فى سبيل اصلاحات السلطان

---

(١) د . محمد عبد اللطيف البحراوى : حركة الاصلاح العثمانى فى عصر السلطان محمود الثانى ١٨٠٨-١٨٣٩م ، ص ٢٢ ، ٤٠ .

(٢) د . محمد كمال الدسوقى : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، ص ١٠٣

(٣) د . محمد عبد اللطيف البحراوى : المرجع السابق ، ص ٢٧ .

محمود الثاني ، الا أن تميزهم بروحهم الدينية ، وارتباطهم بروابط تربيتهم المشتركة ، وولائهم للدولة والسلطان (١) ، كان كفيلا بمنع القضاء عليهم أو تأخيره على أقل تقدير ، الا أن ادراك السلطان محمود الثاني للأفضلية التي تتميز بها الأنظمة العسكرية في جيوش أوروبا ، واعجابه بتلك النظم والاصلاحات التي بدأت تنعكس على قوات محمد علي باشا في مصر ، تلك القوات التي أصبحت تلعب دورا كبيرا في تدعيم وترسيخ مركز محمد علي في الدولة العثمانية ،لا سيما وأن أهدافه وطموحاته قد بدأت تثير الشك والقلق في نفس السلطان محمود الثاني ،لتزيد هذه العوامل مجتمعة من اهتمام السلطان باصلاح العسكرية العثمانية. (٢) .

ولعلنا نضع هنا علامة استفهام كبيرة حيال الغاء الانكشارية لنعرف ماهية ذلك من خطأ أو صواب ..؟ ! والعلة الكامنة وراء ذلك ؟ ، فاذا كانت الدولة العثمانية في بداية القرن الثالث عشر الهجري أواخر القرن الثامن عشر الميلادي وأوائل القرن التاسع عشر الميلادي ، في موقف يستدعي نظرا في شئونها ، حيث أفلت من يدها زمام الحياة الاقتصادية ، وبدأت الدول الأجنبية في انشاء علاقات مباشرة من جميع الأنواع بشعوبها وطوائفها غير الاسلامية ، (٣) والدولة العثمانية بحكم نشأتها ،" قد ولدت ونمت على

---

(١) د . محمد عبد اللطيف البحراوي : حركة الاصلاح العثماني... ،ص ٢٤٥ ، ٢٤٩ .

(٢) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٤٢٩ .

(٣) الاستاذ محمد شفيق غربال : منهاج مفصل لدروس العوامل التاريخية في بناء الأمة العربية ... ،ص ٨٥ .

الحدود بين الاسلام والمسيحية البيزنطية ، ومن ثم اعتبر العثمانيون أنفسهم حملة عقيدة وسيف ، وفهموا أنهم حملة أقوى نظام وأفضل حضارة لأوروبا ، فهم معلمون للأوروبيين ، وهم فى حرب مقدسة ، وغزو وحركة نحو الغرب ، ولذلك كان النظام العثمانى كله يخدم هذا الغرض ، وهو نظام أبرز ما فيه الشيخ والجندى ، وعلى رأسهما السلطان "(١) .

فقد قدر السلطان محمود الثانى تلك الأخطار الخارجية التى تهدد دولته فى ظل الأنظمة العسكرية الجديدة ، والمخترعات الحربية التى لا تتوفر لجنوده ، وأقدم على الغاء الانكشارية ،ليضع بدلاً منها جيشاً حديثاً أخذاً بنظام التجنيد الاجبارى بين المسلمين ، مؤكداً استمرار الدولة على النظم الاسلامية وحدها (٢) .

وحيث أن الدولة العثمانية كانت تخوض حروبا كثيرة مع النمسا مرة ، ومع روسيا مرة أخرى ، فان حرب الشام الأولى ، قد جاءت فى وقت جد خطير ، فالدولة لم تفق بعد من حروبها مع الروسيا ومن قبلها حروب اليونان ، اضافة الى أنها جاءت مبكرة ،فالدولة العثمانية لم تجد الفرصة الكافية لبناء العسكرية الجديدة ، ما أتاح لمحمد على الانتصار فى حرب الشام الأولى

---

(١) د . محمد عبد اللطيف البحراوى : حركة الاصلاح العثمانى ... ، ص ١٣

(٢) د . محمد عبد اللطيف البحراوى : المرجع السابق ، ص ١٩٠ .

والثانية ، مما يعنى هنا أن الغاء الانكشارية لم يكن فى الوقت المناسب، حيث أن الأخطار المحدقة بالدولة العثمانية أكبر من أن يتصدى لها الجيش الجديد الذى يعتزم السلطان محمود الثانى احلاله بدلا من الانكشارية ولقد ظهر الانعكاس الكامل لذلك فى حرب الشام الثانية، فتابع الدولة القوى يهددها من الشام ، والصراع مع روسيا مستمرا رغم وجود معاهدة انكيارسكليسى Unkiar-Skelessi ، والدولة مجهدة فى الداخل من جراء الغاء الانكشارية التى لم يستطع الجيش الجديد ملء الفراغ الذى أحدثه الغاؤها .

لقد سبب ضعف الدولة العثمانية واختلال النظم فيها ، مجالا فسيحا للصراع السياسى والاقتصادى ، ليس هذا فحسب بل وصراعا دينيا بين الاسلام والمسيحية ، لأن " جذور المسألة الشرقية كما يعرفها كل امرئ حق المعرفة ، هى وجود الأتراك العثمانيين فى أوروبا، واستيلاؤهم على مدينة القسطنطينية .. وسيطرتهم كمسلمين أسياد على شعوب مسيحية"، اذا فهى " مشكلة القضاء على قوة الاسلام السياسية[1] ، فالحكومة الأمريكية التى حصلت على موافقة السلطان بدخول سفنها الى الموانئ العثمانية كافة، ومرورها

---

(١) زين نورالدين زين : الصراع الدولى فى الشرق الأوسط وولادة دولتى سوريا ولبنان ،ص ٢٢-٢٣ .

عبر المضايق الى البحر الأسود وتعيين القناصل في المدن العثمانية المختلفة ، سارع دعاة التنصير فيها الى مزاولة نشاطهم في المنطقة ، حيث أسست في لبنان أول جمعية تنصيرية أمريكية في سنة ١٢٣٨/١٢٣٩هـ الموافق سنة ١٨٢٣م ، وبدأت في الاتصال بالسكان المحليين ، وبطبع كتابهم المقدس باللغة العربية ، وفتح المدارس والمعاهد ، فتأسست الكلية البروتستانتية السورية التي تحولت فيما بعد الى الجامعة الأمريكية في بيروت (١) .

لقد " كانت المسألة الشرقية حينئذ أكثر المشاكل تعقيدا عند الفلاسفة والسياسيين بسبب تأثيرها على المصير السياسي والديني والاجتماعي لأجناس متعددة ، كما كانت تؤثر في تقديم أو تأخير كل من آسيا وأوروبا الشرقية تأثيرا مباشرا" يقول فارلي Farley في كتابه Turks and Christians طبعة لندن سنة ١٨٧٦م : "ان السلطان الحاكم في القسطنطينية هو أيضا خليفة للمسلمين ، واستانبول عاصمة للدولة العثمانية ولكنها في نفس الوقت مركز للخلافة الاسلامية ، كما أن روما عاصمة للديانة المسيحية ، وعلى ذلك فان المسألة الشرقية مسألة دينية كذلك" (٢) .

---

(١) الدكتور نوري عبد البخيت السامرائي : من تاريخ الوجود الأمريكي في البحر المتوسط ... ، مجلة المؤرخ العربي ، عدد ٢٣ ، سنة ١٤٠٣هـ ص ٢١٩ - ٢٣٥ .

(٢) د . محمد عبد اللطيف البحراوي : حركة الاصلاح العثماني ... ، ص ٢٧ ، ٦٢ ، ٣٠٣ .

وكانت الأنظمة في الدولة العثمانية التي قامت في الأصل على أساس اشتراك الهيئات والسلطات وتوازنها ، قد سمحت للعناصر المختلفة بقدر من الاستقلال والتصرف ، أصبح فيما بعد أساسا للعمل الخاص ، وعندما ضعفت الدولة العثمانية في المركز لم تستطع أن تخضع الغاصبين لسلطانها للقانون والأنظمة ، فلم تعد تستطيع أكثر من بث بذور التفرقة بينهم واثارة أحدهم ضد الآخر(١) ، من هنا كانت حركة السلطان محمود الثاني الاصلاحية ، والتي تدل على سعة الأفق وعلى أن هذا التخطيط كان أقرب الى الصواب ، ولو نعمت دولته بفترة طويلة من الهدوء والاستقرار لاستطاع انجاح مخططه الاصلاحي في الأمور الضرورية ، وقد عبر القنصل البريطاني في مصر الكولونيل هودجز Colonel Hodges ، من ذلك في رسالة بعثها الى وزير خارجيته اللورد بالمرستون Palmerston مشيرا الى أنه لم يسبق لرجل أن مر بظروف صعبة أكثر من السلطان محمود الثاني ، ولو استمر به العمر أكثر من ذلك لاستطاع التغلب على كل أعدائه بما فيهم تابعة القوي محمد علي باشا الذي يهدد الدولة العثمانية في الشام.(٢)

اذا فالسلطان محمود الثاني يعتبر من أعلام الاصلاح العثماني ، حيث أنه قطع شوطا كبيرا في هذا المجال ، حتى أصبحت الدولة

---

(١) الاستاذ محمد شفيق غربال : منهاج مفصل لدروس العوامل التاريخية في بناء الامة العربية ... ، ص ١٣٩ .

2- Document : F.O. 78/375, XC/A/61064.p.40.No. 1

العثمانية عند وفاته أقوى منها عند ارتقائه العرش ، حيث اشتدت قبضتها على ولاياتها ، ولم يعد هناك مجال لظهور المغامرين وأصحاب العصبيات المسلحة والولاة الخارجين على الدولة ، ويعتبر السلطان محمود الثاني واضع أساس الحكومة المركزية الحديثة في الدولة العثمانية(١) .

غير أن الحالة أصبحت مختلفة تماما عند وفاة السلطان محمود الثاني فالدولة عارية من كل شئ ، حيث فقدت سلطانها القوى ، وهزمت جيوشها الجديدة في معركة نصيبين ، والانكشارية كانت قد اختفت من الساحة ، وكانت ثالثة الأثافي أو القشة التي قصمت ظهر البعير انضمام الأسطول البحرى العثماني الى محمد على التابع القوى الثائر ، والمنتصر في نصيبين قبل أيام معدودة .

من هنا نستطيع أن نتعرف على الأوضاع التي تسود عاصمة الدولة العثمانية ، وما أنتجته هذه الأوضاع من قوانين وفرمانات سلطانية عرفت باسم منشور كلخانة -بدء تنظيمات - ، والتي كانت بمثابة قوانين وضعية ، أعطت لأوروبا الفرصة الكاملة لصياغة مواد هذه التنظيمات التي أخرجت الدولة العثمانية عن خطها الاسلامي الصحيح ولأول مرة في تاريخها ،

---

(١) د . عبد العزيز محمد عوض : التنظيمات العثمانية في الولايات العربية ، مجلة الدارة ، العدد الثالث ، السنة الثالثة ، ص ٨٤ - ٨٥ .

مما يجعلنا نقرر هنا أن حروب محمد على فى الشام ، وبالذات حرب الشام الثانية كانت من أكبر الكوارث التى تعرضت لها الدولة العثمانية ، حيث أنها قد أضعفت الدولة ، وضعضعت مركزها الدولى ، وفتحت أمام أوروبا مجالا واسعا لتنفيذ خطتها فى الدولة العثمانية ، تلك الخطة التى ترمى الى تحويل الدولة من النظم الاسلامية ، وهذا ما تحقق لأوروبا لتقوم بالضغط على السلطان عبد المجيد ، الذى حمل العبء الثقيل بعد والده السلطان محمود الثانى ، ولم يجد من وسيلة أمام تلك الأخطار والكوارث التى تحيط بدولته بُدّاً من اصدار تلك التنظيمات ليكسب تعاطف أوروبا ضد أطماع تابعه القوى محمد على ، الذى بدأ مركزه يزداد رسوخا فى الأستانة ذاتها .

قبل أن تحل كارثة معركة نصيبين بالدولة العثمانية كانت المكانة الاسلامية التى تحتلها الدولة العثمانية فى العالم الاسلامى بشكل عام وشبه الجزيرة العربية بشكل خاص قد أصيبت بنوع من الضعف منذ ابرام معاهدة انكيار سكليسى Unkiar-Skelessi مع روسيا فى الثامن عشر من محرم سنة ١٢٤٩ هـ ، الموافق للسابع من يونيو سنة ١٨٣٣ م ، والتى تمكنت روسيا بموجبها من التدخل فى شئون الدولة العثمانية المسلمة (١)، لتحدث بذلك ردة فعل لدى العالم الاسلامى الذى أظهر استياءه من قيام دولة كافرة بالدفاع عن عاصمة الخلافة المسلمة ، وكان صدى هذه المعاهدة فى الجزيرة

(١) محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٤٥١ .

العربية خطيرا للغاية لأن الحرمين الشريفين يقعان فى الجزيرة العربية فى مكة المكرمة والمدينة المنورة ، وهما مأوى أفئدة المسلمين فى مختلف أنحاء العالم الاسلامى ، ناهيك من أهل الجزيرة العربية التى ظهرت فى أرضهم دعوة التوحيد والاصلاح على يدى الشيخ محمد بن عبد الوهاب ،وبمساعدة حكام الدولة السعودية .

كانت الامتيازات التى تمنح للرعايا الأوروبيين نقمة على أبناء البلاد ، وعقبة كؤود أمام الدولة العثمانية للقيام بتنفيذ مشروعاتها الاصلاحية ، وحيث أنه كان من الأولى أن تسمى هذه الامتيازات بشروط تنظيم اقامة الأجانب فى الدولة العثمانية ، الا أن تغير الظروف ، وازدياد عدد الأوروبيين المقيمين فى الدولة ، وتمكنهم من الاقامة فى أى مكان يشاؤون ، واستطاعتهم لمباشرة أى عمل يريدون قد جعل هذه الامتيازات امتيازات حقاً للأجانب ، ومواثيق مقيدة للدولة العثمانية ، ووبالا على أبنائها . (١)

* نصت الامتيازات الممنوحة للرعايا الفرنسيين فى الدولة العثمانية على حق هؤلاء فى صنع النبيذ وقراءة الانجيل ،والحرية التامة فى اتمام مهمتهم الخاصة بالدين والأماكن

---

(١) الاستاذ محمد شفيق غربال : منهاج مفصل لدروس العوامل التاريخية فى بناء الأمة العربية .. ، ص ١٣٨ .

، د . عبد العزيز محمد الشناوى : الدولة العثمانية دولة اسلامية .. ،ج ٢ ، ص ٧٥٠ .

المقدسة في القدس ، أو في غيرها من الأماكن التي توجد فيها كنائس كاثوليكية ، وأن يكون للسفير الفرنسي في القسطنطينية كل هذه الامتيازات[١].

فلما أصيبت الدولة العثمانية بخلل كامل بعد معركة نصيبين حين فقدت جيشها وأسطولها وسلطانها ، وأصبحت على حافة كارثة عظيمة لا يعلم مداها الا الله ، وكان السلطان عبد المجيد الذي خلف والده السلطان محمود الثاني صبي لم يتجاوز السادسة عشر من عمره [٢] ، فقد أصبح محمد على وكأنه سيد الموقف في الدولة العثمانية بلا منازع ، خاصة وأنه قد أرسل الى ابراهيم باشا أوامره بايقاف الحرب ضد الدولة ، وألمح الى القناصل الأوروبيين عزمه على ارسال مندوب من قبله لتتويج السلطان الجديد ، في الوقت الذي سعى فيه قائد الأسطول العثماني لدى محمد على لكي يقوم بدور بارز في دار السلطنة العثمانية التي أصبحت في حاجة ماسة الى جهوده السياسية والعسكرية على حد سواء [٣] .

وقد ذهب بعض المؤرخين الغربيين الى أن الفرصة كانت سانحة لمحمد على للقيام بهجوم على البصرة وبغداد من قبل قائدة في شبه

---

(١) د .محمد عبداللطيف البحراوى : حركة الاصلاح العثمانى ... ، ص ٢٩ .

2 - Hurewitz.J.C.: Diplomacy in The Near and Middle East, Vol.1.p.113.

3 - Document : F.O. 78/374.

الجزيرة العربية خورشيد باشا ، لا سيما وأن الوضع العسكرى فى الشام أصبح فى صالح حكومة الباشا ، وكذلك الوضع السياسى فى عاصمة الدولة العثمانية بعد معركة نصيبين ، ومما يؤكد ذلك اتصال القنصل الفرنسى فى مصر بالباشا واستفساره منه مباشرة عن أبعاد تلك الاشاعات التى تتردد فى العاصمة المصرية عن قيام خورشيد باشا بالزحف على البصرة ، الا أن محمد على أكد بأن تلك الاشاعات لا تستند على أى شئ من الحقيقة ، وأنها مجرد اشاعات كاذبة ، لأن قائده فى شبه الجزيرة العربية ما يزال مقيما فى الرياض وليس لديه أى تفكير بالهجوم على تلك الجهات. (١)

كانت هذه الاحداث وتلك المتغيرات ذات تأثير شديد على الحكومة البريطانية والدول الاوروبية ، التى سارع مندوبوها الى ارسال مذكرة مشتركة الى الباب العالى فى السادس عشر من جمادى الأولى سنة ١٢٥٥هـ ، الموافق للثامن والعشرين من يوليو سنة ١٨٣٩م، وقد وقع على هذه المذكرة سفراء كل من بريطانيا وفرنسا وروسيا والنمسا وبروسيا ، وطلبوا فيها من الباب العالى عدم تقرير أى شئ فى المسألة المصرية الا باطلاعهم واتحادهم ، لأنهم على أتم استعداد للتوسط فيما بين السلطان ومحمد على بحل هذه المشكلة(٢) ، وكان اجتماعهم بوزير خارجية الدولة العثمانية الذى دعوا

---

(١) جون.ب.كيلى : بريطانيا والخليج ١٧٩٥-١٨٧٠م، ج١، ص٥٥٩.

(٢) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص٤٥٥.

، رزق الله منقريوس الصدفى : تاريخ دول الاسلام، ج٣ ، ص٣٢٢.

اليه قبل ذلك التاريخ بخمسة وعشرين يوما كان قد أوجد لديهم أفكارا شبه موحدة في التوصل الى حلول مشتركة لهذه المسألة تخدم مصلحة دولهم في المقام الأول (١)، لأن تلك الدول كانت تخطط لاضعاف القوة الاسلامية التي تمثلها الدولة العثمانية ، مما يعني ان القوة الجديدة التي تمثلت في جيش محمد علي، ستكون ذات امكانية فعّالة لتجديد القوة الاسلامية ، بصرف النظر عن الأشخاص القائمين بها ، وأهدافهم الأخرى ، وهذا مالا ترغب تلك الدول في وجوده على مسرح الأحداث .

عاد رشيد باشا الذى كان يحتل منصب سفير فوق العادة للدولة العثمانية في لندن ، ليعين وزيرا للخارجية في بداية عهد السلطان عبد المجيد ، وبعد بضعة أشهر من وفاة السلطان محمود الثاني وكارثة معركة نصيبين التي حلت بالدولة ، وما تبعها من أحداث خطيرة أحاطت بالدولة العثمانية (٢) ، وكان رشيد باشا معجبًا بأسلوب الحكم الدستورى البريطاني ، ليصبح من أشد الدعاة له حماسة ، اضافة الى رغبته الطموحة في كسب بريطانيا وفرنسا الى جانب حكومته التي باتت مهددة من قبل روسيا ومحمد علي في وقت لا تستطيع الوقوف أمام أي منهما دون مساعدة أوروبية مباشرة (٣)،

1-Document:F.O.78/375.^{x}C/A/61064.p.p.4-5.With No. 55.
, Document: F.O.78/375.^{x}C/A/61064.pp.39-40.No.1

(٢) د. علي حسون: تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٤٩ .

(٣) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص ٥٦١ .

ولعل بريطانيا وفرنسا قد شجعتاه على احداث قوانين وضعية تحقق لهما الأهداف التى تسعيان لتحقيقها (١) ، والتى من أهمها ابعاد الدولة العثمانية من الخط الاسلامى الصحيح الذى تحاربه أوربا مجتمعة وبشكل علنى وواضح .

فى السادس والعشرين من شهر شعبان سنة ١٢٥٥هـ ، الثالث من نوفمبر سنة ١٨٣٩م ، أعلن خط شريف كلخانة (٢) ، فى اجتماع كبير عقد فى قصر الزهور ، الواقع الى الجهة الجنوبية من السراى السلطانية على بحر مرمرة ، وقد دعى لحضور الاحتفال بهذا المنشور كبار رجال الدولة وعلماؤها وكبار رجال الدين وممثلوا الشعوب الخاضعة للدولة العثمانية من اليونان والأرمن والكاثوليك واليهود ، كما حضره سفراء جميع الدول الأوروبية ، وقد اطلقت له مائة طلقة ، وطلقة واحدة ، وسبقته اقامة للصلاة ، ثم قرئ خط الكلخانة ، الذى سميت نصوصه بالتنظيمات الخيرية . (٣)

---

(١) السيد أحمد بن السيد زينى دحلان : الفتوحات الاسلامية بعد مضى الفتوحات النبوية ، ج٢ ، ص١٩٩ .

(٢) د . محمد عبداللطيف البحراوى : حركة الاصلاح العثمانى ... ، ص٢٧٧

(٣) د . محمد فؤادى شكرى : مصر والسودان ، تاريخ وحدة وادى النيل السياسية فى القرن ١٩ ، ص١٦ .

، د . محمد كمال الدسوقى : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، ص١٩٣

ورغم أننا نستطيع أن نقرر هنا وكحقيقة تاريخية أن اعلان تنظيمات، أو خط شريف كلخانة هو نتيجة مباشرة لحركة الاصلاح في مصر محمود الثاني[1] الا أن هناك تبايناً واضحاً بين الاصلاح والتجديد المقترن باسم السلطان محمود الثاني الذي يعتبر" واضع أساس الحكومة الحديثة في الدولة العثمانية ، الحكومة التي تزعم لنفسها حق السلطان الكامل وهي في نفس الوقت تتكفل بأداء واجبات وتتحمل مسئوليات مما لم يكن للرعية عهد به قبل ذلك "[2] ، وحيث تبقى الدولة اسلامية ، وتطبق النظام الاسلامي كاملا ، خاصة فيما يتعلق بأهل الذمة ممن يخضعون للدولة العثمانية ، بينما كان منشور كلخانة - بدء تنظيمات - بداية انحراف الدولة العثمانية عن الخط الاسلامي ، وبداية انحرافها عن النظم الاسلامية ، والعلة في ذلك واضحة وصريحة ، فالدول الأوروبية التي تحارب الاسلام في هذه المرحلة عن طريق اخراج الدولة العثمانية عن النظام الاسلامي بقوانين تسوى بين المسلم وغير المسلم في ادارة الدولة ، استطاعت ابان أزمة محمد على من الضغط على السلطان العثماني ورجال دولته ، حيث بدئ في اصدار قوانين غير اسلامية ، وقرارات قانونية مخالفة للشريعة الاسلامية التي جبلت الدولة العثمانية على نهجها والتمشي بتعاليمها .

---

(١) د . محمد عبد اللطيف البحراوي : حركة الاصلاح العثماني ... ، ص ٢٧٧

(٢) الاستاذ محمد شفيق غربال : منهاج مفصل لدروس العوامل التاريخية في بناء الأمة العربية ... ، ص ٩٤ .

ولقد كان هذا المنشور يشكل عامل ضعف لقوة الدولة العثمانية فى شبه الجزيرة العربية ، ليصبح عاملاً مساعداً لمحمد على باشا فى تحقيق آماله وطموحاته التوسعية فى شبه الجزيرة العربية والخليج العربى ، لأن الدولة العثمانية قد خرجت من الخط الاسلامى والنظم الاسلامية التى كانت تدعم مكانتها فى المنطقة .

لقد نبه السلطان عبد المجيد فى أثناء قراءة منشور كلخانة - بدء تنظيمات - الى الأسباب الرئيسية التى أدت الى تدهور الأوضاع فى الدولة العثمانية ، والى منهجها الاسلامى الواضح قبل أن تصل الى ما وصلت اليه الآن ، حين قال : " لا يخفى على عموم الناس أن دولتنا العلية من مبدأ ظهورها وهى جارية على رعاية الأحكام القرآنية الجليلة والقوانين الشرعية المنيفة بتمامها ، ولذا كانت قوة ومكانة سلطتنا السنية ورفاهية وعمارية أهاليها وصلت حد الغاية ، وقد انعكس الأمر منذ مائة وخمسين سنة بسبب عدم الانقياد والامتثال للشرع الشريف ولا للقوانين المنيفة ، بناء على طروء الكوارث المتعاقبة والأسباب المتنوعة فتبدلت قوتها بالضعف وثروتها بالفقر .." (١) ، وانتقل السلطان بعد ذلك الى اعلان الضمانات المشهورة لكافة رعاياه فى أنفسهم وأعراضهم وأموالهم ، ووعد باصلاح نظام الجباية ونظام التجنيد والقضاء ، من طريق

---

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٤٨١ .

التشريع ثم بين أن التشريع سيتم بناء على مداولات مجلسين أو هيئتين ،أحدهما للشئون المدنية ويتكون من الوزراء والأعيان - المعينين - والقضاة ، وآخر للشئون العسكرية من رجالها ، وأن كل قانون تنتهى الهيئتان من اعداده يقره ويصدره ، ثم أعلن السلطان أن عهده هذا سيودع فى خزانة الآثار النبوية الشريفة ، وأنه سيقسم بالعمل وفق أحكامه بحضور العلماء وأصحاب المناصب ، وأنهم سيقسمون هم أيضا فردا فردا ومن يحنث بعد فى يمينة فانه سيلقى عقابا ، وأن العقوبات سيصدر بها قانون خاص ، كذلك تطرق هذا المنشور لشئون الموظفين واعطائهم المرتبات المجزية والانتظام فى دفعها كما تطرق للرشوة وندد بها وبفظائعها ومخالفتها للدين وافسادها للضمائر، وبعد ذلك اختتم السلطان منشور كلخانة باعلان ما يحتويه من تنظيمات هى اما تعديل للأنظمة القديمة للدولة أو تبديل أنظمة جديدة بها (١) ، ولم ينس السلطان العثمانى فى نهاية اعلانه لهذا المنشور من التأكيد على تزويد السفراء الموجودين فى الأستانة بصورة من هذه الاصلاحات التى سيكون لرعايا دولهم منها نصيب الأسد . (٢)

يتبين لنا من استقراء منشور كلخانة - بدء تنظيمات - الذى أصدره السلطان عبدالمجيد ،أن هناك رؤية صحيحة يؤمن بها السلطان الشاب

---

(١) الاستاذ محمد شفيق غربال : منهاج مفصل لدروس العوامل التاريخية فى بناء الأمة العربية ... ، ص ١٠٤ .

(٢) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٤٨٢-٤٨٣ .

وهى وجهة النظر الاسلامية التى يجب أن تسير عليها الدولة العثمانية كمعتقد ومنهاج حياة ، الا أن الملاحظ أن الأحداث التى أحاطت بالدولة وما صاحبها من أوضاع داخلية تمثلت فى أفكار بعض رجال الدولة الذين نشأوا فى أوربا وأخلصوا لها ، قد أضطرت السلطان الجديد بالاضافة الى ضغوط الدول الأوربية الى المصادقة على تلك الاصلاحات ، التى جاءت لتخدم مصالح وأغراض الدول الأوروبية فى المقام الأول ، والتى صفقت لهذا القانون وما اشتمل عليه من تنظيمات وضعية تحقق لها تطلعاتها فى شئون الدولة العثمانية الداخلية ، ولعل استقدام أحد رجال القانون الفرنسى الى الأستانة ليضع قانونا مدنيا حديثا للدولة العثمانية هو خير شاهد على ذلك (١) ، وكان هؤلاء الأوربيون أى الملاحظون الخارجيون لأصول المجتمع العثمانى يزعمون أن لا اصلاح يرجى له إلا بأن يتخلى عن أسسه وان شق ذلك عليه ، ومعنى ما أرادوه هو أن تتخلى الدولة عن خطها الأساسى، بينما كان الرأى لدى جماهير الأمة أن فساد الأنظمة لا يرجع الى علة فيها ، ولكنه يرجع الى سوء تطبيقها ، فاذا ما حاول المسئولون اصلاح التطبيق عادت الأحوال الى أحسن ما كانت(٢) .

---

(١) حسين مؤنس : الشرق الاسلامى فى العصر الحديث ، ص ٢٥٥ .

(٢) الأستاذ محمد شفيق غربال : منهاج مفصل لدروس العوامل التاريخية فى بناء الأمة العربية ... ، ص ٨٠-٨١ .

مما يعني أن الصعوبات التي أحاطت بالدولة العثمانية في تلك الفترة كانت فوق طاقة الرجال الذين يودون اعادتها الى النهج الاصلاحي الصحيح المنطلق من التعليمات والنظم الاسلامية.

لقد كانت حرب الشام الثانية فرصة ثمينة استغلتها أوربا بشكل عام وبريطانيا بشكل خاص، لتخلق منها أوضاعاً عثمانية معينة، وكان من أبرزها استصدار منشور كلخانة - بدء تنظيمات - والذي يعتبر ثمنا حاضرا تقاضته بريطانيا والدول الأوروبية من السلطان العثماني نظير تسوية النزاع بين محمد علي والباب العالي، والذي يعتبر أول عهد دستوري في تاريخ الدولة العثمانية، وضع قواعد الاصلاح على المبادئ الأوروبية، حيث أعطى الذميين من رعايا الدولة نفس الحقوق التي كانت للمسلمين، مما يعني خروج الدولة العثمانية من النهج الاسلامي والنظم الاسلامية التي قامت عليها.

ولقد أدرك السياسي النمساوي الكبير مترنيخ أبعاد منشور كلخانة على الدولة العثمانية وآثاره السيئة التي ستظهر عليها، عند ذلك قام بتحذير العثمانيين من الخطر الكامن وراء سياسة التنظيمات أو التجديد على النسق الأوروبي لأنها لا تجاري منطق النظام العثماني (١)، بينما كان السفير البريطاني استراتفورد كاننج Stratford Canning من المتحمسين

---

(١) الاستاذ محمد شفيق غربال: منهاج مفصل لدروس في العوامل التاريخية في بناء الأمة العربية ...، ص ٨٣.

للتنظيمات الجديدة التى ترتكز على النظم الأوروبية ، مدعماً وجهة نظره تلك بأن الاصلاح العثمانى على الطراز الأوروبى هو خير وسيلة لمساعدة الدولة العثمانية للصمود أمام الخطر الروسى . (١)

لقد استغلت الدول الأوروبية والهيئات التنصيرية ما تضمنه منشور كلخانة من تنظيمات تساعدهم على تحقيق أهدافهم الظاهرة والخفية ، فأمعنت فرنسا فى بسط حمايتها على الكاثوليك كلهم ،بينما استمرت روسيا فى فرض حمايتها على الأرثوذكس ، أما المنصرون البريطانيون والأمريكان فقد استمروا فى بذل جهودهم المضنية لتحويل أكبر عدد من مسيحيى الشرق الى الكنيسة البروتستانتية ، وصاحب هذا النشاط الأوروبى المحموم تيار من القوانين التى كان يستفيد منها المسيحيون بدرجة أكثر من المسلمين . (٢)

أما فى داخل البلاد فقد واجهت هذه الاصلاحات العثمانية معارضة قوية ، خاصة فى تلك الجهات التى تتجاور فيها عصبيات مذهبية مختلفة ، اسلامية ومسيحية ،ففى شمال العراق وفى جبل لبنان وقعت الصدامات المذهبية ، حيث أن بعض زعامات للأقليات المسيحية فى الدولة العثمانية أبدت نوعاً من الارتباط مع الدول الأوروبية نكاية فى الزعامات الاسلامية التى

---

(١) د . عبدالعزيز سليمان نوار : الشعوب الاسلامية ... ، ص ١٨٦ .

(٢) د . عبدالعزيز نوار : تاريخ العراق الحديث ... ، ص ٤٧ .

كانت لها السلطة المطلقة من قبل ، مما أدى الى تردى العلاقات وتدهور الأوضاع داخل الدولة(1) ، من هنا بدأ التعصب القومى الذى يحاربه الاسلام ، لأنه مدعاة لتجزئة الدولة واضعافها ،" وتطور الأمر شيئاً فشيئاً فبدأت تظهر ادعاءات ببطلان شرعية السلاطين العثمانيين كخلفاء للمسلمين وأن الخلافة من حق العرب وحدهم ،ثم قام المبشرون- المنصرون- البروتستانت بترجمة الانجيل الى اللغة العربية وسعوا فى تنشئة رجال الدين النصارى من العرب ،.. ثم ظهر بين النصارى من يقول بأنه لا أمل فى اصلاح الدولة العثمانية اصلاحاً يضمن الحرية والمساواة لهم فى ظلها ، وأنه لا خير فى دولة تقوم على شاكلتها أو تحل محلها تكون الأكثرية للمسلمين فيها ، ولا سبيل لسعادة النصارى إلا تحت حماية دولة أوروبية "(2) .

لقد كان السلطان عبدالمجيد الذى أصدر منشور كلخانة يتفق فى الرأى مع كبار رجال دولته على أن المجد الذى حققته الدولة العثمانية فى عصورها الذهبية ، انما مرده الى التزامها بمبادئ الشريعة الاسلامية ، وأنها اذا كان قد أصابها وهن أو اضمحلال فى القرون الأخيرة ،فلأنها أهملت لسبب أولآخر تطبيق مبادئ الشريعة(3) ، الا أن هناك من يرى أن

---

(1) د . عبدالعزيز سليمان نوار : الشعوب الاسلامية ... ، ص ١٨٦-١٨٧

(2) د . على حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٣٩-١٤٠ .

(3) د . عبدالعزيز محمد الشناوى : الدولة العثمانية دولة اسلامية ... ، ج ١ ، ص ٦٩-٧٠ .

تلك المحاولات التي قصد بها التجديد على النسق الأوروبي ، ما هي الا محاولات من قبل السلطان وبعض رجال حكومته من دعاة التجديد لاقناع الدول الأوروبية بأن ثمة اصلاح يجرى في الدولة العثمانية ، لعل ذلك يرفع من سمعتها ويقيها شر التدخلات المختلفة (١) ، الا أن الرأى الأقرب في هذه الحالة هو أن الأحداث الكبيرة التي أحاطت بالدولة خلال العقود الأخيرة هي التي أدت بالسلطان العثماني ورجال دولته الى وضع هذا المنشور ، الذى أخرج دولتهم من المسلك الاسلامي الصحيح الذى سارت عليه منذ قيامها .

ويتبين لنا من استعراض ماسبق الاشارة اليه أن حرب الشام الثانية التي انتهت بانتصار جيوش محمد على في معركة نصيبين ، وما تبع ذلك من فقد الدولة لسلطانها الذى انتقل الى جوار ربه قبل أن يسمع بكارثة نصيبين ، ثم فقدها لأسطولها البحرى ، لتصبح الدولة عارية تماما بلا جيش ولا سلطان ولا أسطول ، بينما باتت الأستانة مشرعة الأبواب لاستقبال تابعها القوى الذى أصبح رجل الأحداث الأول حينذاك ، مما أوقع السلطان الجديد ورجال حكومته أمام خيارات مختلفة ، أحلاها مر المذاق لرجال الدولة وللدولة العثمانية بشكل عام ، ليصبح منشور كلخانة هو المخرج الوحيد الذى يضمن تماسك الدولة أمام أهداف وطموحات محمد على ، رغم أنه أخرجها

---

(١) د . محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربي ١٥١٤-١٩١٤م ، ص ٢١٤ .

من الخط الاسلامى الذى سارت عليه منذ قيامها ، وأضعف مكانتها فى كثير من ولاياتها وخاصة ولاية الشام وشبه الجزيرة العربية ، التى أصبحت فى متناول يدى الباشا ، الا أن الدول الأوروبية وخاصة بريطانيا قد قامت بالمقايضة العاجلة للدولة العثمانية نظير هذا المنشور ، وذلك بعقد معاهدة لندن ، التى أعادت محمد على الى مصر ، وجردته من أهدافه وطموحاته فى الجزيرة العربية والشام ، وهو ما سنتحدث عنه فى الصفحات التالية .

أخذت الدول الأوروبية تنظر الى تحركات محمد على وسياسته التوسعية نظرة ملؤها الريبة والتخوّف ، وكانت بريطانيا من أشد تلك الدول قلقا من هذه التحركات التى بدأت تبرز بشكل واضح منذ حرب الشام الأولى ، وما أعقبها من ابرام اتفاقية كوتاهية ،والتى كانت بمثابة هدنة مسلحة زاول خلالها محمد على كثيرا من أعمال التوسع وتدعيم النفوذ لقوته فى المنطقة ، حتى صار مصدر تهديد مباشر لطريق المواصلات البحرى والبرى الهام الى الهند عبر سوريا والعراق والخليج العربى ، لا سيما وأنه صار فى مقدوره تهديد الطريق البحرى عبر البحر الأحمر.

وقد رأى بعض رجال السياسة البريطانيون أنه ليس من مصلحة دولتهم فى الهند قيام دولة اسلامية قوية على أرض الفرات ،لأنهم يرون أنه من المحتمل اتحاد تلك الدولة مع روسيا لاقتسام فارس ،اضافة الى أن نفوذ هذه الدولة سوف يمتد الى شبه الجزيرة العربية دون أدنى شك ليشمل جميع أقطارها وبالتالى تصبح هذه الدولة دولة بحرية هامة ،تستطيع غزو الهند البريطانية وقطع طريق المواصلات الذى يربطها بالدولة الأم فى لندن ، ويذهب الساسة الانجليز الى أبعد من ذلك حين يرون أن قيام دولة اسلامية قوية فى تلك المنطقة ،وبزعامة حاكم طموح ، انما يهدف الى طرد الدولة المسيحية ، لأن انتماء الفرس للمذهب الشيعى ، وانتماء بقية سكان المنطقة للمذهب السنى لا يشكل أى حاجز مانع فيما بينهم ، لوجود احساس دينى مشترك بينهم ،

يدفعهم لنصرة الدين الاسلامي ، والاتحاد فيما بينهم لأداء هذه المهمة المقدسة (١).

وفي الجانب الآخر كانت معاهدة انكيار سكليسي ، التي أبرمها السلطان العثماني مع الدولة الروسية ، بعد حرب الشام الاولى مصدر قلق مستمر للسياسة البريطانية ، التي لم تتقاعس في البحث عن وسائل أخرى تواجه بها عمل روسيا في هذه المعاهدة (٢) ، ولقد كان الخوف الذي يراود الساسة البريطانيين من الأطماع الروسية في المضايق ، والمساعدة التي ربما تقدمها فرنسا لمحمد علي في حربه ضد السلطان العثماني والرغبة في المحافظة على طرق المواصلات البريطانية الى الهند ، كل ذلك جعل اللورد بالمرستون Palmerston وزير الخارجية البريطاني يوجه حكومته نحو تدويل - المسألة الشرقية - وجعل الدول الأوروبية هي المسئولة من ممتلكات واستقلال الدولة العثمانية. (٣)

وقد كانت بعثة تشزني Chesney البحرية عبر الفرات ذات هدف سياسي مباشر حيث أشار الى ذلك قائد البعثة حين قال : " ان أهمية الفرات في المواصلات السريعة تتضاءل بالقياس الى أهميته حاجزاً في سبيل

---

(١) جون . ب . كيلي : بريطانيا والخليج ١٧٩٥-١٨٧٠م ، ج ١ ، ص ٤٧٠ .

(٢) بيير رنوفان : تاريخ العلاقات الدولية في القرن التاسع عشر ، القسم الأول ، ص ١٣٤ .

3- Hurewitz. J.C.: Diplomacy in The Near and Middle East. Vol.1.p.111.

روسيا ، حاجزاً يستند الى تجارة نامية ، مفيدة لنا ولمستعمراتنا الشرقية ، وللبلاد العربية (١)".

وكانت الحكومة البريطانية تعلم أن أى حرب ستحدث بين محمد على والدولة العثمانية لن تكون قائمة بينهما فقط ، وانما سوف تتدخل قوى أوروبية أخرى كثيرة ،لأن المنافسة بين السلطان العثمانى والباشا ستكون فى صالح الباشا الذى لن تقل مكاسبه فى الحرب القادمة من مكاسبه فى حرب الشام الأولى ، أما اذا تدخلت القوى الأوروبية الى جانب السلطان فستكون النتيجة لصالحه لا محالة ،وهذا ما جعل اللورد بالمرستون Palmerston يؤكد وقوف بريطانيا العظمى الى جانب السلطان فى الحرب القادمة ، حين طلب منه التريث فى عدم الاقدام على الحرب لكى لا يصبح هو البادئ بها، وبالتالى يؤثر على الاستراتيجية التى تنتهجها بريطانيا أمام الدول الأوروبية الأخرى . (٢)

وقد قامت الحكومة البريطانية بعدة اجراءات هامة فى المنطقة لتضمن لطرق مواصلاتها الى الهند عبر طريق العراق نوعا من الضمانات المطمئنة وذلك بوضع عدة بواخر مسلحة فى نهرى دجلة والفرات علها بذلك تحول

---

(١) د . زكى صالح : مجمل تاريخ العراق الدولى فى العهد العثمانى ، ص ٤٧ .

2- H.Temperley and L.M.Penson:Foundations of British Foreign Policy, p.p. 126-127.

دون انضمام العراق الى حكومة محمد على في مصر والتى بدأت تتوغل في وسط وشرقى الجزيرة العربية ، وكأنها بذلك قد أوجدت خطا فاصلا بين العراق والشام ، حين سيرت بواخرها المسلحة في نهر الفرات ، وأبعدت المنطقة من متناول روسيا التى تتطلع اليها من خلال معاهدة انكيار سكليسى (١).

فلما قامت الحرب المصرية الثانية في الشام خلق السلطان العثمانى للوزير البريطانى بالمرستون Palmerston فرصة ثمينة لتمزيق معاهدة انكيار سكليسى ، ومسح آثارها ، وذلك بعقد المؤتمر الأوروبى العام في العاصمة البريطانية لندن ، والذى ختم بمعاهدة لندن الشهيرة التى تعتبر في واقع الأمر تحطيما مباشرا ومقصودا لمعاهدة انكيار سكليسى (٢) الثنائية بين روسيا والدولة العثمانيةوالتى استمر شبحها المخيف يخيم على أذهان الساسة الانجليز ما يقرب من سبعة أعوام.

وقد لعب القناصل الانجليز في الخليج العربى دوراً بارزاً لزعزعة نفوذ محمد علىفي وسط وشرقى الجزيرة العربية ، أثناء استمرار معارك حرب الشام الثانية بين الدولة العثمانية ومحمد على ، اذ أشار الكولونيل هنيل Hennell المقيم البريطانى في الخليج ، ومن طرف خفى الى

---

(١) د. عبدالعزيز نوار: تاريخ العرب المعاصر ، مصر والعراق ،ص ٣٩٤، ٤٢٣.

(٢) د. محمد عبداللطيف البحراوى : حركة الاصلاح العثمانى... ،ص٢٦٤

أهميـــة حسم ذلك الصراع لصالح السلطان العثمانى ، لأن شيخ البحرين وغيره من شيوخ الخليج سينتظرون نتائج الاشتباكات الدائرة بين قوات محمد على والقوات العثمانية فى الشام ، فاذا ما انهزمت قوات محمد على هنـاك فان الجميع فى جبهة الخليج سيقفون موقف العداء من حملة خورشيد باشـا التى وصلت الى هناك كما يؤكد ذلك شيخ البحرين للمقيم البريطانى علـى حد قوله . (١)

ولعلنا هنا نستطيع أن نقول أن اغتيال معاون خورشيد باشا ووكيلـه فى المنطقة محمد أفندى كان فى مصلحة بريطانيا ، وربما لعبت السياسـة البريطانية دورا فى قتله رغم أن معظم المؤرخين يؤكدون أن أسلوب محمـد أفندى فى ادارة شئون الاقليم ، والقسوة التى أدار بها الأمور فى المنطقـة وما اتّبعه من أسلوب العنف والقسوة مع الأهالى ، كلها أدت الى اغتياله (٢). الا أن ذلك لا يمنع من القول بأن أيدى الانجليز قد ساعدت فى اغتيـاله أو التحريض عليه ،لكى يشعروا خورشيد باشا ومن ورائه محمد على فى مصر، بأنهم لن يتركوا له حرية التصرف فى الخليج العربى وشئونه ، كيف لا والحكومة البريطانية قد طلبت من ممثلها فى مصر الكولونيل كامبل Campbell ، وقبل انعقاد المؤتمر الدولى فى لندن ،ابلاغ محمد على رغبة بريطانيا فى جـلاء القوات المصرية عن اليمن ، وعندما حاول الباشا انتهاج الأسلوب السياسى

---

(١) د . محمد عرابى نخلة : تاريخ الاحساء السياسى ١٨١٨-١٩١٣ ، ص ٨٩
، د . فائق حمدى طهبوب : تاريخ البحرين السياسى ١٧٨٣-١٨٧٠م ، ص ٢٠٤

(٢) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية.. ، ص ٣٤٤

فى الرد على القنصل البريطانى ، وبأنه سينظر فى الأمر حال انتهاء المسألة الشرقية التى تتفاوض بشأنها الدول الأوروبية ، كان الرد البريطانى أشد قسوة من الطلب الأول حين أجابه كامبل Campbell : " أن ليس هناك أية علاقة تربط بين المسألة الشرقية ومسألة اليمن ، فبحث المسألة الشرقية يخص الدول الكبرى ، أما مسألة اليمن فهى مرتبطة رأسا بالمصالح البريطانية وحدها ، وأن منطقتى البحر الأحمر والخليج العربى - هما مجال بريطانيا الحيوى فى تلك المنطقة ، ولذلك فإنها لا تستشير حلفاءها فيما يخصهما ".(١)

لم تفتأ بريطانيا فى اتخاذ الاجراءات التى تقلص من نفوذ وطموحات محمد على سواء فى شبه الجزيرة العربية أم فى الشام ، فأرسلت لها جاسوسا فى الشام ليبث بذور الشقاق والفتنة بين الأهالى ، وأصبح ينتقد حكومة الباشا ويوغر عليها الصدور (٢) ، ليكون بذلك عاملاً مساعداً فى اشعال نيران الثورة والاضطرابات التى تعيشها الشام من جراء سياسة حكومة الباشا التى تعتبر مسئولة عن كثير من الاضطرابات والثورات التى تأججت فى الشام وزعزعت ثقة الأهالى فى حكومة الباشا حتى صار من الصعوبة بمكان بقاؤها فى الشام ، فى الوقت الذى سعى فيه البريطانيون الى كسب ولاء الشهابيين وتعهدوا لبشير الثانى بضمان حكمه ان هو انضم اليهم ضد الباشا (٣) .

---

(١) د . عبد الحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث ١٥١٧ - ١٨٤٠ م ، ص ١٠١ .

(٢) سهيل زكار : بلاد الشام فى القرن ١٩ ، دراسة وتحقيق " مشهد العيان بحوادث سوريا ولبنان ، د . ميخائيل مشاقة ، ص ١٨٢ - ١٨٣ .
، طنوس بن يوسف الشدياق : أخبار الاعيان فى جبل لبنان ، ص ٥٩٥

(٣) فيليب وفريد الخازن : مجموعة المحررات السياسية والمفاوضات الدلية .. ج ١ ، ص ٧٣ .

وقد دعا وزير خارجية الدولة العثمانية ممثلى القوى الأوروبية الخمس فى الأستانة وهى كل من دولة بريطانيا العظمى ، والنمسا ،وفرنسا ،وروسيا وبروسيا ، الى الاجتماع فى منزله على ضفاف البسفور فى النصف الأخير من شهر ربيع الثانى سنة ١٢٥٥هـ، الموافق للثالث من يوليو سنة ١٨٣٩م، وأكد لهم فى هذا الاجتماع احترام السلطان العثمانى وتقديره للملوك الذين يمثلونهم ،ورغبته الحارة فى تقديره لكل صور التفاهم الطيب التى تربط الباب العالى بحكوماتهم ،ثم أشار بعد ذلك الى أن السلطان قد قرر بدافع الرغبة فى وضع نهاية للكوارث التى تثقل كاهل شعبه من جراء سياسة باشا مصر ، والغضب الذى أورثه ،وأنه قرر ارسال أحد رجاله المحنكين ليقدم للباشا المصرى أسفه مما مضى والتأكيد على عربون المحبة فى المستقبل مع اعطاء وعد للباشا بمنحه وعائلته الحكم الوراثى لمصر بحيث يحمله الباشا وأحفاده ، كاقطاعية ،شريطة أن تعود سوريا فورا الى السلطان ، وعند سؤال وزير خارجية الدولة العثمانية للممثلين عن رأيهم فى ذلك ، أخبروه بأنهم يشاركونه فى اعادة السلام ، وأنهم راغبون فى ذلك كثيرا ،الا أنهم لم يتلقوا أى تعليمات من حكوماتهم ، لذا فهم غير قادرين على الادلاء بوجهات نظرهم حيال شروط الباب العالى المزمع عرضها على الباشا ،لكنهم لن يدخروا وسعا فى نقل المعلومات التى حصلوا عليها الى حكوماتهم[1] ، وقد قام سفيرا بريطانيا فى الأستانة ومصر ، بنقل التفاصيل الكاملة الى اللورد بالمرستون Palmerston

---

1-Document:F.O.78/375.^xC/A/61064.p.p.4-5 with No.55.

وان كان السفير البريطاني في مصر قد أظهر نوعا من التفاؤل حيال الهدوء الذى يسود أجواء حكومة محمد على تجاه السلطان العثماني الجديد ، مما يعني وجود الرغبة في الطاعة والتعاون (١) ، الا أن اللورد بونسنبى Lord-Ponsonby سفير بريطانيا في الأستانة كان حذرا في تعبيراته حيال سلوك محمد على ، وما قد يقوم به من تحركات لمقاومة الدول الأوروبية ، لا سيما وأنه يرى أن بعض رجال الدولة العثمانية قد تخلوا عنها لاعتقادهم بأن سلطانها قد أُفسِد من قبل روسيا . (٢) .

رغم أن محاولات اللورد بالمرستون Palmerston في خلق رابطة أوروبية لمنع محمد على من الاستفادة من حروبه ضد الدولة العثمانية لم يكتب لها النجاح في بداية الأمر لوجود معارضة فرنسية لصالح محمد على وكذلك امتناع روسيا من الانضمام لتلك الرابطة (٣) ،الا أن تطور الأحداث بعد معركة نصيبين ، وانضمام الأسطول العثماني الى محمد على وما أحاط بالدولة العثمانية من أهوال كبيرة بعد أن فقدت سلطانها ، وجيوشها البرية وسفنها الحربية ، لتصبح عاصمتها مشرعة الأبواب أمام تابعها القوى محمد على باشا ،كل ذلك كان مدعاة لأن تحرص الدول الأوروبية على صون

1- Document:F.O. 78/375.[x]C/A/61064. p.40. No.1.

2- Document:.F.O. 78/375.[x]C/A/61064, p.7-9.

3- H.Temperly and L.M. Penson:Foundations of British Foreign Policy, p.p.122-123.

مصالحها الخاصة والمتمثلة وقتئذ فى ضرورة المحافظة على كيان الدولة العثمانية(١) ، وهذا ما أشار اليه أحد المؤرخين حين قال : " .. كلما تقدم ابراهيم نحو عاصمة الدولة كلما اهتز والده فى مصر ، وتجمعت حوله الأخطار ، واعتبرت أوربا محمد على كنابليون ، وكأنه ملأ مكانه فى مصر واتبع نفس سياسته .." (٢) .

أرسل سفراء كل من فرنسا وبريطانيا وروسيا والنمسا وبروسيا مذكرة الى السلطان العثمانى فى الخامس عشر من جمادى الأولى سنة ١٢٥٥هـ ، الموافق للسابع والعشرين من يوليو سنة ١٨٣٩م ، مذكرة عهد بتحريرها الى السفير الفرنسى فى الأستانة البارون روسان Roussin يعلنون فيها أن الاتفاق بين دولهم قد أصبح أمراً واقعاً وأنهم يدعون الباب العالى الى عدم اقرار أى صلح فى المسألة المصرية الا بعد أخذ مرئيات دولهم بشأن ذلك.(٣)

كانت تلك المذكرة انتصاراً لوجهة النظر البريطانية ، التى كان سفيرها فى الأستانة يقوم بدور مدروس ومخطط ، لتحقيق المسعى الذى ترنوا اليه حكومته من طريق الضغط على السلطان من ناحية ، واثارة أهل الشام على

---

(١) د . محمد فؤاد شكرى : مصر والسودان ، تاريخ وحدة وادى النيل السياسية فى القرن ١٩ ، ص ١٤ .

(٢) د . محمد عبد اللطيف البحراوى : حركة الاصلاح العثمانى فى عصر السلطان محمود الثانى ١٨٠٨-١٨٣٩م ، ص ١٥٣ .

(٣) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٤٥٦ ، محمد صبرى : تاريخ مصر الحديث من محمد على الى اليوم ، ص ٧٤

حكومة الباشا من طريق الجواسيس والعملاء الذين يسيرون فى فلك السياسة البريطانية من ناحية أخرى . (١)

انقضت مدة أشهر كانت حافلة بتبادل الآراء والمقترحات التى يطرحها زعماء وساسة الدول الأوروبية بغية التوصل الى حل للمسألة المصرية التى تعتبر جزءا هاما من المسألة الشرقية ، التى تعتبر ذات آثار عميقة على مستقبل الدول الأوروبية بشكل عام ، الا أن المسألة المصرية كانت مركز اختلاف فى وجهات النظر التى يراها الساسة الأوروبيون حينذاك ،فرئيس الوزراء النمساوى الكونت مترنيخ كان يحارب الثورات الانفصالية ،ولا يميل الى تشجيعها فى الوقت الذى يسعى فيه الى الحيلولة دون انفراد روسيا بالتدخل فى هذه المسألة انطلاقا من معاهدتها الثنائية مع السلطان العثمانى المعروفة باسم انكيارسكليسى (٢) ، بينما كانت فرنسا تظهر الميل والمساعدة لمحمد على وترغب فى عدم التدخل الأوروبى بين السلطان وتابعه ، ذاهبة الى أن المسألة المصرية يمكن انهاؤها بين التابع ومتبوعه بصورة مباشرة دون أية تدخلات من جانب الدول الأوروبية (٣) ، أما روسيا فكان الخوف منها ينطلق على ما ستقوم

---

(١) د . لطيفة محمد سالم : الحكم المصرى فى الشام ١٨٣١-١٨٤١م ،ص ٣٥١

(٢) محمد على الشيخ : صراع العمالقة فى القرن التاسع عشر ،ص ١١٨-١١٩ ؛ د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : تاريخ العرب الحديث والمعاصر ص ١٦٢ .

(٣) الميرالاى اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ،ج ١ ،ص ٦٩٠

بمحيال الالتزام ببنود معاهدة انكيار سكليسى - إلا أن وصول البارون برونوف Brunnow الى لندن فى أواخر سنة ١٢٥٥هـ، أواخر سنة ١٨٣٩م، لنقل موافقة حكومته على اعطاء الحرية المطلقة لبريطانيا لاتخاذ ما تراه مناسبا فى حل المسألة المصرية ، واستعداد روسيا لغلق المضايق فى وجه كل السفن الحربية(١) ،- جعل هذا الساسة الانجليز وعلى رأسهم اللورد بالمرستون Palmerston وزير الخارجية ، والعدو اللدود لمحمد على ، يتنفسون الصعداء بعد أن تم التوافق فى وجهات النظر بين بريطانيا وروسيا ، لأن ذلك سيشجع كلا من النمسا وبروسيا فى الانضمام الى صف بريطانيا وروسيا ، وبالتالى عزل فرنسا من المسألة المصرية نهائيا لأن مواقفها لم تتوافق مع المواقف والأهداف البريطانية ، وقد سلم القنصل البريطانى فى مصر رسالة الى محمد على من اللورد بالمرستون Palmerston ، فى تلك الأثناء تتضمن وجهة النظر البريطانية ، والتى لا بد للباشا أن يكون على علم بها فى تلك الفترة بالذات. (٢)

حاول اللورد بالمرستون Palmerston التوفيق بين وجهة نظر حكومته وحكومة فرنسا ، باقتراح ضم ولاية عكا - دون مدينة عكا الى الباشا مدة حياته ، الا أن فرنسا رفضت ذلك ، وأصرت على موقفها ، وهو اعطاء ولايتى

---

(١) د. محمد كمال الدسوقى : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، ص ١٨٢- ١٨٣.

، بيير رنوفان : تاريخ العلاقات الدولية فى القرن التاسع عشر ، القسم الأول ، ص ١٣٥.

2- Document :F.O.78/377.61070. No.1 , p.116

مصر والشام كلها للباشا ولذريته من بعده (1) ، وزاد من تصلب الموقف الفرنسي تمسك رئيس الوزارة الجديدة فيها المسيو ثييرس Thiers بموقف حكومتـه السابق (2) ، منذئذ لم يتردد اللورد بالمرستون Palmerston في تأليـب الدول الأوروبية واستجماعها الى جانبه ضد محمد علي وأعوانه الفرنسيـين ، وكللت جهود الوزير البريطاني بأن انحازت الى حكومته كل من روسيا والنمسا وبروسيا اضافة الى الدولة العثمانية ،لتضع هذه الدول مجتمعة كل من محمـد علي وفرنسا أمام الأمر الواقع ، بعد أن وقعت الدول الخمس على معاهـدة لندن الشهيرة والتي وضع بالمرستون Palmerston بواسطتها قواعـد التسوية للمسألة المصرية التي شغلت الدول الأوروبية والدولة العثمانية ردحاً من الزمـن .

في الخامس عشر من جمادى الأولى سنة ١٢٥٦هـ الموافق للخامس عشـر من يوليو سنة ١٨٤٠م ، وقعت كل من بريطانيا وروسيا والنمسا وبروسيا والدولة العثمانية على معاهدة لندن (3) ، والتي تألفت من وفاق مبرم بين الباب العالي

---

(1) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ،ص ٤٦٠-٤٦١ .
، رزق الله منقريوس الصدفي : تاريخ دول الاسلام ، ج ٣ ،ص ٣٢٢ .

(2) عبد الرحمن الرافعي : مصر محمد علي ، ص ٢٩٠ .

(3) ميخائيل شاروبيم بك : الكافي في تاريخ مصر القديم والحديث ، ص ٨٤

3- Hurewitz.J.C.: Diplomacy in the Near and Middle East, Vol.1.p.116.

من جهة والدول الأربع بريطانيا والنمسا وروسيا وبروسيا من جهة أخرى بشأن اعادة السلم في الشرق ، ومن مادة مفردة أو عقد مفرد ملحق بالاتفاق سالف الذكر (١) .

وقد تضمن الاتفاق تعهد أصحاب الجلالة ملوك الدول الموقعة على هذا الاتفاق بتوحيد جهودهم للعمل متفقين على الزام محمد على بنص التسوية وروحها وفق الشروط التي يحددها السلطان العثماني في الوثيقة المستقلة الملحقة بهذا الاتفاق ، على أن يعمل كل منهم وفقا للوسائل المتوفرة له ، وفي حالة رفض محمد على لهذه التسوية التي ستبلغ له من قبل السلطان ، فان ملوك الدول الأوروبية يتعهدون حالما يطلب منهم السلطان ذلك بأن يتخذوا التدابير المتفق عليها فيما بينهم ، لتنفيذ هذه التسوية وأن يعطوا فورا الأوامر اللازمة لقادة أساطيلهم في البحر المتوسط لتنفيذ طلب جلالته في قطع المواصلات البحرية بين مصر وسوريا ، ومنع ارسال الجند والخيل والسلاح والذخائر والمؤن الحربية بمختلف أنواعها من أحد هذين الاقليمين الى الآخر ، على أن يقدم قادة الأساطيل الأوروبيون كل المساعدات الممكنة لرعايا السلطان المقيمين على ولائهم واخلاصهم لجلالته كما أبدى ملوك الدول الأوروبية الموقعون على هذا الاتفاق استعدادهم

---

(١) د . السيد رجب حراز : المدخل الى تاريخ مصر الحديث ... ، ص ٢٧٥ ، د . محمد فؤاد شكرى : مصر والسودان - تاريخ وحدة وادى النيل السياسية في القرن ١٩ ، ص ١٥ .

لتلبية طلب السلطان العثماني للدفاع عن عرشه ، ولصون البوسفور والدردنيل وعاصمة الدولة العثمانية من كل اعتداء فيما لو قام محمد على بتوجيه جيوشه البرية والبحرية نحو الأستانة ، كما اتفق أصحاب الجلالة ملوك الدول الأوروبية الموقعون على هذا الاتفاق على أن يبقوا تلك القوة التي سيستعملونها لذلك الغرض في مواقعها الدفاعية وفق المدة التي يريدها السلطان العثماني وبعد انتهاء مهمتها ورغبة السلطان في عدم بقاءها تعود الى قواعدها في البحر الأسود والبحر المتوسط ، مع ملاحظة أن وضع العاصمة العثمانية والمضايق تحت حماية الدول الأوروبية المشار اليها انما هو تدبير استثنائي لصد كل اعتداء من جانب محمد على ، وتم بناءً على طلب من السلطان العثماني ، الذى أكد عزمه الصادق على المحافظة على القاعدة القديمة والتي تحرم دخول الوحدات الحربية الأجنبية الى مضيقي البوسفور والدردنيل، وقد تعهد ملوك الدول الأوروبية باحترام هذه الإرادة السلطانية وعدم الشذوذ من هذا المبدأ الذى قررته ، وعلى أن يتم التصديق على الاتفاق ، وتبادل وثائقه في لندن خلال شهرين أو قبل ذلك إذا أمكن (١) .

وقد تضمن العقد المفرد الملحق بالاتفاق المشار اليه آنفا تلك الشروط التي ذكرتها معاهدة لندن ، والتي تكرم بها السلطان العثماني على محمد

1-Hurewitz.J.C.:Diplomacy in the Near and Middle East, Vol.1.p.p.116-119.
، د .سليمان بن محمد الغنام : قراءة جديدة لسياسة محمد على باشا التوسعية ... ، ص ١٥٧-١٥٩ .

علي من أجل الصلح والتي كانت "تقوم على أساس أن يحتفظ محمد على بباشوية مصر فقط وراثة في أسرته ، وشريطة أن تظل مصر ولاية عثمانية مرتبطة بالدولة بقيود ، مثل دفع الجزية وتحديد الجيش والأسطول ، وأن يحتفظ محمد على لمدة حياته فقط بحكومة الشام الجنوبية بما فيها عكا ، فاذا لم يقبل هذه الشروط خلال عشرة الأيام الاولى من تاريخ المعاهدة ،تنتزع منه حكومة الشام الجنوبية وتعطى له باشوية مصرفقط ، فاذا أصر على عصيانه خلال عشرة أيام أخرى ، صار للسلطان الحق في العدول عما عرضه عليه ، وأصبح من حقه التصرف وفقاً لمصلحته ولما تنصحه به الدول ، وقد تعاهدت الدول بموجب الوفاق المبرم بينها على إرغام محمد على على قبول هذه الشروط" (١) .

لقد أصبحت معاهدة لندن وما شملته من شروط مرفقة ، أمراً واقعاً لانهاء المسألة المصرية التي كانت عبئاً ثقيلاً على الساسة الأوروبيين بصورة عامة ، والساسة البريطانيين بصورة خاصة ، وهذا ما نلحظه عند استقرائنا لبنود هذه المعاهدة وشروطها المرفقة التي كانت توحي بالتحدي السافر من قبل الدول الأوروبية لمحمد على وقواته ، اذ أنها قد حددت مدة زمنية لا تتجاوز عشرة أيام من تاريخ تبليغ الباشا بنصوص المعاهدة ، يخضع خلالها لطلبات الدول والسلطان العثماني ويرد الى الدولة العثمانية

---

(١) د . السيد رجب حراز : المدخل الى تاريخ مصر الحديث من الفتح العثماني الى الاحتلال البريطاني ، ص ٢٧٦ .

جزيرة العرب والأماكن المقدسة فيها ، وجزيرة كريت واطنة والشام ، لكـــن يمنح ولاية مصر وراثية وولاية مكا مدة حياته ،فان لم يخضع لهذه التسويـــة يسحب السلطان من الباشا ولاية مكا ويبقى له ولاية مصر وراثية ، ويعطـــى مهلة زمنية لمدة عشرة أيام أخر ،فان لم يستجب بعد ذلك أخضعته الـــدول بالقـــــوة ونظرت فى أمره من جديد . (١)

لقد كانت بريطانيا حريصة على اقتلاع محمد على من الشام ومن شبه الجزيرة العربية منذ أن عرفت أهدافه وطموحاته التى باتت تهدد مصالحهـا الاستراتيجية والاقتصادية فى المنطقة ، وذلك قبل أن تستجمع الــــــدول الأوروبية ضده ، وقبل أن توقع معها معاهدة لندن سالفة الذكر ، فقـــد كانت الحكومة البريطانية ، وكان الساسة البريطانيون قد وطدوا العزم علـى الوقوف ضد محمد على واعادته الى ولاية مصر فقط دون غيرها ، فالى جانب الدسائس واثارة الفتن التى يقوم بها الجواسيس الانجليز بين أهل الشام(٢)، كتب اللورد بالمرستون Palmerston وزير الخارجية البريطانى الى قنصل حكومته فى مصر الكولونيل هودجز Hodges طالبا اليه اعطاءه معلومات وافية عن الأعداد والكفاءة العامة للجند الذين تمكن محمد على من حشدهم

---

(١) محمد صبرى : تاريخ مصر الحديث من محمد على الى اليوم،ص ٧٦ .
، أمين سعيد :تاريخ الدولة السعودية من محمد بن سعود الـــى عبدالرحمن الفيصل ، ص ١٥٤-١٥٥ .

(٢) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٤٦٣ .

لحماية الاسكندرية ، وكذلك جيوشه فى سوريا ، وكذلك ابداء المرئيات حول القوة التى ستمهد لهجوم ناجح على الاسكندرية واحتلالها ، ومن التأثير الذى يمكن أن تخلفه على المدينة ومخازن الأسلحة والقصر والسفن فى الميناء،(١) بينما كان آمر الحملة العسكرية الى نهر الفرات يتخذ مواقع هامة لحملته تلك على الشاطئ الأيمن لنهر الفرات ،وعلى بعد أربعة أميال من البصرة بناء على تعليمات من حكومته (٢) ،فى الوقت الذى كان فيه المقيم البريطانى فى بغداد الكولونيل تايلور Taylor ،يرفع التقارير تباعًا الى حكومته مضمنا اياها ما يحيط بذلك الاقليم من أخطار كثيرة ، تأتى فى مقدمتها أطماع وطموحات محمد على وحلفائه الفرنسيين ، مما يهدد المصالح البريطانية فى المنطقة(٣) ، ورغم ورود أنباء من شبه الجزيرة العربية تفيد بانسحاب قوات خورشيد باشا وتسليم زعامة نجد الى الأمير خالد بن سعود ، الا أن تايلور Taylor يعتقد بأن خورشيد باشا يعتزم البقاء فى نجد فى الوقت الحاضر وربما توجه الى بغداد . (٤)

وقد قام القنصل البريطانى فى مصر الكولونيل هودجز Hodges بتحريات كاملة أخرى لدى محمد على ، لمعرفة نواياه وأهدافه التوسعية

1- Document :F.O.78/377.^{x}C/A/61070.No.2.p.p.3-4.

2- Document:(I.O.R.)L/P,S/9/113.No.1607,and 1609 and 1583.

3- Document:(I.O.R.)L/P,S/9/115,No.26.

4- Document:(I.O.R.)L/P,S/9/115,No.25.

فى اليمن ،وفى ميناء عدن الذى أصبح يخضع للحكومة البريطانية ، وكذلك طموحاته فى شبه الجزيرة العربية ،وما ترتب على ذلك من قيام علاقات سياسية قوية مع شاه ايران ،محذرا اياه من تلك التصرفات التى تضر بالصالح البريطانية ، خاصة فى هذه المرحلة الحاسمة كما يقول المسئول البريطانى.(١)

وبعد ابرام معاهدة لندن قام القنصل البريطانى فى سوريا بابلاغ بعض الأعيان والأمراء فى الشام بذلك الاتفاق ، وأن الدول الأوروبية عاقدة العزم على اجبار المصريين على الجلاء من سوريا عاجلاً أم آجلاً ، وأنه من الأفضل لهؤلاء الامراء والأعيان الالتجاء الى الدول الأوروبية أو العودة الى طاعة الدولة العثمانية. (٢)

أما فرنسا فقد استطاع وزير خارجية بريطانيا اللورد بالمرستون Palmerston أن يعزلها عن المسألة المصرية تلك ،بعد أن تمكن من توقيع معاهدة لندن مع الدول الأوروبية العظمى دون الرجوع الى فرنسا ، أو أخذ رأيها فى الأزمة ،ولم يكتف بذلك بل هددها بحرب عامة رغم أنه كان واثقاً من أنه لن يصل الى ذلك ، لأن رئيس الحكومة الفرنسية تيير س Thiers لم يكن ليلجأ الى الحرب الى جانب محمد على ،رغم تهديداته

1- Document :F.O.78/404.p.p. 97-99.

(٢) سهيل زكار: بلاد الشام فى القرن ١٩ ، دراسة وتحقيق - مشهد العيان بحوادث سوريا ولبنان ، د .ميخائيل مشاقة ، ص ١٨٥ .

للسلطان العثمانى ، وإرسال الأمانى والوعود الكثيرة الى محمد على(١) ، ولعل ذلك ما لحظه القنصل النمساوى فى الشام حين أكد لأحد الأعيان بأن دولة الانجليز ودولة النمسا دولتان محاربتان مع الدولة العثمانية ، انما فرنسا تلزم الحياد كأنها قدمت لتشاهد فشل حليفتها وانكسارها (٢)، وقد أعلنها صراحة اللورد بالمرستون Palmerston ، بعد معاهدة لندن بشهرين وبضعة أيام ، حين كتب الى سفيره فى باريس والأزمة على أشدها ، لكى يبلغ رئيس الحكومة الفرنسية بأن فرنسا ستخسر الكثير ان هى بدأت حربا ضد انجلترا ، وأنها ستشهد خسارة سفنها ومستعمراتها وتجارتها ، قبل أن تشهد نهاية تلك الحرب ، وأن محمد على سيكون حينئذ قد أغرق فى النيل (٣).

لقد كانت معاهدة لندن أبعد مدى من التوصل الى حل للمسألة المصرية من وجهة نظر بالمرستون Palmerston ، الذى قال : انه من اللازم إعطاء درس لفرنسا وجعلها تفهم عمليا أن كلماتها ورغباتها ليست قانون أوروبا ، ولا شك فى أن مصالح بريطانيا فى البحر المتوسط ، وطبيعة

---

(١) بيير رنوفان : تاريخ العلاقات الدولية فى القرن التاسع عشر ، القسم الأول ، ص ١٣٨ .

(٢) سهيل زكار : بلاد الشام فى القرن ١٩ ، دراسة وتحقيق - مشهد العيان بحوادث سوريا ولبنان ، د . ميخائيل مشاقة ، ص ١٨٦-١٨٧

(٣) د . محمد كمال الدسوقى : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ص ١٨٧

وزير الخارجية البريطانية ، كانت تكفى لشرح هذا المسلك فى السياسة الانجليزية (١) ، فالتصميم الشخصى الذى يمتاز به بالمرستون Palmerston وقوة بريطانيا البحرية ، جعلته يضرب الحصار البحرى على الاسكندرية رغم رفض فرنسا التعاون معه ، ورغم الغضب الذى انتاب المسئولين الفرنسيين وفى مقدمتهم رئيس الوزراء ، والصحافة الفرنسية ، والذين رأوا فى استبعاد فرنسا من اتفاقية لندن اهانة شنعاء لحقت بهم ، الا أن ذلك كله لم يغير من الأمر شيئا ، ولم يثن بالمرستون Palmerston من توجهاته ومخططاته (٢).

أرسلت الدولة العثمانية محمد رفعت بك الى محمد على فى منتصف سنة ١٢٥٦هـ الموافق لشهر أغسطس سنة ١٨٤٠م ، ليبلغ الباشا بقرارات الدول التى وقعتها فى معاهدة لندن ، وأنه اذا لم يقبل بشروط تلك المعاهدة خلال عشرة أيام فستسحب منه ولاية عكا ولن يبقى له سوى ولاية مصر ، على أن يوافق على الشروط المدونة فى المعاهدة تلك فى خلال عشرة أيام أخرى ، والا سحبت منه ولاية مصر أيضاً وأرغم على الانسحاب من الشام والجزيرة العربية بالقوة وبمساعدة عسكرية مباشرة من الدول التى وقعتها ، خاصة وأن بريطانيا والنمسا قد قطعتا وعداً صريحاً بتقديم المعونة البحرية

---

(١) بيير رنوفان : تاريخ العلاقات الدولية فى القرن التاسع عشر ، القسم الأول ، ص ١٣٦-١٣٧ .

(٢) أ . ج . جرانت وهارولد تمبرلى : أوروبا فى القرنين التاسع عشر والعشرين ، ج ١، ص ٣٣٧-٣٣٨ .

للسلطان العثمانى اذا رفض محمد على الشروط المفروضة عليه . (١)

وقد قام محمد رفعت بك ووكلاء الدول الأوروبية فى مصر بابلاغ شروط معاهدة لندن لمحمد على ، وحذروه عواقبه الامتناع من تنفيذ بنود المعاهدة وبعد انقضاء الموعد دون وجود أية بادرة بالموافقة من قبل الباشا أبلغ بالانذار الثانى وهو اعطاءه ولاية مصر فقط ، وسحب ولاية عكا منه ، وأعطى مهلة العشرة أيام الثانية ،وقد حاول الباشا انتهاج سياسة اللين والمداهنة مع السلطان العثمانى ،حين كتب الى السلطان العثمانى رسالة مباشرة وسلمها لمندوب الدولة العثمانية محمد رفعت بك عارضا عليه انهاء الخلاف بينه وبين الباب العالى دون تدخل الدول الأوروبية ،الا أن ذلك لم يؤد الى نتيجة حاسمة حين اعتبر مندوبوا الدول أن هذا المسلك يعد رفضا لمعاهدة لندن وشروطها من قبل الباشا ، وتم تدوين محضر بذلك ، ليصدر السلطان العثمانى فرمانا بخلع محمد على من ولاية مصر ، ولتصبح الحرب وشيكة الوقوع بين الدول الأوروبية ومحمد على . (٢)

تزعمت بريطانيا الدول الأوروبية والدولة العثمانية فى تنفيذ بنود

---

(١) الميرالاى اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار من دول البحار ،ج ١ ،ص٦٩٠ ، د . محمد كمال الدسوقى : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ،ص ١٨٥ . ، د . سليمان بن محمد الغنام: قراءة جديدة لسياسة محمد على باشا التوسعية فى الجزيرة العربية ... ، ص ١١٦ .

(٢) عبد الرحمن الرافعى : عصر محمد على ،ص ٢٩٥-٢٩٧ .

معاهدة لندن ، وساعدتها في ذلك النمسا والدولة العثمانية ، فأرسلت الأساطيل الحربية البحرية لتحاصر سواحل الشام،وتستولى على المدن والموانئ الهامة ، في حين تم انزال بعض عساكر الدولة العثمانية الى البر وقد استولت القوات البريطانية على ميناء اللاذقية وبيروت ، وبعد أن أطلقوا النيران على مدينة عكا لمدة ثلاث ساعات متوالية تم لهم الاستيلاء عليها بما فيها من عتاد وذخائر كان ابراهيم باشا يعتمد عليها في المقام الأول ، ليبدأ انهزام قواته ، وتقهقر جنوده الى الداخل ،الا أن العداوة التي كان يظهرها الأهالي ، والثورات التي يقابل بها الجنود المصريون ، والهزائم المتتالية التي بدأت تحل بالقوات المصرية على أيدى جنود الدولة العثمانية وحلفائها من البريطانيين والنمساويين ، جعلت ابراهيم باشا ينسحب بعساكره من الشام الى مصر ، وليواجه بكثير من الأخطار والصعوبات في الطريق البرى الى مصر كانت سببا في هلاك كثير من جنوده . (١)

في أواخر شهر رمضان سنة ١٢٥٦هـ الموافق الثاني والعشرين من نوفمبر سنة ١٨٤٠م ، بلغ الأدميرال تشارلز نابيير Admiral,Charles, Napier وأسطوله مياه الاسكندرية ، مهددا بلغة الحديد والنار ، ومؤكدا لمحمد على بأنه ما لم يستسلم للأمر الواقع ،ويتعهد بإعادة الأسطول

---

(١) الميرالاى اسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار من دول البحار،ج ١ ، ص ٦٩٠-٦٩١ .
، رزق الله منقريوش الصدفى : تاريخ دول الاسلام ،ج ٣ ، ص ٣٢٢ .
، طنوس بن يوسف الشدياق : أخبار الأعيان في جبل لبنان ،ص ٥٨٨-٥٨٩ .

العثمانى للباب العالى ، والجلاء من سوريا ، وإلا أرغمته الدول الأوروبية على ذلك وحرمته من كل شئ حتى ولاية مصر ، حينئذ لم يجد الباشا بدا من التسليم لرغبة الدول العظمى ، والتمسك بآخر خيط للأمل وهو التزام القائد البريطانى له بضمان ولايته الوراثية لمصر ، وبعد مداولات ، وأخذ ورد ، التزم المسئول البريطانى بذلك ليخضع الباشا حينئذ لقرارات الدول الأوروبية بعد أن ضمنت له ولاية مصر ولاية وراثية ، ليتم الاتفاق ، والتوقيع على قرار الانسحاب فى الثانى من شهر شوال سنة ١٢٥٦هـ الموافق للسابع والعشرين من نوفمبر سنة ١٨٤٠م.(١)

حاول السلطان العثمانى التمسك بقرار عزل محمد على من ولاية مصر نظرا لعدم تنفيذه لشروط معاهدة لندن ، وكادت بريطانيا أن تتنكر لاتفاق الباشا مع قائد الاسطول البريطانى نابيير Napier وتحصر ولايته على مصر مدة حياته فقط(٢) ، الا أن وزير خارجية بريطانيا اللورد بالمرستون Palmerston قد أقر المسئول البريطانى على اتفاقه ذاك ، وسعى لدى الدول الأوروبية التى أمضت معاهدة لندن لكى تطلب من الباب العالى العدول من قرار عزل الباشا من مصر ، ولا غرو فى ذلك فأهداف الوزير

---

(١) أ.ج. جرانت وهارولد تمبرلى : أوروبا فى القرنين التاسع عشر والعشرين ، ج ١ ، ص ٢٣٩.
، أمين سعيد : تاريخ الدولة السعودية من محمد بن سعود الى عبد الرحمن الفيصل ، ص ١٥٥.
، رزق الله منقريوس الصدفى : تاريخ دول الاسلام ، ج ٣ ، ص ٣٢٢.

(٢) محمد صبرى : تاريخ مصر الحديث من محمد على الى اليوم ، ص ٧٧.

البريطاني ومخططاته ، والتي ختمها باقتلاع الباشا من الشام بالقوة المسلحة قد تحققت ولم يعد هناك أي مجال للخوف من خطر قد يقوم به الباشا يهدد من خلاله مصالح بريطانيا في الجزيرة العربية والعراق ومن ثم مصالحها في الهند ، ولم يقبل الباب العالي هذا الاتفاق الا بعد تردد واحجام ، وتداول مدة مخاطبات بينه وبين الدول الأوروبية المعنية في اتفاق لندن ، ليصدر بذلك فرمان همايوني في الحادي والعشرين من ذي القعدة سنة ١٢٥٦هـ ، المصادف للرابع عشر من يناير سنة ١٨٤١م ، يمنح بموجبه محمد على حكم مصر حكماً وراثياً . (١)

ومن ثم تمت تسوية المسألة المصرية في عدد من الفرمانات السلطانية وفق القواعد الأساسية لمعاهدة لندن ، ووفق رغبات الدول الأوروبية التي أبرمت هذه المعاهدة ، وحدد الوضع الدستوري لحكومة محمد على في مصر ، بحيث يدفع للدولة العثمانية ضريبة سنوية تصل الى ثلاثين مليون قرش ، خفضت بعد ذلك حسب رغبة الدول الأوروبية ، بينما حدد جيشه بحيث لا يزيد عن ثمانية عشر ألف جندي ، في الوقت الذي منع فيه الباشا من بناء السفن الحربية الا بموافقة السلطان ، وعلى أن تطبق في مصر كافة القوانين ونظم الضرائب المعمول بها في سائر أنحاء الدولة العثمانية ، كما يتعين على محمد على في مصر الاعتراف بكل المعاهدات التي عقدها الباب العالي مع

---

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٤٦٩ ، ٤٧٢ .

الدول الأجنبية ، وتعتبر ملزمة لحكومتـه . (١)

ورغم أن الحكومة الفرنسية قد انضمت الى معاهدة لندن الشهـــيرة ، لتسير مع الاجماع الأوروبى فى أواخر شهر محرم سنة ١٢٥٧هـ الموافق للخامس عشر من مارس سنة ١٨٤١م (٢) ، الا أن انتصار الحكومة البريطانية ووزيرخارجيتها اللورد بالمرستون Palmerston ،قد اكتمل حينما وقعت الدول الأوروبية الخمس بما فيها فرنسا مع الدولة العثمانية ، اتفاقية تاريخية خاصة بالمضايق والتى تم التوقيع عليها فى الثالث والعشرين من جمادى الأولى لسنة ١٢٥٧هـ الموافق للثالث عشر من يوليوسنة ١٨٤١م ،وقد تعهدت بموجبها الـــدول العظمى والسلطان العثمانى بعدم السماح لأى سفن حربية بدخول مضيقـــى البوسفور والدردنيل طالما أن الدولة العثمانية فى حالة سلم (٣) ، وبذلـــك وجهت الديبلوماسية البريطانية من خلال هذه الاتفاقية ضربة قاضية لما خلفته معاهدة انكيار سكليسى ، من امتيازات وآثار وقتية حصلت عليها روسيا وأقلقت أوروبا ردحاً من الزمن .

---

(١) د . محمد كمال الدسوقى : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ،ص١٨٨-١٨٩ .

، كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص٥٦٥ .

، د . السيد رجب حراز : المدخل الى تاريخ مصر الحديث... ،ص ٢٨٠

2 .-H.Temperley and L.M.Penson :Foundations of British Foreing Policy, p.130.

(٣) أ.ج .جرانت وهارولد تمبرلى :أوروبا فى القرنين التاسع عشر والعشرين ، ج ١ ،ص ٢٤٠ .

، بيير رنوفان : تاريخ العلاقات الدولية فى القرن التاسع عشر ،القسم الأول ، ص ١٤٠

وقد حققت بريطانيا من خلال معاهدة لندن وما أعقبها من اتفاقيات دولية ، وانتصارات عسكرية ، ما كانت تطمح اليه من إقتلاع جيوش محمد على والقضاء على طموحاته وتطلعاته فى شبه الجزيرة العربية والخليج العربى .

ورغم أن محمد على كان قد حاول انتهاج سياسة الملاينة ، واظهار النوايا الحسنة ، فيما يتعلق بالمصالح البريطانية فى وسط وشرقى الجزيرة العربية ، وذلك باصدار ارادته رقم ٢١ ، فى الثانى من شهر رجب سنة ١٢٥٥هـ ، العاشر من سبتمبر سنة ١٨٣٩م ، الى قائد قواته هناك خورشيد باشا ، مشيرا اليه فيها بتسليم مقاليد الأمور الى خالد بن سعود ، واقفال باب المصروفات الذى فتح لنجد والعودة الى مصر ، لأن الوقت ليس وقت المصلحة التى يأملها الباشا ويتمنى تحقيقها (١) ، ولأنه قد أدرك بشكل واضح اعتزام بريطانيا التصدى له ولطموحاته ، الا أن ذلك لم يحلد ون توقيع معاهدة لندن وشروطها التى اشارت بصورة واضحة الى حتمية انسحاب الباشا من الجزيرة العربية ، لا سيما وأن القائد المصرى فيها كان يسير على نفس النهج السياسى لمحمد على ، اذ كان يبدى رغباته واقتراحاته بضرورة الابقاء على الجزيرة العربية كتابعة لحكومة الباشا فى مصر ، وترك حامية قوية لمساعدة الامير خالد بن سعود فى تدعيم نفوذه والمحافظة على الولاء للحكومة

---

(١) وثيقة تركى ، ارادة رقم ٢١ ، محفظة ٢٦٧ عابدين ، محافظ الحجاز رقم ٨ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .

المصرية(١) .

ولقد كانت التسوية التى قامت بها الدول الأوروبية بزعامة بريطانيا ، وتلك القرارات والشروط التى تم التوقيع عليها فى معاهدة لندن الشهيرة وما أعقبها من اتفاقيات دولية ، كفيلة بوضع مصر فى موضع ينتهى حتماً بارتباك شئونها ارتباكا يقضى على ما لها من استقلال داخلى محدود(٢) ،اذ أن الباشا قد تقلص نفوذه بعد تجريده من كثير من قوته العسكرية والبحرية ، وانتزعت منه جميع الأراضى خارج مصر ، اضافة الى فقده بعض الاستقلال الادارى الداخلى ، لتصبح مصر بعد ذلك مشرعة الأبواب للتدخل الأجنبى وبالتالى وضعها تحت الاشراف أو الوصاية الأوروبية . (٣)

لقد عبر دى مارتنس DeMartens ، أحد كبار العلماء فى القانون الدولى من أثر معاهدة لندن وما سمى بالحل الدولى ، على الحكومة المصرية بقوله : " ان الوضع الذى صار لحكومة مصر كما حددته وعينته معاهدة لندن فى ١٥ يولية ١٨٤٠م يظل قائما ولا يمكن المساس به اطلاقاً ،

---

(١) وثيقة تركى ، ٢ أصلية ، ١٠٥ حمراء ، محفظة ٢٧٠ عابدين ، محافظ الحجاز رقم ١٠ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .

(٢) الاستاذ محمد شفيق غربال : منهاج مفصل لدروس العوامل التاريخية فى بناء الأمة العربية ... ، ص ٩٦ .

(٣) د . محمد فؤاد شكرى : مصر والسودان وتاريخ وحدة وادى النيل السياسية فى القرن ١٩ ، ص ٢٠-٢١ .

، جون مارلو : تاريخ النهب الاستعمارى لمصر ، ص ٣٢ .

ولابد من حصول إتفاق الدول سلفاً حتى يمكن تعديله أو إبطاله وإلغائه"[1] .

ويظهر لنا من استعراضنا لما سبق التطرق اليه من الموقف البريطاني الذي وقفته حكومة اللورد بالمرستون Palmerston ، ازاء طموحات وأهداف محمد على باشا في الشام وفي الجزيرة العربية ، يتبين لنا أن الحكومة البريطانية قد وضعت كامل ثقلها السياسي ، ثم العسكري في وجه الباشا ، لكي لا يحقق آماله وطموحاته ،لأن ذلك يتعارض البتة مع مصالح واستراتيجيات بريطانيا في المنطقة وقد تحقق لها ما تصبو اليه حين تمكنت من تأليب الدول الأوروبية على الباشا ، لتصل الى حل المسألة المصرية حلاً دولياً من خلال معاهدة لندن المعروفة ، ولتكبل الباشا بمجموعة من الفرمانات السلطانية ، التي ترتكز على تلك المعاهدة وتنطلق منها ، وكأن معاهدة لندن تلك ماهي الا حلا بريطانيا في صورة تجمع أوروبي دولي ، ليأخذ الشرعية القانونية أمام الرأي الأوروبي والدولة العثمانية التي كانت في حاجة الى هذا التدخل لتوقف أطماع تابعها القوى الذى بدأ نجمه يسطع على أجزاء مختلفة من أملاك الدولة ،بل تعداها الى العاصمة العثمانية ذاتها ،الا أن بريطانيا كانت له بالمرصاد ،لتوقفه عند حده وتعيده الى مصر كأحد الولاة التابعين للدولة العثمانية ،لا يحيد عنها قيد أنملة ،والا فالدول الأوروبية التي تقودها بريطانيا جاهزة للتدخل بشتى الصور ،سواء سياسية كانت أم عسكرية .

---

(1) د . السيد رجب حراز : المدخل الى تاريخ مصر الحديث من الفتح العثماني الى الاحتلال البريطاني ، ص ٢٨١ .

لم تعد الحكومة البريطانية تخفى قلقها المستمر منذ أن حاول خورشيد باشا القائد المصرى فى وسط وشرقى الجزيرة العربية ، دخول البحرين والتقدم بقواته الى البصرة وبغداد ، لأن بريطانيا كانت تظهر خوفها وخشيتها دائما من تبعات تلك السياسة التى ينتهجها محمد على باشا فى سبيل تحقيق طموحاته وأهدافه التوسعية فى شبه الجزيرة العربية ، وبخاصة فى منطقة الخليج العربى وسواحل اليمن ، وفى البصرة وبغداد ، لأنها ترى فى تلك السياسة خطرا جسيما يهدد مصالحها الاستراتيجية والاقتصادية فى الهند وطرق مواصلاتها اليها .

ورغم احتلالها لميناء عدن الهام الذى يُمَكِّنُها من السيطرة على مياه البحر الأحمر وجنوبى الجزيرة العربية ، الا أن تقارير المقيم البريطانى فى بغداد الكولونيل تايلور Colonel Taylor ، والذى أكد فيها تطلعات محمد على نحو الشاطئ الجنوبى للخليج العربى ، ونحو البصرة وبغداد(1) ، قد أخرجت بريطانيا من سياستها التقليدية فى المناورات السياسية لتكشر عن أنيابها مهددة باستخدام القوة ، تجاه أى تقدم يقوم به القائد المصرى فى الجزيرة العربية خورشيد باشا تجاه البحرين والخليج العربى أو البصرة وبغداد فى العراق .

1- Document : (I.O.R.) L/P,S/9/103, p.184.

لم يكن محمد على بمنأى من أبعاد السياسة البريطانية التى تعمل ليل نهار لاخراجه من الجزيرة العربية والخليج العربى ، مما جعله يضطر الى مجاملة الحكومة البريطانية والتقرب اليها اتقاء لشرها ، لا سيما وأنها قد احتلت ميناء عدن الهام ، وأنذرت حكومة الباشا بالانسحاب من منطقة الخليج العربى وجنوب الجزيرة العربية ، كما وطدت سلطانها مع كثير من الأمراء والمشائخ فى تلك المنطقة ، وزادت من حجم تجارتها مع الدولة العثمانية . (١)

ولقد كان محمد على حريصا منذ حروبه الأولى فى الجزيرة العربية على كسب صداقة وثقة البريطانيين ، لأنه يدرك ثقلهم السياسى والاقتصادى بين دول أوروبا (٢) ، وعندما طلب القائد المصرى فى الجزيرة العربية ارسال سفن بحرية من ميناء جدة الى الخليج العربى ، أوضحت حكومة الباشا صراحة للمسئول المصرى عدم قدرتها على تلبية طلبه لأنه يتعارض مع رغبة الانجليز الذين لن يوافقوا على ارسال هذه السفن الى الخليج العربى ، وعليه عدم التعريض بنفسه وسمعة حكومته ، بل يضع تبعات الأحداث التى تجرى هناك على عاتق الأمير خالد بن سعود (٣) ، ولم يعقب ذلك الا صدور الأوامر

---

(١) د . محمد كمال الدسوقى : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ،ص ١٨١ ، ج . ج لوريمر : دليل الخليج، القسم التاريخى ، ج ٢ ، ص ٧١٢

(٢) جورج فورستر سادلير : رحلة عبر الجزيرة العربية خلال عام ١٨١٩م ،ص١٠٦

(٣) وثيقة تركى ،ارادة رقم ٧ ، محفظة ٢٦٧ عابدين ،محافظ الحجاز رقم ٧ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .

من حكومة الباشا الى خورشيد باشا فى ٢٥ ربيع الأول سنة ١٢٥٥هـ الموافق للحادى عشر من يونيو سنة ١٨٣٩م، تأمره بعدم التدخل فى شئون البحرين وأن يترك الشيخ عبدالله بن أحمد مستقلا يدبر أمورها بنفسه ، ولكى تثبت حكومة محمد على حسن نيتها للبريطانيين أعطت صورة من هذه الأوامر للحكومة البريطانية التى سارعت بارسال نسخة منها الى المقيم البريطانى فى الخليج ، لكى يبعثها بدوره الى شيخ البحرين ، حيث بدأ المقيم البريطانى بعد ذلك فى الاعلان من انفصال البحرين من السيادة المصرية ، والانضواء تحت السيادة البريطانية (١) ، ثم أتبع ذلك "بتوزيع منشورات دعائية فى امارات الخليج يؤكد فيها أن السياسة التى ينتهجها القائد خورشيد انما هى من وحى تفكيره الشخصى وأن محمد على لا يرضى من حركات خورشيد ولا من تصرفاته فى بلاد الخليج (٢)" ، فى الوقت الذى صدرت فيه التعليمات الى المقيم البريطانى فى الخليج من حكومته بأن لا يكون حجر عثرة أمام سلطان مسقط فيما لو أراد أن يغزو البحرين التى أصبح شيخها من مؤيدى النفوذ المصرى فى المنطقة ، الا أن سلطان مسقط قد طلب الحماية البريطانية وتزويده بالسلاح والرجال ، لكى يستطيع اخضاع البحرين ، غير أن هذا

1-Document: F.O.78/374.No.42.^xC/A/61064.

، د .فائق حمدى طهبوب، تاريخ البحرين السياسى ١٧٨٣-١٨٧٠م، ص٢٠٥ .

(٢) أحمد عسه : معجزة فوق الرمال ، ص ٣٩-٤٠ .

الأسلوب لم يكن مرغوباً في السياسة البريطانية مما جعل المقيم البريطاني لا يعطي وعداً بذلك لسلطان مسقط(١).

حاول محمد علي أن يتغلب على المعارضة البريطانية لتوسعة في اليمن ، لا سيما وأن سياستها العدائية تجاه طموحاته وأهدافه قد بدأت تبرز منذ احتلالها لميناء عدن ،وقد عرض عليهم صداقته واستعداده لمراعاة المصالح البريطانية في الجنوب العربي ، ولكن انتصاره في معركة نصيبين ضد الدولة العثمانية كان سببا آخر لتوجه بريطانيا عن طريق ممثلها في القاهرة انذارا للباشا لكي يسحب قواته من جميع بلاد اليمن ، ولما كان جواب الباشا الذى بعثه على لسان وزير خارجيته بوغوص بك يميل الى الغموض وعدم البت فيما طلب منه ، فقد سارع وزير خارجية بريطانيا اللورد بالمرستون Palmerston الى استدعاء سفير حكومته في مصر الكولونيل كامبل Campbell وتعيين الكولونيل هودجز Hodges سفيرا لبريطانيا في مصر ، مع تزويده بتعليمات جديدة كان على رأسها البعد عن أسلوب المجاملة واستخدام لغة الحزم والعنف مع الباشا لاقناعه بالجلاء من اليمن.(٢)

---

(١) د . فائق حمدى طهبوب : تاريخ البحرين السياسي ١٧٨٣-١٨٧٠م ، ص ٢٠٨ .

(٢) د . عبدالحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث ١٥١٧-١٨٤٠م ، ص ١٠١-١٠٣ .

لم يكن محمد على ليغفل من الأحداث الدائرة فى اليمن ، بل كان يتتبعها ويبعث الى قائد قواته هناك بتعليمات مباشرة لكى يطلعه على كل ما يجرى على أرض اليمن خاصة من قبل السلطات البريطانية التى تحتل عدن (١) ، غير أن ممثل الحكومة البريطانية فى عدن الكابتن هينز Haines بعث برسالة الى قنصل حكومته فى القاهرة مؤكداً له فيها قيام محمد على بتحريض القبائل المجاورة لعدن بالهجوم على الحامية البريطانية فى عدن وأن الباشا أرسل مبعوثا من قبله يدعى سعيد حسين فى مهمة رسمية الى امام صنعاء ، وفى الثامن عشر من شهر ذو الحجة سنة ١٢٥٥هـ الموافق للثانى والعشرين من فبراير سنة ١٨٤٠م ، بعث القنصل البريطانى فى مصر برسالة الى وزير خارجيته اللورد بالمرستون Palmerston أطلعه فيها على كامل المحادثة التى دارت بينه وبين الباشا ، والتى وجه من خلالها تحذيراً صريحاً للباشا لكى يتوقف عن هذا الأسلوب السياسى الذى ينتهجه ضد بريطانيا ومصالحها فى المنطقة ، والذى ظهر من خلال إرساله لذلك المندوب ، وتدعيمه لعلاقاته مع شاه ايران فى هذه الفترة الحاسمة التى تمر بها حكومته مع الحكومة البريطانية (٢)، فى الوقت الذى بعث فيه المقيم البريطانى فى

---

(١) صورة الوثيقة العربى رقم ٢٤ حمراء ، محفظة ٢٦٧ عابدين ، محافظ الحجاز رقم ٧ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة.

2 - Document : .F.O.78/404.p.p. 97-99.

بغداد برسالة الى اللجنة السرية فى السابع والعشرين من شهر محرم سنة ١٢٥٦هـ الموافق للحادى والثلاثين من مارس سنة ١٨٤٠م، شارحاً فيها انقطاع الاخبار من تحركات قائد قوات محمد على فى وسط الجزيرة العربية خورشيد باشا ، إذ أنه لم يعد يعرف منها شيئاً . (١)

ولقد أدرك محمد على أن احتلال بريطانيا لعدن كان ضربة موجهة الى مشروعاته وآماله فى جنوب الجزيرة العربية ، ولارغامه على الانسحاب من اليمن ،ومن الجزيرة العربية بشكل عام ، وأدرك بشكل قاطع نوايا الحكومة البريطانية تجاه طموحاته بعد أن أصبحت التحذيرات والتهديدات تتوالى عليه ، من الممثل البريطانى فى مصر كل حين وآخر ، فى الوقت الذى تتزعم فيه بريطانيا دول أوروبا لمساندة الدولة العثمانية والتصدى لقوات الباشا التى انتصرت فى معركة نصيبين ، عند ذلك أكد محمد على للقنصل البريطانى فى مصر الكولونيل هودجز Hodges ، أنه قد قام باستدعاء قواته فى شبه الجزيرة العربية ، وأن خورشيد باشا الذى يقود جيشا مؤلفا من ثمانية آلاف جندى نظامى سيصل الى الاسكندرية قريبا ، أما ابراهيم باشا يكن فقد أعطيت له تعليمات من حكومة الباشا لكى يبقى فى مكة المكرمة ، مع فرقته المؤلفة من ستة آلاف جندى نظامى ، وأنه لن يعود الى مصر الا اذا فشلت المفاوضات التى يجريها الباشا مع السلطان العثمانى كما يقول(٢) .

1- Document :(I.O.R.)L/P,S/9/114.No.13.

2- Document : F.O.78/404.p.99.22/2/1840.

لقد كان محمد على عازماً على استدعاء قواته فى الجزيرة العربية قبل صدور قرارات معاهدة لندن بعشرة أشهر كاملة ، اذ أن ارادته رقم ٢١ فى الثانى من رجب سنة ١٢٥٥هـ ، الموافق للعاشر من سبتمبر سنة ١٨٣٩م ، قد صدرت الى خورشيد باشا "بأن يبين له أن ليس الوقت وقت المصلحة التى تصورها وآملها ، وأن أساس وظيفته أن يعمل ما يعطله لجمع الجمال ، حتى إذا أتم ذلك يترك خالد بك هو والعسكر بالذى يكفيه ويكفيهم لادارتهم بايراد تلك ، وينظر فى وسيلة ملائمة وصورة سهلة لتكون جزيرة البحرين وغيرها التابعة لأجدادهم منذ القديم تابعة بطبيعتها للمير* الموصى اليه ، ثم بعد إتمام ما ذكر يقوم ويأتى لهذا الطرف ، ويغلق باب المصروفات الذى فتح لنجد" (١) .

لم تكن رغبة محمد على فى الانسحاب من الجزيرة العربية نابعة من اقتناع ذاتى ، أو لسبب استراتيجى كما يؤوله البعض ، ولكنها كانت استجابة المكره الذى يواجه التهديدات البريطانية المتكررة التى تنذره بين الفينة والأخرى بعدم التوسع فى الجزيرة العربية والخليج العربى ، وكان القنصل البريطانى فى مصر كفيل بنقل هذه التهديدات التى توجهها حكومته للباشا ، والتى حققت لها فى نهاية الأمر بلوغ رغبتها المنشودة ، حين أوعز

---

(١) وثيقة تركى ، ارادة رقم ٢١ ، محفظة ٢٦٧ عابدين ، محافظ الحجاز رقم ٨ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .

* يبدو أنه يقصد الأمير خالد بن سعود .

محمد على الى قائدى قواته فى الشام وفى الجزيرة العربية بالتراجع الى الخلف وأن تعتبر الحرب فى الشام على وشك الانتهاء ، بينما يكف قائد الجيوش فى الجزيرة العربية من التدخلات فى الخليج العربى وبالذات فى جزيرة البحرين (١) .

وقد حاول خورشيد باشا قائد قوات محمد على فى الجزيرة العربية ،أن يقنع حكومة الباشا لكى تبقى على عدد كبير من الجنود ، ليقوموا بحفظ الأمن وضمان الولاء مع خالد بن سعود ، ولأن العائد الاقتصادى بعد بضع سنوات سيكون مفيدا ، ولن تدفع الحكومة المصرية لهم أى مرتبات ومصروفات ، بل سيكون ذلك من ايراد البلاد التى سيمكثون فيها (٢) ، الا أن حكومة محمد على لم تعد تحتمل أكثر من ذى قبل ، فالحكومة البريطانية التى احتلت عدن لتقفى سبيل أهدافها فى جنوب الجزيرة العربية ، والتى أوعزت الى قائد أسطولها الأدميرال ف. ميتلاند F.Maitland بالسير الى جزيرة البحرين فى الخليج العربى (٣) ، أصبحت الآن وبعد انتصار الباشا فى معركة نصيبين ضد السلطان العثمانى ،تقف بكامل ثقلها الى جانب الدولة العثمانية ،

1- Document : .F.O.78/374.No.42.^{x}C/A/61064.
, Document : F.O.78/374.No.50.^{x}C/A/61064.

(٢) وثيقة تركى ، ٢ أصلية ،٥٠١ حمراء ، محفظة ٢٧٠ عابدين ، محافظ الحجاز رقم ١٠ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .

3- Document;F.O.78/374.No.42.^{x}C/A/61064.
، كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص ٥٥٦ .

وتقوم بتأليب الدول الأوروبية للوقوف فى وجه تحركات الباشا وأطماعه التوسعية فى الشام وفى الجزيرة العربية .

لقد صدرت ارادة محمد على فى الثالث عشر من ذى الحجة سنة ١٢٥٥هـ الموافق السابع عشر من فبراير سنة ١٨٤٠م ، تقضى بانسحاب القوات الموجودة فى الحجاز ونجد واليمن (١) ، وقد عمت الفرحة المقيم البريطانى فى بغداد الكولونيل تايلور Colonel Taylor، الذى سارع بالكتابة الى اللجنة السرية ليزف اليها البشرى بتلك الأنباء التى وصلته من عملاءه فى شبه الجزيرة العربية والتى أبلغته عن وجود انسحاب منقول لقوات خورشيد باشا فى نجد ، وتسليم الأمور فى المنطقة للأمير خالد بن سعود (٢) ؛ فى حين كان المقيم البريطانى فى الخليج الكولونيل هنيل Colonel Hennell قد بعث بالسفينة البريطانية Royal Tiger الى القطيف لتأتيه بالأخبار المؤكدة من صحة هذا الانسحاب لجيوش محمد على من السواحل الشرقية لشبه الجزيرة العربية ،ومن وسط نجد (٣).

---

(١) وثيقة رقم ١٢٧ أصلية ، ٢١ حمراء ، محفظة ٢٦٩ عابدين ، نقلا من د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : من وثائق شبه الجزيرة العربية فى عصر محمد على ، ج ١ ، ص ٤٢٥ .

2- Document ;(I.O.R.)L/P,S/9/115.No.25.

(٣) د .بدر الدين عباس الخصوصى : دراسات فى تاريخ الخليج العربى الحديث والمعاصر ، ج ١ ، ص ١٧٦ .

، د .بدر الدين عباس الخصوصى : محمد على والخليج العربى ... ، مجلة كلية الآداب والتربية ،جامعة الكويت ،عدد ٥ ،يونيو سنة ١٩٧٤م ، ص ١١٨ .

عند ما أبلغت الأوامر الصادرة من محمد على بانسحاب قواته فى اليمن ، الى ابراهيم باشا يكن ، قام الأخير بوضع الترتيبات اللازمة لنقل تلك القوات الى جدة فى سرية تامة لكى يعيق أى تحرك مضاد قد يقوم به أهالى المنطقة اذا علموا بانسحاب القوات المصرية ، وقد غادر ابراهيم باشا يكن وقواته أرض اليمن فى السابع من شهر ربيع الأول سنة ١٢٥٦ هـ ، الموافق للتاسع من مايو سنة ١٨٤٠م ، بعد أن سلمت اليمن للحسين بن على بن حيدر حاكم أبى عريش(١) ، أما أحمد باشا يكن قائد قوات محمد على فى الحجاز فقد أعد رسالة الى محمد على فى مصر يطلعه من خلالها على كيفية انسحاب قواته من الحجاز ، وأنه سيحرص على تثبيت الأمور فى نواحى الاقليم المتفرقة ، لكى يحول بذلك دون انفجار الوضع فى الاقليم عند ما يعلم الأهالى بانسحاب قواته وقوات أخيه ابراهيم باشا يكن من اليمن فى وقت واحد ، مما يعرقل عليهما مهمة الانسحاب ويفتح المجال أمام أعدائهما لتعقبهما وتحقيق غاياتهم فى السيطرة على مهمات الجيش المنسحب التى يصعب الدفاع عنها فى حالة الانسحاب ، ثم أشار فى رسالته تلك الى عدم اطمئنانه وقلقه المتزايد من سلوك خورشيد باشا قائد القوات المصرية فى نجد ، لأنه لم يتوجه حتى الآن بقواته الى مصر رغم مضى نحو خمسة أشهر على صدور ارادة محمد على التى تقضى بانسحاب تلك القوات ، غير أن محمد على توج هذه الملاحظة

---

(١) د . فاروق عثمان أباظة : عدن والسياسة البريطانية فى البحر الأحمر... ، ص ٢٢٤ .
، د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية... ، ص ٢١٩ .
، د . عبد الحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث ١٥١٧-١٨٤٠م ، ص ١٠٣

التى أوردها أحمد باشا يكن بارادته رقم ١٩ فى ٢٨ جمادى الأولى سنة ١٢٥٦هـ فى ٢٨ يوليو سنة ١٨٤٠م، بأن الأمل يحدوه هو الى انتهاء أزمة حروبه مع الدولة العثمانية والدول الأوروبية قريبا ، فان لم يتحقق ذلك ولزم الأمر الى استدعائه فسيبلغ بذلك عاجلا ، وأن عليه الآن المحافظة على سلطة الحكومة فى تلك النواحى [1] .

كانت بداية انسحاب قوات محمد على من شرق الجزيرة العربية ، جلاؤها من اقليم الأحساء الذى كاد أن يحاصره البريطانيون لارغام قوات الباشا للخروج منه ولو بالقوة المسلحة[2] ، الا أن خورشيد باشا قد أصدر أمره باسناد ولاية الأحساء الى أحمد بن مبارك ، فى شهر صفر سنة ١٢٥٦هـ المصادف لشهر ابريل سنة ١٨٤٠م[3] .

---

(١) وثيقة رقم ٢٥ أصلية ، ١٩ حمراء ، محفظة ٢٦٩ عابدين ، رسالة بتاريخ ٤ جمادى الأولى سنة ١٢٥٦هـ نقلا من : د . عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم : من وثائق شبه الجزيرة العربية فى مصر محمد على ، مجلد ١ ، ص ٤٣٧-٤٣٩ .
، وثيقة رقم ٢٧ ، أصلية ، ٢١ حمراء ، محفظة ٢٦٩ عابدين ، نقلا من د . عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم : المرجع السابق ، ص ٤٢٢-٤٢٦

(٢) ج . ج لوريمر : دليل الخليج ، القسم التاريخى ، ج ١ ، ص ٣٥٩ .
، د . عبدالعزيز نوار : المصالح البريطانية فى أنهار العراق ، ص ٥٣ .

(٣) عثمان بن بشر : عنوان المجد فى تاريخ نجد ، ج ٢ ، ص ٨٩ .
، جون . ب . كيلى : بريطانيا والخليج ١٧٩٥-١٨٧٠م ، ج ١ ، ص ٥٩٠ .

وقد قام خورشيد باشا ، وخالد بن سعود بعدة غارات عسكرية في في وسط نجد ، علّه يحصل على ما يكفيه من الجمال ،كي يقوم بالانسحاب الى المدينة المنورة ومنها الى مصر بناء على توجيهات محمد على ، وعندما فشل في تحقيق هدفه بهذا الأسلوب، أرسل محمد بن أحمد السديري لكي يحضر له بعض الجمال من عبد الله بن على بن رشيد رئيس جبل شمر ، الذى بعث بسبعمائة بعير للباشا ، وقد خرج خورشيد باشا من قصره في ثرمدا في شهر ربيع الأول سنة ١٢٥٦هـ، في حين قام باستدعاء رؤساء عساكره ليلحقوا به مع عساكرهم ، ثم تبعته جميع العساكر التي كانت في ثرمدا في منتصف جمادى الأولى سنة ١٢٥٦هـ الموافق ١٥ يوليو سنة ١٨٤٠م، ليلتم شمل جنود الباشا وقادتهم في الشنانه ،والتي قدم اليه فيها خالد بن سعود ومعه مئتين من الابل ،في أواخر شهر جمادى الثانية من نفس العام، (١) وهكذا انسحب خورشيد باشا من وسط الجزيرة العربية في طريقه الى مصر ، بينما تركت زعامة نجد الى خالد بن سعود الذى عاد الى الرياض لكي يتولى مقاليد الأمور بعد رحيل الباشا وقواته .

وحريٌ بنا قبل أن نتطرق الى النتائج التي خلفها انسحاب محمد على من شبه الجزيرة العربية، وما أعقب ذلك الانسحاب من أحداث ومستجدات

---

(١) عثمان بن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد ، ج٢ ، ص٨٩-٩٠ ، محمد بن عمر الفاخرى : الأخبار النجدية ، ص١٧٥ .

تاريخية خطيرة عاشتها أقاليم الجزيرة العربية المختلفة، حريٌّ بنا أن نناقش دواعي ذلك الانسحاب، والأوضاع التي كانت تعيشها حكومة الباشا بشكل خاص، والدولة العثمانية بشكل عام، باعتبار أن الباشا أحد ولاتها الخارجين عليها، ولأنه في أوائل القرن الثالث عشر الهجري، أوائل القرن التاسع عشر الميلادي، كان يحارب في الجزيرة العربية باسم الدولة العثمانية لا باسمه هو، غير أن الأوضاع قد تغيرت منذ حروب الشام الأولى التي خاضها الباشا ضد الدولة العثمانية، حيث تمكن محمد علي من الاتجاه الى الجزيرة العربية هذه المرة ليحقق فيها آماله وطموحاته المختلفة، وعلى أمل أن يصل الى العراق من الجنوب لكي يشكل منها مع حكومته في الشام حلقة مكتملة لأهدافه وتوسعاته، مما يعني أن الدولة العثمانية هذه المرة لن تؤيده في البقاء في الجزيرة العربية والمحافظة عليها وانما ستبذل كل ما تستطيع لكي يتحقق لها انسحاب الباشا من هذه المنطقة، مما جعل انسحاب محمد علي من شبه الجزيرة العربية يتزامن الى حد ما مع انسحابه من الشام الذي أرغم عليه من قبل الدول الأوروبية والدولة العثمانية وفق معاهدة لندن الشهيرة، التي أبرمت في الخامس عشر من شهر جمادى الأولى سنة ١٢٥٦هـ الموافق للخامس عشر من يوليو سنة ١٨٤٠م، والتي كان من أهم شروطها انسحاب الباشا من سوريا وأطنه وكريت وشبه الجزيرة العربية في مدة عشرة أيام من تاريخ ابلاغه ببنود هذه المعاهدة، لكي تعطيه الدولة ولاية مصر وراثية وولاية عكا مدة حياته،

وإلا أخضعته الدول بالقوة ونظرت فى أمره من جديد (١) .

ويذهب كثير من المؤرخين الى أن محمد على عندما أصدر توجيهاته الى قواته بالانسحاب من شبه الجزيرة العربية والخليج العربى ، كان لحاجته اليها للدفاع المحتمل من سورية ومصر ، وللتصدى للدول الأوروبية والدولة العثمانية التى باتت تفكر فى تجريده من كامل حقوقه وانتصاراته التى حققها فى الشام (٢) ، بينما يميل البعض الى أن تفكير الباشا فى الانسحاب من الجزيرة العربية ، كان مهارة سياسية بارعة منه ، اذ أراد مجاملة بريطانيا فى التخلى عن الجزيرة العربية لكى تغض الطرف عن مشروعاته التوسعية فى الشام والعراق (٣) .

---

(١) محمد صبرى : تاريخ مصر الحديث من محمد على الى اليوم ، ص ٧٦ .

(٢) ميخائيل شاروبيم بك : الكافى فى تاريخ مصر القديم والحديث ، ص ٨٢

، د . بدرالدين عباس الخصوصى : دراسات فى تاريخ الخليج العربى الحديث والمعاصر ، ج ١ ، ص ١٧٦ .

، د . على حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٢٤ .

(٣) د . فؤاد سعيد العابد : سياسة بريطانيا فى الخليج العربى خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر ، ص ١٤٢ .

، د . صلاح العقاد : التيارات السياسية فى الخليج العربى ، ص ١٤٨

وإذا كانت الوثائق قد أثبتت أن ارادة محمد على بشأن الانسحاب من الجزيرة العربية قد صدرت فى الثالث عشر من ذى الحجة سنة ١٢٥٥هـ، السابع عشر من فبراير سنة ١٨٤٠م[1] ، أى قبل خمسة أشهر من معاهدة لندن ، والتى اعتزمت الدول تنفيذها بالقوة بعد شهرين من انعقادها أى أن المدة الزمنية بين ظهور الأساطيل الحربية للدول الأوروبية على سواحل الشام وبين الأوامر التى أصدرها الباشا ، لسحب قواته من الجزيرة العربية تصل الى سبعة أشهر ، وهى مدة طويلة جدا ، لا سيما وأن جيوش الباشا التى انسحبت من شبه الجزيرة العربية لم تتوجه الى الشام على سبيل المثال ، وانما دعيت للحضور الى مصر ، يضاف الى ذلك أن تعداد الجيش المصرى الذى كان فى صحبة ابراهيم باشا فى الشام عندما أرغم على الانسحاب بعد هزيمته من الدول الأوروبية والدولة العثمانية قد قارب سبعين ألف مقاتل . [2]

من ذلك كله نستطيع أن نقول أن التعنت البريطانى والانذارات المتكررة

---

(١) وثيقة رقم ١٢٧ أصلية ، ٢١ حمراء ، محفظة ٢٦٩ عابدين ،نقلا من : د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : من وثائق شبه الجزيرة العربية فى عصر محمد على ، مجلد ١ ، ص ٤٢٥ .

(٢) عبد الرحمن الرافعى : عصر محمد على ، ص ٣٠٣ .
، سهيل زكار : بلاد الشام فى القرن ١٩ ، دراسة وتحقيق مشهد العيان بحوادث سوريا ولبنان ، د . ميخائيل مشاقة ، ص ١٩٦ .

التى تحمل فى طياتها أساليب التهديدات المباشرة ، من الحكومة البريطانية لمحمد على ورفضها القاطع لتنفيذ أى أطماع أو طموحات قد يقوم بها الباشا فى شبه الجزيرة العربية والخليج العربى ، كل هذا جعل الباشا يصدر أوامره الى قواته فى مختلف أنحاء الجزيرة العربية لتعود اليه ، لأنها أصبحت مصدر قلق يؤرقه مع السياسة البريطانية ، اضافة الى تحميل خزانته نفقات طائلة لا قبل له بها . (١)

كما أن هزيمة جيوش محمد على فى الشام بواسطة الدولة العثمانية برا ، وأساطيل بريطانيا والنمسا بحرا (٢) ، وما أعقب ذلك من محاصرة الأساطيل البريطانية التى يقودها الادميرال تشارلز نابيير - Admiral Charles Napier ، لميناء الاسكندرية ، أدت كذلك وبشكل نهائى إلى موافقة محمد على باشا على التخلى من سوريا وأطنه وكريت وشبه الجزيرة العربية ، واعادة الأسطول العثمانى الى السلطان ، ليتم بذلك الانسحاب الكامل والنهائى لمحمد على من وسط الجزيرة العربية والخليج العربى ومن اليمن والحجاز. (٣)

---

(١) عبدالرحمن الرافعى : عصر محمد على ، ص (٣١١-٣١٢) .
، د . فاروق عثمان أباظه : عدن والسياسة البريطانية فى البحر الأحمر ... ، ص ٢٢٣ .
، د . عبدالحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث (١٥١٧-١٨٤٠ م) ، ص ١٠٣ .

(٢) د . أحمد السعيد سليمان : تاريخ الدول الاسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ، ص ١٦٧ .

(٣) جون . ب . كيلى : بريطانيا والخليج ١٧٩٥-١٨٧٠ م ، ج ١ ، ص ٥٩٧ .

لقد وضعت الحكومة البريطانية كامل ثقلها لارغام محمد على علــى الانسحاب الكامل من الشام ومن شبه الجزيرة العربية كلها بدءا من حدودها الشرقية في الخليج العربى الى حدودها الغربية فى البحر الأحمر ، لأن الباشا لم يعد فقط يهدد كيان الدولة العثمانية ، الذى سيؤثر على التوازن الأوروبى بشكل مباشر ، وانما أصبح مصدر خطر واضح على الأهـــداف الاستراتيجية ، والمصالح الاقتصادية للحكومة البريطانية فى المنطقة ، خاصة فيما يتعلق بطرق مواصلاتها الى الهند عبر الخليج العربى والعراق ، وفى البحر الأحمر وموانئه الهامة .

وكانت حرب الشام الثانية التى جعلت ابراهيم باشا يقف على الطريــق الى العاصمة العثمانية ، لا يمنعه من التقدم اليها الا خوفه من تصـــدى الدول الأوروبية لقواته (١) ، كانت فرصة ثمينة للسياسة البريطانية كى تقـــوم بتنفيذ مخططاتها الهادفة الى ازاحة محمد على من كل ما يهدد مصالحها الاقتصادية والاستراتيجية على حد سواء ، وقد تحقق لها ذلك من خــلال معاهدة لندن التى وافقت عليها الدول الأوروبية والدولة العثمانية ، والتى أعطتها الحق الكامل فى استخدام القوة المسلحة لاعادة محمد على الــى ولاية مصر دون غيرها ، لتقوم عندئذ باتمام ما بدأته حين كانت توجـــه

---

(١) د . صالح محمد العمرو : النزاع التركى المصرى على شمال الحجاز وسيناء ، مجلة الدارة ، العدد الأول ، السنة الخامسة ، ص ٨ .

التهديدات المتكررة والتلويح باستخدام القوة فى ما يتعلق بشواطئ الجزيرة العربية ، لتستخدمها بالفعل فى اقتلاع الباشا من الشام، لأن ثقله العسكرى ومجاله الحيوى كان ينطلق من الشام ، ولأن الأساليب الدبلوماسية وما رافقها من التهديدات العسكرية البريطانية ، قد أدت الشئ الكثير فى اقتلاعه من الجزيرة العربية ، أما القوة العسكرية التى استخدمتها بريطانيا فى ارغام الباشا على الانسحاب من الشام وتهديد السواحل المصرية فهى كفيلة أيضا باتمام الانسحاب الكلى والنهائى من شبه الجزيرة العربية كلها .

سارع أهل الشام الى ارسال التهانى الى الباب العالى ،بمناسبة خروج قوات محمد على من الشام ، وجددوا للسلطان العثمانى البيعة والولاء حين تم اخلاء عكا وأورفة وعينتاب والمرعش وخليل ، وغيرها من الأقاليم التى كان محمد على باشا قد استولى عليها (١) ، وعلى نفس التعبيرات كان المحضر الذى أعده العلماء والأئمة والخطباء من سكان مدينة أنطاكية ، والذين أكدوا على أن قوات محمد على قد " فرت تجر من ورائها أذيال الخيبة لجنودها الموجودين فى حلب ، وقد تركوا فيها آثار نحوستهم وآثار تخريب وتفريق ، فروا أمام قوة سيوف رجال السلطان القاهرة،

---

(١) وثيقة تركى رقم ٤/١/١٢١ فى ٢٩ رمضان سنة ١٢٥٦هـ، دارة الملك عبد العزيز بالرياض .

فحمداً وشكراً وثناءً لله القهار على ما منحنا في ظل السلطان ... "(١) ، مما يعني أن انسحاب قوات محمد علي من الشام قد شكل المأساة الحقيقية لتقهقر قواته ، حيث كان أهل الشام يحملون أضغاناً وأحقاداً لتلك الجيوش التي قال عنها أحد المؤرخين أن عددها قبل الانسحاب قد بلغ مائتي ألف نسمة لم يصل منهم الى مصر سوى ستين ألفا (٢) ، وقد كان " ابتداء الجيش في الرجوع الى مصر في شهر شوال سنة ١٢٥٦هـ ، أواسط شهر ديسمبر سنة ١٨٤٠م ، ووصل الكل الى القاهرة بعد أن ذاقوا مرارة النصب وتحملوا أنواع الذل والتعب وقاسوا شديد الوصب ، مما تكل من وصفه الأقلام ولا تحط بنعته الأوهام ، ويكدّر الأذهان فضلاً من موت كثير منهم في الطريق"(٣).

وفي الجزيرة العربية كان لانتشار الأنباء عن انسحاب قوات محمد علي من اليمن والحجاز ، أثر سيء على موقف تلك القوات التي اضطرت الى أن تتخلى من كثير من مهماتها في بعض الجهات اليمنية ، لعدم قدرتها على حملها ،

---

(١) وثيقة تركي رقم ٤ / ٢-٨ بدون تاريخ ، دارة الملك عبد العزيز بالرياض

(٢) عبد الرحمن الرافعي : عصر محمد علي ، ص ٣٠٤ .

(٣) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٤٦٨ .

لأن الخوف والاضطراب قد بدأ يحيط بتلك القوات المنسحبة خاصة من الجبهات المضادة في الاقاليم ، ومن أشهر زعماء هذه الجبهات المضادة الحسين بن علي بن حيدر حاكم أبي عريش ، والأمير عايض بن مرعي شيخ قبائل عسير ، الذي أرسل حملة كبيرة بقيادة محمد بن مفرح للمشاركة مع أمير أبي عريش في اخراج القوات المصرية من تهامة واليمن ، كما كان لخروج بعض القبائل التي كانت تتظاهر بالولاء لحكومة الباشا في اليمن والحجاز ، وانضمامها الى شيخ عسير وحاكم أبي عريش ، أو للشريف محمد بن عون الذي تسلم الأمور في الحجاز ، كان لخروجها كبير الأثر في اثارة الفتنة واشاعة الأراجيف بين الأهالي حيث عمت الفوضى وعدم الاستقرار في ربوع المنطقة ، وأصبحت الأقاليم مسرحا للنهب والتمزق ودعاة السوء ، فعمت الأهواء والمنازعات ، وانتشرت الفتن في كل مكان ، وكأن قدوم قوات محمد علي الى المنطقة والخروج منها ما هو الا دليل على عدم الاستقرار واثارة الحروب والفتن التي لم تهدأ طيلة بقاء قوات الباشا في المنطقة وحتى بعد خروجها منها (١)

---

(١) د • عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد علي وشبه الجزيرة العربية ١٢٣٤-١٢٥٦هـ/١٨١٩-١٨٤٠م ، ص ١٦٤-١٦٧ ، ٢١٩-٢٢١ ، ٣٩٩ •

، محمد بن أحمد العقيلي : تاريخ المخلاف السليماني ، ج ١ ، ص ٥١٠- ٥١١ •

، د • فاروق عثمان أباظة : الحكم العثماني في اليمن ١٨٧٢-١٩١٨م ص ٣٨ •

وقد أشار الى هذا أحد الرحالة الغربيين حين زار مدينة جدة والمدن اليمنية بعد انسحاب قوات محمد على منها ، واستيلاء الحسين بن على بن حيدر عليها .." سُلِّمت جدة الى باشا تركى كانت مطالبه الوقحة تزعج الأهلين ،.. والحديدة قد وقعت ضحية لحريق هائل .. ولم يجد المخا أكثر أمانا للغرباء ، فقد سادها الكآبة ، والخوف(١)".

وعلى هذا حرص محمد على على ألّا يتسبب انهياره فى شبه الجزيرة العربية على انتشار الفوضى أو التهديد الأوروبى المسيحى للحجاز حتى لا يسوء مركزه فى كل العالم الاسلامى لذلك كانت قوات الباشا فى الحجاز حريصة على حماية المدن الساحلية فى البحر الأحمر من أية اعتداءات قد تقوم بها السفن البريطانية لهذه المدن ، وليس أدل على ذلك من تلك الرسالة التى بعثها أحمد باشا يكن سر عسكر الحجاز فى الثالث عشر من شعبان سنة ١٢٥٦هـ، العاشر من أكتوبر سنة ١٨٤٠م، والتى أكد من خلالها استعداده للتصدى لأية عدوان قد يقوم به الانجليز على مدينة جدة فى الساحل الشرقى من البحر الأحمر ، أما اذا عاد الى مصر فهو غير مسئول عن المحافظة عليها (٢) ،ولعل حرص الباشا وقادته حينذاك

---

(١) جاكلين بيرين : اكتشاف جزيرة العرب ، ص ٣٤٠.

(٢) وثيقة رقم ٥٥ أصلية ، ١٩٥ حمراء ، محفظة ٢٦٩ عابدين ، نقلا من د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : من وثائق شبه الجزيرة العربية فى عصر محمد على ، مجلد ١ ، ص١٦٧-١٦٩.

كان نابع من ادراكهم لأهمية الحجاز الدينية ومكانتها في ربوع العالم الاسلامي التي تعطي لقب حامي الحرمين الشريفين لمن يقوم بتلك المهمة ، ورغم أن بعض الحاميات المصرية قد أبقي عليها في بعض الموانئ الشرقية من البحر الأحمر أكثر من أربعين سنة بعد انسحاب قوات محمد علي من الجزيرة العربية ، فان ذلك ليس لأهمية في تلك الموانئ من الناحية الاستراتيجية أو التجارية وانما لتوقوعها في طريق الحج المصري حينذاك.[1]

لقد كان انسحاب قوات محمد علي من وسط وشرقي الجزيرة العربية بداية حقيقية لاعادة الفوضى والفتن والصراعات المحلية ، والاضطرابات المختلفة الى تلك الأقاليم ، فلم يمنع بقاء ثمانمائة جندي من قوات خورشيد باشا مع الأمير خالد بن سعود ، أهالي المنطقة من اعلان العصيان ، والمناداة باخراج الأجانب من بلادهم ،اذ أرسلوا الى الأمير خالد يعبرون له عن استيائهم من هؤلاء الأجانب ،ويطلبون منه التخلص منهم لكي يطيعوا له وينضموا اليه ، وعندما رفض الأمير خالد تلك الطلبات سارع الأهالي بالانضمام الى الأمير عبدالله بن ثنيان الذي استطاع الاستيلاء على الرياض واخراج الأمير خالد بن سعود منها ، والذي هرب حينذاك الى القطيف في سرية تامة ، الا أنه لم يستطع البقاء فيها طويلا حين ثار عليه الأهالي

---

(١) د . صالح محمد العمرو : النزاع التركي المصري على شمال الحجاز وسيناء ... ، مجلة الدارة ،العدد الأول ، السنة الخامسة ، ص ٨-٩ .

وتآمر عليه بعض قادته (١) ، ومع ذلك فان حكومة الهند البريطانية لم تـزل وجلة من وجود الأمير خالد بن سعود في اقليم الأحساء ، حين قامت بالايعاز الى المقيم البريطاني في الخليج الكولونيل هنيل Hennell لكي يوجه تحذيراً مباشراً الى الأمير خالد بأن لا يحاول توسيع رقعة نفوذه في منطقة جنوب شرقي الجزيرة العربية ، لأن ذلك سيواجه بمقاومة حربية من السفن البريطانية (٢) .

استمر الصراع بين خالد بن سعود وعبد الله بن ثنيان بن ابراهيم ابن ثنيان بن سعود ما يقرب من عامين ، انتهى الى فرار خالد بن سعود الى الكويت ومنه الى مكة المكرمة حيث توفي فيها سنة ١٢٧٨هـ/١٨٦١م ، وقيل انه توفي في جدة ، أما ابن ثنيان فقد أصبح الحاكم المطلق في وسط نجد الا أنه لم يكسب ثقة الأهالي ، حيث بدأ في فرض الضرائب الباهظة عليهم ، وصار يحكم الاقليم حكما يتصف بالاستبداد والقوة ، فاشمأزت من حكمه النفوس وكرهته القلوب ، التي قيض الله لها من هو خير منه ، وهو الامام فيصل بن تركي الذي هرب من القاهرة للمرة الثانية واتجه الى نجد ليعيد لها شيئ من الأمن والاستقرار ، كانت قد فقدته ردحاً من الزمن (٣) .

---

(١) مختارات من سجلات حكومة بمباى ، شركة أرامكو
S.R.B.G. No.XXIV.p.p.449-450.

(٢) جون.ب.كيلى : بريطانيا والخليج ١٧٩٥-١٨٧٠م ، ج١ ، ص٥٩٧ .

(٣) أحمد عبد الغفور عطار : صقر الجزيرة ، ج١ ، ص٩٠ .
، مختارات من سجلات حكومة بمباى ، شركة أرامكو بالظهران
S.R.B.G.No,XXIV.p.449.
، ابراهيم بن صالح بن عيسى : تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ، ص١٦٥ .

لقد أخذ مركز بريطانيا فى الجزيرة العربية والخليج العربى يزداد قوة وأهمية بعد انسحاب محمد على منها ،حيث قامت بتدعيم علاقاتها مع أمراء الخليج العربى وشيوخ الساحل الجنوبى ، مستغلة ذلك الفراغ الذى نتج من انسحاب قوات الباشا من المنطقة ، ولم تستطع الدولة العثمانية التى كان الضعف قد أخذ منها كل مأخذ ، لم تستطع أن تملأ ذلك الفراغ ،وليس أدل على ذلك من أنها لم تجد من تسند له ولاية شبه الجزيرة العربية من شرقها الى غربها غير على باشا رضا والى بغداد ، الذى استعان هو الآخر بالسفن البريطانية لتحمل نائبه الى جدة ، وكأنه يتيح الفرصة للبريطانيين لتدعيم نفوذهم فى المنطقة دون أن يعلم بذلك ، مما يؤكد لنا أن حرب الشام قد أضعفت الدولة العثمانية ، وزادت من ضعفها ، لتُضْعِفَ بالتالى من نفوذها فى الجزيرة العربية ، وحينما ظهرت بارقة الأمل الوحيدة بظهور الامام فيصل بن تركى للمرة الثانية فى وسط الجزيرة ، كانت السياسة البريطانية كفيلة بمجابهتها لكى تحول دون أى توسع للسعوديين فى الخليج العربى . (١)

لقد كانت بريطانيا تدرك أن قوات محمد على عندما تحركت فى الجزيرة

---

(١) د .محمد عرابى نخلة :تاريخ الاحساء السياسى ١٨١٨-١٩١٣م ، ص ٩٨ - ١٠٠ .

، د .عبدالعزيز نوار:تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا الى نهاية حكم مدحت باشا ،ص ٢٣٣-٢٣٤ .

، د . عبدالعزيز عبدالغنى ابراهيم : علاقة ساحل عمان ببريطانيا ، دراسة وثائقية ، ص ٢٨٣ .

العربية بعد حرب الشام الأولى ، انما كانت تسير وفق مخطط كبير، يهدف الى تحقيقه محمد على ، ليحقق من خلاله أهدافه وطموحاته التوسعية فتصدت له بكل الوسائل الممكنة ، من سياسية واقتصادية وعسكرية ، وعندما انسحبت قوات الباشا من شبه الجزيرة العربية وفق مقررات معاهدة لندن الشهيرة ، أدركت بريطانيا أنه لم يعد هناك حاجة الى بقاء البواخر المسلحة فى مياه العراق ، ولم يعد هناك حاجة لتقديم المساعدة الموعودة لآل نعيم فى البريمى (١) .

ويتبين لنا من استعراض ما سبق أن طموحات وأهداف محمد على باشا التوسعية التى خاض فى سبيلها حربى الشام الأولى والثانية ضد الدولة العثمانية ، وأرسل من أجلها قواته الى مختلف الجهات والأقاليم فى شبه الجزيرة العربية ، يتبين لنا أن تلك الطموحات والأهداف ، والتى اصطدمت بعقبة كؤود تمثلت فى المصالح البريطانية فى شبه الجزيرة العربية ، وموقعها الاستراتيجى من درة التاج البريطانى - الهند - ، قد وئدت هذه الطموحات والأهداف فى مهدها ، وأنها لم تجلب على الجزيرة العربية الا الدمار

---

(١) جون.ب.كيلى : بريطانيا والخليج ١٧٩٥-١٨٧٠م ، ج ١ ، ص ٥٩٣- ٥٩٤ .

، د . عبدالعزيز سليمان نوار : المصالح البريطانية فى أنهار العراق ، ١٦٠٠-١٩١٤م ، ص ٥٣ .

والهلاك ، خاصة بعد انسحاب قوات الباشا منها بعد معاهدة لندن الشهيرة وأن انسحاب الباشا ذاك قد فتح الباب على مصراعيه للأطماع والأهداف البريطانية ، التي بات تحقيقها سهل المنال في ظل غياب الحكومة الشرعية التي قد تستطيع مجابهة هذا الوافد الجديد ولو بالأساليب السياسية ، إلا أن شيئا من هذا لم يتم ، حتى أن جهود الامام فيصل بن تركي التي حاول من خلالها لم الشمل وتوحيد البلاد ، كانت واقعة تحت المنظار البريطاني ، الذي لا يريد لهذه المنطقة الا الدمار والهلاك وتشتيت الشمل ليسهل من خلال ذلك تحقيق كل الأهداف والمصالح البريطانية وهو ما تم بالفعل في جميع أرجاء الجزيرة العربية التي أصبحت مسرحا للنهب والسلب والاضطراب ، لتعيش في ذلك الجو المظلم ردحًا من الزمن ، حتى قيض الله لها الامام المجاهد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل ابن تركي آل سعود ، الذي أعادها لسالف أمجادها وأوجد منها وحدة سياسية قوية تسير على نهج الشريعة السمحاء وفق كتاب الله وسنة رسوله ولا زالت الى اليوم وستستمر ان شاء الله حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

الخاتمة

التحليل والنتائج

بعد تخريب محمد علي للدرعية ،وجه اهتمامه الى تدعيم قوته في الحجاز لأهميتها الدينية ، ومكانتها لدى سلطان الدولة العثمانية، والذي يحرص على لقب خادم الحرمين الشريفين ، لترتفع مكانته في العالم الاسلامي ، غير أن ذلك الاهتمام لم يحفظ لإقليم الحجاز أمنه واستقراره بل استمرت الفتن والثورات طيلة بقاء جنود الباشا ، وزاد من تدهور الأحوال ما كان يقوم به الجنود من أعمال مختلفة ، تتسم بالبطش والقسوة ، وكان لليمن نصيب وافر من تلك الثورات والقلاقل التي تعيشها المنطقة.

وهكذا كانت الأحوال في شبه الجزيرة العربية بشكل عام ، ووسطها بشكل خاص منذ سقوط الدرعية وحتى قيام حرب الشام الأولى ،بمعنى أن المنطقة كانت في وضع لا تحسد عليه ، حيث عادت الى سالف عهدها المتسم بأنواع الفوضى والاضطراب ، بعد أن فقدت الدولة الشرعية القوية التي تستطيع أن تحفظ الأمن وتقيم النظام في ظل العقيدة الاسلامية الواضحة ، والمتمثلة في الدولة السعودية الأولى .

ومع هذا فقد كانت العلاقة التي تربط محمد علي باشا بالسلطان العثماني محمود الثاني مبنية على الشك والريبة ،منذ أن أسندت ولاية مصر الى محمد علي ،الذي حاول أن يكسب ثقة السلطان في أكثر الأحيان مبديا له علامات التذلل والخضوع ، في الوقت الذي يسير فيه لتحقيق أهدافه وطموحاته ، وهذا ما ظهر واضحا في طلبه اسناد ولاية الشام اليه

عند ما كلّف بمهمة الجزيرة العربية ،معللا ذلك بأهمية الشام لنجاح مهماته في الجزيرة العربية ، غير أن السلطان العثماني ورجال دولته كثرت شكوكهم حول ذلك ،وأخذوا في تبادل الآراء والأفكار حول نوايا محمد على وطموحاته ، الا أن قيام الباشا بحملاته ضد الجزيرة العربية بناء على تعليمات السلطان العثماني ،قد أعطت نوعا من الطمأنينة والثقة للطرفين ،وقد حاول محمد على في هذه الحملات أن يؤكد ولاءه واخلاصه للسلطان في أكثر من مرة خاصة عند ما ظهرت السياسة البريطانية كعنصر فعّال في أحداث الجزيرة العربية .

وفي حروب اليونان كان محمد على يرمي الى تأكيد ولائه وتبعيته للسلطان محمود الثاني ، ليحقق من خلال ذلك أهدافه وطموحاته المتمثلة في أخذ جزيرة كريت وولاية الشام ،مكافأة له على الاشتراك في هذه الحرب، ومساعدة السلطان العثماني فيها ، مما يؤكد أن محمد على قد أصبح فعلا نداً قويا للسلطان ، وهو ما تحقق بالفعل بعد ذلك ، حين رفض مساعدة السلطان في حروبه ضد روسيا ،التي انتهز الباشا خروج الدولة منها منهكة القوى ، ليقوم بحرب الشام الأولى التي يرمي من خلالها في تحقيق أطماعه وطموحاته ،لتأخذ حينذاك العلاقة مع السلطان العثماني بعداً آخر لم يكن مألوفا بينه وبين تابعه القوي ، الذي أدار ظهره للدولة العثمانية ، واتجه الى أوروبا كحاكم مستقل الى حد ما ، ومع ذلك كله

نجد أن السلطان العثماني كان يرى في خروج محمد على عصيانا يستلزم اصدار فتوى شرعية لما يجب اتخاذه حياله ، أما محمد على فهو لا يزال يعترف بولائه للسلطان ، ويدفع له الجزية السنوية ، ويخطب باسمه في المساجد رغم المعارك التي يخوضها ضده في الشام.

وقد أثرت كل هذه الموضوعات وتأثرت فيما عرف بالمسألة الشرقية ، وسياسة الدول الأوروبية نحو الدولة العثمانية ، والتي عرفت بخطة التدخل وسياسة التكامل ، والتي كانت دول أوروبا تنظر من خلالها للدولة العثمانية من زاوية مصالحها الخاصة ، لكن بريطانيا بعد حروب نابليون اتبعت سياسة مزدوجة نحو ممتلكات الدولة العثمانية ، حيث أقامت بريطانيا علاقات سياسية مع الدولة العثمانية تهدف من خلالها الى المحافظة على كيان الدولة ، لكي تضمن سلامة مصالحها في الهند وفي الخليج العربي والبحر الأحمر ، ولكي تحول دون التغلغل الروسي المتوقع في تلك الجهات ، ولتحافظ بذلك على التوازن الأوروبي ، وقد أوضحنا سياسة روسيا والنمسا وفرنسا تجاه الدولة العثمانية وما طرأ على سياسة هذه الدول من متغيرات تاريخية تنطلق أصلا من مصالحها الذاتية ، وهو ما أظهرته الى حيز الوجود حروب اليونان التي اعتزمت روسيا من خلالها دخول الحرب الى جانب الثوار ، الا أن وقوف الدول الأوروبية الأخرى في وجه هذا التدخل ، قد أنهى تلك الثورة بتدخل أوروبي مشترك ضد الدولة العثمانية في معركة نفارينو Navarino

الشهيرة ،الا أن هذه المعركة قد تبعتها حرب طاحنة قامت بها روسيا ضد الدولة العثمانية ، ليتقدم الساسة الفرنسيون حينذاك بمشروع تحالف مع روسيا لاقتسام أملاك الدولة العثمانية ، واعادة تخطيط حدود الدول الأوروبية فى ضوء هذا التقسيم ، الا أن معاهدة أدرنة حالت دون تحقيق هذا المشروع .

ورغم أن بريطانيا كانت قلقة من معاهدة أدرنة ،الا أن سياسة روسيا هى الأخرى قد تبدلت من الرغبة فى اقتسام أملاك الدولة الى الرغبة فى المحافظة عليها ، ولكن ذلك بات سرا على الحكومة البريطانية - طوال العشر سنوات التى أعقبت معاهدة أدرنة - ، والتى انزعجت ابان حروب الشام الأولى ،التى نتج عنها عقد تحالف دفاعى هجومى بين الدولة العثمانية وروسيا فى اتفاقية انكيار سكليسى Unkiar-Skelessi ، حتى أن معاهدة ميونيخ - جريتز MunchenGratz التى وقعتها النمسا مع روسيا بعد معاهدة انكيار سكليسى فى أقل من ثلاثة أشهر ، والتى تنص على المحافظة على كيان الدولة العثمانية ، وأن تقسيم أملاكها لن يتم الا عند الضرورة ،وبالاتفاق مع النمسا ، تلك المعاهدة لم يستطع المستشار النمساوى اقناع فرنسا وبريطانيا بالدخول فيها ، لأن الساسة الانجليز والفرنسيين لا يثقون حينئذ فى سياسة روسيا تجاه الدولة العثمانية ، وهكذا بدا لنا من خلال ذلك أن سياسة الدول الأوروبية تجاه الدولة العثمانية

قد اتسمت بالغموض والتناقض ، لتظهر خطة التدخل وسياسة التكامل فى تلك السياسات الأوروبية فى تلك الفترة .

ولكن حروب الشام الأولى وما سبقها من تدعيم محمد على لقوته السياسية والاقتصادية داخل مصر أولا ، وخارجها ثانيا ، مما جعله ينطلق فى تحقيق طموحاته وأهدافه من هذه القوة ، أضافت عاملا تاريخيا جديدا للأحداث الكبيرة التى تشهدها المنطقة ، ولأن محمد على كان يدرك أهمية الشام لمصر فى نواحى استراتيجية واقتصادية ، فقد بات يتحين الفرص المناسبة ليضم الى ولايته ولاية الشام ، حتى أنه لم ينس ذلك أثناء حملاته الأولى الى شبه الجزيرة العربية التى كلف بها من قبل الدولة العثمانية وحاول مع السلطان العثمانى حينئذ لكى يمنحه ولاية الشام ، لكى يتم مهمة الحجاز كما يقول ، الا أن ذلك لم يوصله الى هدفه ، ليساوم بعد ذلك على شرائها من الدولة العثمانية التى أصبحت تدرك أهداف وخطورة محمد على لترفض هذا الطلب مرة أخرى .

غير أن الحيلة لم تعدم الباشا ليستميل اليه رجالات الشام البارزين ليكسب ثقتهم وولاءهم ، ثم حاول محمد على أن يحصل على الشام لقاء اشتراكه فى حروب اليونان كما أوضحنا ، تلك الحروب التى فتحت عينى الباشا على ما تعيشه الدولة العثمانية من وضع خطير بعد الفاء الانكشارية

حين أصبحت الدولة العثمانية عارية من القوة الحربية التي تقف في وجه هذا التابع القوى ،ثم ظهرت الفرصة الثمينة للباشا بعد حروب الدولة مع روسيا والتي لم يدخلها الباشا الى جانب الدولة ، فالجيش الجديد الذى لم يصل بعد الى مرحلة الاستعداد في التدريب والتسليح ليملأ الفراغ الذى تركه الغاء الانكشارية ،وحروب البلقان التي زادت من ارباك الأحوال في الدولة العثمانية ، أعطت الضوء الأخضر لمحمد على كي يحقق أهدافه وأطماعه في الشام عن طريق الحرب ، لا سيما وأن مركزه قد أصبح أقوى من السلطان نفسه .

وقد استغل محمد على هروب مجموعة من الفلاحين الى والي عكا ، ليجعل منهم ذريعة لاعداد الجيوش والعتاد ويسيرها لغزو الشام لتحقيق الأهداف والطموحات التي تختلج في نفسه منذ أمد بعيد في تلك الجهات.

وبعد الاستعدادات الحربية سير الباشا قواته التي بدأت في الاستيلاء على مدن الشام الواحدة تلو الأخرى ، بعد أن استطاع ابراهيم باشا قائد هذه القوات استمالة الأمير بشير الشهابى ، الى جانبه ضد قوات الدولة العثمانية التي غيرت هذه الحرب مفاهيمها في القتال ،فهى لم تعتمد على قتال المسلمين ،ولا تعرف الا قتال الكفار مما سهل مهمة ابراهيم باشا وقواته ليتفوق وبسرعة كبيرة على قوات الدولة العثمانية التي بدأت في التقهقر ، ولعل خير دليل على ما ذهبنا اليه في ذلك هو أن السلطان

العثمانى قد اعتبر محمد على من الولاة الخارجين على سلطان الدولة ، وعقد له مجلسا من العلماء يفتى بتجريده وابنه من المناصب والرتب التى منحت له من الدولة .

وقد سقطت مدينة عكا فى أيدى قوات الباشا ، ولكنها لم تكن الهدف النهائى للباشا لتسير منها قواته الى دمشق وبيروت وحلب ، ولتنتصر فى معركة قوية على قوات حسين باشا فى مضيق بيلان الذى يعتبر من المواقع الاستراتيجية للسيطرة على سوريا الشمالية ، الا أن خاتمة المطاف كان تفوق جيوش ابراهيم باشا على جيوش الدولة العثمانية التى يقودها الصدر الأعظم رشيد محمد باشا فى معركة قونية الشهيرة ، والتى اعتبرت تحولاً حاسماً لصالح محمد على فى حرب الشام الأولى التى خاضها ضد الدولة العثمانية .

كان من أهم نتائج هذه الحرب أنها فتحت المجال للتدخل الأوروبى فى شئون الدولة العثمانية ، وزادت من اجهاد الدولة قبل أن تأخذ الفرصة الكاملة لبناء عساكرها الجديدة التى حاول السلطان محمود الثانى احلالها محل الانكشارية التى قضى عليها فى وقت غير مناسب ، لأن أضرارها على الدولة نفسها مع بقائها كانت أخف وطأة من تلك الأحداث التى لحقت بالدولة بعد الغاء الانكشارية ذاتها .

ولم يجد السلطان العثماني من وسيلة لايقاف تابعه القوى أفضل من الارتماء فيأحضان عدوه التقليدى قيصر روسيا ، لأن بريطانيا وفرنسا قد وقفتا موقفا حياديا حينذاك ، وتوقفت قوات ابراهيم باشا عند كوتاهية حينما رأت الأساطيل الروسية تتجه نحو الشاطئ الآسيوى للبوسفور.

ان التنظيمات التى قامت بها حكومة الباشا فى الشام قد أفرزت آثارا مختلفة كانت سببا فى زيادة الأعباء على تلك الحكومة ،وأثرت بطرق مختلفة على تحركات الباشا نحو العراق وشبه الجزيرة العربية من الشام ، وقد تكشفت طموحات الباشا من خلال هذه الحرب ، حيث اختلف كثير من المؤرخين حولها ، غير أننا استطعنا أن نقرر من خلال ذلك على صدق ولاء محمد على للسلطان العثمانى ، وعدم رغبته فى اقامة دولة عربية محضة ، انما كانت أهدافه تنطلق من تحقيق آمال وطموحات ذاتية له فى المنطقة العربية التى تشمل شبه الجزيرة العربية والشام والعراق ، اضافة الى مصر والسودان ، التى ثبت دعائمه فيها كوالٍ قوى من ولاة الدولة العثمانية.

ولا شك أن معاهدة كوتاهية لم تكن سوى هدنة مسلحة تم توقيعها بين السلطان العثمانى ومحمد على ، وكلاهما ينظر لها كفرصة سانحة يستطيع من خلالها استعادة قوته وتدعيم أركان حكومته ، لينطلق بعد ذلك فى سبيل تحقيق آماله وغاياته .

كشف كل ذلك موقف الدول الأوروبية تجاه السلطان العثماني ومحمد على ، والتى لم يهدأ لها بال حتى تم ابرام معاهدة كوتاهية تلك ، وتوقف الصراع بين السلطان وتابعه ، وكأن تلك المعاهدة أو الهدنة المسلحة بتعبير أدق ، انما هى اجراء أُرغم عليه الطرفان ، وقبلاه لتحقيق أهدافهما من ورائه كل حسب مخططاته وتوجهاته .

وتعتبر معاهدة انكيار سكليسى Unkiar-Skelessi مع روسيا التى أعقبت معاهدة كوتاهية ، فرصة ثمينة للدولة العثمانية تستكمل من خلالها استعداداتها فى الوصول الى أهدافها العسكرية والسياسة ضد محمد على رغم أن تلك المعاهدة كانت تمثل وصمة عار أثرت فيما بعد على مكانة السلطان محمود الثانى ، لأنها أول معاهدة تحمى بموجبها دولة كافرة قصر السلطان المسلم ، الذى تزعزعت مكانته فى العالم الاسلامى ، وفى الجزيرة العربية بوجه خاص ، كما أن تلك المعاهدة قد أزعجت الدول الأوروبية ، وخاصة بريطانيا التى رأت فى محمد على سببا رئيسيا لادخال الروس فى شئون الدولة العثمانية ، مما قد يحدث انقلابا فى التوازن الأوروبى اضافة الى أهداف الباشا التوسعية التى ستهدد المصالح الاستراتيجية والاقتصادية لبريطانيا فى أملاك الدولة العثمانية ، وخاصة فى ماله صلة بطرق مواصلاتها الى الهند عبر الشام والعراق وشبه الجزيرة العربية ، وهو ما كان الباشا يطمع بالفعل الى تحقيقه أثناء الهدنة المسلحة ، معاهدة كوتاهية ،

حين بعث بقواته مرة أخرى وباسمه هو الى الجزيرة العربية ، ليحقق فيها أهدافه وتطلعاته ، الا أن الموقف البريطاني ضد هذه الأهداف ظهر واضحا حينذاك ،وهو ما تحدثنا عنه تحت عنوان إنجلترا وسياسة منتصف الطريق ، ونظرية القشرة الواقية للهند ،وهو ما يتعلق بعلاقة بريطانيا مع محمد على فيما يجرى على أرض الشام والجزيرة العربية والعراق .

اتضح لنا ذلك الموقف العدائي الذى اتسمت به سياسة بريطانيا تجاه الباشا ، وحرصها الشديد على سلامة القشرة الواقية للهند ، المتمثلة في شبه الجزيرة العربية والعراق والشام ، حيث بدأت السياسة البريطانية حينئذ في مرحلة من عدم التوازن في كيفية الوصول الى حل سريع وحاسم لهذا الخطر الجديد ، فهناك من يدعو الى الحل الدبلوماسي السلمي مع الباشا وهناك من يرى أن التدخل الحربي هو العلاج الناجح لهذا الخطر لايقافه عند حدّه .

كان للجزيرة العربية والخليج العربي أثر بالغ على المصالح البريطانية منذ أمد بعيد ، وما نتج حيالها من صراعات استعمارية مختلفة بين فرنسا وبريطانيا ، وقد أصاب الهلع بريطانيا من قيام الدولة السعودية الأولى بمناصرة القواسم في الخليج ، لتقوم ازاء ذلك بارسال الحملات العسكرية المسلحة لتقضى على المجاهدين من القواسم بحجة القضاء على القرصنة ، ثم تتبع ذلك بتكبيل مشائخ المنطقة بمعاهدات مزعومة بحجة الحماية لكى تخلق

لها مبرراً للتدخل في شئون المنطقة دون اثارة أى من الدول الأوروبيـــــة ، ولذلك مع الارتياح الأوساط البريطانية عندما تم سقوط عاصمة الدولـــــة السعودية الأولى في أيدى قوات ابراهيم باشا ، وقاموا بمحاولات لاحتـــواء الباشا في ســبيل القضاء على قوة القواسم حلفاء السعوديين في الخليـــج بعمل حربى مشترك ،وهذا طبعا في سبيل تحقيق مصالحهم الاقتصاديـــة والاستراتيجية المباشرة ، لأن خوفهم من تحركات الباشا يتساوى مع خوفهـــم من السعوديين والقواسم ، واستمرت المحاولات البريطانية في فرض السيطرة على الموانئ الهامة في البحر الأحمر والخليج العربى ، للوقوف في وجه أطماع وأهداف محمد على ، وكان تحركها السياسى الحذر في الشام بعد حروب محمد على الأولى هناك ،وما تبع ذلك من تقارير خطيرة بعثها القناصـــل الانجليز الى حكومتهم يؤكدون فيها وصول قوات الباشا الى مواقع استراتيجية في الجزيرة العربية ،وبشكل خاص في مداخل البحر الأحمر وفي الخليج العربى ووصولها الى أجزاء هامة من اقليم الشام ، لتأخذ حينذاك السياسة البريطانية بعدا آخر في ضرورة التصدى لتحركات الباشا في شبه الجزيرة العربية ، رغـم أن محمد على حاول التأكيد للساسة البريطانيين من أنه حريص على عدم الاضرار بالمصالح البريطانية ، الا أن ذلك لم يجد نفعا مع وزير الخارجيـــة البريطانى اللورد بالمرستون Lord,Palmerston ،الذى وقف بكل قـوة أمام أهداف وطموحات محمد على ، التى يرمى الى تحقيقها في الجزيـــرة العربية والشام والعراق ، الى أن وصل الوزير البريطانى غايته المنشــودة

فى إقتلاع محمد على من تلك الجهات بعد أن مارس معه أساليب سياسية واقتصادية مختلفة ، ولوّح له فى أكثر من مرة أن حكومة بريطانيا لن تقف مكتوفة الأيدى أمام تحركات محمد على فى المنطقة ، وأنها ستستخدم القوة المسلحة لايقاف هذه التحركات اذا دعت الحاجة ، وأظهرت بوادر ذلك باحتلال مدن فى البحر الأحمر وجزيرة خرج فى الخليج العربى ، اضافة الى وضع ثلاث بواخر مسلحة فى ميناء البصرة ، فى الوقت الذى كبلت شيوخ المنطقة بنوع من معاهدات الحماية ، امتازت به السياسة البريطانية فى تلك الفترة للتصدى لتحركات محمد على فى الجزيرة العربية .

شهد الحجاز حركة عصيان لقوات محمد على فى الحجاز أثناء حرب الشام الأولى ، بقيادة محمد أغا " تركجه بيلمز " ، أحد ضباط قوات محمد على الغير نظامية التى بقيت فى الحجاز بعد الحروب الأولى التى خاضها الباشا فى الجزيرة العربية لحساب الدولة العثمانية ، وجاء توقيت هذه الثورة فى وقت جد خطير بالنسبة لمحمد على الذى كان يخوض حربا ضد الدولة العثمانية فى الشام ، الا أن حرص الباشا على الاحتفاظ بسيطرته على الجزيرة العربية قد جعله يقضى على هذه الثورة والقائمين بها ، بعد أن استنفذ معهم الأساليب الديبلوماسية التى عرفت عن محمد على ، فوجه لهم قوة حربية بقيادة أحمد باشا يكن لتستأصل جذورهم وتعيد هيبة حكومته الى تلك الجهات ،لا سيما وأن قواته فى الشام قد حالفها النصر

فى معاركها الأولى ، وعندما انسحب الثوار الى اليمن لم يتركهم محمد على ينعمون بالبقاء هناك خاصة وأن الدولة العثمانية كانت سعيدة بقيام هذه الثورة ، حين أصدر السلطان العثمانى فرمانا بتعيين قائد هذه الثورة واليا على الحجاز ، غير أن قوات محمد على استطاعت أن تلغى مفعول هذا الفرمان حين هزمت الثوار فى الحجاز وتتبعتهم الى اليمن .

تبع ذلك تحرك الثوار فى الحجاز ، ثم هروبهم الى اليمن وتحالفهم مع على بن مجثل الذى لم يلبث أن اتجه للتعاون مع أحمد باشا يكن ضد الثوار ، الذين تلقوا نكسة على يدى سلطان لحج وعدن ، حين قتل منهم أربعين رجلا جاؤوا لاستلام الميناء ، غير أن السلطان غدر بهم وقتلهم ، وقد تحدثنا عن الأعمال التى قام بها قائد الثوار فى المدن اليمنية ومحاولاته المختلفة التى بذلها لبسط نفوذه هناك ، وعن مصير هؤلاء الثوار بعد أن حاصرتهم قوات محمد على فى اليمن ، ليجدوا أن خير وسيلة لنجاتهم هو الالتجاء الى السفن البريطانية فى المخا ، حيث تولت هذه السفن حماية قائد الثوار ومن وصل معه من جنده ، وأبحرت بهم الى ميناء بومباى فى الهند ، لتوصل الحكومة البريطانية فيما بعد قائد هؤلاء الثوار الى البصرة ، وليسند له منصب قيادى كبير فى تلك الولاية العثمانية ولا غرو فى ذلك اذا عرفنا أن الحكومة البريطانية كانت قلقة جداً لأى تحرك تقوم به قوات محمد على فى أى جزء من أجزاء الجزيرة العربية التى تعتبر قشرة واقية للهند .

تركت هذه الثورة آثارها الايجابية على أهداف وطموحات محمد علي في الجزيرة العربية ، وكأنها أصبحت عامل استعجال لتحقيق هذه الأهداف والطموحات ، دون أن تثير تحركات الباشا عامل الشك لدى الحكومة البريطانية في بداية الأمر ، لأنه اتجه لاخماد هذه الثورة ليس إلا ، وكما يردد هو دائماً ، لكن السياسة البريطانية لم تكن لتغفل عن تحركات الباشا تلك بعد ذلك ، وكان تعيين محمد أغا "تركجه بيلمز" في منصب قيادي في ولاية بغداد دليلاً على أن مصلحة تلك الولاية والتي تهم بريطانيا في المقام الأول ، لابد أن يحرص على حمايتها رجل من أعداء محمد علي و من المناوئين له ، لكي يحول دون تطلعاته الى تلك الولاية ، ولكي يسعى للتصدي له في شبه الجزيرة العربية من أجل أن لا يحقق فيها أهدافه وطموحاته المبيتة والتي ستضر بالمصالح البريطانية دون شك ، وهذا ما قام به محمد أغا -تركجه بيلمز- ، الذي عين حاكما للبر والبحر على السفن الموجودة في البصرة ، غير أنه لم يؤد المهمة على الوجه الأكمل ، ولم يستطع التصدي لتحركات جيوش الباشا التي وصلت فيما بعد الى وسط الجزيرة العربية وسواحل الخليج العربي ، ليصبح مصير هذا الضابط الثائر مجهولا فيما بعد ، لأنه لم يعد من المؤثرين في الأحداث الجارية حينذاك ، وهذا ما تطرقنا اليه في نهاية ذلك الفصل .

إن من أهم مظاهر التأثر والتأثير في حروب الشام هي تلك الأحداث التاريخية التي جاءت في أواخر عهد مؤسس الدولة السعودية الثانية الامام

تركى بن عبد الله بن محمد بن سعود ، الذى جاء فى وقت قنطت فيه الجزيرة العربية ،وأصبحت مسرحا للفوضى والسلب والنهب ، ليعيد لها الأمن والاستقرار وينشئ الدولة السعودية الثانية ، بعد أن استفاد من التجارب السابقة التى أحاطت بآل سعود فى دولتهم الأولى ،كما أن قيام حرب الشام الأولى قد ساعده الى حد كبير ، حيث أن القبضة العسكرية التى كان يطبقها محمد على فى وسط الجزيرة العربية قد خفت نوعا ما ، ليتولى الامام تركى بن عبد الله طرد البقية الباقية من الحاميات العسكرية التى تركها الباشا حينذاك ،وليقوم بعد ئذ بتدعيم أركان حكومته فى حائل والقصيم وعسير ، ووسط اقليم نجد بشكل عام ، لينطلق بعد ذلك الى الأحساء وسواحل الخليج العربى ، وليبسط حماية دولته على البحرين التى دفعت له الزكاة التى كانت تدفعها للدولة السعودية الأولى .

بذل الامام تركى بن عبد الله جهودا جبارة لتدعيم أركان الدولة الناشئة والقضاء على التمردات التى كان يقوم بها العربان فى أنحاء متفرقة من أقاليم الدولة ،ليعيدهم الى دستور دولته الخالد كتاب الله وسنة رسوله ، وبعد جهود مضنية ، وتضحيات كبيرة تمكن الامام تركى من بناء دولته وتدعيم أركانها ، ليعم الأمن والايمان أرجاء الدولة الفتية ، ولتصبح ذات قوة ومكانة فى المنطقة ، لما يتمتع به الامام من روح طيبة ، ودهاء سياسى رفيع أكسبه احترام الجميع ، غير أن استشهاد الامام تركى

ابن عبد الله بن محمد بن سعود ، قد أثار كثير من الاضطراب والفوضى في المنطقة ، لا سيما وأنه قد جاء في وقت كان الأمير فيصل بن تركي يقوم باخماد بعض الثورات التي قام بها أهالي سيهات وتاروت على الساحل الشرقي ، وبمساعدة من شيخ البحرين ، الا أن الامام فيصل بن تركي الذي تقلد مهام الحكم سرعان ما تمكن من السيطرة على مجريات الأمور.

وحاول الامام فيصل بن تركي اعادة بناء الدولة السعودية الثانية منذ أن كان قائدا في جيش والده ، الى أن أصبح الحاكم المطلق في الدولة ، ليقوم حينذاك بجهود مضاعفة في سبيل بناء دولته وتدعيم أركانها حيث خاض عدة معارك حاسمة ، أعادت للدولة هيبتها ومكانتها ، بعد أن اقتص من قاتل أبيه وأعوانه ، بمسلكه السياسي المتميز الذي عرف به الامام فيصل بن تركي ، ثم افتتح عهده بمؤتمر دعا اليه قضاة الدولة ورؤساء القبائل والاقاليم فيها ، حثهم من خلاله على اتباع المسلك الاسلامي القويم ، ثم سار بعد ذلك بدولته في سياسته المعروفة والتي جمعت بين القوة واللين ، الى أن أعاد الدولة الى مجدها وقوتها التي كانت عليها في أواخر عهد والده ، ولكن حرب الشام الأولى كانت حينذاك قد انتهت بمعاهدة كوتاهية - الهدنة المسلحة - ، التي أتاحت الفرصة لمحمد على كي يلتفت بقوة الى الجزيرة العربية ، لكي يحقق فيها أهدافه وطموحاته ، وينطلق منها الى العراق والشام بشكل دائرى من الجنوب ، اتضح هذا من تحركات

خورشيد باشا ، وما سبقه من حملات ،ومصاحبة الأمير خالد بن سعود الذى كان أسيرا فى مصر لهذه الحملات ، ليجعل منه محمد على وسيلة لتحقيق غاياته ، ولم يكن الامام فيصل بغافل من تلك التحركات، حين حاول انتهاج الدبلوماسية مع والى الحجاز ، ومع قادة تلك الحملات علـه يتفادى التصادم المسلح معهم ، غير أن ذلك لم يجد نفعا ليضطر الامام فيصل الى أن يخوض عدة معارك مع تلك القوات ، التى تصدت للامام فيصل ، بعد أن وصلها المدد مع خورشيد باشا وكذلك بعد وصوله ، ليدرك الامام فيصل حينذاك أن من المصلحة له ولقواته التسليم لكى يحافظ على دماء وأموال من بقى معه من جنده ، ثم أشرنا فى ختام ذلك الحديث الى ما كان يتمتع به الامام فيصل من صفات وأخلاق نادرة قل أن توجد فى أقرانه ، وتعتبر عودته الى بلاده بعد معاهدة لندن التى أرغمت محمدعلىعلىالانسحاب من الجزيرة العربية ،واعادته بناء دولته مرة ثانية ، تأكيدا قاطعا لماذهبنا اليه فى ذلك .

ظل الموقف فى الشام يؤثر فى تطور أحوال الدولة السعودية الثانية ،لأن حرب الشام الأولى التى خاضها محمد على ضد الدولة العثمانية قد خففت كما قلنا من القبضة العسكرية للباشا ، التى كان يفرضها على شبه الجزيرة العربية وبالذات فى وسطها وشرقها المتمثل فى اقليم نجد والاحساء ، وأدرك الامام تركى بن عبدالله هذا الحدث التاريخى الهام،

الذى ظهر على الحاميات العسكرية فى نجد ، والتى أصبحت فى موقف لا تحسد عليه ، ليقوم الامام تركى حينئذ بتوحيد معظم أقاليم الجزيرة العربية ، ويعيد بناء الدولة السعودية الثانية ، منتهزاً فرصة انشغال محمد على بحروب الشام الأولى ضد الدولة العثمانية ، وكانت تحركات الامام تركى فى عالية نجد ، لكبح جماح المتمردين من العربان ، لأن حكومة الحجاز التابعة لحكومة محمد على فى مصر ، لا تستطيع ارسال قوات الى وسط نجد ، رغم قلقها المتزايد الذى عبر عنه محافظ مكة فى رسالة بعثها الى محمد على ضمنها معلومات وافية عن تحركات الامام تركى فى عالية نجد،(1) بيد أن اشتعال حرب الشام الأولى ، وتحول الثقل العسكرى لحكومة الباشا الى الشام أولا ، أتاح الفرصة للامام تركى بن عبد الله ليتحرك فى مختلف أقاليم الجزيرة العربية ، ويدعم نفوذه فيها ، وهو ما تحقق سنة ١٢٤٨هـ/ ١٨٣٢م، حين وصلت قوات الامام الى الاحساء ، وقضت على مختلف العناصر المناوئة هناك ، ليبقى الامام فى الاقليم مدة قاربت الشهرين ، تقبل خلالها البيعة والولاء وفروض الطاعة له ولدولته . (٢)

---

(١) وثيقة رقم ٦٤ ، محفظة ١٣ بحر برا ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .

(٢) عثمان بن بشر : عنوان المجد فى تاريخ نجد ، ج٢ ، ص ٤٣-٤٤ .

أدرك محمد على خطورة تحركات الامام تركى تلك ،فطلب الى والى الحجاز أن يبعث الى الامام من يحذره من نتيجة هذه التحركات التى لن ترضى عنها حكومة الباشا ،والتى ستقف حيالها بالقوة المسلحة ، ولكن ادراك الامام تركى لأوضاع حكومة محمد على فى الشام جعله يسير قدما فى تدعيم دولته ،فأرسل من قبله أميرا وقاضيا للبريمى وساحل عمان ،ووقع اتفاقية مع سلطان مسقط يدفع بموجبها الزكاة للدولة السعودية ، ورغم أن الحكومة البريطانية أبدت قلقها تجاه امتداد نفوذ الامام تركى فى تلك الجهات من الجزيرة العربية ، وحاولت التصدى له بعقد اتفاقيات ثنائية مع شيوخ الساحل العمانى ، فقد كان الامام تركى بارعاً فى التعامل السياسى حين عرض على البريطانيين استعداده لاقامة علاقات سياسية معهم ،لكى يحفظ لدولته الناشئة استقلاليتها ومكانتها أمام تلك التيارات السياسية المتصارعة التى تموج بها المنطقة ، لا سيما وأن الحرب فى الشام بين الدولة العثمانية ومحمد على لا زالت مستمرة ومشتعلة(١)

وهكذا لم يعد محمد على فى الجزيرة العربية بنفس القوة التى توجه بها اليها ابان حروبه ضد الدولة السعودية الأولى ، ولا غرو فى ذلك فقد

---

(١) مختارات من سجلات حكومة بومباى

S.R.B.G. No.XXIV. p.440

كانت الأوضاع التي عاشتها حكومته في الشام لا تساعده في التوجه الى الجزيرة العربية بنفسها لقوة التي أشرنا اليها سلفاً ، وقد أتاح ذلك الوضع الذى تعيشه حكومة محمد على في الشام للدولة السعودية الثانية في أواخر عهد الامام تركى بن عبد الله ، وفي السنوات الأربع التي حكم الدولة فيها الامام فيصل بن تركى ، أتاح ذلك للدولة السعودية فرصة التطور والبناء ، حيث بدأت أقاليم الجزيرة العربية تنعم بالأمن والاستقرار في ظل الدولة السعودية الثانية ، وبدأ الامام فيصل بن تركى بعد استشهاد والده في تدعيم أركان دولته وتوسيع نفوذها ، غير أن ذلك قد زاد في قلق محمد على الذى أصبح يدرك أن قيام الدولة السعودية الثانية وبهذه القوة سيشكل عقبة أمام طموحاته وأهدافه في وسط الجزيرة العربية وسواحلها الشرقية ، ان لم يهدد تلك الأهداف في الحجاز واليمن ، حينذاك سارع بارسال الحملات العسكرية التي اتخذت من الأمير خالد بن سعود وسيلة لتحقيق غاياتها ، لأن ولاء ذلك الأمير لمحمد على أصبح شبه مؤكداً للباشا ورجال حكومته ،وقد حاول الامام فيصل أن يتلافى الاصطدام بتلك الحملات ،وينهج معها منهجاً دبلوماسياً ولكن ذلك المنهج لم يصل الى نتيجة حاسمة ،لينتهى الأمر الى استسلام الامام فيصل بن تركى وبسط نفوذ حكومة محمد على على وسط الجزيرة العربية وسواحلها الشرقية على يد القائد خورشيد باشا .

أما عن علاقة الدولة السعودية الثانية بالدولة العثمانية فقد بدأت ابان حروب الشام الأولى ،حين استقبل الامام تركى رسالة من والى بغداد

من قبل الدولة العثمانية ، أثناء إقامته على ماء الرمحية سنة ١٢٤٧هـ/١٨٣١م والتى حملت فى طياتها كثيرا من علامات الصداقة والمحبة التى أظهرها الوالى العثمانى للامام تركى ودولته الناشئة ،وقد رد الامام تركى على هذه الرسالة برسالة مماثلة وبعض الهدايا التى حملها أحد رجاله المعروفين وهو حمد بن يحيى بن غيهب ،رئيس بلدة شقراء (١).

وحين ننظر بعين الباحث المنصف الى الغاية البعيدة لهذه الرسالة التى بعثها والى بغداد من قبل الدولة العثمانية ،نجد أن ذلك ناتج عن العداء المتزايد الذى ظهر بين الدولة العثمانية ومحمد على ، إبان حروب الشام الأولى ، لأن الامام تركى بن عبدالله الذى أصبحت الدولة العثمانية وولاتها فى بغداد يخطبون وده ،هو ابن الدولة السعودية الأولى التى قضت عليها جيوش الدولة العثمانية ،قبل أقل من خمسة عشر عام خلت ، ولكن ذلك عندما كان محمد على أحد الولاة التابعين لها ،أما الآن فهو من الولاة الخارجين على سلطان الدولة العثمانية ، ولا بد حينئذ من التصدى له ، وأشرنا من خلال ذلك الى أن علاقات الدولة السعودية الثانية لا بد أن تكون قوية مع الدولة العثمانية ،فى نظر رجال الدولة العثمانية على الأقل ، لأن

---

(١) عثمان بن بشر : عنوان المجد فى تاريخ نجد ،ج ٢ ، ص ٤٢ .

ذلك سيخدم العثمانيين في التصدى لأطماع وأهداف محمد على في الجزيرة العربية ،التي سينطلق منها الى العراق ،وهذا شيء مؤكد اذا تحقق له النصر النهائي في الشام.

ويمكن أن نصف هذه العلاقة بأنها لم تتعد التحريض من قبل ولاة الدولة العثمانية لأئمة الدولة السعودية الثانية للتصدى لقوات محمد على في الجزيرة العربية ،والتي لم تصل الى المساعدة العسكرية المباشرة ، وعللنا ذلك لأن الأوضاع في الشام والمواجهة بين الدولة ومحمد على فيها ،لم تكن تستطيع الدولة من خلالها اعطاء المساعدة للدولة السعودية الثانية ، التي يعتبر تصديها لجيوش محمد على في وسط الجزيرة العربية من مصلحة الدولة العثمانية في المقام الأول .

وتشير الرسالة التي بعثها أحد التجار النجديين المقيمين في الكويت، والتي طلب فيها من الامام فيصل ،اعلان تبعيته للدولة العثمانية، والحصول على أمر سلطاني عن طريق والي بغداد (١) ، الى أن فيصل بن تركي كان على درجة كبيرة من الذكاء ،حين أخذ في انتظار الدليل الفعلي على صدق نوايا ولاة الدولة العثمانية في تلك العلاقات ،والمتمثل في المساعدة العسكرية

---

(١) المرفق العربي للوثيقة التركية رقم ٦٦ حمراء ،محفظة ٢٦٤ عابدين ، محافظ الحجاز رقم ٥ ،دار الوثائق القومية بالقاهرة.

للوقوف ضد قوات محمد على ،قبل أن يعلن آراءه تجاه ذلك ، غير أن مساعدة الدولة العثمانية وولاتها في بغداد لم تتعد الوعود والرسائل التشجيعية التي يبعثونها للامام فيصل ،لكن الامام فيصل كان أذكى من أن يقع في أساليب الأماني والتسويف التي لم يعمل الولاة العثمانيون في العراق أكثر منها في ايجاد علاقات مع الدولة السعودية الثانية ، بينما بدأت قوات محمد على تصل طلائعها الى نجد ، وتعايشت الدولة السعودية الثانية حينئذ مع الأحداث التي تحيط بها من منطلق القوة والاستقلال الذى حفظ لها مكانتها حينذاك ، حتى رمى محمد على بثقله العسكرى أمام تلك الدولة الناشئة ،التي لم يف ولاة الدولة العثمانية بما رددوه من وعود وأماني في سبيل التصدى لقوات محمد على التي بدأت تتعمق في الجزيرة العربية في طريقها للدوران الى البصرة وبغداد ، كما نبه الى ذلك الامام فيصل بن تركي حين دارت بينه وبين الولاة المذكورين المكاتبات ،ولم يمنع الباشا من تحقيق أطماعه في تلك الجهات الا الموقف الدولى الذى تزعمته بريطانيا فيما بعد في معاهدة لندن الشهيرة.

لعب محمد على دورا كبيرا لتحقيق آماله وطموحاته من خلال التجارة في الخليج العربى والمحيط الهندى ،لأن محمد على رجل تاجر بطبيعته وكانت له مميزات ذاتية في اقتصاد حكومته في مصر ،وهو ما عرف بنظام الاحتكار التجارى الذى بدأ تطبيقه في مصر ، ليسيطر من خلاله على التجارة الداخلية والخارجية في وقت واحد ، لكن بريطانيا جابهت محمد على ،لكي لا يستقر

نظامه الاحتكارى المعمول به فى مصر فى أقاليم الشام ، وتوج هذا الموقف البريطانى باتفاقية بلطة ليمان التجارية بين الدولة العثمانية وبريطانيا والتى كانت ذات أهداف سياسية واقتصادية تهدف فى مجموعها الى التصدى لمحمد على وتحركاته سواء فى الشام أم فى الجزيرة العربية وسواحلها الشرقية والغربية .

اختمرت منذ وقت طويل فى ذهن محمد على أهدافه فيما يتعلق بالجزيرة العربية ، وسواحلها المهمة سواء فى الخليج العربى أم فى البحر الأحمر ، وهو ما تبلور ابان حروب الشام الأولى التى صاحبتها ثورة الجند الغير نظاميين الذين لجأوا الى اليمن ليكونوا عامل استعجال يوجه الباشا الى اليمن ، وحينئذ سارع محمد على بارسال أحد رجاله لشراء البن من مخا وارساله الى السويس ، حينما تم له الاستيلاء على قاعدة تجارة البن هناك ،وبعد أن تم ابرام معاهدة كوتاهية ، الهدنة المسلحة ، لم يتردد الباشا فى ارسال قواته لليمن ،لأن ذلك يضمن له تحقيق الأهداف التجارية التى يأملها سواء فى المنتجات اليمنية ، أو فيما يتحقق له من مكوس التجارة من الموانئ اليمنية الهامة ذات المواقع الاستراتيجية ، ولكى يضمن عدم وجود معارضة له من بريطانيا حاول أن ينشئ علاقات تجارية مع حكومة الهند البريطانية ،فى الوقت الذى أكد للقنصل البريطانى فى مصر الكولونيل باتريك كامبل Patrick,Campbell أنه لا ينوى توسيع مشروعاته

خارج البحر الأحمر ، ولن يمس المصالح الاقتصادية البريطانية هنـــاك بأى أذى (١) .

من ثم اهتم الباشا بالسيطرة على المناطق التى تجود فيها زراعـــة البن ، لأنه كان يعتزم احتكار تجارة هذا المحصول الهام الذى يمتاز بـــه اليمن ، والى فرض الضرائب الباهظة على التجار التابعين لشركة الهنـــد الشرقية ، وقد طلب حاكم اليمن من قبل محمد على السماح له بتوسيع رقعـة نفوذه ،وطلب بعض الامدادات العسكرية والبشرية ليتمكن من تحقيق أهداف حكومته ، فى الوقت الذى كان أهالى وأعيان حضرموت يطلبون من حكومـة الباشا الدخول الى منطقتهم ، ونشر سلطة الحكومة هناك ،لتنظيم شئونهـم وأشرنا حيال ذلك الى الموقف البريطانى تجاه هذا التحرك الذى تقوم بـــه قوات محمد على فى جنوب الجزيرة العربية ، والذى تَمثّل فى تقارير الضباط الانجليز العاملين فى شركة الهند البريطانية هناك ، وما تبع هذه التقاريـر من تحذيرات شديدة اللهجة على لسان وزير خارجية بريطانيا اللـــــــورد بالمرستون Lord, Palmerston غير أن تلك التهديدات والتحذيرات لم تغير من خطط حكومة الباشا فى اليمن ، التى استمرت فى السيطرة على تجـــارة البن ،وعائدات الموانئ اليمنية الهامة ، وزاد من ذلك منع الباشا للسفـن

1-Document:F.O.78/3185; 61070.p.52.

١٠٥٨
جامعة أم القرى / مكتبة الحكومة
عمادة شؤون المكتبات
قسم المخطوطات
UMM AL-QURA UNIVERSITY MAKKAH

البريطانية القادمة من بومباى من عبور البحر الأحمر شمالى جدة ، ولو أن ذلك يعتبر نهجا سياسيًا قديمًا سارت عليه الدولة العثمانية فى اتخاذ اليمن كحجاب واقٍ للحجاز وللحرمين الشريفين فى مكة المكرمة والمدينة المنورة (١) .

لقد أدركت بريطانيا خطورة تحركات جيوش محمد على فى البحرالأحمر وجنوب الجزيرة العربية ، ووجدت أن العلاج الناجع هو احتلال عدن ، لتحافظ بذلك على مصالحها الاستراتيجية والاقتصادية فى تلك الجهات وفى الهند ، ولذلك يعتبر هذا من اجراءات متنوعة ، كتحريض الأهالى بعدم دفع الزكاة لحكومة الباشا ، وتحويل تجارة البن الى ميناء عدن الذى يسيطرون عليه ، ومحاولات استجلاب العمال والصناع وأرباب المهن الى عدن ، وقد حاولت حكومة الباشا التصدى لهذه الاجراءات البريطانية .

وزادت مخاوف بريطانيا حين اتضحت أهداف وطموحات محمد على فى الخليج العربى ، وحين بعث بقواته العسكرية التى يقودها خورشيد باشا ، والتى كانت تضع اقليم الاحساء فى الخليج العربى من أولويات أهدافها لأهمية ذلك الاقليم من الناحية الاقتصادية ، لأنه لا بد لهذه القوات من مورد اقتصادى ، لكى لا يؤثر وجود هذه القوات على جهد حكومة الباشا

1-Document : F.O.78/228;60952.No.62.

الذى تقوم به تجاه قواتها المتمركزة فى الشام ،وإدراك قائد قوات محمد على لأهمية البحرين ،سواء من الناحية الاستراتيجية أو التجارية ، ومحاولاته المختلفة التى بذلها لأخذ الزكاة السنوية من حكام البحرين بحجة أنهم كانوا يدفعونها لآل سعود ، ثم ما تبع ذلك من توقيع معاهدة مع شيخ البحرين ، تلتزم حكومة الباشا بموجبها بحماية البحرين ضد أى عدوان خارجى ،على أن تدفع البحرين ضريبة سنوية لحكومة الباشا ، وهكذا تكشفت الأهداف التجارية والأطماع الاقتصادية التى كانت حكومة الباشا فى شرق الجزيرة العربية تأمل فى تحقيقها فى عدة جهات مختلفة فى الخليج العربى ، سواء فى الساحل العمانى وسلطنة عمان أم فى الكويت والبصرة وجنوب العراق ،ولم تتردد تلك الحكومة فى ارسال مبعوثيها الى تلك الجهات فى سبيل تحقيق أهدافها ،سواء ما كان منها ذا طابع سياسى أو اقتصادى ،لأن فى كلا الحالتين مكسب لها ،وهذا بطبيعة الحال ما أثار حفيظة الساسة الانجليز الذين باتوا يرصدون تحركات الباشا وحكومته فى الجزيرة العربية ،ويتلقون التقارير المتتابعة من قناصلهم فى المنطقة ، وجواسيسهم الذين يعملون لحسابهم ،وهذا ما أشرنا اليه فى موضعه .

وبعد كل هذا أصبحت بغداد هى مأمل الباشا لكى تنضم الى حكومته ،فان تعذر فتحها عن طريق الشام فالجزيرة العربية هى الطريق

البديل للوصول للعراق من طريق الجنوب ،لتلتف حكومته نحو الشام من الشرق من طريق بغداد ،وقد أخذت بشائر النصر التى حققها الباشا فى حروب الشام الأولى ،مأخذ الفخر والعزة من نفس محمد على الذى عبر حينذاك للجند الثائرين فى الحجاز من مكنونات نفسه ،ومن أهدافه فى الجزيرة العربية والعراق والشام التى ستلتحق بحكومته ، وأن الثوار لن يجدوا ملجأ يفرون اليه كما ذكر الباشا نفسه.(١)

وعندما أدرك محمد على أن الامام فيصل لن يخضع لنفوذه وسيطرة حكومته صمم على اخضاعه بالقوة ،ليسيطر على وسط الجزيرة العربية وشرقها ،وينطلق منها الى الخليج العربى وبغداد ،ولم تعدم الباشا الحيلة السياسية فى اعطاء حملاته العسكرية طابع الشرعية ،حين أفرج عن الأمير خالد بن سعود الذى كان أسيرا فى مصر ،وسيره مع تلك الحملات ليكسب من خلاله ثقة الأهالى الذين لن يترددوا فى الاستجابة له ، باعتبار أنه أحد افراد الأسرة السعودية صاحبة الحكم فى تلك البلاد ،وان لم يتحقق له الولاء الكامل فسيكون أداة للشقاق مع الامام فيصل ، الذى كسبه ثقة أهالى البلاد ،وهذا ما حدث بالفعل ،وكلا الأمرين فى صالح الباشا ومخططاته ،وقد أدت آثار حرب الشام الأولى والانتصارات التى حققها محمد على هناك ،الى أن مركزه ازداد قوة ،وجملته يثق فى تحقيق أهدافه فى

---

(١) وثيقة رقم ٨٢٣ ،دفتر ٤٠ معية تركى ، ص ١٣٠ ،دار الوثائق القومية بالقاهرة.

الجزيــــرة العربية ،ويحقق فيها طموحاته العسكرية والسياسية ،وهو ماظهر واضحا على سلوك الباشا نفسه ،حين أبلغ القنصل البريطاني في القاهـــرة خضوع كامل الجزيرة العربية وسواحلها الشرقية لنفوذ حكومته ،وذلك قبـــل استسلام الامام فيصل ببضعة أشهر (١).

وقد سارع خورشيد باشا في بسط نفوذه على الاحساء ،حين قام بتعيين أحمد السديري أميراً على ذلك الاقليم ،ليكسب ثقة الأهالي هو الآخـــر، لما يعرف عن السديري من استقامة وصلاح ، ولكن الباشا سرعان ما غير مـــن نهج حكومته هناك ،حين بعث محمد رفعت أفندي ، ليقوم بامارة الاحســاء وتبع ذلك بالاستيلاء على موانئ الاحساء المهمة ،ليصبح خضوع الاحســـاء والساحل الشرقي للجزيرة العربية لحكومة محمد علي أمرًا مؤكـداً .

بدأت أطماع محمد علي في البحرين تنطلق من أن تلك الامارة كانـت تدفع الزكاة لآل سعود ،ثم تطور الأمر ليأخذ طابع التهديد العسكري المباشر على لسان خورشيد باشا (٢) ، ليتمكن بعد ذلك مندوبه حكومة الباشا مـــن عقد اتفاقية ثنائية مع شيخ البحرين يخضع بموجبها لحكومة محمد علي ويدفع لها الزكاة السنوية كما هو معتاد من أيام الدولة السعودية الأولى ، وبذلـك

---

(١) جون.ب.كيلي : بريطانيا والخليج ١٧٩٥-١٨٧٠م، ج١، ص٥٠٦-٥٠٧.

2- Document : F.O. 78/374.XC/A/61064.

وضع محمد على حكومة بريطانيا أمام الأمر الواقع فيما يتعلق بأهدافه في البحرين ، حين سلك في تحقيق ذلك منهجا سياسيا فريدا استطاع من خلاله تحقيق رغباته وطموحاته دون أن يصطدم بالحكومة البريطانية هناك (١).

وحيث أن البحرين كانت تمثل في أهداف الباشا قاعدة الانطلاق الى الشمال باتجاه العراق ، وقاعدة الانطلاق الى الأسواق الشرقية التي تزيد من مكانة حكومته الاقتصادية ، فقد حاول خورشيد باشا أن يؤكد للمقيم البريطاني في الخليج بأن خضوع البحرين لحكومته لن يؤثر على المصالح البريطانية في الخليج العربي ولن يمسها بسوء ، غير أن السياسة الدولية التي كانت تحيط بحكومة محمد على في القاهرة ، ودخوله حرب الشام الثانية ضد الدولة العثمانية ، جعلته يصدر أمرا الى خورشيد باشا لكي لا يتدخل في شئون البحرين ، ويعطي حرية التصرف في شئونها للشيخ عبدالله بن أحمد ، وأعطى محمد على حكومة بريطانيا صورة من ذلك الأمر ليكسب ثقتهم ويتلافى الاصطدام معهم ، خاصة في تلك المرحلة الحاسمة التي تمر بها حكومته .

أما عن خطط محمد على بالنسبة للبصرة والمحمرة وبغداد ، وبشكل عام من خطته تجاه جنوب العراق ، فان الباشا كان يرمى من خلالها الى مد

---

(١) وثيقة رقم ١٦٥ حمراء ، محفظة ٢٦٧ عابدين ، محافظ الحجاز رقم ٧ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .

نفوذه الى تلك الجهات لكى يحقق منها تكاملاً مع حكومته فى الشام، لا سيما وأنه لم يستطع اخضاعها لسيطرته من طريق الشام، فكان الحل الأمثل هو غزوها من طريق الجزيرة العربية والتى عرفنا تحركاته فيها من خلال تقدمه للأحساء والبحرين ، ولأن محمد على كان يعرف الموقف البريطانى تجاه تحركاته فى تلك الجهات، فقد سلك سياسة معينة، علّه يصل من خلالها الى تحقيق تلك الأهداف والطموحات دون أن يصطدم بالحكومة البريطانية فى الخليج العربى .

وقد حاول محمد على قبل نشوب حرب الشام الأولى أن يتدخل فى شئون الولاة العثمانيين فى العراق لكى يضمن ولاء من تسند له تلك الولاية غير أن ذلك النهج لم يتحقق لادراك الباب العالى لمخططات محمد على حينذاك، ولكن أهداف وطموحات الباشا فى العراق ظهرت الى حيز الوجود بشكل علنى إبان ثورة الجند الغير نظاميين فى الحجاز، التى قامت خلال حرب الشام الأولى (١) ، كذلك فإن قائد قوات الباشا فى الشام قد عبر عن رغبة حكومة والده فى الوصول الى بغداد، حين سئل أثناء حصاره لمدينة عكا ، وهذا ما أكدته الوثائق البريطانية التى صدرت من القناصل الانجليز فى المنطقة (٢)

---

(١) وثيقة رقم ٨٢٣ ، دفتر ٤٠ معية تركى ، ص ١٣٠ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة.

2 - Document : F.O.78/246; 61070, No.42.

وكان من السياسات التى انتهجها الباشا لمد نفوذه نحو العراق تزويد يحيى الجليلى بالمساعدات لكى يعود الى ولاية الموصل ،الذى سبق للدولة العثمانية أن عزلته منها ، كما حاول استمالة صفوق الجربا ـ شيخ عشائر شمر الجربا ـ الذى خلع هو الآخر طاعة الدولة العثمانية ، وانضم الى حكومـــة محمد على ، غير أن سياسة حكومة ابراهيم باشا فى الشام التى أثارت القلاقل والثورات فى مختلف أنحاء الاقليم ،قد حالت دون شك فى امكانية غزو العراق من طريق الشام ،ورغم أن محمد على كان قد أفصح للقنصل البريطانى فى مصر الكولونيل كامبل Campbell من رغبته الأكيدة فى تدعيم العلاقات بـــين اقليمى العراق وسوريا ،وهو ما أكده القنصل البريطانى بنفسه فى رسالــــة بعثها الى وزير خارجيته اللورد بالمرستون Palmerston ،بعد معاهدة كوتاهية ،الهدنة المسلحة(1) ، وعندما تمكن قائد قوات محمد على فى وسط الجزيرة العربية ، من تدعيم نفوذ حكومة الباشا فى نجد والأحساء والبحرين ، بدأت تطلعات محمد على الى العراق تأخذ مجالا أوسع لتحقيقها وابرازها الى حيز الواقع ، الا أن اصطدامها بالمصالح البريطانية التى كانت مدركـة لهذه التطلعات حتى قبل وصول قوات الباشا الى وسط الجزيرة العربية ، قد حال دون تحقيقها رغم أن خورشيد باشا قد حاول ارسال مبعوثيه الى البحرين والكويت والمحمرة ، وحاول أن يركز فى اتفاقه مع شيخ البحريـــن

1- Document : F.O.78/228; 60952. No.72

على البند الذى يعطيه حرية التحرك باتجاه إمارات الساحل العمانــى أو البصرة وبغداد ، ولم يكتف قائد قوات محمد على فى الجزيرة العربية بتلـك الجهود ، بل بدأ يستميل اليه قبائل المنتفق فى جنوب العراق ، ووضع له جواسيس وعملاء فى تلك الجهات ، حتى تلقى فى نهاية الأمر رسالة من أحدهم تؤكد له انفتاح المجال أمام قواته ، وأن أهل العراق سينضمون اليه حـال وصوله الى هناك (١) ، حينذاك سارع خورشيد باشا بالكتابة الى حكومة محمد على فى القاهرة ، يطلب اليها الموافقة على غزو العراق ، لأنها ملك يضاهى ملك مصر ، وأشار القائد المصرى لموقف البريطانيين تجاه تلك التحركات ، وأنـه سيجد بديلا لطريق البحر ، وهو الطريق البرى الذى تسيطر عليه قـوات الباشا ومؤيديها ، وهو أسهل أمنا ، وأقرب مسافة ، كما يذكر ذلك خورشيـد باشا (٢) ، وهكذا توفرت البراهين والأدلة لدينا على أن تقدم قوات محمـد على فى وسط شبه الجزيرة العربية وفى اتجاه الأحساء والخليج فى هذه المرة كان الغرض منه العراق ، لاكمال الدائرة التى تكون الشام نصفها ، لكـن الموقف البريطانى المتصلب تجاه أى تحركات قد يقوم بها خورشيد باشا تجـاه البصرة وبغداد كان للباشا بالمرصاد ، وساعدهم على ذلك تعقد الوضـع الدولى الذى أعقب حرب الشام الثانية ، ذلك الوضع الذى تمكنت بريطانيا من خلاله من تأليب الدول الاوروبية الكبرى ضد الباشا فى معاهدة لنـدن

(١) صورة المرفق العربى للوثيقة رقم ٤ حمراء ، محفظة ٢٦٧ عابدين ، محافظ الحجاز رقم ٧ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة.

(٢) وثيقة رقم ٤ حمراء ، محفظة ٢٦٧ عابدين ، محافظ الحجاز رقم ٨ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة.

الشهيرة ،التى إقتلعته من الجزيرة العربية ،وقطعت عليه أهدافه وطموحاته فى العراق والشام ،ليضطر محمد على فى ذلك الحين الى اصدار ارادته الى قائده فى الجزيرة العربية لكى يعود الى مصر ، لأن الوقت لم يعد وقت المصلحة التى يتصورها خورشيد باشا ويأمل فى تحقيقها محمد على(١).

اختلف المؤرخون حول مدى الاخلاص والولاء الذى كان يسير من خلاله خورشيد باشا ، وهل كانت له أطماع شخصية أم أنه يسير وفق سياسة حكومته فى مصر ،وقد استطعنا أن نتوصل الى تأكيد ذلك المنهج الذى يسير عليه خورشيد باشا ، وأن بعد المسافة وعدم انتظام البريد ، ومضى زمن طويل دون تلقى أية أخبار من حكومته ، هو السبب الذى أوجد هذا الاختلاف فى التحليلات التى ذهب اليها المؤرخون ، أما خورشيد باشا فقد كان يسير وفق سياسة حكومة محمد على ،التى ترمى الى تحقيق أهدافها وطموحاتها دون أن تثير حولها الشبهات ،لكى لا تصطدم بذلك العدو اللدود المتمثل فى الحكومة البريطانية ، ورجال سياستها فى مصر والشام والخليج العربى والعراق ، والذين كانوا يرقبون تحركات الباشا على كافة الاتجاهات ، سواء ما كان منها عسكرياً أم سياسياً ، وليس أدل على ذلك مما كان يرفعه هؤلاء القناصل الى حكومتهم من محاولات محمد على التى يعتزم من خلالها إقامة

---

(١) ارادة نمرة ٢١ ، محفظة رقم ٢٦٧ عابدين ،محافظ الحجاز رقم ٨ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة.

علاقات ودية مع إيران التي تتربص بالولاية العثمانية في العراق (١) ، وهذا دون شك يعطي دلالة واضحة على مدى ما يتمتع به الباشا من مكر ودهاء سياسي ، حاول من خلاله أن يصل الى تحقيق آماله وطموحاته .

ان مرحلة الحوار البريطاني حول الحرب أم الديبلوماسية ،أو بتعبير أدق تلك المرحلة التي مرت بها السياسة البريطانية ، يمكننا أن نسميها مرحلة عدم التوازن السياسي ،بدا ذلك من موقف وزير خارجية بريطانيا اللورد بالمرستون Lord, Palmerston وسفير حكومته في الأستانة اللورد بونسنباي Lord,Ponsonby وكذلك موقف القناصل البريطانيين في كل من مصر والخليج العربي وبغداد ، اضافة الى حاكم بومباي الجديد جيمس كارناك James Carnac وغيرهم من رجال السياسة البريطانية وقد تجلى موقف هؤلاء الساسة في تلك الخطابات والتقارير التي يقومون باعدادها ، خاصة منذ أن قامت حرب الشام الأولى بين محمد على والدولة العثمانية ، الى أن انتهى بهم المطاف الى الحل الدولي في معاهدة لندن الشهيرة ، في جمادى الاولى سنة ١٢٥٦هـ الموافق لشهر يوليو سنة ١٨٤٠م .

وعلى الرغم من أن وزير خارجية بريطانيا في بداية الأحداث كان يكتفي باحالة مايرد اليه من تقارير الى حكومة الهند ، غير أن الملاحظات التي دونها

1- Document:(I.O.R.) L/P,S/9/111.p.p695-696.

, Document:(I.O.R.)L/P,S/9/115. No,26.

هنرى أليس على تقرير السفير البريطانى فى الأستانة ستراتفورد كاننج Strat Ford Canning الذى طالب بشن هجوم على مصر، لايقاف خطر محمد على على المصالح البريطانية قد تركت أثراً سريعاً فى سلوك الوزير البريطانى ، الذى ذهب الى القول بأنه من الواجب ارغام محمد على على الانسحاب من سوريا وحصر نفوذه على مصر فقط ، وقد كان هنرى أليس كثير التشاؤم من قيام دولة اسلامية على أرض الفرات ، لأن نفوذها سيصل الى الجزيرة العربية ، وتصبح بذلك دولة بحرية هامة تهدد طرق المواصلات البريطانية الى الهند عبر البحر الأحمر والخليج العربى ، والمقصود بذلك بطبيعة الحال هى حكومة محمد على التى كان يخشاها البريطانيون ، حيث أن المقيم البريطانى فى بغداد قد شارك هنرى أليس عندما أبدى تخوفه من حكومة محمد على فى رسالة وجهها للقنصل الانجليزى فى سورية.(١)

كان القلق وعدم الارتياح هو طابع السياسة البريطانية ، فوزير الخارجية يؤكد على أن حكومته لن تسمح بالمساس بكيان الدولة العثمانية ، ورجال البحرية الهندية فى الخليج العربى والمحيط الهندى يقومون بأعمال المسح والمراقبة لتحركات محمد على ، وأى جبهة مناوئة لحكومة الباشا تجد الدعم والتأييد من الحكومة البريطانية ، وخير مثال لذلك تلك العناية التى لقيها قائد الجند الغير نظاميين ، الذين ثاروا فى الحجاز إبان حرب الشام الأولى ، إلى أن وصل الى البصرة ، وقُلِّد فيها منصباً بحرياً قيادياً .

1- Document : (I.O.R.)L/P,S/9/93.p.p.344-345.

وكان هناك تيار سياسى بين رجال السياسة البريطانية يذهب الى إمكانية الاستفادة من قوات محمد على للوقوف ضد التحرك الروسى ، والتعاون معه لخدمة المصالح الاستراتيجية والاقتصادية لبريطانيا (١) ، غير أن وزير الخارجية البريطانى لم يتجه مع هذا الرأى ،اذ أنه قد أصبح على درجة كبيرة من الكراهية لمحمد على بعد أن أفرزت حربه الأولى فى الشام ضد الدولة العثمانية معاهدة انكيارسكليسى ، التى جلبت الخطر الروسى الى عاصمة الدولة العثمانية ، وهو ما لا يحبذه الوزير البريطانى ، وكان المقيم البريطانى فى بغداد من أشد المؤيدين لأفكار وزير خارجيته ،لأنه يؤمن أن أطماع الباشا ستمتد الى الجزيرة العربية والعراق ، وتهدد مصالح بريطانيا هناك ولا بد من الوقوف ضده ولو بالقوة المسلحة (٢) .

وقد نهجت السياسة البريطانية تجاه تحركات محمد على فى المنطقة عدة طرق مختلفة لايقافه ، ففى بداية الأمر أوجدوا لهم مصالح تجارية فى أنهار العراق ، وقاموا بارسال بعثة ملاحية يغلب عليها الطابع الحربى المسلح ، ولكنها مع ذلك حصلت على فرمان من السلطان العثمانى يجيز لها اجراء مسح شامل لأنهار العراق ، وكادت الحكومة البريطانية أن تتدخل بالقوة لارغام محمد على على السماح لهذه البعثة بانجاز مهمتها حينما حاول

1-Document : F.O.78/224;61070.No.57.
, Document: F.O.78/228;60952.No.62.
, Document: F.O.78/246;61070.No,42.

2-Document : (I.O.R.)L/P,S/9/97.No.67.p.p.358-360.

قائد قواته فى الشام إيجاد بعض العراقيل أمامها ، الا أن التهديدات البريطانية أدت مفعولها لتحول دون أى تدخل عسكرى يُرْغَمْ من خلاله الباشا بالسماح لتلك البعثة ، ليس ذلك فحسب بل وتقديم المساعدة اللازمة لرجال البعثة ، وفى الوقت الذى كان فيه المقيم البريطانى فى الخليج يبعث التقارير المتتالية الى حكومته ، كان الضابط البحرى هينز Haines يقوم هو الآخر بمراقبة تحركات قوات الباشا فى اليمن وفى سواحل البحر الأحمر ، أما الكابتن جيمس ماكنزى James MaCkenzie فقد كان تقريره شاملاً ومفصلاً عن أهداف وتحركات محمد على فى شبه الجزيرة العربية(١) ، وشاركه فى أخطار هذه التحركات السفير البريطانى فى الأستانة اللورد بونسنباى Lord-Ponsonby مشيرًا الى أنه لا بد من موقف حازم تجاه هذا الخطر الذى يهدد المصالح البريطانية(٢) .

ثم اتجهت السياسة البريطانية الى الضغط الاقتصادى لكى تحول بين محمد على وأهدافه التوسعية حين وقعت معاهدة بلطة ليمان Balta Liman مع الدولة العثمانية ، تلك المعاهدة التجارية التى كانت ذات أهداف سياسية واقتصادية فى آن واحد ، غير أن وصول قوات محمد على الى السواحل الشرقية لشبه الجزيرة العربية أخرج وزير خارجية بريطانيا

---

(١) نقلا من مجلة الدارة ،العدد الثانى ،السنة الاولى ،ص ١٨٥ .
1- Document:F.O.78/3185.p.p.22-23.

2- Document: F.O.78/306.No.257.61070.

من سياسته التقليدية المنطلقة من المناورات السياسية ، ليبعث بالتهديد والوعيد على لسان قنصل حكومته فى القاهرة ،الذى نقل الى محمد على ذلك التهديد البريطانى الذى أكد من خلاله للباشا أن الحكومة البريطانية لن تسمح ببقاء قواته فى الجزيرة العربية ،وستقف أمام تحركاته تلك بكل حزم وقوة(١) ، بينما أعطيت التعليمات الى قائد الاسطول البريطانى فى المياه الهندية بالتحرك نحو الخليج العربى ،وطلب الى حاكم الهند مراقبة أوضاع شبه الجزيرة العربية وما يجرى فيها .

أصابت تحركات محمد على فى شرقى الجزيرة العربية السياسةالبريطانية بالحمى ، نرى ذلك فيما كتبه المقيم البريطانى فى الخليج ،الكابتن هينيل Hannell ، الذى تقدم باحتجاج رسمى باسم حكومته الى خورشيد باشا قائد قوات محمد على فى الجزيرة ،أكد له فيه عدم رضى حكومته من تلك التحركات ،فى الوقت الذى أرسل مبعوثا من قبله الى الكويت والبصرة والمحمرة للتأكد حول ما يشاع من وجود عملاء للباشا فى تلك الجهات فى حين أنه سارع بنفسه الى عقد معاهدات مع شيوخ الساحل العمانى ، استمد من خلالها بتزويدهم بالسلاح والذخيرة للوقوف فى وجه تحركات محمد على وقواته ،مما يؤكد لنا أن انبثاق قوة محمد على فى الجزيرة العربية ، قد وضع بريطانيا أمام حدث خطير لم تمر به في سياستها من قبل ،

1-H.Temperley and L.M.Penson:Foundations of British Foreign Policy p.127.

تلك السياسة التقليدية التي كانت تحرص من خلالها بريطانيا على عدم الاصطدام بعرب الجزيرة في الداخل ،لتصبح عندئذ السياسة البريطانية في مرحلة عدم التوازن السياسي ، حيث مرت بمرحلة من الحوار بين الساسة الانجليز ، يتداولون من خلاله كيفية التصدى لهذا الخطر الجديد ، وماهية الحل الناجح له ،لتصبح معاهدات الحماية التي تبرمها بريطانيا مع شيوخ وأمراء الجزيرة العربية هي موضة العصر التي فرضها انبثاق قوة محمد على في الجزيرة العربية على السياسة البريطانية ، ولقد ذهب المقيم البريطاني في الخليج الى أبعد من ذلك حين أشار الى أن أمراء الخليج العربي ينظرون الى حرب الشام الثانية حينذاك نظرة خاصة ، وأن انتصار قوات محمد على فيها معناه انضمامهم اليه ، أما انهزامها فيعني وقوفهم ضد قائده في الجزيرة العربية ، وطالب حكومته بالتصدى لتحركات محمد على في الساحل العماني ،لكي لا يلحق بالبحرين الذى وقع اتفاقية مع خورشيد باشا ،ورغم أن جيمس كارناك James Carnac ، حاكم بومباى الجديد قد أيد المقيم البريطاني في الخليج على ما دونه في تقريره ،الا أن حاكم الهند كان يرى أن حكومة لندن هي التي تملك زمام القضية ، وتستطيع البت فيها ، ولا بد حينئذ من أخذ موافقتها على أى اجراء يمكن القيام به ، وفي ذلك الوقت كان العقيد تايلور Taylor المقيم البريطاني في بغداد يدعو الى استخدام القوة ضد تحركات محمد على ، وذلك عن طريق تزويد والى

بغداد بالأسلحة والذخيرة والضباط البريطانيين المدربين (١) ، وهو المسلك الذى أصبح يختمر فى ذهن اللورد بالمرستون Palmerston وزير الخارجية البريطانى ،الذى طلب الى قنصل حكومته فى القاهرة الكولونيل هودجز Hodges تزويده بمعلومات كاملة عن قوة محمد على فى الاسكندرية ،ومن القوة التى يمكن لها احتلال ذلك الثغر البحرى الهام، وكأنه قد عزم على خوض حرب عسكرية ضد الباشا فى عقر داره. (٢)

كذلك تجلّى ذلك فى تصريح وزير خارجية بريطانيا الذى أضاء الطريق لحكومة الهند البريطانية كى تتدخل عسكريا ،اذا دعت الظروف لارغام محمد على فى الجزيرة العربية على الانسحاب منها ، وما سبق ذلك التصريح من وصول تلك السفن المسلحة الى ميناء البصرة ، وألقينا شيئاً من الضوء على موقف الحاكم البريطانى العام فى الهند ، وموقف حاكم بومباى الجديد ، ونظرة كل منهما ازاء هذه القضية ،وهل هى من اختصاصات الحكومة البريطانية فى لندن ،أم حكومة الهند البريطانية ،لنخلص فى النهاية الى أن هذه المرحلة التى أسميناها مرحلة الحوار البريطانى حول الحرب أم الدبلوماسية تجاه تحركات محمد على فى الجزيرة العربية ، قد جعلت أفكارهم وآراؤهم متضاربة ،فهل تكون القوة المسلحة هى الحل

1- Document : (I.O.R.)L/P,S,/9/103.No,7.p.p.184-187

2- Document : F.O. 78/377.No,2. 61070.p.p.3-4.

الناجع لهذا الخطر الذى يهدد مصالحهم فى المنطقة وفى الهند ، أم أن هناك حلا يمكن اللجوء اليه لا سيما وأن محمد على سياسى بارع يتعامل معهم بنفس المستوى الذى يتعاملون به معه ،لذلك كان الحل الدولى هو نهاية المطاف للوقوف في وجه الباشا ،وهو ما تحقق بالفعل فى معاهدة لندن التى تحدثنا عنها بعد ذلك.

لقد عبرنا عن حقيقة تاريخية حين أسمينا هذه الفترة بأنها فصل من فصول المسألة الشرقية ،لأن احتلال عدن كان جزءاً من الحل الذى توصلت اليه السياسة البريطانية للتصدى لأطماع وأخطار محمد على التوسعية فى الجزيرة العربية ، والطرق التجارية المؤدية الى الهند ، وسبق ذلك الاحتلال احتلالاً لجزيرة خرج عند رأس الخليج العربى للوقوف فى وجه أى تحرك للباشا باتجاه العراق ، ولتضمن سلامة مواصلاتها عبر البحر الأحمر فى حالة فقدانها السيطرة على طريق الخليج العربى ، ولعل فى محاولات الشراء التى عرضتها بريطانيا على سلطان لحج وعدن مغزى آخر تهدف اليه السياسة البريطانية لكى تضمن عدم منازعة محمد على لها فى عدن ، اذا تنازل سلطانها عن ملكيتها بطريق الشراء ،وأشرنا الى الرغبة التى كان يبديها محمد على فى الاستقلال عن الدولة العثمانية ورفض السلطان العثمانى لهذه الرغبة ،التى عول محمد على من خلالها الى انتهاز فرصة عدم اكتمال الجرعات التدريبية للجيش العثمانى الجديد الذى خلف الانكشارية.

يذهب بعض المؤرخين الى أن الحكومة البريطانية كانت قد قامت بارسال عدد من الضباط لاعادة تنظيم الأسطول العثماني ابان حروب الشام ،وأنها حذرت محمد على من قتال السلطان العثماني ،وأنها ستقوم بمساعدته بصرف النظر عن ما يترتب على ذلك من صراع قد ينشب بين جيوش الدول الأوروبية (1) ،وعندما دخلت الأزمة بين السلطان العثماني ومحمد على مرحلتها الحاسمة ، حاول بعض الدبلوماسيين الأوروبيين ايقاف تلك الحرب ، ولكن يبدو أن كلا الجانبين كان يرغب فى الحرب ، فمحمد على يريد تحقيق أهدافه وتطلعاته على حساب الدولة ، والدولة العثمانية تريد استعادة الشام من أيدى تابعها القوى ،ولكى تغلق أمامه باب أطماعه فى العراق ، وتتمنى فى الوقت ذاته اقتلاعه من مصر وشبه الجزيرة العربية ، وهناك طرف ثالث وخفى يتمثل فى الحكومة البريطانية التى تريد الاقتراب من الحل الدولى أياً كانت نتيجة هذه الحروب ، ونقرر ذلك من خلال الدور الخطير الذى لعبه السفير البريطانى فى الأستانة ، الذى ضمن وقوف جميع الدول الأوروبية الى جانب حكومته باستثناء فرنسا التى لن يضير موقفها أمام الاجماع الأوروبى .

كانت معركة نصيبين والتى تعرف عند الكتاب الغربيين باسم نزيب، ذات نتائج حاسمة ، حين تغلب فيها محمد على للمرة الثانية على جيش

1-H.Temperley and L.M.Penson:Foundations of British Foreign Policy. p.126.

الدولة العثمانية ، وزاد من سوء الأحوال أن قائد الأسطول العثماني قد سلم كامل اسطوله الى محمد على فى ثغر الاسكندرية ، وجاءت بعد ذلك وفاة السلطان محمود الثاني ، الذى مات قبل أن يعلم بكارثة نصيبين ، لتزيد تلك الوفاة فى ذلك الوقت من تعقيد الموقف المحرج الذى بدأ يحيط بالدولة العثمانية ، ولم يخفف من ذلك الا تلك المحاولات التى قام بها والى بغداد بمساعدة صفوق الجربا ، شيخ مشائر شمر الجربا ، للتصدى لأهداف وطموحات محمد على التى بدأت تحاصر ولايته من الشام ومن الجزيرة العربية .

تولى السلطان عبد المجيد السلطنة والخلافة العثمانية وهو لم يتجاوز السادسة عشر من عمره ، فى وقت باتت الأخطار تهدد الدولة من كل جانب ، فلم تعد روسيا هى العدو المرتقب بل أصبحت أبواب العاصمة العثمانية مفتوحة أمام جيوش محمد على ، ليصبح الأمر حينئذ جد خطير ، وهو ما لحظته الدول الأوروبية التى كانت تعتبر بقاء الدولة العثمانية حافظا للتوازن الأوروبى ، لتسارع بارسال مذكرة مشتركة للباب العالى ، تطلب من خلالها عدم البت فى المسألة المصرية دون علمهم ، ويمكننا أن نقرر أن محمد على لم يكن يرغب الخروج عن سلطان الدولة العثمانية ، بقدر ما كان يحرص على ايجاد مكانة له بين رجال الدولة ، تحفظ له حق الولاية الوراثية فى مصر والشام ، ولكى يستطيع وكما صرح مراراً المشاركة فى النهوض بالدولة العثمانية التى يسيطر عليها خسرو باشا وأقرانه ، وقد بعث محمد على برسالة

الى قائد قواته فى الشام لكى يوقف الحرب عندما بلغته الأنباء عن وفاة السلطان محمود الثانى ، فى الوقت الذى أكد فيه للقنصل البريطانى فى القاهرة أن جميع الأمور والاختلافات مع الدولة العثمانية سوف تحسم ، وتحل بشكل عادل ، لأنه يعترف بالاحترام والخضوع للسلطان عبد المجيد ، ولكن لا بد للقوى الأوروبية من الابتعاد عن السلطان و محمد على ،لكى تحل خلافاتهما بشكل مرض دون تدخل خارجى (١) ، غير أن القلق والاضطراب قد بدأ يعم الأوساط الأوروبية ، وخاصة الحكومة البريطانية ، التى كانت تخشى من تقديم تنازلات كبيرة لمحمد على ، ربما يقدمها له السلطان عبد المجيد ، الذى لم يتجاوز السادسة عشر من عمره (٢) ، ورغم أن السلطان العثمانى و محمد على كادا أن يتوصلا الى اتفاق ينهى خلافاتهما ، الا أن ذلك يتعارض مع المصالح الاستراتيجية والاقتصادية للدول الأوروبية بشكل عام ،وبريطانيا بشكل خاص ، مما يعنى أن هذا الاتفاق لن يكون مقبولا لدى الدول الأوروبية التى سارع مندوبوها الى الاجتماع بوزير خارجية الدولة العثمانية ،الذى ألمح لهم عن هذا الاتفاق ، الذى تحرص عليه دولته ، وترغب فى موافقة الدول الأوروبية عليه ، الا أن هؤلاء المندوبين لم يعطوا اجابات واضحة ،حتى تأتيهم التعليمات من حكوماتهم (٣) ، فاذا كانت بريطانيا قد بعثت بثلاث بواخر مسلحة الى العراق لادراكها أن قوات الدولة العثمانية

1- Document:F.O.78/374.No.50 and 51.xC/A/61064.
2- Hurewitz.J.C.:Diplomacy in the Near and Middle East Vol.1. p.113.

3- Document : F.O.78/375.˜C/A/61064.p.p4-6.

فى ولاية بغداد كانت تساند الجيش العثمانى الذى يخوض حرب الشام الثانية ولا بد حينئذ للحكومة البريطانية من التصدى لتحركات قائد قوات محمد على فى شبه الجزيرة العربية ، بينما كان قناصلها فى مصر والخليج العربى يقومون بدور بارز للوقوف أمام تلك التحركات التى ينتهجها الباشا، عند ذلك ندرك أن التعليمات التى ستأتى من الدول الأوروبية لمندوبيها فى الأستانة ، ستكون الحكومة البريطانية هى المرتكز الرئيسى فيها ، لأنها تسعى دائما للوقوف ضد أهداف وتطلعات محمد على ، الذى كانت حرب الشام الثانية تأكيداً على قوة جيشه ، ونبوغ شخصيته ، ولكن تلك الحرب جعلته يقف وجها لوجه أمام السياسة البريطانية التى وجدت أن خير وسيلة للتصدى له ، دون الاخلال بالتوازن الأوروبى ، ودون التأثير على مصالحها الاقتصادية والاستراتيجية هو الحل الدولى ، وهو ما حصل بالفعل فى معاهدة لندن .

كانت الدول الأوروبية تنتهز الأزمات الكبرى التى تمر بها الدولة العثمانية وتضغط على السلطان للحصول على تعديلات جوهرية لصالح الرعية المسيحية فى الدولة ، ومن أهم هذه الازمات هى تلك الأزمة بين الدولة ومحمد على إبان حروب الشام ، ومن ثم صدور خط كلخانة ، الذى يعتبر من أهم نتائج هذه الفترة ، لذلك كان لا بد من الحديث عن الحالة فى الأستانة ومن منشور كلخانة - بدء تنظيمات - ، بعد أن ألقينا شيئا من الايضاح عن تكوين الدولة العثمانية ومنهجها الدينى منذ قيامها الى أن بدأت الدول

الأوروبية كروسيا وفرنسا تتدخل فى شئون مواطنى الدولة بحجة حماية المسيحيين الأرثوذكس والكاثوليك ، وأشرنا من خلال ذلك الى ما كان يتمتع به الانكشارية من روح دينية أكسبتهم الولاء للدولة ، رغم ما كانوا يقومون به من ثورات أضرت بالدولة على المدى البعيد ، لنتساءل منذ ذلك من قرار الغاء الانكشارية الذى أقدم عليه السلطان محمود الثانى ، لأن الأخطار المحدقة بالدولة والحروب التى تخوضها كانت أكبر من أن يتصدى لها الجيش الجديد الذى أقامه السلطان محمود الثانى ، وهو ما ظهر بالفعل فى حربى الشام الأولى والثانية التى خاضتها الدولة العثمانية ضد تابعها القوى محمد على .

وهكذا استطاعت الدول الأوروبية التى شاركت فى صياغة مواد التنظيمات اخراج الدولة العثمانية من خطها الاسلامى الصحيح ، ولأول مرة فى تاريخها ، مما يعنى وبشكل قاطع أن حرب الشام التى خاضها محمد على ضد الدولة العثمانية كانت ذات آثار عكسية على الدولة العثمانية ، ليس فى العاصمة فحسب بل وفى الجزيرة العربية التى كان تدخل محمد على فيها إبان حروب الشام سببا فى بروز السياسة البريطانية التى وقفت لتحركات الباشا فى الجزيرة العربية ، وذلك بتحويل مسألة الصراع بين الباشا والدولة العثمانية الى مسألة دولية ، وكانت سببا رئيسيا فى اعلان منشور كلخانة - بدء تنظيمات - ، التى تتوافق مع سياسة أوروبا بشكل عام ، لأنها تخرج

الدولة العثمانية من الخط الاسلامى بقوانين وضعية تسوى بين المسلم وغير المسلم فى الدولة وهو ما تنشده أوروبا ، وقد تطرقنا بالحديث الى ادراك رجال الدولة العثمانية للأسباب الكامنة وراء تدهور الأوضاع فى الدولة ، والتى من أهمها بعد الدولة من النهج الاسلامى الصحيح ، لنصل فى النهاية الى القول بأن بدء تنظيمات - منشور كلخانة - ، لم يؤد الى اندماج الأقليات كما كان يؤمل من نصوصه ، بل على العكس تماما ، اذ أنه قد خلق نوعا من الفوضى فى الدولة العثمانية ، لتنتشر الهيئات التنصيرية فى أنحاء متفرقة من ولايات الدولة ، مستغلة هذا المنشور لمصالحها الذاتية ، فى الوقت الذى أضعف ذلك المنشور من مكانة الدولة العثمانية فى الجزيرة العربية والعراق ، ليصبح باستطاعة محمد على تنفيذ أهدافه وطموحاته فى تلك الجهات لاكمال حلقة تطلعاته التوسعية التى يرمى الى تحقيقها ، منطلقا من مصر الى الحجاز ووسط الجزيرة العربية ، ثم الخليج العربى والعراق ، لتكتمل الحلقة بالشام ، ولم يمنع محمد على من ذلك الا نتاج هذه الأحداث التى أعقبت حرب الشام الثانية ، والتى تزعمت فيها بريطانيا الدول الأوروبية لتحويل المسألة الى مسألة دولية ، انتهت باقتلاع الباشا من الشام ومن الجزيرة العربية وفق معاهدة لندن التى ألبت فيها بريطانيا دول أوروبا ضد محمد على وتطلعاته ، وحافظت من خلالها على التوازن الأوروبى ، وعلى مصالحها الاقتصادية والاستراتيجية فى الجزيرة العربية والخليج العربى والهند ، دون أن تظهر بمظهر العداء السافر أمام المجتمع الدولى .

وتحدثنا عن الموقف الأوروبي بشكل عام وموقف بريطانيا بشكل خاص منذ حرب الشام الأولى ، وما تبعها من معاهدات مختلفة ، كمعاهدة كوتاهية الهدنة المسلحة ، ومعاهدة انكيارسكليسي ، تلك المعاهدة التي زادت من قلق الساسة الانجليز الذين ما فتئوا في البحث عن وسيلة لتحطيمها ، وقد أشرنا الى الاجراءات التي لجأت اليها الحكومة البريطانية في استمالة أعيان الشام[1] ، وارسال الجواسيس والعملاء الى هناك لبث بوادر الفتنة والشقاق ، بينما كانت السياسة البريطانية تعمل على قدم وساق في تأليب الدول الأوروبية ضد محمد على الذي أصبح في نظر الأوروبيين كنابليون في تهديد التوازن الأوروبي ، لأن الحل الدولي المتمثل في تأليب الدول الأوروبية ضده قد أعطى مفعوله الكامل في حروب اليونان ، حين هزم الباشا في نافارينو Navarino ، دون أن يخل ذلك بالتوازن الأوروبي ، ويحدث نوعاً من التصادم ، فيجب حينئذ تجربته في حروب الشام هذه ، لا سيما وأن هذا الحل الدولي يأتي عقب عصر المؤتمرات التي امتازت بها أوروبا في تلك الفترة ، مما يعني أن التوصل الى الحل سيكون أمراً سهلاً وميسوراً ، ورغم أن فرنسا قد وقعت على المذكرة الأوروبية المشتركة ، التي أعدها سفير فرنسا في الأستانة البارون روسان Roussin والتي يدعون من خلالها الباب العالي الى عدم ابرام أي صلح حول المسألة المصرية الا بعد أخذ مرئياتهم ، رغم ذلك فان فرنسا لم توقع على

1- Document : F.O.78/404.p.p.97-99.

معاهدة لندن التى أبرمت فى الخامس عشر من جمادى الأولى سنة ١٢٥٦هـ الموافق الخامس عشر من يوليو سنة ١٨٤٠م، وذلك نتيجة لتباين المصالح والغايات فى المسألة المصرية التى تعتبر جزءاً من المسألة الشرقية ، مما يؤكد أن السياسة البريطانية قد استطاعت أن تفوز بقصب السبق حين تمكنت من استقطاب الدول الأوروبية حولها ، وعزلت فرنسا من معترك الأحداث .

عبرت معاهدة لندن ومحتوياتها عن الوفاق بين الدول التى وقعت المعاهدة وهى بريطانيا وروسيا والنمسا وبروسيا والدولة العثمانية ، والمادة المفردة الملحقة بالاتفاق ، التزمت فيها جميع الدول تلك على ارغام محمد على على قبول شروط ذلك الوفاق ،لتصبح حينذاك معاهدة لندن أمراً واقعاً تلتزم به الدول الموقعة لحل المسألة المصرية التى أرهقت أوروبا بشكل عام وبريطانيا بشكل خاص ردحاً من الزمن ، وهذا ما يظهر من خلال بنود تلك المعاهدة التى لم تكتف بالحل الدبلوماسى ،بل شملت الحل العسكرى ، لإخضاع الباشا ،اذا هو لم يستجب لتلك الشروط فى مدة زمنية قياسية ، وهو ما يؤكد ما ذهبنا اليه من أن هذا الحل الدولى ، وهذه المعاهدة هى انتصار واضح لوجهة النظر البريطانية التى تسعى بكل وسيلة الى اقتلاع محمد على من الشام معترك الأحداث ، ليسهل بالتالى اقتلاعه من شبه الجزيرة العربية ،وهو ما تحقق للسياسة البريطانية فى معاهدة لندن سالفة الذكر ،وفى وقت واحد .

وأخيرًا وجد محمد على نفسه مرغما على الجلاء من الشام ،ووقع مع القائد البريطاني الأدميرال تشارلز نابيير Admiral, Charles Napier اتفاقا بذلك فى الثانى من شهر شوال سنة ١٢٥٦هـ المصادف للسابع والعشرين من نوفمبر سنة ١٨٤٠م ، وصدر الفرمان السلطانى بمنح محمد على حكم مصر حكما وراثيا بعد تردد واحجام تدخلت من خلاله الدول الأوروبية ليصدر ذلك الفرمان ،ثم اتبع بفرمانات أخرى تم بموجبها تسوية المسألة المصرية بشكل نهائى ، وانضمت فرنسا الى معاهدة لندن بعد ذلك ، ومن ثم التوقيع على اتفاقية المضائق التاريخية ، لنخلص فى النهاية الى ما حققته بريطانيا من انتصار ساحق تمكنت بموجبه من اقتلاع محمد على من شبه الجزيرة العربية ومن الشام ، لتضمن سلامة القشرة الواقية للهند ، وتحافظ على طرق مواصلاتها التجارية اليها ، رغم أن الباشا حاول أن يتعامل مع الساسة الانجليز بنفس النهج السياسى ،الا أن ذلك لم يجد نفعـاً أمام الاصرار البريطانى المنطلق من مصالحهم الذاتية ،والتى استطاعت السياسة البريطانية الحفاظ عليها بهذا الحل الدولى ،لكى تضمن سلامة موقعها مع دول أوروبا ، وتحافظ على التوازن الأوروبى فى تلك المرحلة ،لكى لا تتعرض مصالحها الاستراتيجية والاقتصادية للخطر.

أما بخصوص شبه الجزيرة العربية فقد امتلأت بالفوضى والفتن والصراعات المحلية ،إبان انسحاب محمد على من شبه الجزيرة العربية ،وفى أعقاب

معاهدة لندن سنة ١٢٥٦هـ/١٨٤٠م ، وتبع ذلك تغلغل النفوذ البريطاني الذى لم تستطع الدولة العثمانية أن تتصدى له ، لأنها قد بلغت مرحلة من الاضطراب أعجزتها عن أن تملأ ذلك الفراغ الذى تركه انسحاب الباشا الذى كان وجوده فى الجزيرة العربية يشكل حاجزا لتلك الأطماع الاستعمارية التى تخطط لها بريطانيا فى الجزيرة العربية ، رغم أن الأوضاع فى داخل الجزيرة العربية ابان وجود قوات الباشا كانت فى أسوأ وضع عرفته المنطقة طوال تاريخها الحديث ، لأن تلك القوات كانت تشارك فى أعمال السلب والنهب التى تموج بها الجزيرة العربية ، ولكن انسحابها من المنطقة أصبح ضغثاً على أبالة ، وزاد الأمر سوءاً وانحطاطاً ، وكان الأمل الوحيد فى اعادة الأوضاع الى طبيعتها هو ظهور الامام فيصل بن تركى بن عبد الله بن محمد بن سعود مرة ثانية ، حيث أعاد بناء الدولة السعودية الثانية رغم أنه لم يسلم من التدخل البريطاني الذى يحرص دائما على تحطيم المنطقة ، ونشر الفوضى فى أنحائها المختلفة ليحقق من خلال ذلك أهدافه الاستعمارية المبيتة .

وفى الختام فاننا نتساءل ماذا كان يحدث لو لم تتعرض الدولة العثمانية للدعوة السلفية والدولة السعودية الأولى والثانية ، وماذا كان يحدث لو لم توجد قوات محمد على ، تذرع شبه الجزيرة من غربها الى شرقها وجنوبها وشمالها ، ثم هى تنسحب بمقتضى الحل الدولى تاركة شبه الجزيرة

العربية ، ممتلئة بالفوضى والاضطراب ، لقد أتاح كل ذلك الفرصة للنفوذ والاستعمار البريطاني ، لكن التاريخ بعد ذلك يثبت أن الحل التاريخي الحتمي لانقاذ شبه الجزيرة العربية هو عودة السلفية والدولة السعودية في مرحلتها الثالثة ..

الملاحق

الملاحق

١ - صور للوثائق التاليـة :

أ - وثيقة عربى مرفق بالوثيقة التركى رقم ٦٦ حمراء ، محافظ الحجاز رقم ٥ .

ب - وثيقة رقم ١/٢-٩٤ ، رقمها الأصلى ١٩٥٧٨ .

ج - وثيقة رقم ٨٢٢ ، دفتر ٤٠ معية تركى ، ص ١٣٠ .

د - Document:F.O.78/228.No.72.

هـ - Document:F.O.78/306.No.257.

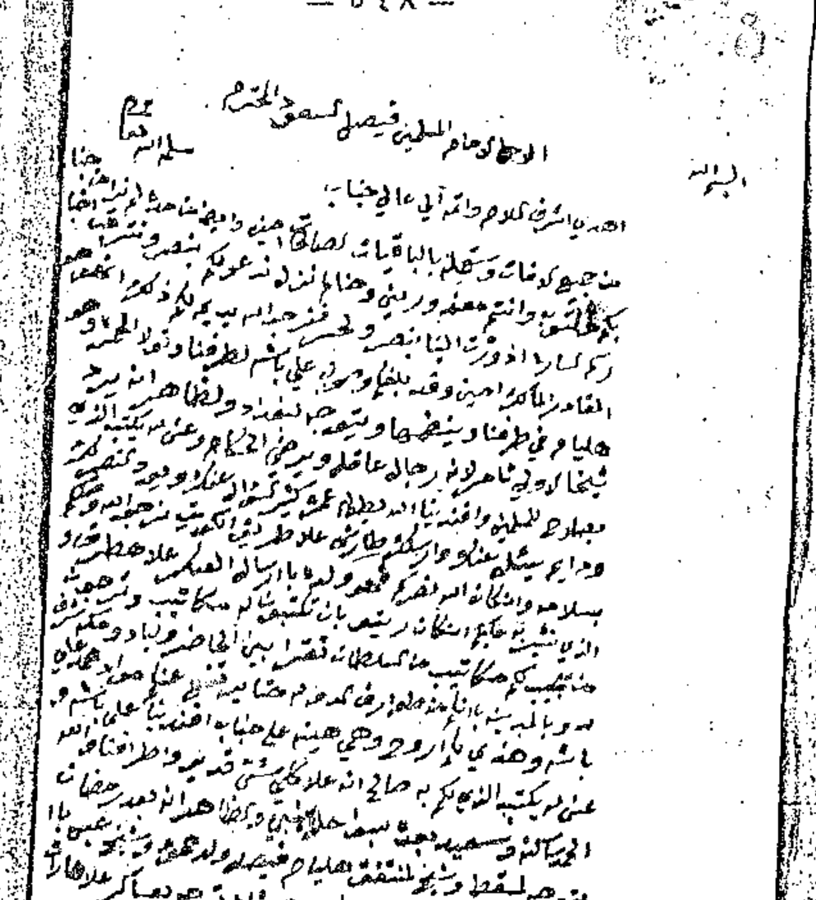
و - Document;(I.O.R.)L/P,S/9/97.No.67.

ز - Document:(I.O.R.)L/P,S/9/115.No,26.

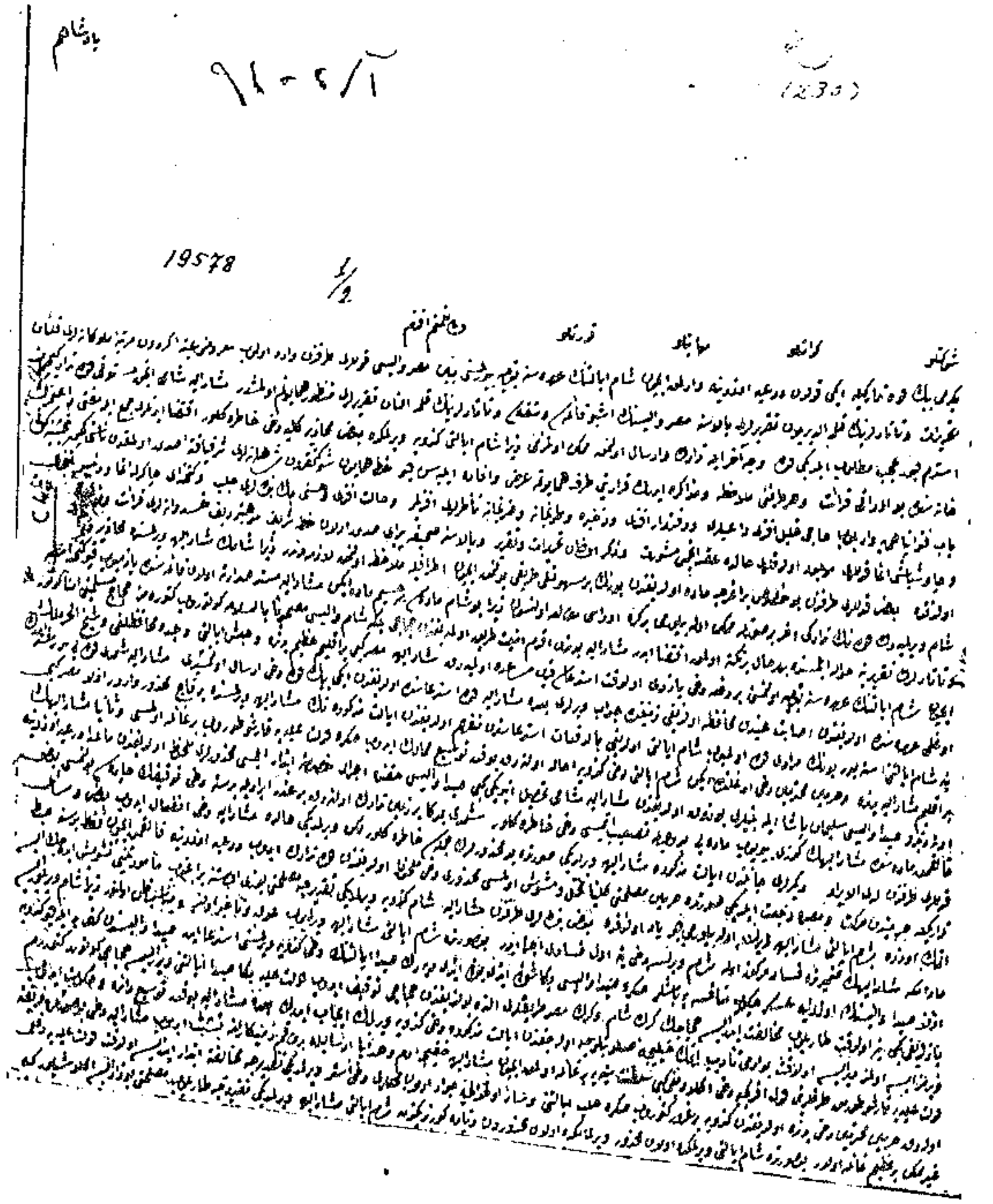
ح - نص معاهدة لندن باللغة الانجليزية .

٢ - الوثائق والمخطوطات والمصادر والمراجع .

٣ - الفهـرس .



وثيقة عربى ، مرفق بالوثيقة التركى رقم ٦٦ حمراء ، محفظة رقم ٢٦٤ عابدين ، محافظ الحجاز رقم ٥ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة ،
رسالة من عبد الله الفداغ الى الامام فيصل بن تركى ، يطلب اليه فيها الكتابة الى والى بغداد



ب

وثيقة رقم ١/٢-٩٤ ، رقمها الأصلي ١٩٥٧٨ دارة الملك عبد العزيز بالرياض .

تقرير من الصدر الاعظم الى السلطان العثماني ، عن اجتماع مجلس الشورى للنظر في أمر طلب محمد علي باشا ضم أيالة الشام اليه ، وقد ابدى أعضاء مجلس الشورى خوفهم من ضم الشام الى الباشا لتعاظم نفوذه .

ار

ينبوع بوزنده ارکان حربلری طرفنه کلان تحریراته نظراً مکه مکرمه ده بیهالب کر متابعه محاربه واقع اولدیغی و توقولی

خورشید بکک ایله کرکه ترمیات ارض واقع اولدیه بر و ترده منفعت ایدیکی معلوم اولدی بحول الله تعالی و قدرة عطرلی شوکته و فرقله

عکا قلعه‌سی فتح اولنوب و شام جنت مشام قبضه تسخیره کیروب و حلب دخی بو ایکی کون قدر حکومه مصریه داخل اولدیغی جناب

٨٢٢ حضرت محمد و بغداد دخی حکم عبودیه ایتمک ایکرده بتادیه والی نصب ایدوب [illegible] طرفنه وادیه والی یا رقم واز الامر

ایتمکده در هذه قوبه ایکیه بوقادی زیرکلو منهزم [illegible] وبرکچمکلی بودریچه شفقه [illegible] ایکلرلر [illegible] سز انشکرنده

ایجاب ایتدیکنزه بو خصوصلری باذنه خصوصی کوردیکی و فصل دعوالقمنی لازم کلدکنبتی خورشید بکلو بو طرفه مطلوب

اولنوب و کرکدخی کلکز [illegible] اولمدقه [illegible] معیتکه اولنه عساکرلی مقدما طرفه اولنوردیکی [illegible] اقعار

ایدیه بو طلب برقاع ار [illegible] فالقوب [illegible] والسلام دیو ترکیه

زکرباوزه بایلشدیی [illegible]

ک ن

منه [illegible] اولدیغی اوزره بو طرفه [illegible] ویرکرخ بروکل نصب ایدرکز واندن کان حرباغا بو دفعه اره بوتمع ایجیله بو طرفه کلمی

کندوسنه بار [illegible] معلومکز اولمق ایچون تحشیه قلنمشدر [illegible]

وثيقة رقم ٨٢٢ ، دفتر ٤٠ معية تركي ، ص ١٣٠ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .

رسالة من محمد على الى قادة الجند الثائرين في الحجاز ينبئهم من انتصار قواته في الشام ، وأن بغداد ستلحق بدولته قريبا كما يقول . . .

COPYRIGHT - NOT TO BE REPRODUCED PHOTOGRAPHICALLY WITHOUT PERMISSION

١

interfere. — The letter of [illegible] to the [illegible]
[illegible] the [illegible]
of the late [illegible].

[illegible]
[illegible]
[illegible]
course of the [illegible] which His Highness [illegible]
as to allow me the [illegible].

In regard to the request of Mr [illegible] to co-operate with the Pacha in favour of the establishment of posts between Damascus and Bagdad, I have written to that gentleman to inform him, that I thought that any application [illegible] by him would be a mark of respect both towards Mehemet Ali Pacha and the Governor General of Syria, Ibrahim Pacha, in dealing thus [illegible], and assuring him that I was convinced that Mehemet Ali would have both the will and the power to give all

protection

د

Document: F.O.78/228.No.72

رسالة من القنصل البريطانى فى مصر الكولونيل كامبلCampbell الى وزير خارجيته اللـــورد بالمرستون Palmerston يؤكد فيها أن محمد على ،أكد له حرصه على توطيد الدعائم بين سوريا وبغداد ،وهو بذلك يعبر عـــن طموحاته فى العراق من طريق الشام.

FO 78/228 60952
COPYRIGHT - NOT TO BE REPRODUCED PHOTOGRAPHICALLY WITHOUT PERMISSION

[illegible]

[illegible] the establishment [illegible] between [illegible]

[illegible]

With the highest consideration and respect,

I have the honour to be

My Lord,

Your Lordship's

Most Obedient

Very Humble Servant

[illegible signature]

COPYRIGHT - NOT TO BE REPRODUCED PHOTOGRAPHICALLY WITHOUT PERMISSION

Therapia, October 30. 1837

My Lord,

Mr Consul Lauder, who is always attentive to his duty, acquainted me with his last communication with the Pasha of the Dardanelles upon the subject of the act of Piracy committed against the British vessel "Hope", and states that the Pasha informed him that a man of war Cutter had been sent to Tenedos to await the arrival

Viscount Palmerston G.C.B.

Document:F.O.78/306.No.257

رسالة من السفير البريطاني في الأستانة اللورد بونسنبي Ponsonby الى وزير خارجية حكومته اللورد بالمرستون Palmerston يؤكد فيها أنه لا توجد قوة يمكنها الوقوف أمام محمد علي ، ولا بد من اتخاذ قرار بريطاني حاسم حيال تلك التحركات التي أصبحت تهدد المصالح البريطانية في الهند .

arrival of the Capitan Pasha, in order to inform that Admiral of the several piratical crimes committed lately on the Coast, and to request that more effectual measures may be taken for the protection of trading vessels.

The Consul also called the Pasha's attention to the fact that two Ottoman man of war Schooner quartered the Straits on the very day the "Hope" was attacked, and that the weather was quite fine at the time. The Pasha replied, that

COPYRIGHT - NOT TO BE REPRODUCED PHOTOGRAPHICALLY WITHOUT PERMISSION

٣

— ooo —

that these two vessels were not 8
under his command and he
could not interfere.

I have the Honour to be with the
greatest respect,

My Lord,
Your Lordship's
most obedient
humble Servant,
[illegible]

send a force against them under the Kiahyah, who is likely to commence his march.

I am anxiously awaiting advices of ulterior events from Constantinople, Syria, & Egypt; but, in the mean time, may I suggest the expediency of instructing the Resident in the Persian Gulph to comply with a requisition for the services of a Vessel of War should such at any time in the course of events become necessary. I have the honor to be,

Sir,

Your obedient Servant,

(Signed) R. Taylor, Resident

P.R. Turkish Arabia

Document :(I.O.R.)L/P,S/9/97.No.67.

رسالة من المقيم البريطاني في بغداد الكولونيل تايلور Taylor الى السكرتير العام لحكومة بومباى ، يرى فيها أنه لا بد من التصدى لاطماع محمد على في العراق و شبه الجزيرة العربية ولو بالقوة المسلحة .

(This reckless advance of Persia on Curdistan, in a time of profound peace, appears not to be the result of the single determination of the Shah. An Agent of Mohammed Ali, who has just left the Court of Persia, is not, I believe, innocent of an adverse impulse in this affair.) France, too, who has lately poured into this Pashalic numbers of her military travellers, as well as many of her officers, & Mechanics into Persia, and is influenced by a strongly awakened interest of very recent date in these countries, is, I fear not less interested in

Document:(I.O.R.)L/P,S/9/115,No.26

رسالة من المقيم البريطاني في بغداد الكولونيل تايلور Taylor الى الشعبة السرية، يؤكد فيها أن هناك تحركات ايرانية تجاه البصرة وبغداد بعيد مغادرة أحد المبعوثين التابعين لمحمد علي باشا والي مصر.

who shall commit an act contrary to the present regulations be the object of Divine malediction, and be deprived forever of every kind of [protection] happiness.

49. CONVENTION (LONDON) FOR THE PACIFICATION OF THE LEVANT: AUSTRIA, GREAT BRITAIN, PRUSSIA AND RUSSIA WITH THE OTTOMAN EMPIRE

15 July–17 September 1840

(Ratifications exchanged, London, 17 September 1840)

[Convention and attached instruments signed on 15 July 1840 from Great Britain, *Parliamentary Papers, 1841*, vol. 29, pp. 691–93, 696–98, 700; self-denying protocol signed in London on 17 September 1840 from Thomas Erskine Holland, comp., *The European Concert in the Eastern Question* (Oxford, 1885), p. 97]

An Anglo-Russian rapprochement over the Eastern Question was reached in the last week of December 1839. Tsar Nicholas I agreed to abandon Russia's preferential position, as defined at Hünkâr Iskelesi (Doc. 40), by assenting to Palmerston's condition that the fleets of Russia and the maritime powers should be allowed simultaneous entry into the Sea of Marmara, as an exceptional measure in case of need to defend the integrity of the Ottoman Empire. In return, Palmerston accepted the Russian condition that the powers should act in concert in the Ottoman-Egyptian dispute. The British government did not endorse these arrangements for more than six months and then only after Palmerston had threatened to resign, for with France still giving its blessing to Mehmed 'Ali the action implied the dissolution of the existing Anglo-French alliance. At the meeting of 8 July 1840 when the British Cabinet took the decision in support of Palmerston, Lords Clarendon and Holland formally appended their dissent to the minute communicated to Queen Victoria (text in Sir H. Maxwell, *The Life and Letters of . . . [the] Fourth Earl of Clarendon* (London, 1913), vol. 1, pp. 196–97; and H. Temperley, *England and the Near East*, pp. 486–88). The principal instruments were signed a week later; to these were added a self-denying protocol on 17 September 1840. Sir C. Webster, *The Foreign Policy of Palmerston 1830–1841*, vol. 2, pp. 644–94; Temperley, *op. cit.*, pp. 111–16; F. Charles-Roux, *Thiers et Méhémet-Ali*, chaps. 1–3; Maxwell, *op. cit.*, vol. 1, chaps. 7–8; also references to Doc. 52.

1. CONVENTION

ART. 1. His Highness the Sultan having come to an agreement with their Majesties the Queen of the United Kingdom of Great Britain and Ireland, the Emperor of Austria, King of Hungary and Bohemia, the King of Prussia, and the Emperor of all the Russias, as to the conditions of the arrangement which it is the intention of His Highness to grant to Mehemet Ali, conditions which are specified in the Separate Act hereunto annexed; Their Majesties engage to act in perfect accord, and to unite their efforts in order to determine Mehemet Ali to conform to that arrangement; each of the High Contracting Parties reserving to itself to co-operate for that purpose, according to the means of action which each may have at its disposal.

ART. 2. If the Pasha of Egypt should refuse to accept the above-mentioned arrangement, which will be communicated to him by the Sultan, with the concurrence of Their aforesaid Majesties; Their Majesties engage to take, at the request of the Sultan, measures concerted and settled between Them, in order to carry that arrangement into effect. In the meanwhile, the Sultan having requested his said Allies to unite with him in order to assist him to cut off the communication by sea between Egypt and Syria, and to prevent the transport of troops, horses, arms, and warlike stores of all kinds, from the one province to the other; Their Majesties the Queen of the United Kingdom of Great Britain and Ireland, and the Emperor of Austria, King of Hungary and Bohemia, engage to give immediately to that effect, the necessary orders to their naval Commanders in the

نص معاهدة لندن المعقودة بين كل من بريطانيا وروسيا والنمسا والدولة العثمانية فى الخامس عشر من جمادى الأولى سنة ١٢٥٦هـ الموافق الخامس عشر من يوليو سنة ١٨٤٠م،
نقلا من كتاب :
J.C.Hurewitz, Diplomacy, in The Near and Middle East, Vol.1.p.p.116-119.

ج

Mediterranean. Their said Majesties further engage, that the naval Commanders of their squadrons shall, according to the means at their command, afford, in the name of the Alliance, all the support and assistance in their power to those subjects of the Sultan who may manifest their fidelity and allegiance to their Sovereign.

ART. 3. If Mehemet Ali, after having refused to submit to the conditions of the arrangement above-mentioned, should direct his land or sea forces against Constantinople, the High Contracting Parties, upon the express demand of the Sultan, addressed to their Representatives at Constantinople, agree, in such case, to comply with the request of that Sovereign, and to provide for the defence of his throne by means of a cooperation agreed upon by mutual consent, for the purpose of placing the two Straits of the Bosphorus and Dardanelles, as well as the Capital of the Ottoman Empire, in security against all aggression.

It is further agreed, that the forces which, in virtue of such concert, may be sent as aforesaid, shall there remain so employed as long as their presence shall be required by the Sultan; and when His Highness shall deem their presence no longer necessary, the said forces shall simultaneously withdraw, and shall return to the Black Sea and to the Mediterranean, respectively.

ART. 4. It is, however, expressly understood, that the co-operation mentioned in the preceding Article, and destined to place the Straits of the Dardanelles and of the Bosphorus, and the Ottoman Capital, under the temporary safeguard of the High Contracting Parties against all aggression of Mehemet Ali, shall be considered only as a measure of exception adopted at the express demand of the Sultan, and solely for his defence in the single case above-mentioned; but it is agreed, that such measure shall not derogate in any degree from the ancient rule of the Ottoman Empire, in virtue of which it has at all times been prohibited for ships of war of Foreign Powers to enter the Straits of the Dardanelles and of the Bosphorus. And the Sultan, on the one hand, hereby declares that, excepting the contingency above-mentioned, it is his firm resolution to maintain in future this principle invariably established as the ancient rule of his empire; and as long as the Porte is at peace, to admit no foreign ship of war into the Straits of the Bosphorus and of the Dardanelles; on the other hand, their Majesties the Queen of the United Kingdom of Great Britain and Ireland, the Emperor of Austria, King of Hungary and Bohemia, the King of Prussia, and the Emperor of all the Russias, engage to respect this determination of the Sultan, and to conform to the above-mentioned principle. . . .

2. SEPARATE ACT

§ 1. His Highness promises to grant to Mehemet Ali, for himself and for his descendants in the direct line, the administration of the Pashalic of Egypt; and His Highness promises, moreover, to grant to Mehemet Ali, for his life, with the title of Pasha of Acre, and with the command of the fortress of St. John of Acre, the administration of the southern part of Syria, the limits of which shall be determined by the following line of demarkation:—

This line, beginning at Cape Ras-el-Nakhora, on the coast of the Mediterranean, shall extend direct from thence as far as the mouth of the river Seisaban, at the northern extremity of the Lake of Tiberias; it shall pass along the Western shore of that Lake, it shall follow the right bank of the river Jordan, and the western shore of the Dead Sea; from thence it shall extend straight to the Red Sea, which it shall strike at the northern point of the Gulf of Akaba, and from thence it shall follow the western shore of the Gulf of Akaba, and the eastern shore of the Gulf of Suez, as far as Suez.

The Sultan, however, in making these offers, attaches thereto the condition, that Mehemet Ali shall accept them within the space of ten days after communication thereof shall have been made to him at Alexandria, by an agent of His Highness; and that Mehemet Ali shall, at the same time, place in the hands of that agent the necessary instructions to the Commanders

of his sea and land forces, to withdraw immediately from Arabia, and from all the Holy Cities which are therein situated; from the Island of Candia; from the district of Adana; and from all other parts of the Ottoman Empire which are not comprised within the limits of Egypt, and within those of the Pashalic of Acre, as above defined.

§ 2. If within the space of ten days, fixed as above, Mehemet Ali should not accept the above-mentioned arrangement, the Sultan will then withdraw the offer of the life administratinn of the Pashalic of Acre; bnt His Highness will still consent to grant to Mehemet Ali, for himself and for his descendants in the direct line, the administration of the Pashalic of Egypt, provided such offer be accepted within the space of the ten days next following; that is to say, within a period of twenty days, to be reckoned from the day on which the communication shall have been made to him; and provided that in this case also, he places in the hands nf the agent of the Sultan, the necessary instruction to his military and naval Commanders, to withdraw immediately within the limits, and into the ports of the Pashalic of Egypt.

§ 3. The annual tribute to be paid to the Sultan by Mehemet Ali, shall be proportioned to the greater or less amount of territory of which the latter may obtain the administration, according as he accepts the first or the second alternative.

§ 4. It is, moreover, expressly understood, that, in the first as in the second alternative, Mehemet Ali (before the expiration of the specified period of ten or of twenty days), shall be bound to deliver up the Turkish Fleet, with the whole of its crews and equipments, into the hands of the Turkish Agent who shall be charged to receive the same. The Commanders of the Allied Squadrons shall be present at such delivery.

It is understood, that in no case can Mehemet Ali carry to account, or deduct from the tribute to be paid to the Sultan, the expences which he has incurred in the maintenance of the Ottoman Fleet, during any part of the time it shall have remained in the ports of Egypt.

§ 5. All the Treaties, and all the laws of the Ottoman Empire, shall be applicable to Egypt, and to the Pashalic of Acre, such as it has been above defined, in the same manner as to every other part of the Ottoman Empire. But the Sultan consents, that on condition of the regular payment of the tribute above-mentioned, Mehemet Ali and his descendants shall collect, in the name of the Sultan, and as the delegate of His Highness, within the provinces of the administration of which shall be confided to them, the taxes and imposts legally established. It is moreover understood, that in consideration of the receipt of the aforesaid taxes and imposts, Mehemet Ali and his descendants shall defray all the expences of the civil and military administration of the said provinces.

§ 6. The military and naval forces which may be maintained by the Pasha of Egypt and Acre, forming part of the forces of the Ottoman Empire, shall always be considered as maintained for the service of the State.

§ 7. If, at the expiration of the period of twenty days after the communication shall have been made to him (according to the stipulation of § 2), Mehemet Ali shall not accede to the proposed arrangements; and shall not accept the hereditary Pashalic of Egypt, the Sultan will consider himself at liberty to withdraw that offer, and to follow, in consequence, such ulterior course as his own interests, and the counsels of his Allies may suggest to him.

§ 8. The present Separate Act shall have the same force and validity, as if it were inserted, word for word, in the Convention of this date. It shall be ratified, and the ratifications thereof shall be exchanged at London at the same time as those of the said Convention. . . .

3. PROTOCOL

In affixing his signature to the Convention of this date, the Plenipotentiary of the Sublime Ottoman Porte declared:

That in recording by Article IV. of the

said Convention the ancient rule of the Ottoman Empire, by virtue of which, it has been at all times forbidden to Foreign Vessels of War to enter within the Straits of the Dardanelles and of the Bosphorus, the Sublime Porte reserves to itself, as heretofore, to deliver passes to light Vessels under Flag of War, which may be employed according to custom, for the service of the correspondence of the Legations of Friendly Powers.

The Plenipotentiaries of the Courts of Great Britain, Austria, Prussia, and Russia, took note of the above Declaration, for the purpose of communicating it to their respective Courts.

4. RESERVED PROTOCOL

The Plenipotentiaries of the Courts of Great Britain, Aostria, Prussia, Russia, and Turkey, having, in virtue, of their full powers, concluded and signed this day a Convention between their respective Sovereigns, for the pacification of the Levant;

Considering that, in consequence of the distances which separate the Capitals of their respective Courts, a certain space of time must necessarily elapse before the ratifications of the said Convention can be exchanged, and before orders founded thereupon can be carried into execution;

And the said Plenipotentiaries being deeply impressed with the conviction, that by reasoo of the present state of things in Syria, the interests nf humanity, as well as the grave considerations of European policy which constitute the object of the common solicitude of the Contracting Parties to the Convention of this day, imperiously require that, as far as possible, all delay should be avoided in the accomplishment of the pacification which the said Convention is intended to effect;

The said Plenipotentiaries, in virtue of their full powers, have agreed, that the preliminary measures mentioned in Article II. of the said Convention, shall be carried into execution at once, without waiting for the exchange of the ratifications; the respective Plenipotentiaries recording formally, by the present Instrument, the consent of their Courts to the immediate execution of these measures.

It is moreover agreed between the said Plenipotentiaries, that His Highness the Sultan will proceed immediately to address to Mehemet Ali, the communication and offers specified in the Separate Act annexed to the Convention of this day.

It is further agreed, that the Consular Agents of Great Britain, Austria, Prussia, and Russia, at Alexandria, shall place themselves in communication with the Agent whom His Highness may send thither to communicate to Mehemet Ali the above-mentioned offers; that the said Consuls shall afford to that Agent all the assistance and support in their power; and shall use all their means of influence with Mehemet Ali, in order to persuade him to accept the arrangement which will be proposed to him by order of His Highness the Sultan.

The Admirals of the respective squadrons in the Mediterranean shall be instructed to place themselves in communication with the said Consuls on this subject.

5. SELF-DENYING PROTOCOL

The Plenipotentiaries of the Courts of Great Britain, Austria, Prussia, and Russia, after having exchanged the ratifications of the Convention concluded on the 15th of July last, have resolved, in order to place in its true light the disinterestedness which has guided their Courts in the conclusion of that Act, to declare fnrmally:

That in the execution of the engagements resulting to the Contracting Powers from the above-mentioned Convention, those Powers will seek no augmentation of territory, no exclusive influence, no commercial advantage for their subjects, which those of every other nation may not equally obtain.

The Plenipotentiaries nf the Courts above-mentioned have resolved to record this Declaration in the present Protocol.

The Plenipotentiary of the Ottoman Porte, in paying a just tribute to the good faith and disinterested policy of the allied Courts, has taken cognizance of the Declaration contained in the present Protocol, and has undertaken to transmit it to his Court.

الوثائق والمخطوطات والمصادر والمراجع

مخطـــوطـــة عـــربيـــــة :

١ ـ اسكندر ابكاريوس اسكندر : نوادر الزمان فى وقائع جبل لبنان .
دار الكتب القومية ، بالقاهرة ، شعبة المخطوطات ، تاريخ تيمـور ،
وهى نسخة خزائنية مهداة من المؤلف نفسه ، لأحمد تيمور باشا .
رقمها ٥٧٧ ،
عدد أوراقها : ٩٢ ورقـة .
متوسط عدد الأسطر بالورقة الواحدة ١٢ سطـرا
طـول الورقـة : ٢٠ سم ، وعرضها ١٧ سم .
نوع الخط فى المخطوطة ، خط حديث نسخى ، مشوب بخط رقعى
و ثلثى .
نسخها المؤلف بيده ، وبدون مساعدة أحد ، فى مدينة بيروت سنة
١٢٨٦هـ ، الموافق سنة ١٨٦٩م .

وتقـع المخطوطة فى تسعة فصول ، يتحدث الفصل الأول منها عـــن
جبـل لبنان ، وما وقع فيه من البغى والطغيان .

المصادر العربيـــة :

٢ - ابراهيم بن صالح بن عيسى : تاريخ بعض الحوادث الواقعة فى نجد ،
وفيات بعض الأعيان وأنسابهم ، وبناء بعض البلدان ،
من سنة ٧٠٠هـ الى سنة ١٣٤٠هـ.
منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، بالرياض ، الطبعـــة
الأولى ، سنة ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.

- ابراهيم فصيح بن السيد صبغة الله بن الحيدرى البغدادى ، عنوان
المجد فى بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد .
الناشر : دار منشورات البصرى ، مطبعة دار البصرى ، بغداد ،
ت ٨٩٢٧٩.
ويوجد نسخة من الكتاب فى مكتبة جامعة الملك سعود بالرياض، قاعة
الجزيرة العربية ، وقد كتب المؤلف كتابه هذا فى سنة ١٢٨٦هـ.

- السيد أحمد بن السيد زينى دحلان : الفتوحات الاسلامية ، بعد
مضى الفتوحات النبوية ،
طبع بالمطبعة العامرة الشرفية ، بشارع الخرنفش بمصر ، الطبعـــة
الأولى سنة ١٣٢٣هـ.
يقع الكتاب فى جزأين ، والجزء الثانى منه يحتوى على ٣٥٦ صفحة ،
ويبدأ بالحديث من جنكيز خان وتملكه بخارى وينتهى بالحديـــث

عن السلطان عبد الحميد الثاني ، وللكتاب خاتمة تحدث فيهـــا المؤلف عن الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه وحسن سيرتهم ومؤلف الكتاب كان مفتى السادة الشافعية في مكة ، والكتاب يوجد بمركز البحث العلمي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة .

- اسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، طبع بالمطبعة الأميرية ، ببولاق مصر ، سنة ١٣١٢هـ ، الطبعة الأولى .

مؤلف الكتاب الميرالاى اسماعيل سرهنك ، كان ناظر المـــدارس الحربية ، والجزء الأول من الكتاب يقع في ٧٧٢ صفحة ، ويشتمـل على أربعة عشر بابا ، وكل باب يحتوى على مجموعة فصـــول ، وهو موجود بمكتبة مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة .

- الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني : صفة جزيرة العـــرب . منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة بالرياض ، سنة ١٣٩٤هـ /١٩٧٤م ،

وقد قام بتحقيق الكتاب محمد بن علي الأكوع الحوالي ، وأشرف على طبعه حمد الجاسر ، ويقع الكتاب في ٥٨٣ صفحة اضافة الى تمهيد وترجمة للمؤلف وثلاث صفحات مصورة من المخطوط .

- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور : الافريقي المصري ت ٧١١هـ لسان العرب ،
منشورات دار صادر ، بيروت ، بدون تاريخ ،
ويقع الكتاب في خمسة عشر جزءا ، وقد كتب أحمد فارس ، صاحب الجوائب مقدمة الطبعة الأولى من الكتاب في ١٧ رجب سنة ١٣٠٠هـ

- خليل مردم بك : أعيان القرن الثالث عشر ، في الفكر والسياسة والاجتماع •
طبع ونشر لجنة التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٧١م•
انتهى المؤلف من تأليف هذا الكتاب في ٢٦ رمضان سنة ١٣٣٤هـ ، ويوجد منه نسخة بمركز البحث العلمي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة.

- رزق الله منقريوش الصدفي : تاريخ دول الاسلام ،
طبع بمطابع الهلال ، بالفجالة بمصر ، سنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م•
ويقع الكتاب في ثلاثة أجزاء يحتوي الجزء الثالث منها على ٣٨٧صفحة ويوجد بمكتبة مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة.

١ - سهيل زكار : بلاد الشام في القرن التاسع عشر ، روايات تاريخية معاصرة لحوادث عام ١٨٦٠م ومقدماتها في سورية ولبنان •
نشر وتوزيع دار حسان للطباعة والنشر ، دمشق ، الطبعة الأول ١٩٨٢م-

١٤٠٢هـ . يقع الكتاب في ٤٤٠ صفحة ، وهو دراسة وتحقيق لكتاب " مشهد العيان بحوادث سوريا ولبنان " تأليف الدكتور ميخائيل مشاقة ، الذى طبع للمرة الأولى سنة ١٩٠٨م بالقاهرة ، حيث أشرف على طبعة حينذاك ملحم خليل عبدو ، وأندرواس حنا شخاشيرى ، وكلاهما لبنانى الأصل ، وقد ألحق المحقق بالكتاب أربعة ملاحق ، أولهما من مذكرات محمد أبو السعود الحسيبى ، والثانى شهادة لحسين أبو شقراء من حوادث سنة ١٨٦٠م ، أما الثالث فهو فصل من كتاب أنطوان ظاهر العقيقى عن نفس الحوادث أما الملحق الرابع فهو نص من كتاب الترجمانة الكبرى فى أخبار المعمور برا وبحرا ، لأبى القاسم الزيانى ، ١١٤٧-١٢٤٩هـ / ١٧٣٤-١٨٣٣م .

١ - طنوس بن يوسف الشدياق الحدثى المارونى : أخبار الأعيان فى جبل لبنان ،

طبع فى بيروت سنة ١٨٥٩م ، بالمكتبة العمومية لابراهيم صادر ، بيروت ، وطبعه بطرس البستانى .

والكتاب يشتمل على ثلاثة أقسام فى مجلد واحد ، ويقع فى ٧٣٠صفحة ويوجد بمكتبة مركز البحث العلمى بجامعة أم القرى بمكة المكرمة .

١ - ضارى بن فهيد الرشيد : نبذة تاريخية عن نجد ،

منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، الرياض ، رمضان سنة ١٣٨٦هـ/ديسمبر سنة ١٩٦٦م .

والكتاب عبارة من رواية شفهية أملاها ضارى بن فهيد على الأستاذ وديع البستانى سنة ١٣٣١هـ/١٩١٣م ، وقد أضيف الى الكتاب فصل من كتاب القول السديد فى أخبار امارة الرشيد للأستاذ سليمان الدخيل ،وكذلك ملحق من كتاب قلب جزيرة العرب للأستاذ فؤاد حمزة .

- عبد الرحمن الجبرتى الحنفى : عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ،

طبع فى المطبعة العامرة الشرقية ،شارع الخرنفش ، مصر سنة ١٣٢٢هـ على نفقة حسين أفندى شرف الكتبى ،

ويقع الكتاب فى أربعة أجزاء ، وقد قام بتصحيحه ابراهيم بن الشيخ حسين الفيومى الزرباوى ، ويتكلم المؤلف فى كتابه عن الأحداث التاريخية على نظام التتابع الزمنى بالسنوات الهجرية ، الى أن ينتهى بالحديث فى آخر الجزء الرابع بحوادث شهر ذو القعدة سنة ١٢٣٦هـ ، أغسطس سنة ١٨٢١م ، وللكتاب من هذه الطبعة نسخة بمكتبة مركز البحث العلمى بجامعة أم القرى بمكة المكرمة .

- عبد الرحمن بن خلدون المغربى : المقدمة ،

منشورات دار احياء التراث العربى ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الرابعة ، بدون تاريخ ، ويشتمل الكتاب على المقدمة فى فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه ، وثلاثة كتب الأول منها فى العمران ،

والثانى فى أخبار العرب وأجيالهم ، والثالث فى أخبار البربر، ويقع الكتاب فى ٥٨٨ صفحة .

- عثمان بن عبد الله بن بشر الحنبلى الناصرى التميمى النجدى :
عنوان المجد فى تاريخ نجد ،
منشورات مكتبة الرياض الحديثة بالرياض ،وطبع فى المطبعة اليوسفية ٢ شارع دار الكتب بمصر ،
يقع الكتاب فى جزئيين ومجلد واحد ، ومؤلف الكتاب من قبيلة بنى زيد المعروفة فى بلدة شقراء من بلدان الوشم ، وله عدة مؤلفات، من بينها هذا الكتاب الذى يقع فى ٣٩٧ صفحة ، ويتحدث فيه المؤلف بعد المقدمة من أحوال نجد بعد دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وعن تاريخ الدولة السعودية الأولى والثانية ، الى أن وصل سنة ١٢٦٧هـ، وقد اتبع المؤلف فى كتابه نظام الحوليات ،ويعود بين الفينمة والأخرى الى سنوات سابقة يذكر المؤلف فيها بعض الأحداث التاريخية الهامة ، وحصر السوابق تلك من سنة ٨٥٠ الى سنة ١١٥٦هـ.

- عثمان بن عبد الله بن بشر النجدى الحنبلى : عنوان المجد فى تاريخ نجد ،
منشورات دارة الملك عبد العزيز بالرياض ، رقم ٢٧ ، الطبعة الرابعة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، مطابع دار الهلال بالرياض ، حقق الكتاب وعلق عليه عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ ، ويقع

الكتاب في جزئين كل جزء في مجلد مستقل ويشتمل الجزء الأول على ٤٨٥ صفحة ، وينتهي بالحديث عن حوادث سنة ١٢٣٧هـ ، بينما يشتمل الجزء الثاني على ٥٩٨ صفحة ، وينتهي بالحديث عن حوادث سنة ١٢٦٧هـ ، ويشتمل الكتاب أيضا على السوابق التي دونها ابن بشر في تاريخه .

- محمد بن عمر الفاخري : الأخبار النجدية ،

نشر وطبع لجنة البحوث والتأليف والترجمة بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض ، الكتاب العاشر ، وطبع بمطابع الجامعة ، الكتاب كان مخطوطة كتبها الفاخري ، وابتدأها بذكر أحداث سنة ٨٥٠هـ الى نهاية أحداث شهر ربيع الأول سنة ١٢٨٨هـ ، وقد توقف المؤلف عند احداث جمادى الأولى سنة ١٢٧٧هـ وأكمل ابنه عبد الله الجزء المتبقي الى التاريخ المذكور سلفا ، وقد قام الدكتور عبد الله بن يوسف الشبل بدراسة وتحقيق هذه المخطوطة والتعليق عليها .

- محمد بن عبد الله بن عبد المحسن آل عبد القادر الأنصاري الأحسائي ،

تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد ،
طبع بمطابع الرياض ، وأشرف على طبعه وعلق عليه بعض الحواشي الأستاذ حمد الجاسر ، الطبعة الأولى سنة ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م .

م

- محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ،
منشورات دار النفائس ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م . قام بتحقيق الكتاب الدكتور احسان حقى ، ويقع الكتاب في ٨٣٢ صفحة ، وفيه يتطرق الى تاريخ الدولة العثمانية بالتسلسل الزمني لكل سلطان ، وينهي المؤلف كتابه عند آخر سلاطين الدولة العثمانية عبدالمجيد بن عبدالعزيز ، وقد أضاف المحقق ثلاثة عشر ملحقا .

- ميخائيل شاروبيم بك : الكافي في تاريخ مصر القديم والحديث ،
طبع في المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق ، بمصر ، الطبعة الأولى سنة ١٣١٨هـ/١٩٠٠م.
ومؤلف الكتاب كان رئيس النيابة العمومية بمحكمة المنصورة الأهلية ، ومفتشا بنظارة المالية حينذاك ، ويقع الكتاب في أربعة أجزاء ، يشتمل الجزء الرابع منها على خمسة وعشرين فصلا في ٥٢٠ صفحة .

- شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي ،
معجم البلدان ،
منشورات دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
يقع الكتاب في خمسة مجلدات ، ويتحدث عن مواقع البلدان وفق ترتيب حروف الهجاء في اللغة العربية .

المراجع العربية :

- أحمد السعيد سليمان : تاريخ الدول الاسلامية ، ومعجم الأسر الحاكمة ،

طبع فى دار المعارف بمصر ، ٧ شعبان سنة ١٣٨٩هـ ، ١٩ أكتوبر سنة ١٩٦٩م ، مؤلف الكتاب أستاذ اللغات الشرقية بكلية الآداب ، بجامعة القاهرة ، والكتاب يقع فى جزئين ، يشمل الجزء الأول منه على ثمانية فصول فى ٣٤٠ صفحة .

- أحمد عبد الغفور عطار : صقر الجزيرة ،

طبع ونشر شركة استاندارد للطباعة العربية ، مصر ، بدون تاريخ ، الجزء الأول من الكتاب يقع فى ٣٠٨ صفحة ، وقد قدم له محمد حسين هيكل باشا ، وقد تحدث المؤلف فى هذا الجزء عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب وعن آل سعود فى الدولة الأولى وكذلك عن الدولة السعودية الثانية وفترة الفوضى التى أعقبت عهد الامام فيصل بن تركى فى فترة حكمه الثانية ، كما تحدث المؤلف فى هذا الجزء عن الملك عبد العزيز وجهاده لتأسيس المملكة العربية السعودية ، وقد ختم المؤلف هذا الجزء بالحديث عن معارك تربه سنة ١٣٣٧هـ .

- أحمد عزت عبد الكريم : دراسات في تاريخ العرب الحديث ،

طباعة ونشر دار النهضة العربية ،بيروت ، ١٩٧٠م٠

يقع الكتاب في ٤٨٨ صفحة ، ويشتمل على ستة فصول ومقدمه ، تحدث فيها المؤلف من العلاقات بين الشرق العربي وأوروبا بين القرنين ١٦-١٩ ، ومن التقسيم الاداري لسوريا في العهد العثماني ، وكذلك تحدث من دمشق في القرن ١٨ ، ومن مصر في القرن ١٩ ، وعن المسألة الجزائرية من تأسيس النيابة الى الاحتلال ، وأخيرا تحدث المؤلف عن القضية الفلسطينية ومعالمها الرئيسية ٠

- أحمد عسه : معجزة فوق الرمال ،

بدون مكان للنشر ، الطبعة الثالثة ١٣٩١-١٣٩٢هـ/ ١٩٧١ - ١٩٧٢م٠ ويقع الكتاب في ٨٥٣ صفحة ،وبه عدد جيد من المصورات الملونة والخرائط والجداول والرسوم البيانية ، والكتاب محاولة علمية ، جيدة للتعريف بالمملكة العربية السعودية من قيام الدولة السعودية الأولى ، وحتى الوصول الى جهود الملك عبد العزيز ، كما يتطرق الكتاب الى الحديث من عهد الملك فيصل بن عبد العزيز ودراسة الأنظمة في المملكة العربية السعودية من اقتصادية وادارية وسياسية وتعليمية٠

- أحمد فضل بن على محسن العبدلى : هدية الزمن فى أخبار ملوك لحج وعدن ،

طبع ونشر دار العودة ،بيروت ،الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م ، والطبعة الأولى من الكتاب كانت سنة ١٣٥١هـ.

ويشتمل الكتاب على تسعة عشر فصلا اضافة الى مقدمة المؤلف وبعض الجداول والوثائق العثمانية ، وهو يتحدث عن تاريخ عدن وعدنه منذ القدم حتى سنة ١٣٤٩هـ ،أيام السلطان عبدالكريم فضل .

- أحمد مصطفى أبو حاكمه : تاريخ الكويت ، القسم الأول ، الجزء الثانى ،

طبع ونشر لجنة تاريخ الكويت ،بمطبعة الحكومة الكويتية سنة ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م. ويقع هذا الجزء فى ٢٧٦ صفحة وهو يتحدث من تاريخ الكويت منذ سنة ١٨١٥م وحتى سنة ١٨٦٦م ، ويشتمل على ستة فصول وملاحق ،يبدأها المؤلف بالحديث عن مصادر تاريخ الكويت ويختمها بالحديث عن التجارة بشكل عام فى الخليج ونصيب الكويت منها .

- أسد رستم : ادارة الشام ،

بحث قدم فى ذكرى ابراهيم باشا ، قامت بنشرها الجمعية الملكية للدراسات التاريخية بمناسبة انقضاء مائة عام على وفاته ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة سنة ١٩٤٨م.

- أمل ابراهيم الزياني : البحرين بين الاستقلال السياسي والانطلاق الدولي .

الطبعة الثانية ١٩٧٧م ، رقم الايداع بدار الكتب ٤٣٨٠/٧٦.

الكتاب عبارة من رسالة ماجستير تقدمت بها المؤلفة في العلوم السياسية من كلية الاقتصاد بجامعة القاهرة ، ويشتمل الكتاب على ثمانية فصول في بابين اضافة الى الفصل التمهيدي وفهرسا لمراجع وقائمة الملاحق ، والخلاصة ، والكتاب علمي وموثق بشكل جيد .

- أمين الريحاني : ملوك العرب .

طبع ونشر المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت ، الطبعة الأولى للمجموعة ، سنة ١٩٨٠م. يأتي الكتاب في سلسلة الأعمال العربية الكاملة لأمين الريحاني ، وقام بالتقديم والتحقيق لها أمين البرت الريحاني ، ويقع المجلد الأول في ٩٦٠ صفحة ويشتمل على جزئين ،تطرق فيهما المؤلف لعدة موضوعات في سلسلة رحلاته المعروفة في الجزيرة العربية .

- أمين الريحاني : نجد وملحقاته وسيرة عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود ملك الحجاز ونجد وملحقاته .

منشورات الفاخرية بالرياض ،بالاشتراك مع دار الكاتب العربي في بيروت، الطبعة الخاصة ، سنة ١٩٨١م. الكتاب يقع في ٤٩٤ صفحة ، ويحتوى

على اثنين وخمسين فصلا ، وهو عبارة من معايشة حية عاصر فيها المؤلف الملك عبد العزيز وروى عنه جل محتويات الكتاب ، اضافة الى اعتماده على كتاب ابن بشر وغيره من الكتب ، أشار اليها المؤلف فى بداية الكتاب تحت عنوان الأسانيد .

ـ أمين سعيد : تاريخ الدولة السعودية من محمد بن سعود الى عبد الرحمن الفيصل ١١٥٨-١٣٠٧هـ ، وعهد الملك عبد العزيز ابن عبد الرحمن الفيصل ، ١٣١٩-١٣٧٣هـ .

مطبوعات دارة الملك عبد العزيز رقم ٩ ، طبع فى مطابع دار الهلال للأوفست بالرياض ، بدون تاريخ . يقع الكتاب فى ٤٨٤ صفحة ، ويشتمل على ثلاثة أجزاء فى مجلد واحد ، وقد تحدث المؤلف فى الجزء الأول من ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومناصرة الأسرة السعودية له ، كما تحدث فى هذا الجزء من الدولة السعودية حتى الامام عبد الرحمن بن فيصل بن تركى . أما الجزء الثانى فقد تحدث فيه المؤلف من الملك عبد العزيز وكفاحه لتأسيس المملكة العربية السعودية ، ليتحدث أخيرا فى الجزء الثالث من العهد السعودى الحاضر .

ـ بدر الدين عباس الخصوصى : دراسات فى تاريخ الخليج العربى الحديث والمعاصر ، الجزء الأول .

منشورات ذات السلاسل ، مطابع الرأى العام التجارية بالكويت ، الطبعة الاولى ، سنة ١٩٧٨م . يقع هذا الجزء فى ٢٣٧ صفحة ويشتمل على

أربعة فصول ومقدمة ، وتحدث المؤلف فى هذه الفصول من الغزو الأوروبى للخليج ، ومن المشيخات العربية على الساحل الفرسى للخليج كما يقول ، ثم تحدث عن ظهور المصريين على سواحل الخليج ، وأخيرا عن موقف بريطانيا تجاه المنطقة ومعاهدة السلام البحرى الدائم سنة ١٨٥٣م.

- جاد طه : سياسة بريطانيا فى جنوب اليمن ،

طبع ونشر دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٦٩م - ١٩٧٠م.

والكتاب رسالة دكتوراه تقدم بها المؤلف الى جامعة عين شمس ، وهى موثقة بالمصادر والمراجع المختلفة ، ويبتدئ المؤلف حديثه فى هذا الكتاب من المنافسة الدولية فى جنوب الجزيرة العربية ١٧٩٨ - ١٨٣٦م ، ويختتمه بالحديث عن أسلوب الحكم البريطانى فى الجنوب اليمنى ، بعد أن تحدث عن اتفاقية الحدود سنة ١٩١٤م بعد انسحاب العثمانيين منها.

- جرجى زيدان : تاريخ مصر الحديث ، من الفتح الاسلامى الى هذا العصر ،

طبع فى مطبعة الهلال فى مصر سنة ١٩٢٥م ، الطبعة الثالثة .

يقع الكتاب فى جزئين من مجلد واحد ، ويتحدث المؤلف فى الجزء الثانى عن تاريخ مصر من الفتح العثمانى الى سنة ١٩١١م.

د

- جلال يحيى : المجمل فى تاريخ مصر الحديثة ،
نشر المكتب الجامعي الحديث بالاسكندرية ، وطبع بالمطبعة المصرية ،بدون تاريخ ، ومقدمة المؤلف بتاريخ ١٩٨٢م ،
يقع الكتاب فى ٤٩٣ صفحة ،يشتمل على أربعة وعشرون فصلا تحدث فيها المؤلف عن الاقطاع وضعفه ، ومن رأسمالية الدولة والرأسمالية المقارنة ، ومن ثورة يوليو والتحرير ، وقد جزأ هذه الفصول بين ستة أبواب لكل باب منها أربعة فصول .

- حافظ وهبه : جزيرة العرب فى القرن العشرين ،
طبع ونشر لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، الطبعة الخامسة ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.
وقد تحدث المؤلف عن الجزيرة العربية جغرافيا وتاريخيا من خلال معايشته لها كسفير للملكة فى لندن ، وتطرق فى الحديث الى العادات والأخلاق فى الجزيرة ، ومن الملك حسين وعلاقته مع بريطانيا كما تحدث عن الدولة السعودية ومن شخصية الملك عبد العزيز وشجاعته ومن حروبه وسياسته الداخلية والخارجية .

- حسن أحمد ابراهيم : محمد على فى السودان ،
طبع ونشر دار التأليف والترجمة والنشر ، جامعة الخرطوم ، بدون تاريخ . الكتاب عبارة عن رسالة ماجستير تقدم بها المؤلف

لجامعة الخرطوم سنة ١٩٦٥م ، ويتحدث المؤلف من أسباب فتح محمد علي للسودان ومن جلب العبيد منه ، والاغراض التى استخدمهم فيها ، كما تحدث من محمد علي والتنقيب من المعادن في السودان ، والتجارة في واردات السودان .

٣ - حسين مؤنس : الشرق الاسلامي في العصر الحديث ،
نشر لجنة الجامعيين لنشر العلم ، والمكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة ، طبع بمطبعة حجازى ، بالقاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٣٨م.
يقع الكتاب في ٤٦٤ صفحة ، ويشتمل على ثلاثة أقسام ، ويغلب عليه الأسلوب الأدبي ، رغم أنه يعتمد على مراجع أجنبية وعثمانية وفارسية كثيرة .

٤ - حمد الجاسر : المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ، " المنطقة الشرقية " ،
منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م مطبعة نهضة مصر ، بالقاهرة ،
يتحدث المؤلف في هذا المعجم من المواقع والأمكنة في اقليم المنطقة الشرقية "البحرين" قديما ، والكتاب معجم جغرافي في سلسلة المعجم الجغرافي للملكة العربية السعودية ، ويقع في عدة أجزاء .

- خير الدين الزركلي : الأعلام ، ج٢ ، قاموس تراجم ،
الطبعة الثالثة ، طبعة كوستاتوسى ، القاهرة ١٣٩٨هـ.

- رأفت الشيخ : فى تاريخ العرب الحديث ،
منشورات مكتبة الدراسات التاريخية والعلاقات الدولية ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٠م .
يقع الكتاب فى ٣٦٨ صفحة ، ويشتمل على خمسة عشر فصلا فى أربعة أبواب تحدث المؤلف فيها عن الحكم العثمانى للوطن العربى ، وعن الحركات الاستقلالية فى الوطن العربى ، وكذلك من الدعوات السلفية فى الوطن العربى ، وأخيرا تحدث من الاستعمار فى الأقطار العربية.

- زاهية قدورة : تاريخ العرب الحديث ،
طبع ونشر دار النهضة العربية للطباعة والنشر ،بيروت، ١٩٧٥م
يشتمل الكتاب على تسعة عشر فصلا ، تحدثت المؤلفة فى كل فصل من دولة من الدول العربية فى تاريخها الحديث بشكل مستقل ما عدا الفصل الأول فقد خصصته المؤلفة للحديث من اعطاء لمحة تاريخية وجغرافية لشبه الجزيرة العربية ، وأضافت ملحقا للكتاب تحدثت فيه عن دور الجامعية فى المجتمع العربى المعاصر .

- زكي صالح : مجمل تاريخ العراق الدولي في العهد العثماني ،

من منشورات معهد الدراسات العربية العالية ، جامعة الدول

العربية ،طبع بالمطبعة الفنية الحديثة ، ١٩٦٦م .

يقع الكتاب في سبعة فصول تحدث المؤلف فيها عن الامتيازات البريطانية في الدولة العثمانية وعن التنافس الفرنسي البريطاني في المنطقة من ١٧٩٨-١٨٠٩م ، كما تحدث عن النفوذ البريطاني في الخليج العربي وفارس ، وعن الخطر الروسي ، وكذلك عن سكة حديد بغداد وعلاقات الدولة العثمانية مع المانيا ،ليختتم كتابه بالحديث عن الديبلوماسية والحرب بين الدول في تلك المنطقة .

- زين نورالدين زين : الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي

سوريا ولبنان ،

طبع ونشر دار النهار للنشر ،بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٧م .

يقع الكتاب في ٣٢٨ صفحة ، ويشتمل على اثني عشر فصلا ، تحدث فيها المؤلف عن الشرق العربي جغرافيا ، واستراتيجيا ثم تحدث عن المسألة الشرقية ومراحلها ، وكذلك المؤتمرات والاتفاقات السرية وما أعقبها من أوضاع في سوريا ولبنان ، ويشتمل الكتاب على بعض الخرائط وملاحق للمعاهدات التي تهم تلك المرحلة .

- سعد بن عبد الله بن جنيدل : عالية نجد ،
منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، الرياض ، مطبعة نهضة مصر بالقاهرة ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .

يشتمل الكتاب على ثلاثة أجزاء ، وهو عبارة عن معجم جغرافي للمواقع المكانية الهامة في عالية نجد ، ضمن سلسلة المعجم الجغرافي للمملكة العربية السعودية .

- سليمان بن محمد الغنام : قراءة جديدة لسياسة محمد علي باشا التوسعية ، (١٨١١-١٨٤٠م) ، في الجزيرة العربية والسودان واليونان وسوريا ،
منشورات تهامة ، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ، طبع بمطابع دار البلاد بجدة .

يشتمل الكتاب على أربعة فصول وتمهيد وتقديم وملحقين يشمل أحدهما بعض المقتطفات من تقرير الدكتور بورنج والآخر يشمل ثلاث معاهدات واتفاقيتين وخط شريف بمنح ولاية مصر لمحمد علي .

وقد تحدث المؤلف عن غزو محمد علي للجزيرة العربية وعن حروب السودان واليونان بالشام ، ليختتم فصول الكتاب بالحديث عن معاهدة لندن ومعاهدتي انكيارسكليسي وكوتاهية .

- السيد رجب حراز : محاضرات فى تاريخ العرب الحديث والمعاصر ،
  الناشر دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٧٩ - ١٩٨٠م .

يقع الكتاب فى ٢١١ صفحة ، ويشتمل على ستة فصول تحدث فيهما المؤلف عن الفتح العثمانى للمشرق العربى ، وعن الادارة العثمانية فيه ، ثم تحدث عن حركة الاصلاح العثمانية وآثارها فى المشرق العربى ، وكذلك عن بريطانيا والمسألة العربية وعن ثورة العرب ومراسلات الحسين مع الانجليز ، والكتاب مطبوع على الآلة الكاتبة ، ويبدو أنه فعلا محاضرات ألقاها المؤلف على مدرجات الجامعة ، لأنه لم يقدم له ولم يضع له مراجع معينة .

- السيد رجب حراز : المدخل الى تاريخ مصر الحديث من الفتح العثمانى الى الاحتلال البريطانى ، ١٥١٧-١٨٨٢م.

نشر دار النهضة العربية ، القاهرة ،طبع بمطابع دار المحامى للطباعة بالقاهرة ، ١٩٧٠م.

وقد تحدث المؤلف فى الكتاب عن مصر العثمانية المملوكية ، وعن الحملة الفرنسية على مصر ، ثم تحدث عن بداية المسألة المصرية وتدعيم ولاية محمد على ، ثم عن بناء الدولة الحديثة فى عهد محمد على ، كما تحدث عن مصر من ١٨٤٨-١٨٦٣م ، وعن مصر من ١٨٦٣-١٨٨٢م ،
الكتاب يقع فى ٤٠٧ صفحة .

- سيد نوفل : الخليج العربى أو الحدود الشرقية للوطن العربى ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، يونيو ١٩٦٩م.
يقع الكتاب فى ٥٢٨ صفحة ، ويشتمل على خمسة أقسام ومقدمة ، تحدث المؤلف فيها من منطقة الخليج ومن الكويت ، وساحل عمان بشكل خاص وأورد بعض الوثائق المتعلقة بالمنطقة خاصة من الكويت وساحل عمان ، ثم تحدث من اتحاد امارات الخليج العربى .

- صالح محمد العجيرى : التقويم العام لتواريخ ٢٠٠٠ عام ،
طبع بمطبعة حكومة الكويت سنة ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.
يقع الكتاب فى ثلاثة أقسام ، تحدث فيها المؤلف من التقويم اليومى للقرن العشرين ، ومن مداخل السنين الهجرية بالتاريخ الميلادى ، ثم تقويم العشرين قرنا ، ويتضمن الكتاب بعض الجداول المهمة لتحويل التاريخ الهجرى للميلادى وبالعكس خلال ٢٠٠٠ سنة ، أى من أول سنة هجرية الى سنة ٢٠٠٠ هجرية .

- صبحى وحيده : فى أصول المسألة المصرية ،
ملتزم التوزيع مكتبة الانجلو المصرية طبع فى مطبعة مصر ، ١٩٥٠م.
يقع الكتاب فى ٢٨٥ صفحة ، ويشتمل على مقدمة وخمسة مواضيع تحدث فيها المؤلف من تاريخ مصر القديم والحديث فى أسلوب أدبى فلسفى لاذع .

- صلاح الدين المختار : تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها ،

منشورات دار مكتبة الحياة ،بيروت ،الطبعة الأولى ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م.

يقع الكتاب في مجلدين ، والمجلد الأول يتحدث عن المملكة العربية السعودية جغرافيا ، ثم عن البيت السعودي المالك منذ مؤسسها الامام محمد بن سعود الى ظهور ابن رشيد ، واحتلاله للرياض ، كما يتحدث عن الشيخ محمد بن عبدالوهاب ودعوته السلفية .

- صلاح العقاد : التيارات السياسية في الخليج العربي .

طباعة ونشر مكتبة الانجلو المصرية،شارع محمد فريد القاهرة ،

بدون تاريخ للطباعة ، مقدمة المؤلف في سبتمبر سنة ١٩٦٥م .

يقع الكتاب في ٣٥٠ صفحة ، وسبعة عشر فصلا ،بدأها المؤلف بالحديث عن الاوضاع الداخلية للخليج والغزو البرتغالي ،وختمها بالحديث عن النفط ومشكلات الحدود ومن الخليج والسياسة الدولية .

- عبدالحميد البطريق : التيارات السياسية المعاصرة ،١٨١٥-١٩٦٠م.

دار النهضة العربية للطباعة والنشر ،بيروت ، الطبعة الاولى،١٩٧٤م.

الكتاب يشتمل على ستة وعشرون فصلا ويقع في ٤٧٨ صفحة ، وقد تحدث فيه المؤلف عن مؤتمر فينا سنة ١٨١٤/١٨١٥م وما أعقبه من صراعات ومؤتمرات أوروبية ،ليختتم كتابه بعد ذلك بما أسماه الحرب الباردة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ،وحتى مؤتمر المنتفعين في لندن ١٩٥٦م، كما يقول .

- عبدالحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث ،١٥١٧-١٨٤٠م .

معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٦٩م .

يقع الكتاب في ١٢٣ صفحة ، ويشتمل على ثمانية فصول تحدث فيها عن اليمن من القديم الى الحديث مرورا بعصر العثمانيين والمماليك ليختتم الكتاب بالحديث عن التوسع المصرى في اليمن وسياسة بريطانيا هناك ، ثم ما أسماه المؤلف بالجلاء من اليمن ، والكتاب يعتمد على كثير من الوثائق والمراجع المهمة وبه ملاحق وخرائط جيدة تهم الموضوع .

- عبدالرحمن الرافعي : عصر محمد على .

دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ،

طبع بمطابع دار المعارف .

يعتبر الكتاب ، الجزء الثالث من تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر ، ويقع الكتاب في ٥٩٥ صفحة ، في سبعة عشر فصلا ، وقد تحدث المؤلف في هذا الكتاب عن محمد على منذ وصوله الى الحكم وجهوده في تدعيم مركزه وعن اصلاحاته وفتوحاته كما يقول المؤلف وأخيرا تحدث الكتاب عن ابراهيم باشا .

- عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم : تاريخ العرب الحديث والمعاصر .

نشر دار المتنبى للنشر والتوزيع ، الدوحة قطر ، الطبعة الثالثة ،

١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ، مطبعة الجبلاوى بمصر .

الكتاب يتحدث في سبعة أبواب تقع في ٣٨٤ صفحة من العثمانيين

والبلاد العربية ، ومن حركات الاصلاح السلفى فى البلاد العربية والتيارات الفكرية ويقظة الوعى القومى كما يقول المؤلف ، كما تحدث الكتاب عن نفوذ الحكام المحليين ابان الحكم العثمانى ومن الزحف الاستعمارى للمنطقة العربية حينذاك ، ليختتم الكتاب الحديث عن العرب من منتصف القرن ١٩ وحتى اشتعال الحرب العالمية الأولى ثم عن العرب فى تاريخهم المعاصر.

- عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية . دار الكتاب الجامعى ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٨١م ، مطبعة الجبلاوى بالقاهرة .

يتكون الكتاب من مقدمة وخمسة أبواب تشتمل على ثلاثة عشر فصلا ، وتسعة وخمسون ملحقا ، وقد تحدث الكتاب عن فترة حكم محمد على فى شبه الجزيرة العربية وتناولها بشئ من التحليل والدراسة واعتمد فى ذلك على عدد لا بأس به من الوثائق .

- عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : من وثائق شبه الجزيرة العربية فى عصر محمد على ، ١٢٣٤-١٢٥٦هـ/١٨١٩-١٨٤٠م.

الناشر دار المتنبى للنشر والتوزيع ، قطر ،طبع بمطبعة الجبلاوى ،طبعة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

يقع الكتاب فى مجلدين ،يشتمل الجزء الأول منهما على ٨١٥ صفحة

ويحتوى على وثائق عبارة من رسائل صادرة من محمد على الى حاكم عام الحجاز وحكامه الآخرين فى الجزيرة العربية وقادة قواته العاملين فى تلك الجهات ، أو تقارير ومراسلات من هؤلاء الحكام والموظفين والقادة يشيرون فيها الى أحوال المناطق التى يعملون بها والأوضاع التى تسودها ، وقد استخرجها المؤلف من دار الوثائق القومية فى القلعة فى القاهرة ، وبوبها الى عشرة فصول تتحدث من الحجاز ، وتمردات العربان والأشراف فيها وكذلك تتحدث من عسير ومن ثورة الجند الغير نظاميين فى الحجاز ومن اليمن ونجد والبحرين والساحل العمانى وكذلك مسقط والبصرة.

- عبدالعزيز سليمان نوار : تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا الى نهاية حكم مدحت باشا .

الناشر دار الكاتب العربى للطباعة والنشر بالقاهرة ١٣٨٧هـ/١٩٦٨م.

الكتاب عبارة من رسالة نال بها المؤلف رسالة الدكتوراه سنة ١٩٦٣م، ويشتمل على مقدمة وأحد عشر فصلا ، وموثق توثيقا علميا بمصادر ومراجع عربية وأجنبية ووثائق جيدة ، وقد ابتدأ المؤلف كتابه بالحديث عن الفتح العثمانى للعراق وظهور المماليك وأزمة التوسع المصرى .. ، واختتمه بالحديث من بواكير الحركة العربية فى العراق ، بعد أن تكلم عن عهد مدحت باشا فى العراق من ١٨٦٩-١٨٧٢م.

- عبد العزيز سليمان نوار)
و عبد المجيد نعنعـــى)
: التاريخ المعاصر - أوروبا ، من الثـورة الفرنسية الى الحرب العالمية الثانيـة .

دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧٣م.

يقع الكتاب فى ٦٣٠ صفحة ، ومجموعة من الخرائط المهمة ، ويشتمل على ثمانية عشر بابا ، بدئت بالحديث عن الثورة الفرنسية ونابليـون مرورا بمؤتمر فينا سنة ١٨٤٨م ، الى الأزمات الدولية التى سبقـت الحرب العالمية الثانية .

- عبد العزيز سليمان نوار: الشعوب الاسلامية ، الأتراك العثمانيـون ، الفرس ، مسلموا الهند .

طبع ونشر دار النهضة العربية ببيروت ، ١٩٧٣م.

الكتاب يقع فى ٥٩٧ صفحة ، ويشتمل على ثلاثة أبواب فى سبعة عشـر فصلا ، تحدث المؤلف فى الباب الأول عن العثمانيين فى ستة فصـول ومن الفرس فى الباب الثانى فى ثمانية فصول ، كما تحدث فى البـاب الثالث عن مسلمى الهند وتاريخ امبراطورية المغول فى ثلاثة فصـول وختم المؤلف كتابه ببعض الملاحق عن سلاطين الدولة العثمانية ومـن عاصرهم من شاهات الفرس وأباطرة مغول الهند وخرائط عن العالـم الاسلامى .

٦ - عبدالعزيز سليمان نوار : المصالح البريطانية ، فى أنهار العراق ، ١٦٠٠-١٩١٤م ، دراسة وثائقية للتطورات التى أدت الى احتكار بريطانيا للملاحة فى العراق .

ملتزم الطبع والنشر ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٨م ، القاهرة .

يقع الكتاب فى سبعة فصول وخاتمة وبعض الملاحق والوثائق ، ويتحدث عن تاريخ العراق ومقوماته ونمو المصالح البريطانية الملاحية فى العراق وما ترتب على هذه المصالح من متغيرات تاريخية .

٦ - عبدالعزيز نوار : تاريخ العرب المعاصر ، مصر والعراق ،

طبع ونشر دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧٣م .

يقع الكتاب فى ٥٨٤ صفحة ، ويشتمل على ثلاثة أبواب وعدد من الخرائط والملاحق ، وقد تحدث الكتاب عن الوطن العربى فى القرن ١٩ ، وعن مصر من الحملة الفرنسية الى عصر الجمهورية العربية المتحدة ، كما تحدث عن العراق منذ الحكم العثمانى سنة ١٥٣٤ وحتى ١٩٥٨م .

٦ - عبدالعزيز عبدالغنى ابراهيم : علاقة ساحل عمان ببريطانيا "دراسة وثائقية" .

مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز رقم ٢٥ ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م الرياض ، طبع بمطابع دار الهلال بالرياض .

يحتوى الكتاب على اثنى عشر فصلا وستة عشر ملحقا ، ومقدمة وخاتمة

والكتاب سبق أن نشر بمركز دراسات الخليج العربى بجامعة البصرة عام ١٩٧٨م، تحت عنوان : بريطانيا والساحل العمانى - دراسة فى العلاقات التعاهدية ، وأضاف له المؤلف فصلا عن اتفاقية ١٨٩٢م ، وبعض الاضافات ،ليطلق عليه الاسم الحالى ، وقد تحدث الكتاب عن الغزو البرتغالى ،ثم النفوذ البريطانى وما صاحب هذا النفوذ من أحداث تاريخية مختلفة أثرت بشكل مباشر فى أوضاع المنطقة ، ويختتم المؤلف كتابه بالحديث عن تدعيم السيطرة البريطانية على الساحل المهادن ، والحديث عن معاهدة ١٨٩٢م ومشكلات الحدود .

٦ - عبدالعزيز محمد الشناوى : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها .

ملتزم الطبع والنشر مكتبة الانجلو المصرية ، مطبعة جامعة القاهرة ١٩٨٠م.

يقع الكتاب فى جزئين ، ويشتمل على ثلاثة وثلاثين فصلا ، وقد تحدث المؤلف عن الدولة العثمانية ونشأتها وحملات التشهير بها ، ثم تحدث عن الخصائص العامة لها وعن سياستها العليا فى ضوء خصائصها العامة ، كما تحدث عن الهيئات الحاكمة فى الدولة وعن مراكز القوى فيها ، ثم تحدث فى الجزء الثانى عن حملات التشهير بالدولة ومن الخدمات التى قدمتها الدولة العثمانية للاسلام والعرب ، ليختتم المؤلف هذا الجزء من الكتاب بالحديث عن بعض الآراء المحايدة فى حكم السلطان عبدالحميد الثانى .

- عبدالفتاح أبو عليه : الدولة السعودية الثانية ،
١٢٥٦-١٣٠٩هـ/١٨٤٠-١٨٩١م .
طبع ونشر مؤسسة الأنوار للنشر والتوزيع بالرياض ،بدون تاريخ ، وقدم له الشيخ حمد الجاسر ، ١٣٨٩هـ.
يشتمل الكتاب على ثمانية فصول وخمسة ملاحق عبارة عن نصوص وثائق وبعض الخرائط ، ويتحدث الكتاب عن الامام فيصل بن تركي في فترة حكمه الأولى وعن الأوضاع في نجد عقب الحكم المصرى ، ثم يتحدث عن حكم الامام فيصل في فترة حكمه الثانية وعن علاقات الدولة الخارجية في عهده ، كما تحدث الكتاب بعد ذلك عن الفتن والفوضى منذ عام ١٢٨٢-١٣٠٩هـ التي شهدتها الجزيرة العربية ، وتحدث عن علاقات الدولة السعودية في تلك الفترة ، ليختتم الكتاب فصوله بالحديث عن أنظمة الحكم والادارة وعن الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الدولة .

- عبدالله بن محمد بن خميس : المجازيين اليمامة والحجاز ،
منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة بالرياض ،طبعة نهضة مصر بالقاهرة ، بدون تاريخ .
الكتاب يقع في ٤٤٤ صفحة ويشتمل على بعض الخرائط الجغرافية وفهارس للموضوعات والأماكن والأعلام ، وهو يتحدث عن المواقع التاريخية والمشهورة من اقليم اليمامة الى اقليم الحجاز.

- عبدالله بن محمد بن خميس : معجم اليمامة ،
طبع بمطابع الفرزدق بالرياض ، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
يقع الكتاب فى جزئين ، الجزء الأول منهما من حرف الألف الى حرف الراء فى ٦٥٣ صفحة ، والجزء الثانى من حرف السين الى حرف الياء فى ٦٢٠ صفحة ، وهو معجم جغرافى من اقليم اليمامة فى سلسلة المعجم الجغرافى للمملكة العربية السعودية .

- عبدالواسع يحيى الواسعى اليمانى : تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن فى حوادث وتاريخ اليمن .
الدار اليمنية للنشر والتوزيع ، الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
يقع الكتاب فى ٤٩٥ صفحة ، يشتمل على اثنين وعشرين فصلا ، وهو يتحدث من تاريخ اليمن وجنوب الجزيرة العربية منذ القدم ، وحتى بداية القرن العشرين .

- على حسون : تاريخ الدولة العثمانية ،
طبع ونشر المكتب الاسلامى ، دمشق ، الطبعة الأولى ١٤٠٠/ ١٩٨٠م .
يشتمل الكتاب على ثمانية أبواب اضافة الى المقدمة ومصادر الكتاب وبعض الصور الملونة والخرائط ، وتحدث الكتاب عن نشأة الدولة العثمانية وفتوحاتها ومن السلطان محمد الفاتح وفتح القسطنطينية ، كما تحدث

من الدولة في أوج قوتها ومن عوامل الضعف والانحطاط ومن الدولة خلال تلك المرحلة ، ثم تحدث عن السلطان عبد المجيد الثاني والسلطان محمد رشاد وعن تركيا العلمانية .

- فاروق عثمان أباظه : الحكم العثماني في اليمن ، ١٨٧٢-١٩١٨م.
طبع في دار العودة ،بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٧٩م.
الكتاب عبارة عن رسالة ماجستير تقدم بها المؤلف الى كلية الآداب ، بجامعة الاسكندرية سنة ١٩٦٦م وتشتمل على ستة فصول ومقدمة وخاتمة وتعتمد على بعض الوثائق والمصادر ، وقد تحدث المؤلف عن علاقة العثمانيين باليمن قبل ١٨٧٢م ، وعن عودتهم لها سنة ١٨٧٢م ،ثم تحدث عن نظام الحكم العثماني في اليمن قبيل العهد الدستوري ، وعن السياسة العثمانية هناك في مطلع العهد الدستوري ١٩٠٨- ١٩١١م وعن موقف العثمانيين في اليمن في أعقاب الصلح مع الامام يحيى سنة ١٩١١-١٩١٤م، ليختتم بعد ذلك الكتاب بالحديث عن العثمانيين في اليمن في أثناء الحرب العالمية الأولى ١٩١٤-١٩١٨م.

- فاروق عثمان أباظه : عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ، ١٨٣٩-١٩١٨م.
الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٦م، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، يشتمل الكتاب على سبعة فصول وبعض الملاحق الهامة ،

والكتاب يتناول فى مجمله أثر وجود البريطانيين فى عدن وسياستهم فى منطقة البحر الأحمر منذ احتلالهم لعدن فى سنة ١٨٣٩م وحتى نهاية الحرب العالمية الأولى ١٩١٨م ، وقد اعتمد على كثير من الوثائق الانجليزية والفرنسية وبعض الوثائق الايطالية والالمانية والاسبانية اضافة الى الوثائق العثمانية المترجمة .

- فائق حمدى طهبوب : تاريخ البحرين السياسى ١٧٨٣-١٨٧٠م.
منشورات ذات السلاسل ، الكويت ، طبعة ١٩٨٣م.

والكتاب رسالة ماجستير تقدم بها المؤلف الى جامعة الكويت سنة ١٩٧٤م ، ويشتمل على ستة فصول وخاتمة وعدد من الملاحق ، وقد تحدث عن البحرين جغرافيا وعن بداية الصراع حولها وتفاقمه ، ثم تحدث عن التنافس المصرى البريطانى فى الخليج وعن الحماية البريطانية للبحرين ، والتدخل البريطانى المباشر وتقسيم المنطقة ، والكتاب موثق توثيقا علميا .

- فؤاد سعيد العابد : سياسة بريطانيا فى الخليج العربى ، خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر .
منشورات ذات السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع ، الكويت ، ١٩٨١م.

يشتمل الكتاب على خمسة فصول وخاتمة ، ويتحدث عن التنافس الاستعمارى الأوروبى فى الخليج العربى وعن نشاط بريطانيا فى المنطقة وحملاتها العسكرية المتتابعة ، ثم موقفها من النشاط المصرى على سواحل الخليج وفى مسقط والساحل المهادن بوجه خاص .

- لطيفة محمد سالم : الحكم المصرى فى الشام ، ١٨٣١ - ١٨٤١م.

نشر فى دار الكتاب الجامعى بالقاهرة ، وطبع بمطبعة الجبلاوى بمصر الطبعة الأولى سنة ١٩٨٣م.

يقع الكتاب فى ثمانية فصول ومقدمة وخاتمة ، ويتحدث عن مراحل التواجد المصرى فى الشام وعن الادارة والقضاء والسياسة المالية هناك وعن النظام الزراعى والاحتكار التجارى ، كما يتحدث الكتاب فى آخر فصوله عن مضادات السياسة المصرية بمختلف أنواعها .

- محمد بن أحمد العقيلى : تاريخ المخلاف السليمانى ،

من منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة بالرياض ،مطبعة نهضة مصر ، بالقاهرة ، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

يحتوى الكتاب على جزئين ،ويقع الجزء الأول منهما فى أحد عشر فصلا ، تحدث فيها المؤلف عن جنوب الجزيرة العربية وتهامة والمخلاف السليمانى ويختتم فصول هذا الجزء بالحديث عن السعوديين والدعوة الاصلاحية فى المخلاف السليمانى وتهامة اليمن .

- محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربى ، ١٥١٤-١٩١٤م.

نشر مكتبة الانجلو المصرية ،وطبع فى دار الجيل للطباعة ،بدون تاريخ .

يقع الكتاب في تسعة أقسام تتحدث عن العثمانيين والشرق العربي وعن بناء الدولة العثمانية في أوروبا ونظام الحكم العثماني ، كما يتحدث الكتاب عن الفتوحات العثمانية في الشرق العربي ، وعن الاستعمار الأوروبي كذلك ثم عن حركة التنظيمات العثمانية والحركات القومية في الشرق الأدنى ، ويختتم الكتاب بالحديث عن الشرق العربي والحرب العالمية الأولى .

٨ ـ محمد بديع شريف وآخرون : دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثة . جامعة الدول العربية ، الادارة الثقافية ، مطبعة الرسالة ، عابدين بدون تاريخ .

اشترك مع المؤلف في هذا الكتاب كل من الدكتور زكي المحاسني والدكتور أحمد عزت عبد الكريم ، ووضع خطته وقام بمراجعتها الأستاذ محمد شفيق غربال مدير معهد الدراسات العربية العالمية ،
والكتاب يقع في ٥٧٨ صفحة ويشتمل على قسمين ، دراسات عامة ، ودراسات خاصة ، اضافة الى شرح خطته التي سار عليها في منهجه .

٨ ـ محمد سعيد المسلم : ساحل الذهب الأسود ، دراسة تاريخية ، انسانية لمنطقة الخليج العربي .

منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، مقدمة المؤلف في ١٨ أغسطس ، ١٩٦٠م .

٨ ـ محمد شفيق غربال : منهاج مفصل لدروس في العوامل التاريخية في بناء الأمة العربية على ما هي عليه اليوم .
جامعة الدول العربية ، معهد الدراسات العربية ، مطبعة نهضة ،

مصر، الفجالة ، القاهرة ، ١٩٦١م.

يشتمل الكتاب على ثلاثة أقسام تتحدث من العالم العربى فى أوضاعه الراهنة ، كما تتحدث فى استعراض متواز للتاريخ العثمانى والتاريخ الأوروبى ، وبصفة خاصة فى مواضع اتصال النفوذ العثمانى والنفوذ الأوروبى بالعرب ، ثم اختتم الكتاب فى القسم الثالث بالحديث عن موضوعات عربية خاصة شملت ما يأتى : ١- متى وكيف أصبحت الأقطار العربية ولايات عثمانية ، ٢- دراسات فى أنظمة الحكم فى الأقطار العربية قبل عصر التنظيمات وبعده ، ٣- الغزو الأوروبى ، ٤- تكوين الأوطان العربية ونمو الوعى القومى العربى من سنة ١٨٠٠م.

- محمد صالح البنداق : التقويم الهادى .

منشورات دار الآفاق الجديدة ،بيروت ، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

والكتاب دراسة علمية وتاريخية من التقاويم ، وجداول موافقة التاريخين الهجرى والميلادى لمدة ١٤٠٠عام هجرى ، كما يبين كيفية البحث عن اسم اليوم والتاريخ ليوم معين.

- محمد صبرى : تاريخ مصر الحديث من محمد على الى اليوم .

نشر وطبع فى مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ، الطبعة الأولى سنة ١٩٢٦م.

يشتمل الكتاب على ستة أبواب تحدث فيها المؤلف من تاريخ مصر من

حكم الرومان والعرب والمماليك والعثمانيين مرورا بالحملة الفرنسية ، ثم أسهب بالحديث عن محمد علي وخلفائه خاصة عصر اسماعيل وتوفيق والثورة العرابية ، وختم الكتاب بالحديث عن مصر في عهد الاحتلال .

٨ - محمد عبد اللطيف البحراوى : حركة الاصلاح العثمانى فى عصر السلطان محمود الثانى ١٨٠٨-١٨٣٩م.

توزيع دار التراث ، شارع الجمهورية ، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م
طبع بمطابع المختار الاسلامى - دار السلام ،

الكتاب يقع فى ٣١٠ صفحة ، ويشتمل على سبعة فصول ومقدمة اضافة الى أربعة ملاحق ، وقد تحدث الكتاب عن الدولة العثمانية وأصولها وتطور نظمها ، ومدى حاجتها للاصلاح ،ثم تحدث عن الاصلاح فى الداخل والخارج ومن مولد حركة الاصلاح ومعناها ومن حركة الاصلاح قبل محمود الثانى وبيان النقطة التى بدأ منها ذلك السلطان حركته الاصلاحية ، كما تحدث عن انقلابات استانبول سنة ١٨٠٧-١٨٠٨م ، ومن عصر محمود الثانى وتغير الظروف الخارجية ، وحركات الاصلاح المعاصرة والمجتمع العثمانى ، ليختتم الكتاب بالحديث عن اصلاحات محمود الثانى ونقد لخطة الاصلاح ذاك وتقييمه ليصل المؤلف أخيرا الى نتائج عامة أعطت ميزة فريدة للكتاب الذى أعطى صورة كاملة للدولة العثمانية منذ قيامها وصورة واضحة لنظمها .

٨ - محمد بن عبدالله بن بليهد النجدى : صحيح الأخبار عما فى بلاد العرب من الآثار .

الطبعة الثانية سنة ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م .

علق على الكتاب وكتب بعض هوامشه محمد محى الدين عبدالحميد .

يتضمن الكتاب خمسة أجزاء فى مجلدين ، الجزء الأول والثانى والثالث فى مجلد ، والجزء الرابع والخامس فى مجلد ، ولكل جزء مقدمة بقلم المؤلف ما عدا الجزء الثانى .

٨ - محمد عبدالله ماضى : النهضات الحديثة فى جزيرة العرب "١" فى المملكة العربية السعودية .

طبع ونشر دار احياء الكتب العربية ، عيسى البابى الحلبى وشركاه ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م .

الكتاب يتحدث عن عدة مواضيع رئيسية فى نهضة المملكة العربية السعودية منذ ظهور الشيخ محمد بن عبدالوهاب ودعوته السلفية والدولة السعودية الاولى والثانية ثم يتحدث المؤلف عن عصر الدولة السعودية الثالثة ، وقسم تاريخ الملك عبدالعزيز الى أربع مراحل ، ويتضمن الكتاب بعض المعاهدات والوثائق ذات الصلة بمواضيع الكتاب .

٨ - محمد عرابى نخلة : تاريخ الاحساء السياسى ، ١٨١٨-١٩١٣م .

منشورات ذات السلاسل ، الكويت ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

الكتاب يشتمل على خمسة فصول وخاتمة ، وهو عبارة عن رسالة للماجستير

في التاريخ الحديث ، تقدم بها المؤلف الى جامعة الكويت، ١٩٧٤م ،
وتحدث فيها عن تاريخ الاحساء السياسي في الفترة من ١٨١٨-١٩١٣م
وبشكل خاص عن الدولة المصرية في حكم محمد علي والدولة السعودية
الثانية والدولة العثمانية ، تلك القوى السياسية التي لعبت دورا هاما
في تاريخ المنطقة ، ثم تحدث المؤلف عن اصطدام هذه القوى ببريطانيا
وعن الاحساء في ظل الحكم السعودي المباشر من ١٨٤٣-١٨٧١م -
وعن الحملة العثمانية على الاحساء والوجود العثماني في الاحساء ما بين
عامي ١٨٧١-١٩١٣م.

٨ - محمد علي الشيخ : صراع العمالقة في القرن التاسع عشر ،
طبع بمطابع دار العلم للطباعة والنشر بجدة ، الطبعة الأولى ،
١٤٠٤/١٩٨٤م.
يقع الكتاب في ثلاثة أبواب ،تطرق المؤلف للحديث من خلالها عن
مؤتمر فينا ١٨١٤-١٨١٥م، وعن الاحتلال الفرنسي لتونس ١٨٧٨ -
١٨٨١م ، وأخيرا تطرق المؤلف للحديث عن الصراع البريطاني الفرنسي
حول الخليج ١٧٩٨-١٨٤٠م.

٩ - محمد فؤاد شكري .. وآخرون ، بناء دولة مصر محمد علي
" السياسة الداخلية "
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م ،

الطبعة الأولى ،دار الفكر العربى .

الكتاب يقع فى ٨٤٧ صفحة وبعض صفحات التصدير والفهارس ، ويشتمل على قسمين وبعض الخرائط والمراجع والفهارس ، وقد تحدث المؤلفون فى القسم الأول من محمد على وحكومته وسياستها ومصادرها ونظمها ومن الباشا فى سنواته الأخيرة ، أما القسم الثانى فكان يشتمل على بعض التقارير المهمة من القناصل ورجال السياسة الأوروبيين الذين كتبوها حول محمد على وحكومته ،والكتاب يعتمد على وثائق وتقارير معاصرة ويعتبر من الكتب الهامة لتلك الفترة .

- محمد فؤاد شكرى : مصر والسودان ، تاريخ وحدة وادى النيل السياسية فى القرن التاسع عشر ، ١٨٢٠-١٨٩٩م.

مكتبة الدراسات التاريخية ،دار المعارف بمصر ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٩٦٣م.

يشتمل الكتاب على عدة موضوعات قسمها المؤلف الى أربعة عشر موضوعا بدأها بالحديث عن منشأ الوحدة السياسية ١٨٢٠-١٨٤٠م، مرورا بتسوية المسألة المصرية وأنهاها بالحديث عن اتفاق الحكم الثنائى ١٨٩٩م.

- محمد فؤاد شكرى : مصر والسودان ،الوضع التاريخى للمسألة .

ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربى ، تصدير المؤلف ، القاهرة

ديسمبر ١٩٤٦م.
تحدث الكتاب عن مصر والسيادة على السودان ، وقسم الوثائق الـــو
وفاق وخط شريف ونحو ذلك.

- محمد كـرد على : خطط الشـام .
طبع فى مطبعة الترقى ، دمشق ،سنة ١٣٤٣هـ/١٩٢٥م.
يقع الكتاب فى ثلاثة أجزاء ، والجزء الثالث يتحدث عن العهد العثمانى
من سنة ١٢٠٠هـ حتى صك الانتداب على شرقى الأردن وعهد أنقره
سنة ١٩٢١م.

- محمد كمال الدسوقـى : تاريخ أوروبا الحديث ، ١٨٠٠-١٩١٨م.
نشر وطبع فى مطبعة النهضة الجديدة بالفجالة بالقاهرة ، بدون
تاريخ .
يشتمل الكتاب على ستة أبواب تحدث فيها المؤلف عن نابليون بو نابرت
والملكية الدستورية فى فرنسا ومن الوحدة الايطالية والدول العظمـــى
١٨٩٠-١٩١٤م ،وأخيرا تحدث عن الحرب العالمية الأولى .

- محمد كمال الدسو قـى : الدولة العثمانية والمسألة الشرقيـــة .
منشورات دار الثقافة للطباعة والنشر بالقاهرة ١٩٧٦م.
يشتمل الكتاب على اثنى عشر بابا اضافة للمقدمة والمراجع ، وهو يتحدث
عن الموضوعات المرتبطة بالعلاقات الدولية الأوروبية فى العصر الحديث

ومدى تأثرها بالدولة العثمانية وتأثر الدولة العثمانية بها ، وقد بدأ المؤلف أبواب الكتاب بالحديث من توسع الدولة العثمانية ٢٣٢ اهـ - ١٥١٢ م ، وأنهاه بالحديث من البلقان والحرب العالمية الثانية ١٩٣٨-١٩٤١م.

٩٦ - محمد بن ناصر العبودى : بلاد القصيم .

منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

يقع الكتاب فى ستة أجزاء ، وهو من ضمن سلسلة المعجم الجغرافى للمملكة العربية السعودية ، ويتحدث من المواقع المكانية فى إقليم القصيم وفق ترتيب الحروف الهجائية .

٩٧ - محمود بهجت سنان : البحرين درة الخليج العربى .

الطبعة الأولى ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م ،طبعة بمساعدة مالية من المجمع العلمى العراقى .

٩٨ - محمود شاكر : البحرين " الأحساء - الكويت - البحرين - قطر "

من منشورات المكتب الاسلامى ، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ، بيروت ،

الكتاب يأتى فى سلسلة مواطن الشعوب الاسلامية رقم ١٤ فى آسيا ، وهو يتحدث فى ايجاز مفيد من الأحساء والبحرين والكويت وقطر جغرافيا وتاريخيا .

٩ - محمود صالح منسى : حركة اليقظة العربية فى الشرق الآسيوى ،

ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربى ، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

يشتمل الكتاب على سبعة عشر فصلا فى خمسة أبواب ، ويتحدث المؤلف من الشرق العربى فى ظل الحكم العثمانى ومن العهد الحميدى ١٨٧٦-١٩٠٨م ، ومن عهد الاتحاديين ١٩٠٨-١٩١٤م، كما يتحدث من الشرق العربى فى الحرب العالمية الاولى وسياسة بريطانيا المخادعة فى تلك المنطقة حينذاك وما نتج عنها من آثار استعمارية على المنطقة .

١٠٠- محمود كامل : الدولة العربية الكبرى .

طبع فى دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية ١٩٦٦م.

وقد قسم المؤلف الكتاب الى ثلاثة أقسام فى خمسة عشر فصلا فى مجلد واحد .

١٠١- محمود كامل : اليمن شماله وجنوبه تاريخه وعلاقاته الدولية .

دار بيروت للطباعة والنشر ،بيروت ١٩٦٨م.

يشتمل الكتاب على قسمين وفهرس تحليلى لمنهاج البحث العلمى فى تاريخ الجنوب العربى ، وقد تحدث المؤلف فى القسم الاول من عصر ما قبل التاريخ فى الجنوب العربى الى العصر الحميرى الاول والثانى ، ثم تحدث فى القسم الثانى من اليمن منذ عهد الخلفاء الراشدين الى ١٩٤٨-١٩٦٧م.

٠١- مديحة أحمد درويش : سلطنة عمان فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشـــر .

نشر وتوزيع دار الشروق بجدة ، الطبعة الاولى ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ،
طبع بمطابع دار الشراع فى بيروت .
يشتمل الكتاب على خمسة فصول وبعض المعاهدات المهمة واللوحـــات والخرائط ذات الصلة بالموضوع ، ويتحدث الكتاب عن عمان قبل القـرن الثامن عشر وعن الصراع الاوروبى فى الخليج وعمان والوضع الداخلـــى فى عمان خلال القرنين ١٨ ، ١٩ ، وأخيرا يتحدث الكتاب عن بريطانيا وعمان فى القرن ١٩ ، وعن النفوذ البريطانى والصراع الفرنسى فى عمان .

٠١- موضى بنت منصور بن عبد العزيز آل سعود : الملك عبد العـــــزيـــز ومؤتمـــر الكـــويت ، ١٣٤٢هـ/١٩٢٣م-١٩٢٤م .

منشورات تهامة بجدة ، الطبعة الاولى ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ،طبع بمطابع دار عكاظ للطباعة والنشر بجدة ، الكتاب عبارة عن رسالة ماجستـــير ، يشتمل على أربعة فصول ومقدمة وخاتمة ، وقد تحدثت المؤلفة عن أهمية هذا الموضوع وعن قيام سلطنة نجد وملحقاتها وعن الاشراف والحـــرب العالمية الاولى ، كما تحدثت عن علاقة سلطنة نجد بجيرانها ومـــن مؤتمر الكويت سنة ١٣٤٢هـ/١٩٢٣-١٩٢٤م .

١- نبيل عبد الحي رضوان : الدولة العثمانية وغربي الجزيرة العربية ، بعد افتتاح قناة السويس ، ١٢٨٦-١٣٢٦هـ/١٨٦٩-١٩٠٨م.
منشورات تهامة بجدة ، الطبعة الاولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، طبع بمطابع سحر بجدة .

الكتاب رسالة ماجستير في التاريخ الحديث ، تقدم بها المؤلف الى جامعة الملك عبد العزيز بمكة سنة ١٤٠٠هـ وتشتمل على خمسة فصول ومقدمة وخاتمة وتتحدث عن الوضع في غربي الجزيرة قبيل افتتاح قناة السويس ومن جهود الدولة العثمانية لتأمين الحجاز بعد افتتاح القناة ومن عوائق استكمال نفوذ الدولة العثمانية على الساحل الغربي للجزيرة العربية ، كما تتحدث الرسالة عن سكة حديد الحجاز ، اضافة الى ذلك فهي تشتمل على وثائق وخرائط ذات صلة بالموضوع.

١- نورية محمد ناصر الصالح : علاقات الكويت السياسية بشرقي الجزيرة العربية والعراق العثماني ، ١٨٦٦-١٩٠٢م.
منشورات دار ذات السلاسل ،الطبعة الاولى ١٩٧٧م، المطبعة العصرية ، الكويت .

يقع الكتاب في أربعة فصول ومقدمة وخاتمة ويشتمل على بعض الوثائق الانجليزية والمصادر ، وقد تحدثت المؤلفة عن نشأة وتطور الكويت حتى عام ١٨٦٦م ، وعن علاقته بنجد منذ ١٨٦٦-١٩٠٢م ، كما تحدث عن علاقة الكويت بالبحرين وقطر وعلاقاته بالعراق العثماني في تلك الفترة.

المراجع المترجمة للغة العربية :

١٠- أحمد حسن جودة : المصالح البريطانية فى الكويت حتى عام ١٩٣٩م.
منشورات مركز دراسات الخليج العربى بجامعة البصرة ، مطبعة الارشاد ،بغداد سنة ١٩٧٩م.
مؤلف الكتاب من جامعة قاريونس ،ليبيا ، وقام بترجمة الكتاب حسن على النجار ، وهو يشتمل على تمهيد وستة فصول .

١٠- أ.ج.جرانت وهارولد تمبرلى : أوروبا فى القرنين التاسع عشر والعشرين ١٧٨٩-١٩٥٠م.
نشر وطبع فى مؤسسة سجل العرب ، القاهرة ،ترجم للعربية عن الطبعة السادسة سنة ١٩٦٧م.
قام بترجمة الكتاب بهاء فهمى ، وراجعه د. أحمد عزت عبدالكريم ، ويشتمل على جزئين فى مجلدين .

١٠- أرنولد توينبى : تاريخ البشرية .
نشر وطبع الأهلية للنشر والتوزيع ، بيروت ١٩٨٢م.
مترجم الكتاب الدكتور نقولا زيادة ، ويشتمل الكتاب على جزئين.

١٠- بنوا ميشان : عبدالعزيز آل سعود ،سيرة بطل ومولد مملكة .
نشر وطباعة دار الكاتب العربى ، بدون تاريخ .
قام بترجمة الكتاب عبدالفتاح ياسين ،وهو يشتمل على خمسة أجزاء فى مجلد واحد .

١١٠- بيير رنوفان : تاريخ العلاقات الدولية " القرن التاسع عشـر ، ١٨١٥-١٩١٤م .
نشر دار المعارف فى مصر ،طبع فى المطبعة المصرية بالاسكندريـة سنة ١٩٨٠م .
ترجم الكتاب الدكتور جلال يحيى ، والكتاب يحتوى على قسمين ، يتحدث القسم الاول عن الفترة من ١٨١٥م الى ١٨٧١م والقسم الثانى عـن الفترة من ١٨٧١-١٩١٤م .

١١١- جاكلين بيريـن : اكتشاف جزيرة العرب ، خمسة قرون من المغامرة والعلـم .
نقل الكتاب الى العربية قدرى قلعجى ، وقدم له الشيخ حمد الجاسر ، منشورات الفاخرية ، الرياض ، ودار الكاتب العربى بيروت ، بدون تاريخ

١١٢- جورج انطونيوس : يقظة العرب تاريخ حركة العرب القوميـة .
نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر بيروت - نيويورك ، دار العلم للملايين ،بيروت الطبعة الاولى ١٩٦٢م .
قدم للكتاب الدكتور نبيه أمين فارس وترجمه الدكتور ناصر الدين الأسـد والدكتور احسان عباس .

١١٣- جون .ب .كيلى : بريطانيا والخليج ١٧٩٥-١٨٧٠م .
ترجمة محمد أمين عبد الله ، منشورات وزارة التراث القومى والثقافة

بسلطنة عمان ،وطبع بمطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه ، راجعه وأشرف على طبعه الاستاذ عبدالمنعم عامر.

١- ج.ج. لوريمر : دليل الخليج ، القسم التاريخى .
طبع على نفقة الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى أمير دولة قطر بمطابع على بن على بالدوحة ،رمضان سنة ١٣٩٥هـ/ سبتمبر ١٩٧٥م والترجمة العربية من الكتاب فى ثلاثة مجلدات تشتمل على ثمانية فصول وتقع فى ١٧٥١ صفحة ،وناشر الطبعة الانجليزية أرخ مقدمته فى ١٠ أكتوبر سنة ١٩١٤م.

١١- الكابتن ج. فورستر سادلير : رحلة عبر الجزيرة العربية خلال عام١٨١٩م.
ترجم الكتاب أنس الرفاعى ،نشر وتحقيق سعود بن غانم الجمران العجمى الكويت ، طبع بمطابع دار الفكر ، دمشق سوريا ، الطبعة الاولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

١١- جورج كيرك : موجز تاريخ الشرق الاوسط من ظهور الاسلام الى الوقت الحاضر .
ترجم الكتاب عمر الاسكندرى وراجعه الدكتور سليم حسن ،
نشر مركز كتب الشرق الاوسط ، سلسلة الالف كتاب ١١٤ ،طبع دار الطباعة الحديثة فى مصر ، بدون تاريخ ، كلمة المترجم فى ١٢ مارس ١٩٥٧م.

١- جون ما رلــو : تاريخ النهب الاستعمارى لمصر، ١٧٩٨-١٨٨٢م.
نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ،وطبع بمطابعها سنة١٩٧٦م.
وقام بترجمة الكتاب الدكتور عبد العظيم رمضان ، وقد اشتمــل
الكتاب على اثنى عشر فصلا اضافة الى مقدمة المؤلف ومقدمة المترجم.

١- جى .بى . كيلى : الحدود الشرقية لشبه الجزيرة العربية .
منشورات دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر ،طبع سنة ١٩٧١م ،
قام بتعريب الكتاب والتعليق عليه خيرى حماد .

١- سنت جون فيـلبى : تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب
السـلفيـة .
منشورات المكتبة الاهلية ،بيروت ،طبع دار الشمالى للطباعة ، بيروت ،
بدون تاريخ ، ترجم الكتاب الى اللغة العربية عمر الديراوى .

١- سـيد يو : خلاصة تاريخ العرب تهذيب وترجمـة
كتاب العالم .
طبع بمطبعة محمد أفندى مصطفى بحوش قدم سنة ١٣٠٩هـ، الطبعـة
الاولى ،وقد أمر بترجمته وتهذيبه سعادة على باشا مبارك ناظر المعارف
العمومية بمصر سابقا .

١- الدكتور فيليب حتى : تاريخ العرب " مطول ".

ترجمة الدكتور أدورد جرجي ، والدكتور جبرائيل جبور .

طبع ونشر دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع بيروت ،لبنان ، جمادى

الاولى ١٣٧٠هـ شباط ١٩٥١م.

١- فيليب وفريد الخازن : مجموعة المحررات السياسية والمفاوضات الدولية ،

من سوريا ولبنان من ١٨٤٠ - ١٩١٠م.

تعريب فيليب وفريد الخازن صاحبي جريدة الأرز ،طبع فى مطبعة الصبر

فى جونيه سنة ١٩١١م.

ويشتمل على ثلاثة مجلدات .

١- كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية .

نقله الى العربية نبيه أمين فارس ، منير البعلبكى ، طبع ونشر

دار العلم للملايين ،بيروت ، الطبعة السادسة ، شباط ١٩٧٤م.

١- الدكتورة نجلاء عز الدين : العالم العربى .

ترجمة محمد عوض ابراهيم وآخرون ،

قدم له حسن جلال العروسى

قدم له الدكتور وليم أرنست هوكنج

طبع ونشر دار احياء الكتب العربية بمصر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين

للطباعة والنشر ، القاهرة - نيويورك ، الطبعة الثانية ١٩٦٢م.

١- هـ.أ.ل. فيشر : تاريخ أوربا في العصر الحديث ،
١٧٨٩-١٩٥٠م.
تعريب أحمد نجيب هاشم ، وديع الضبع .
طبع ونشر دار المعارف بمصر ، الطبعة السابعة ، ١٩٧٦م.

الدوريات والمقالات :

١- بدر الدين عباس الخصوصي : محمد علي والخليج العربي ، ١٨٣٨-١٨٤٠م ، دراسة موثقة .
مجلة كلية الآداب والتربية ، جامعة الكويت ، العدد الخامس ، يونيو ١٩٧٤م ، جمادى الاولى ١٣٩٤هـ . الصفحات ٩٩-١٣٢ من المجلة .

١- صالح محمد العمرو : النزاع التركي المصري على شمال الحجاز وسيناء وتدخل الحكومة البريطانية ١٨٨٤-١٩٠٦م .
مجلة دارة الملك عبد العزيز بالرياض ، العدد الاول ، السنة الخامسة ، ربيع الثاني ١٣٩٩هـ/مارس ١٩٧٩م ، الصفحات ٦ - ٣٤ من المجلة .

١- عبد الحميد البطـريق : محمد علي ومشروع غزو العراق ،
مجلة كلية الآداب ، الجامعة الأردنية ، المجلد الاول ، العدد الاول ، يناير ١٩٦٩م ، الصفحات ٤٩ - ٦٠ من المجلة .

١- عبد العزيز نوار : مصر والخليج العربي في القرن ١٩ .
مجلة الهلال : مجلة شهرية تصدر من دار الهلال بمصر ، أسسها جرجي زيدان سنة ١٨٩٢م ، العدد الحادي عشر ، السنة ٧٢ ، أول نوفمبر سنة ١٩٦٤م ، ٢٦ جمادى الآخرة ١٣٨٤هـ ، الصفحات ١٥٦-١٦٨ .

١- عبد العزيز عبد الغني ابراهيم : بداية الامتيازات الامريكية في الشرق الأوسط .
مجلة دارة الملك عبد العزيز بالرياض ، العدد الاول ، السنة الثامنة شوال ١٤٠٢هـ/يوليو ١٩٨٢م ، الصفحات ٩١-١٠٦ من المجلة.

١- عبد العزيز محمد عوض : التنظيمات العثمانية في الولايات العربية .
مجلة دارة الملك عبد العزيز بالرياض ، العدد الثالث، السنة الثالثة ،شوال ١٣٩٧هـ/سبتمبر ١٩٧٧م ، الصفحات ٨٢-٩٢ من المجلة .

١- عبد الله الصالح العثيمين : حول كتاب الدولة السعودية الثانية للدكتور أبو عليه .
مجلة دارة الملك عبد العزيز بالرياض ، العدد الاول ، السنة الثالثة ربيع الاول ١٣٩٧هـ/فبراير ١٩٧٧م ،الصفحات ٢٤٤-٢٧١ من المجلة .

١٢- عبد الله بن محمد بن خميس : الشعر الشعبي ومعالم الجزيرة .
مجلة العرب ، العدد السادس ، السنة الاولى ،ذو الحجة ١٣٨٦هـ/مارس ١٩٦٧م ، وهي مجلة شهرية يرأس تحريرها حمد الجاسر ، وتطبع في دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر بالرياض .

١١- محمد حسين زيدان : الوثائق تتكلم ٠
مجلة دارة الملك عبد العزيز بالرياض ، العدد الثانى ، السنة الاولى ، جمادى الثانية ١٣٩٥هـ/يونيو ١٩٧٥م ، الصفحات ١٦٠-٢١٢ من المجلة ٠

١٢- نورى عبد البخيت السامرائى : من تاريخ الوجود الامريكى فى البحر المتوسط ، أواخر القرن ١٨ ، وأوائل القرن ١٩ ٠
مجلة المؤرخ العربى ، العدد الثالث والعشرون ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، طبعت بمطابع جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض ، وهى مجلة تصدرها الامانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب بغداد ، العراق ، المقال يشمل الصفحات ٢١٩-٢٣٥ من المجلة٠

الوثائــق العثمانيــة :

أ ـ وثائق عثمانية مترجمة الى العربية : في دارة الملك عبد العزيز بالرياض .

١ - وثيقة رقم ٥٠/١-٢٤٨ ، ورقمها الاصلى ١٩٥٩٣-أ / A/19593 في ٢١ربيع الاول سنة ١٢٣٠هـ ، رسالة من محمد على الى السلطان العثماني يبلغه عدم حاجته الى ولاية الشام ، ويوضح سبب طلبه لتلك الولايــة من قبــل .

٢ - وثيقة رقم ١/٢-٢٢٠ ، بدون تاريخ ورقمها الاصلى ١٩٥٩٤-أ / A/19594 رسالة من رئيس الكتاب الى والى الشام ، يسأل عن مراد محمد على من أيالة الشام .

٣ - وثيقة رقم ١/٢-٩٤ في سنة ١٢٣٢هـ تقريبا ، ورقمها الاصلــــى : ١٩٥٧٨/ 19578
من الصدر الاعظم الى السلطان العثماني ، تقرير عن اجتماع مجلــس الشورى للنظر في أمر طلب محمد على أيالة الشام ، وخوفهم من ضمهــا لــه .

٤ - وثيقة رقم ٥/١-١٥٩ في ١٢٢٥/١/١٩هـ ، ورقمها الاصلى ١٩٥٩٠/ 19590 رسالة من محمد على الى الصدر الاعظم .

٥ - وثيقة رقم ٥/١/١٣٨ في ١٢٢٦هـ تقريبا ، ورقمها الاصلى ٣٢٢٨/ 3228 من محمد على يتحدث عن نفسه ويشكر الدولة العلية العثمانية على ما ناله من تقدير في ظلها .

٦ - وثيقة رقم ٤/ ١/ ١٢١ فى ٢٩ رمضان ١٢٥٦هـ ، من محمد صادق من أنطاكية يعبر عن ابتهاج الاهالي بانسحاب جيش محمد على .

٧ - وثيقة رقم ٤/ ٢/ ٨ بدون تاريخ ، من علماء وأهالي أنطاكية يباركون طرد جنود محمد على من الشام .

- وثائق تركية وعربية فى دار الوثائق القومية بالقاهرة ، وتشتمل على ثلاثة أنواع :

أولا : الوثائق الموجودة بمحافظ عابدين سابقا ، محافظ الحجاز حاليا ؛

ثانيا : دفاتر معية تركى ، وهى دفاتر السجلات للمراسلات التى ترد من والى محمد على .

ثالثا : محافظ بحر برا ، وبها الرسائل التى تصدر وترد من والى قادة محمد على فى الجزيرة العربية .

لا : محافظ عابدين " الحجاز حاليا " ؛

١ - وثيقة رقم ٣٢ أصلى ، ١٦٠ حمراء فى ٣ جمادى الاولى ١٢٥٤هـ ، محفظة ٢٦٤ عابدين ، محفظة الحجاز رقم ٥ من خورشيد باشا الى صاحب الدولة والعاطفة .

٢ - المرفق العربى للوثيقة ٦٦ حمراء ، فى ١٦ رمضان ١٢٥٣هـ ، المحافظ السابقة ، من عبد الله الفداغ الى فيصل بن تركى آل سعود .

٣ - وثيقة رقم ٣٧ أصلى ، ١٩٧ حمراء ، فى ٩ جمادى الآخرة ١٢٥٤هـ المحافظ السابقة ، من خورشيد باشا الى صاحب الدولة والعاطفة

٤ - وثيقة رقم ٦٩ أصلى ، ٢٦٤ حمراء فى ٢٥ جمادى الآخرة ١٢٥٤هـ محفظة ٢٦٣ عابدين ، محفظة الحجاز رقم ٥ ، من محرم أغا محافظ المدينة المنورة الى الباشمعاون الخديوى .

٥ - وثيقة رقم ١٠٥ فى ١٠ ذو القعدة ١٢٥٤هـ ، محفظة ٢٦٤ - عابدين ، محفظة الحجاز رقم ٦ ، من ابراهيم توفيق الى الباشمعاون الخديوى .

٦ - وثيقة رقم ٢ أصلى ، ٣٧ حمراء ، فى ١٩ محرم ١٢٥٥هـ ، محفظة ٢٦٧ عابدين ، محفظة الحجاز رقم ٧ ، من خورشيد باشا فى الرياض الى ولى النعم صاحب الدولة .

٧ - وثيقة رقم ٤ أصلى ، ٣٨ حمراء ، فى ١٩ محرم ١٢٥٥هـ ، نفس المحفظتين السابقتين ، والمرسل والمرسل اليه .

٨ - وثيقة رقم ٧ أصلى ، ٥٠ حمراء ، فى ٢١ محرم ١٢٥٥هـ ، المحفظتين السابقتين ، والمرسل والمرسل اليه .

٩ - وثيقة رقم ٩٤ حمراء ، فى ٧ صفر ١٢٥٥هـ محفظة ٢٦٧ عابدين ، ومحفظة الحجاز رقم ٧ ، من ابراهيم توفيق الى صاحب الدولة .

١ - ارادة نمرة ٧ فى ١٩ ربيع الاول سنة ١٢٥٥هـ ، نفس المحفظتين السابقتين ارادة من عدم رضا الانجليز بارسال السفن من طريق البحر الى الخليج العربى .

١ - وثيقة رقم ٢٤ حمراء ، فى ١٠ ربيع الثانى سنة ١٢٥٥هـ ، نفس المحفظتين السابقتين ، من ابراهيم توفيق الى باشمعاون ..

١ - صورة المرفق العربى للوثيقة رقم ١٣٧ حمراء فى ١٧ جمادى الاولى ١٢٥٥هـ نفس المحفظتين السابقتين ، صورة الجواب المرسل الى قنصل الانجليز وترجمة كتاب القنصل ، وصورة الكتاب المرسل الى عبدالله الخليفة .

١ - صور المرفق للوثيقة رقم ٤ حمراء فى ٢٧ جمادى الاولى ١٢٥٥هـ ، نفس المحفظتين السابقتين ، منشور عبارة عن تقرير من خورشيد باشا فى ثرمدا الى ولى النعم ..

١ - وثيقة رقم ١٧ أصلى ، ١٦١ حمراء فى ٢٨ جمادى الأولى ١٢٥٥هـ ، نفس المحفظتين السابقتين ، من محافظ المدينة المنورة الى باشمعاون ..

١ - وثيقة رقم ١٦٥ حمراء فى ٢٩ جمادى الاولى ١٢٥٥هـ ، نفس المحفظتين السابقتين ، من خورشيد باشا فى ثرمدا الى صاحب الدولة ..

١ وثيقة رقم ٤ حمراء فى غرة جمادى الثانى ١٢٥٥هـ ، محفظة ٢٦٧ عابدين ومحفظة الحجاز رقم ٨ ، من خورشيد باشا سر عسكر نجد الى باشمعاون ..

١٧ - وثيقة رقم ٤١ حمراء ، ١١ جمادى الآخرة ١٢٥٥هـ نفس المحفظتين السابقتين ، من خورشيد باشا الى رئيس معاونى الخديوى .

١٨ - ارادة نمرة ٢١ فى ٢ رجب سنة ١٢٥٥هـ ، نفس المحفظتين السابقتين ، ارادة بغلق باب المصروفات عن نجد والعودة الى مصر .

١٩ - وثيقة رقم ٤١ أصلى ، ٩ حمراء فى ٣ شعبان سنة ١٢٥٥هـ ، محفظة ٢٦٧ عابدين ، ومحفظة الحجاز رقم ٨ ، من خورشيد باشا الى باشمعاون ..

٢٠ - وثيقة رقم ٢ أصلى ، ١٠٥ حمراء فى ٢٥ محرم ١٢٥٦هـ ، محفظة ٢٧٠ عابدين ، محفظة الحجاز رقم ١٠ ، من خورشيد باشا فى ثرمدا الى صاحب الدولة .

ثانيا : دفاتر معية تركى :

٢١ - وثيقة رقم ٨٢٣ ، دفتر ٤٠ معية تركى ، ص ١٣٠ ، فى ٩ صفر ١٢٤٨هـ ٨ يوليو ١٨٣٢م ، خطاب من محمد على الى تركجه بيلمز ومن معه من قادة الثورة فى الحجاز .

٢٢ - وثيقة رقم ٨٢٤ ، دفتر ٤٠ معية تركى ، ص ١٣٠ ، فى ٩ صفر ١٢٤٨هـ ٨ يوليو ١٨٣٢م ، خطاب من محمد على الى حسن أغا الارزنجانى وكيل الحرمين .

٢٣ - وثيقة رقم ٨٢٨ ، دفتر ٤٠ معية تركى ، ص ١٣٠ ، فى ٩ صفر ١٢٤٨هـ ٨ يوليو ١٨٣٢م ، خطاب من محمد على الى أمير مكة المكرمة الشريف محمد بن عون .

٢٤ - وثيقة رقم ١٥٦ ، دفتر ٤٤ معية تركى ، ص ٣٤ ، فى ٢٤ صفر ١٢٤٨هـ ٢٣ يوليو ١٨٣٢م ، مرسوم صادر من محمد على الى تركجه بيلمز وزينل أغا ويكمزجى زاده .

ثالثا : محافظ بحر برا :

٢٥ - وثيقة رقم ١٢٤ ، محفظة ٩ بحر برا ، رسالة بتاريخ ١٦ ذى الحجة ١٢٤٠هـ الاول من أغسطس ١٨٢٥م ، من تركجه بيلمز ، الى محمد على .

٢٦ - وثيقة رقم ٦٤ ، محفظة ١٣ بحر برا ، رسالة بتاريخ ٢٥ شعبان ١٢٤٥هـ التاسع عشر من فبراير ١٨٣٠م من الشريف محمد بن عون ، أمير مكة الى محمد على ، يبلغه فيها من تحركات الامام تركى بن عبدالله بن محمد ابن سعود ، فى عالية نجد ، وجمعه للزكاة من قبائل عتيبة .

٢٧ - وثيقة رقم ٥٦ ، محفظة ١٧ بحر برا ، رسالة بتاريخ ٢١ ربيع الثانى ١٢٤٨هـ السابع عشر من سبتمبر ١٨٣٢م ، رسالة من أحمد باشا يكن الى محمد على ، من هروب الجنود الثائرين فى الحجاز الى اليمن .

لوثائق الانجليزيـــة :ـــ

_ English, Documents :

1- Public Record office, P.R.O. " Foreign office. F.O. ".

Ruskin Avenue, Kew

Richmond

Langdale Room

ـد ار السجلات العامـــة .

- F.O. 78/224. No. 57.
- F.O. 78/227. No. 9, 10, 24, 28.
- F.O. 78/228. No. 62, 72.
- F.O. 78/246. No. 42.
- F.O. 78/247. -
- F.O. 78/257. NO. 2, 26.
- F.O. 78/306. NO. 257.
- F.O. 78/318. No. 24, 25.
- F.O. 78/373. NO. 374. No. 3, 14, 20, 21.
- F.O. 78/374. NO. 34, 35, 42, 43, 50-53.
- F.O. 78/375. -
- F.O. 78/377. No. 1, 2.
- F.O. 78/404. -
- F.O. 78/ 3185. -

هذه الوثائق عـبارة عن مجموعات كبيرة من الرسائل السرية والتقارير السياسيـــة التى تتحدث عن العلاقات البريطانية العثمانية ، وعن علاقات بريطانيا مع محمـــد على وانبثاق قوته ، وعن موقف السياسة البريطانية منها حينذاك .

2 - INDIA, OFFICE, RECORDS. "I.O.R.".

and, INDIA, OFFICE, LIBRARY."I.O.L."

197 Black Friars Road, and, Great Russell street, London.

من سجلات وزارة الهند ، ومكتبة وزارة الهند .

- L/P,S/9/93. NO. 29.
- L/P,S/9/95. NO. 31, 52, 53.
- L/P,S/9/96. NO. 4.
- L/P,S/9/97. NO. 67.
- L/P,S/9/103. NO. 7.
- L/P,S/9/110. No. 14.
- L/P,S/9/111. -
- L/P,S/9/112. NO. 4.
- L/P,S/9/113. NO. 44, 1583, 1607 , 1609.
- L/P,S/9/114. NO.13.
- L/P,S/9/115. NO. 25, 26.

عذه الوثائق تمثل مجموعة كبيرة من الرسائل السرية التى يبعثها القناصل الانجليز
ى الخليج العربى وبغداد ومصر ، الى حكومتهم فى لندن وبومباى ويتداولونهــا
يما بينهم ،وتدور محتويات هذه الرسائل حول علاقات بريطانيا بحكومة محمد عــلى
لتى بدأت فى بسط نفوذها على الجزيرة العربية ،لتهدد المصالح الاستراتيجيـة
والاقتصادية لحكومة بريطانيا هناك .

3 - Selections From The Records of The Bombay Government.

NO.XXIV- NEW Series.

مختارات من سجلات حكومة بومباى رقم ٢٤ ، شركة أرامكو بالظهران ، المملكة العربية السعودية .

Historical and other Information, Connected with the Provi
of Oman, Muskat, Bahrein, and Other Places in The Parsi n
Gulf.

معلومات تاريخية تتعلق بعمان ، ومسقط ، والبحرين وغيرها من الأماكن في " الخليج الفارسى ".

Chronological Table of Events from 1716 to 1843,
Connected with the Government of Muskat, and The Arab-
Tribes of the Persian Gulf. P.P. 437-455.

الحوادث من ١٧١٦ الى ١٨٤٣م ، تتعلق بحكومة مسقط والقبائل العربيه على " الخليج الفارسى ".

— English, References   المراجع الانجليزيـــة :

1- Temperley" Harold ".
and,
Penson " Lillian.M. ".
Foundations of
British Foreign Policy
Or
Documents, Old and New
Cambridge, At the University Press
1938

2- Hurewitz. " J.C. ".
Diplomacy
in the
Near and Middle East
Adocumentary Record 1535-1914.
Volume 1.
New York , 1956.

الفهرس